

الْحَوْزَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي النَجَفِ الْأَشْرَفِ

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ

الْبَيْتُ الرَّوْحِيُّ وَالطَّبِيعَةُ الْحَاضِرَةُ لِلْحَوْزَةِ

الدكتور

عبد الهادي الحكيم



الحِوْزَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْخَفَاءِ الشَّرِيفِ

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ

الْبَيْتَةُ الرَّوْحِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ الْخَاصَّةُ لِلْحِوْزَةِ

هوية الكتاب

- « اسم الكتاب: الحوزة العلمية في النجف الأشرف / الكتاب الأول: البيئة الروحية والطبيعية الخاضعة للحوزة.
- « المؤلف: د. عبد الهادي السيّد محمد تقي الحكيم.
- « المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر.
- « الطبعة: الثانية.
- « سنة الطبع: ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م.
- « حجم ورق الكتاب: ١٧ × ٢٤ سم (وزيري).
- « عدد الصفحات: ٤٧٠.
- « الإخراج الفني الداخلي: أحمد الرصافي.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٣٣) لعام (٢٠٢٣)

حقوق الطبع محفوظة

الرقم الدولي: 978-9922-700-51-9 ISBN

المَوْزَنَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي النَجْفِ الْأَشْرَفِ

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ

الْبَيْتُ الرَّوْحِيُّ وَالطَّبِيعَةُ الْخَاضِعَةُ لِلْحَوْزَةِ

لِلدُّكْتُورِ

عَبْدِ الْهَادِي الْحَكِيمِيِّ

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة



كلمة المؤسسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. تحتل النجف الأشرف مكانة سامية متميزة على طول تاريخها المشرق في مجالات متعددة، فشخصت لها الأنظار وتسابقت إليها الأقلام وتعددت الرؤى والأفكار لتتحرى عظمتها والتعريف بها وإحصاء صفاتها ومزاياها، وما زال أفقها الخصب واسع المدى لمن أراد أن يرتشف من معينها ونميرها الثر. ورد في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَأَوَيْتَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، قال: الربوة نجف الكوفة، والمعين الفرات.

النجف الأشرف مثنوى الأولياء وسيدهم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حيث طابت الأرض به وطهرت، وهي مأوى الأنبياء والصالحين، ناطب الإمام في زيارته (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح وعلى جاريك هود وصالح).

وعُرفت النجف بأجوائها العلمية والأدبية والفكرية؛ فحوزتها العلمية عريقة قديمة يرجع تاريخها إلى ما يقرب من ألف سنة، وتشع بها البيوت العلمية التي أشرقت في هذه المدينة العامرة، والحوزة هي المدرسة والجامعة الوحيدة المستقلة عن أي جهة، فهي حرة في حركتها ومنهجها، وجرت محاولات لربط هذه المعاهد والمدارس بالدولة فلم تنجح، بالوقت التي نجحت تلك الخطط في ربط الأزهر بالدولة وكذلك القيروان والزيتونة وفاس.

ازدهرت الحياة العلمية بهذه البقعة المباركة رغم قساوة البرد وحرارة الجو

والجفاف وانعدام الموارد، كل هذا ببركة أمير المؤمنين عليه السلام حيث أسبغ عليها جواً من القداسة، وأصبحت تجذب روحياً كل من دخلها، فالنفس القدسية تستطيع الامتداد في النفوس، فهذه الحوزة ليست فقهية فحسب كما نرى بعض الحوزات، أو فلسفية أو نحو ذلك، بل هي منفتحة على كل العلوم النافعة، فبرز منها فقهاء كبار كالشيخ الأنصاري والشيخ الآخوند والسيد الحكيم والسيد الخوئي، وكبار المفسرين كالشيخ الطوسي والعلامة الطباطبائي، وكبار العلماء والمفكرين كالشهيد السيد الصدر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ المظفر، وأعلام الشعر والأدب كالجواهري والشرقي وجمال الدين، وأعلام الخطباء كالشيخ الوائلي والشيخ اليعقوبي وغيرهم، وعرف الإمام أنه حامي الدخيل، لذا تهافت المؤمنون على أن يدفنوا في النجف لروايات أهل البيت التي نصّت على فضل هذه البقعة وما لها من آثار.

وقطعت هذه الحوزة أشواطاً كبيرة -وتنتقل أحياناً لظروف عصيبة تمرّ بها- إلى أماكن أخرى ثم تعود لمقرّها ومركزها نجف الحضارة والعلم، حيث كانت تتعرض إلى هجمات من أعداء الاسلام، حتى وصل الأمر إلى زمان النظام البعثي الصدامي فكانت الأزمات التي لم تر حوزة النجف مثلها في تاريخها الطويل من تهجير وتسفير واعتقال ومضايقة وإعدام، بل العراق كله كان عبارة عن سجن وتضييق وكبت. كما امتازت النجف الأشرف أنها مهد المرجعية الشيعية العليا في أكثر الأزمنة، والمرجعية هي أكبر رمز ديني ينظم الدين والدنيا، ومن أهم مواطن القوة عندنا أمران: المرجعية الدينية والشعائر الحسينية، لذا يحاول الأعداء تفتيت هذين الأمرين لإضعافنا فتبوء محاولاتهم بالفشل؛ لأن المرجعية ارتبطت بالله تعالى فأصبحت صمام أمان، وهي كيان مستقل لا يخضع لأي جهة كما قلنا، ولا يشترط فيها جنسية معينة، فتصنع القرار بكل حرية وبلا ضغوط، والمرجع أعلى كيان في الحوزة العلمية

وهي أعلى رتبة علمية وامتداد للمعصوم، إذ في زمانهم يرجع الناس للمعصوم حتى سنة (٢٦٠هـ) حيث الغيبة الصغرى، واستمر الحال لسنة (٣٢٩هـ) إذ ارتبط الناس بالإمام المهدي عليه السلام عن طريق السفراء الأربعة، وبموت الرابع انقطعت السفارة وانتهى دورٌ ليبدأ دورٌ آخر هو الغيبة الكبرى، ولا يتمكن الإنسان من الرجوع للقرآن والسنة مباشرة لأخذ معالم دينه؛ لأنه لا يتسنى فهم ذلك لكل أحد، فلا بد من الرجوع لأهل الاختصاص وهم العلماء الذين لهم صفات معينة حددها لنا الأئمة المعصومون عليهم السلام وهم أساس نصب المرجعية والممهدون لها، وهي امتداد لخط الأئمة الأطهار، وكان مراجعنا مظهرًا لصفاتهم، ومن أبرز هذه الصفات: التقوى؛ فهي ميزة حوزاتنا العلمية حتى صار الأتقى والأورع ميزانًا للتسابق في صلاة الجماعة والتقليد، فالعلم وحده لا يكفي، فعرف علماؤنا ومراجعنا بالتقوى والصلاح وحسن النوايا؛ لهذا تمكّنوا من الصمود على طول التاريخ القاسي.

فعلماء حوزتنا تتوفر فيهم الشروط التي يتطلبها المنهج السليم، ومنها: التفقه بالدين، فليس المراد العلم بالدين الذي هو الإمام العام بمعارفه، وإنما المراد الوصول لحقائق الأحكام، أي: أدلتها التفصيلية وكيفية الربط بينها، ومن هذه الشروط النظر الثاقب، ففي رواية عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام في رجلين تنازعا في دين أو ميراث قال: (ينظران إلى رجل منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً).

فعبارة (ونظر في حلالنا) المراد بالنظر: القدرة على استعراض الآراء العلمية ونقدها والتوصل لقناعة، كما يتصف علماؤنا بالأمانة كما ورد (مجاري الأمور بيد العلماء الأمناء على حلاله وحرامه).

إذن: النجف الأشرف رائدة العلم والتفقه والحضارة والتأليف وحوزتها ذات

التاريخ العريق تستحق منّا أن نسلط عليها الأضواء بمزيد من الاهتمام وتقصي الحقائق التاريخية لتتجلّى العظمة بكل معانيها، ومن هذا المنطلق سعى الأستاذ الكبير الدكتور السيد عبد الهادي نجل العلم الحجة السيد محمد تقي الحكيم لبذل الوسع من أجل إعطاء المواضيع التي تناولها حقها بأسلوبه المميز ولغته الهادفة الجميلة ودقته العلمية، وهذا ما نجده جلياً في كتبه التي حملت عنوان (الحوزة العلمية في النجف الأشرف)، التي تناول فيها مواضيع ثرة بحث عن ما يتعلق بالعنوان اسماً وتاريخاً وجغرافية وآثاراً ومرقداً مطهراً ومساجد ومزارات شريفة وبيئة عربية حاضنة، والنظام الدراسي وما يتعلق بطلبة العلم ومدارس الحوزة العلمية ومراحل الدراسة والمنهج.

وجناب السيد عبد الهادي الحكيم (حفظه الله) غني عن التعريف شخصاً وبيتاً وأسرّة ومكانة، رفع الله قدره وجزاه خيراً على هذه الجهود الكريمة الموفقة، ولا ننسى دور مؤسسة رواد للتنمية على اهتمامها بهذا التراث الجميل وبذاتها مزيداً من الاهتمام لإخراجه لحيز النور، وما زالت تتنقل من إبداع لآخر في كل أعمالها الفريدة التي تقوم بها، كما وأن جهود العتبة الحسينية المقدسة مشهودة متألفة بشخص المتولي الشرعي وكل المخلصين معه لإبراز تراث أهل البيت والاهتمام بكل ما يرفد المكتبة من نتاج نافع وما قاموا به من أعمال في ميادين شتى جزاهم الله خيراً ووفقهم للمزيد وهم أهل لكل أعمال الخير.

والحمد لله رب العالمين

هياة الإشراف

في مؤسسة رواد للتنمية والإعلام

ديباجة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيّين الطاهرين.

وبعد، ففي مدينة النجف الأشرف مقر أكبر الحوزات العلميّة وأشهر المرجعيّات الدينيّة لأتباع أهل البيت عليه السلام في العالم الإسلامي، يمتزج التراث بالمعاصرة، والأصالة بالتقليد، والعراقة بالحدّاث، والضوء بالظل، والإبداع بالاتباع، حتّى لا تكاد تستطيع فكّ أواصرهما المتشابكة تشابك الخلّ المدّخر لخلّه، والعاشق المتيم الواله، بل المتممّ لمعشوقه.

وإذ يمتاح الاجتهاد دواخل النصّ فيستنطقه، ويسبر التحليل عمق المتن فيستظهره، ويحليّ الاستنباط محتوى الشكل فيستشفّه.

وإذ تتآزر علوم اللغة العربيّة وفقهها، والبلاغة ومتونها، والنقد الأدبي وأصوله، والتفسير ومدارسه، وأصول الفقه وقواعده، وتصورات المنطق وتصديقاته، متعاضدة كلّها ومؤتلفة، مع فنون النسيج وصياغاته، والعقل وبديّاته، والمنهج وآلياته، على تحليل الخطاب الشرعي، والغوص في تراكيب النصّ؛ لسبر أغواره، واستظهار مكنوناته، واستكناه تجلياته، وتفكيك تعقيداته، وحلّ إشكالياته، عند مرقد باب مدينة العلم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يتفجر العلم وتتدفق ينابيعه في المساجد والمعاهد المدارس والمكاتب والبيوت.

في مساجد ومدارس النجف الأشرف تتفرّع عن الأسئلة الأسئلة، لتتراكم على الحلول الحلول، وفي معاهدها، تنثال الاحتمالات على الاحتمالات، لتتوالد من البراهين البراهين.

ويتناغم في بحوث مدرستها العلميّة النص والتحليل، الحسّ والحدس، ويتحاور في اجتهداها عقل المعرفة ونقلها، وظاهر المقولة وباطنها، ومحكم آيات الله ومتشابهها، حواراً يفكك في العقل والنظر متن النص والأثر، ثم يعيد تركيبه صعوداً نحو استيحاء المضمون واستنطاق الدلالة، فاستنباط الحكم.

في صباحات النجف الأشرف يستيقظ قبل جسد الطالب عقله، وفي مساءاتها يتلو قبل لسان العابد قلبه، وما بين هذا وذاك يشتعل الجسد بلسع ظهيرة حارق، تزيده شدة على شدته دوامة غبار في سمائها، لا فكاك من ذراته المتراكمة على بعضها، إلا أن يكون في العين قذى، وفي الصدر غصّة وحشرة، وإن حاول أن يفرّ المرء منها إلى حيث لا مفرّ ولا مهرب، وأن ينجو منها حيث لا ملجأ ولا منجى.

ومع ذلك كلّه يعشق الوافد من أرض الله المعشبة الجميلة الوارفة الظلال نجفه القاحلة المغبرة، حتّى ليتغزل بها ويهيم، ويتباهى الدارس فيها بانتمائيه إليها، من أيّ أرض جاءها، حتّى لينزع عنه نسبه بانتسابه إليها، وهو يزهو ويفتخر.

في أسحار النجف الأشرف يتحرّق الواله كي لا تفارق روحه طيلة حياته روحها، ويستमित المتيم كي لا يباين جسمه بعد موته أرضها.

في رملة وادي النجف الأشرف تحتضب الروح بدفء القرب وطيب الوصال، وهي تستلهم من جوار أمير المؤمنين عليه السلام غدوة وعشيّاً، ذاهبة وآيبة، وغادية ورائحة، حكمة أمير المؤمنين، وفقهه، وبلاغته، ونوره، وعلمه المشتق من علم

خاتم الأنبياء حيث قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»^(١).

في جوار حضرة أمير المؤمنين عليه السلام يستدعي الباحث عن الحقيقة العدل والقسط والحق والإنصاف والقسطاس المستقيم من سيرته وتاريخه يوم قال ﷺ: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»^(٢).

ويستحضر طالبها صواب الحكم وعمق الفهم ونصاعة الفتوى ونزاهة التقوى من عدالته ونهجه، إذ قال ﷺ: «أقضاهم عليّ»^(٣).
ويستلهم شجاعة الرأي، وجرأة القول وثبات القلب وفروسيّة المنازلة وصبر المجالدة من صولاته وجولاته، مذ ورد قوله ﷺ^(٤):

لا سيف إلا ذو الفقار
ولا فتى إلا علي

حتى كأن لمجاورة إمام المتّقين قوّة استلهم تاريخ متجذر موصول بماضي من عصر التشريع حيّ، وقدرة استشفاف نصّاعة مستوحاة من نور الوحي المبين ومن إشراقة البيان الكريم وضّاءة، وطاقة استرجاع بطولة موروثة من فروسيّة ساحات الجهاد وقراع الحراب واصطكاك الأسنة محرّكة فاعلة.

مدينة عمر جامعها الدينيّة أكثر من ألف عام، احتضنت لغة القرآن وعلومه، والمنظومة المعرفيّة وآدابها، وجزالة بلاغتها وفصاحتها، وأصالة أبجديّتها وتراكيبها،

(١) المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٣٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٤ / ٣٢٢. كنز العمال. المتقي الهندي: ٥ / ٣٢٧.

(٣) صحيح البخاري: ٦ / ٢٣ كتاب التفسير. باب قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾. وينظر: مسند أحمد ٥ / ١١٣ بلسان: (أقضاها علي).

(٤) كنز العمال. المتقي الهندي: ٥ / ٧٢٣.

وطبقات جرسها وأوزانها، فصانتها من حملات التتريك والتدوين، وحمت عمود الشعر العربي وتفعيلاته، فحصنته من موجات التجريب والتغريب، وحرست علوم الشريعة الإسلامية وأحكامها، فحفظتها من طروحات التجديف والتزييف، وسهرت على أصول العقيدة وفروعها، فنزهتها عن محاولات التشويه والتحريف. مدينة خرّجت حوزتها العلميّة المعاصرة -ناهيك عن تاريخها العلمي العريق- الجمع الغفير من العلماء الأعلام، فغدت قلعة للمرجعية الدينيّة الأصيلة، وحصناً من حصون الشريعة السمحاء، ومعلماً جهادياً ينير الدرب للسالكين، ومدرسة للوطنية المنزهة عن المغنم، وحاضرة من أهمّ حواضر فقه آل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وكيف لا تكون مدينة النجف الأشرف كذلك، وهي نتاج مبدئية إمامها العادل، إمام المتّقين علي بن أبي طالب عليه السلام وكفى به: إماماً، وهادياً، وأسوة، وقدوة، ومعلماً، ومناراً.

مدينة تحمّلت جرّاء حفظ رسالة الرحمن، وصيانة لغة القرآن، ما تحمّلت، وعانت من أجلهما محتسبة راضية ما عانت، من مأسٍ ومحنٍ شاخ على مجالدتها الشاب، وشؤون وشجون شبّ على ضراوتها الرضيع، وآلام ومصائب استنزفت من الدموع والدماء ما لا يصبر على مثيله إلا الثلّة المؤمنة المختارة المجاهدة.

مدينة تتردّد في ذاكرتها وزياراتها أسماء نبيّ الله آدم ونوح عليه السلام ومبعوثيه هود وصالح عليه السلام وإمامي بريته إبراهيم وعلي عليه السلام ومن تبعهما وسار على نهجهما من الأئمّة والمصلحين، والعباد والزاهدين، والقادة والمجاهدين، والحكماء والعارفين، والشعراء والمبدعين، وغيرهم ممّن يصعب تصنيفهم أو إحصاؤهم في هذا التمهيد.

إنّ مدينة تمتلك كلّ هذا الغنى المعرفي لجديرة بأن تُستلهم روحها، وتُشعّد ذاكرتها، كي تبوح بمكنوناتها، وتكشف المخبوء من ماضيها وحاضرها، أسباباً، وبواعث، ودوافع ومحركات وتواريخ، آملاً أن أوفق لأن أبرهن على دعواي بصدارة حوزة النجف الأشرف بين الحوزات العلميّة الأخرى في شرق الأرض وغربها طيلة هذه المدّة المديدة.

أمّا ما هو سرّ تبوّؤ حوزة النجف الأشرف صدارة حوزات شيعة أهل البيت الأخرى في العالم الإسلاميّ؟ فهذا ما سيحاول أن يجيب عنه الكتابان الأوّل والثاني، المعنون أولهما بعنوان: (الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، البيئة الروحيّة والطبيعيّة الحاضنة للحوزة).

والكتاب اللاحق له بعنوان: (الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، البيئة الحضاريّة واللغويّة الحاضنة للحوزة).

لقد انتهى الكتابان الأوّل والثاني إلى أنّ أهمّ أسباب تميّز الحوزة العلميّة في النجف الأشرف عن غيرها من حوزات شيعة أهل البيت عليه السلام الأخرى المنتشرة في ربوع العالم الإسلاميّ، وتبوّؤها تبعاً لذلك مركز الصدارة بين هذه الحوزات على مدى القرون العشرة الماضية - وهو ما تجلّى في الكتاب الأوّل - وجود المرقّد المطهر لباب مدينة العلم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مدينة النجف الأشرف، وفيوضاته الروحيّة الملهمّة على مدينته ومجاوريه وزوّاره من الطلاب وغيرهم. وهو السبب الرئيس والأهمّ في هذا التميز، ولولاه لما كان للنجف ما كان، إضافة لقدسيّة هذا المكان الطاهر وروحانيّته؛ كونه مثوى ومدفن الأنبياء السابقين: آدم، ونوح، وهود، وصالح، ومقام ومسرى أبي الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، كما في الروايات والكتب التاريخيّة القديمة.

والنجف الأشرف من جهة ثانية - وهو ما تولى الإجابة عنه الكتاب الثاني - ذات عمق معرفي بعيد الغور، تتمثل بمثلثها الحضاري (الحيرة - الكوفة - النجف). ثم حين مصّرت الكوفة بعد الإسلام، وخصّصها الإمام علي عليه السلام بجعلها عاصمة لخلافته الراشدة، انتقلت إليها حضارة الحيرة وثقافتها، وما هي إلا سنوات حتّى أصبحت الكوفة أهمّ حاضرة إسلاميّة في وقتها، بما حوته مدرستها العلميّة والفكريّة والأدبيّة من غرس أمير المؤمنين عليه السلام لقواعد التفكير، والتأمل الدقيق، وإعمال العقل، والروحانيات، والبلاغة، وما جادت به مدرستها في علوم تفسير القرآن، وقراءاته، والفقه، والشعر، والنحو الكوفي، واللغة، والحديث، والأخبار، والتاريخ، والأنساب، وغيرها من العلوم الكثير.

لقد انسكبت حضارة الحيرة في الكوفة، وانسكبت حضارة الكوفة في النجف، فكان لمدينة النجف الأشرف هذا العمق الحضاري قبل الإسلام، وبعده، خاصّة زمن خلافة الإمام علي عليه السلام وبعده الأئمة الطاهرين عليهم السلام من خلال إعدادهم وإعدادهم، وتربيته لأتباع مدرسته وتربيتهم، ما شكّل أرضيّة حضاريّة وفكريّة صلبة أشادت عليها حوزة النجف الأشرف معمارها المعرفي المكتنز بأصالة التراث العلمي وغناه.

والنجف الأشرف من جهة ثالثة بلغت الأمّ المتشرّبة ببداوة العربية وفصاحتها منذ مدرسة الحيرة اللغويّة العريقة إلى مدرسة الكوفة العربية الصافية، حضنت الحوزة العلميّة وحبّتها من طباعها الكثير، فمكّنت المشتغلين فيها من طلاب العلوم الشرعيّة من غير العرب أكثر فأكثر بحكم المعاشرة والمعايشة من الوصول إلى فهم أقرب إلى طبيعة أسرار وإيحاءات وخفايا وظواهر وبواطن ومجازات لغة أهمّ مصدرين من مصادر التشريع (القرآن الكريم والسنة الشريفة) بلغتهما

العربية الفصيحة، التي لا يمكن استنباط الأحكام الشرعية منها من دون الإلمام بخصوصيات لغتها: فصاحة وبلاغة، والانتهاه بعد ذلك ما أمكن إلى اكتشاف إيماءاتها، وإشاراتهما، ومداليلهما، ومجازاتها، وكناياتها، وأسرارها بوضوح أصفى وإضاءة أقوى، وفهم أدق، واستشفاف أوضح.

ونتيجة لحاجة الحوزويين إلى الإلمام بخصوصيات اللغة العربية ودقائقها وخفاياها، فقد كان للفقهاء والأصوليين دور ريادي، فاق في الكثير من الأحيان دور اللغويين والنحويين وفقهاء اللغة في بحث موضوعات هي غاية في الدقة، ما كانت لولا عمق هذا الحفر العلمي من قبلهم لتتضح كما هي عليه الآن، من قبيل: حقيقة الوضع وأقسامه، والصحيح والأعم، المشتق، والأوامر والنواهي، والإطلاق والتقييد، والواجب وأقسامه، والمفاهيم وأقسامها، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والحقيقة والمجاز، وغيرها كثير.

والنجف الأشرف بطابعها العشائري القوي^(١) وببيتها العربية الأصيلة، وطرائق معيشتها، وأعرافها، وقيمها، وتقاليدها، وجذور عاداتها الاجتماعية المتشابهة إلى حدٍّ ما مع تاريخها؛ كونها ورثتها المنحدرة منها.

ولعلَّ السرَّ في ذلك أنَّ النجف تقع بين الريف العراقي المنتشر على ضفاف الفرات، وبين البادية الممتدة من العراق إلى الحجاز، ولذلك كانت السوق المشتركة بين عشائر الريف وعشائر البادية^(٢)، فضلاً عن أنَّ قسماً من أبناء النجف الأشرف ينتمون إلى أعراب البوادي الرحالة من شمر وعنزة وغيرهما من طوائف الحجاز، وقسماً آخر منهم ينتمي إلى عشائر العراق العربية القاطنة على ضفتي

(١) ينظر: شيعة العراق. إسحاق نقاش: ٤٢.

(٢) الديوان. السيّد مصطفى جمال الدين: ١٣-١٤.

دجلة والفرات^(١). فهم متخلّقون بأخلاق آبائهم العربيّة الأصيلة: كرمًا، ونخوة، وضيافة، وعشرة، ومجالسة، وحبًا للغير، وشجاعة، وإقدامًا، من جهة، وقراءة قد تكون إلى حدّ ما وليدة المتوارث من أجواء ومناخات الماضي العريق، ما تستدعي وحدة أو تقارب الانطباع عن الوقائع والأحداث ومجريات الحياة اليوميّة، بل والحكم عليها، من جهة ثانية، وهي قد تقرب طالب العلوم الشرعيّة أكثر فأكثر من تصوّر أدقّ لموارد النصوص الشرعيّة، وتطبيقاتها الخارجيّة المعاشة، تلك التي يحتاج إليها الفقيه في تشخيص حكم العديد من الموضوعات الخارجيّة محلّ الابتلاء.

والنجف الأشرف بعد ذلك بأرضيّتها الثقافيّة المشكّلة لبيئتها الحاضنة للحوزة، بمكتباتها الكثيرة المنتشرة: عامّة، وخاصّة، وكثرة أعداد مجالسها العلميّة والأدبيّة، وندواتها، ودواوينها، ومجالسها، وبرّانياتها المفتوحة يوميًا، إضافة إلى ولع النجفيّين بالشعر خاصّة، بدليل كثرة أعداد شعراء النجف الأشرف ماضيًا وحاضرًا، حتّى قيل بأن (بيئة النجف بيئة شعريّة).

كلّ ذلك أدّى إلى سريان انقذاح جذوة الشعر إلى مستوطنيتها وطلبتها من أبناء الجنسيّات غير العربيّة، ناهيك عن أبنائها الذين هم من أصلاها، فنظموا الشعر العربي، وأبدعوا فيه، وزادوا على ذلك، فنظموه بلغاتهم المختلفة.

كما أدّى ذلك أيضًا إلى تحسّن الذوق البلاغي، والأدبي، والنقدي، لغالبية طلاب الحوزة العلميّة المشتغلين، بل إن المئات من مراجع وأساتذة وفقهاء وأفاضل طلاب الحوزة نظموا الشعر العربي فأبدعوا فيه، وحفظوه، واستشهدوا

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. الشيخ جعفر محبوبة: ١/ ٤٠٠ و ٣٨٨.

به، وتناقلوه، واستشهدوا به وأكثروا في متندياتهم اليومية، وتناقشوا بمضامينه وصياغاته حتى شكّل جزءاً من ذاكرتهم المعرفية الراسخة، فأعانتهم هذه الذاكرة على فهم مجازات، وكنيات، ودلالات، لغة مصادر التشريع الإسلامي قرأنا كريماً وسنة شريفة.

هذا وهناك غير هذه وتلك من خصوصيات البيئة الحاضنة كما عرضها كتابي الثاني اللاحق وما استتبع ذلك من تبادل التأثير والتأثير بين البيئة النجفية العربية الحاضنة لحوزتها العلمية.

كلّ ذلك وغيره من قبيل تلاقح حضارات وثقافات الوافدين من دول ومناطق عدّة مكنّ حوزة النجف الأشرف من أن تصبح الحوزة الأمّ لحوزات شيعة أهل البيت عليه السلام في العالم الإسلامي.

ونظراً لأنّ الكتاب الأوّل من الحوزة العلمية في النجف الأشرف قد تمحّض للبحث في وضع مدينة النجف الأشرف (مقرّ الحوزة العلمية ومستقرّها) من حيث كونها مدينة حاضنة للحوزة العلمية النجفية؛ بات من الطبيعي أن أتمّ إلمامة موجزة بتاريخ وجغرافية هذه المدينة المقدسة، وأتناول بشيء من التفصيل أهمّ وأشرف معلم من معالمها وهو العتبة العلوية الشريفة ثم أثني فأستعرض إيجاز أهمّ مساجدها ومعالمها الكريمة مزاراتها الشريفة.

وإذ استدعت منّي طبيعة البحث أن أستعرض تاريخ وجغرافية المدينة الحاضنة بإيجاز؛ لما لها من وظيفة عمليّة داخلية في صلب البحث، استدعت أيضاً، بل زادت على ذلك، فحتّمت عليّ أن أخوض غمار بحث تفصيلي في شؤون عتبتها العلوية الشريفة، ليس لكونها المعلم الوحيد والرئيس الذي لولاه لما كانت النجف الأشرف مدينة مأهولة بالسكان، عامرة بالخصب والنماء فحسب، بل لكونها أهمّ

ما مكن حوزة النجف الأشرف من أن تتبوأ مركز الصدارة للحوزات العلميّة في شرق الأرض وغربها لألف عام.

لقد تقاسمت البحث في الكتاب الأوّل فصول خمسة، تعنون أولها بعنوان: (اسم وتاريخ النجف الأشرف - موطن الحوزة العلميّة - قبل وبعد تشرّفها باحتضان المرقد العلوي الشريف) توزّعت مطالب عدة، مستعرضاً فيه أشهر أسماء منطقة النجف الأشرف الأخرى في المعجم اللغوي والكتب التاريخيّة من أمثال: الظهر، وظهر الكوفة، وظهر الحيرة، ونجد العذاري، وخذّ العذراء أو خذّ العذاري، واللسان، والغري، وبانقيا، والمشهد، ووادي السلام وغيرها.

معرجاً على بعض ما ورد منها على ألسنة أهل البيت عليه السلام من قبيل: النجف، والظهر، ووادي السلام، والغريين، والغري، وغيرها.

بيد أن اسم النجف هو أكثرها شهرة وذبوعاً، وخاصّة في العصور المتأخّرة، ماراً بعد ذلك مروراً سريعاً على قصورها، وفي مقدمتها قصر (الخورنق) وقصر (السدير)، وأديرتها، وفي مقدّماتها (ديارات الأساقف) و(دير الأسكون) و(دير مارت مريم، أو دير مريم) و(دير السوا)، و(دير ابن المزعوق) و(دير الجماجم) و(دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر) و(دير دالج) و(دير حنة) و(دير طعيريزات)، وغيرها. ذاكراً ما أورده الرخالة العرب والمسلمون والمستشرقون والباحثون الغربيون عنها بعد تشرّفها باحتضان مرقد الإمام علي عليه السلام.

وتعنون ثاني فصول الكتاب بعنوان: (جغرافية النجف الأشرف: موقعها، وسكانها، وطبقات أرضها وهضبتها، وطبيعتها، وبحرها، وأهوارها، ووديانها، ومياهها، وطاراتها، وأسوارها، وسرايها، وثرواتها المعدنيّة): حيث تناول موقعها

الجغرافي وجوّها وطبيعتها الخلابة قديماً، وتكوّن هضبتها المثلثة الشكل بسطحها ومناطقها من الناحية التركيبية، ذلك التكوّن الخارج عن قوانين المعرفة الجيولوجية حتّى الآن، متطّراً إلى بحرّها الذي كان يموج بالمياه الواردة إليه من نهر الفرات كما وصفه الرحّالة والسّواح سابقاً والذي جفّ الآن، ذاكراً أهوارها، وأهمّها (هور أبو نجم) و(هور الجبسة) و(هور الصليبات)، ووديانها من أمثال (وادي حسب) و(وادي الخرّ) وغيرها، وطاراتها: (طار النجف) و(طار السيّد)، وأسوارها العديدة التي ساعدت سكّانها على وقايتها من هجمات الوهابيّين التكفيريّين، فسراديبها الباردة العميقة، فثرواتها المعدنية.

أمّا ثالث فصوله فتناول (المرقد العلويّ الشريف) ذاكراً الاختلافات بين المؤرخين في تعداد عمائرها، منتهياً إلى أنها تسع عمائر^(١) هي: (عمارة هارون الرشيد) و(عمارة محمد بن زيد الحسني) و(عمارة عبد الله بن حمدان) و(عمارة عمر بن يحيى العلوي) و(عمارة عضد الدولة البويهّي) و(عمارة الإيليخانيّين) و(عمارة الشاه عباس الأوّل الصفوي) و(عمارة الشاه صفي الصفوي) و(عمارة السلطان نادر شاه). مستعرضاً من خلال وصف العمارة الحاليّة من الداخل والخارج الآراء المتعددة للمؤرخين في أمر من شيدها على أقوال، فذهبتُ بعد التحري إلى مذهب مختلف عنهم مفاده أن الذي تشرف فاشترك في منح العتبة العلوية الشريفة الموحية الأسرة، ومنظرها الخارجي الأخاذ، ثلاثة هم: (الشاه عباس الصفوي وحفيده الشاه صفي) و(السلطان نادر شاه)، متناولاً أبواب صحنها الشريف الخمسة،

(١) لقد كنت ذهبت في الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وكذلك في كتابي الذي سبقه المعنون: (حاضرة النجف الأشرف في ذاكرة الزمان والمكان) إلى أن عمائر العتبة العلوية المقدّسة هي خمس عمائر، غير أي عدت فعدلت عن رأيي السابق بعد الفحص والتدقيق فملتُ إلى أنها تسع كما هو مثبت في هذه الطبعة، وهو الأدق بحسب الظاهر.

واصفاً كلّ باب منها بآياتها القرآنية الكريمة وأشعارها وزخارفها بأبعادها وزواياها، معرّجاً على بهو المرقد الشريف بإيوانه الذهبي معدوم النظير، مجتازاً مئذنتيه الذهبيتين المتوقّدتين ذهباً ونوراً، فداخلاً من البهو إلى الإيوان المزدان بالمرايا البلّورية الدقيقة الصنع، فأبواب الحضرة العلوية الشريفة بألوانها الشذرية المرصّعة والمزدانة بالخطوط والرسوم الآسرة، مقبلاً بقلب وإليه شغوف وروح شفّافة شغوفة على شبّاك الضريح الفضّي الطاهر بتاجه المطوّق بعشرة أحزمة ذهبيّة بارزة النقش مذهلة.

وإذ تتسلّل عيناك من بين خرز فضّة الشبّاك اللامعة يطالعك صندوق خشبي مزدان بذكر الله جلّ وعلا وبسور قرآنية مخطّوطة بخطّ غاية في الروعة، يخطف بصرك ما يصطّلع عليه الصندوق الخاتم بتطعيمه بالعاج المنبت بالذهب والفضّة. لقد افتتحت الأمانة العامّة للعتبة المقدّسة سنة (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) رواقاً ضخماً كبيراً بحلّة فائقة الجمال أسمته (رواق أبي طالب عليه السلام) ضمّ مسجد الرأس، والساباط، والتكية البكتاشيّة، بعمارة أضيفت إلى رواق الحرم الطاهر من جهة الرأس. كما افتتحت أيضاً في آخر مشاريعها التطويرية أكبر توسعة للحرم العلوية الشريف منذ إنشائه، ذلك هو (صحن فاطمة عليها السلام).

هذا وللعتبة العلوية الشريفة خزانة ضخمة ضمّت من بين تحفها العديدة النادرة مصاحف أثرية شريفة من بينها مصحف مكتوب بالخطّ الكوفي منسوب إلى الإمام علي عليه السلام، وآخر منسوب إلى الإمام الحسن عليه السلام، وغطاء للقبر الشريف مصنوع من الحرير والدمقس قبل أكثر من ألف عام، أهدها السلطان عضد الدولة البويهّي. ومعه ثوبه الشخصي الخاص. إضافة إلى أكثر من ألفين من التحف الفنية التي لا تقدر بثمن.

أما الفصل الرابع من فصول الكتاب المتعنوان بعنوان: (بركات الحضرة العلوية الشريفة وفيوضاتها الملهمة)، فقد توزعته ستة أنماط متدرّجة من فيوضات الحضرة المطهّرة على مجاورها المحيين من الكُتّاب والمؤلّفين.

في حين تعنون خامس فصوله بعنوان: (المساجد والمرابد والمقامات في النجف الأشرف) مستعرضاً العديد من المساجد والمرابد والمقامات الشريفة وهي: مرقد النبيّ آدم ونوح عليه السلام، ومسجد الرأس، ومرقد النبيّ هود وصالح عليه السلام، ومقام الإمام علي عليه السلام، وقبر العبد الصالح اليماني، ومقام الإمام زين العابدين عليه السلام، ومقام الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، ومسجد الحنّانة، ومسجد عمران بن شاهين، ومسجد الخضر، ومسجد الهندي، ومرقد الصحابي كميل ابن زياد النخعي، ووادي السلام.

حتّى إذا وفق البحث لاستعراض ذلك كلّ، ختم الكتاب بخاتمته، فملاحقة الأربعة، فمصادره ومراجعته.

وسيجد القارئ الكريم أنّي أضفت على ما كان عليه الكتاب في الطبعة الأولى ما استدعته منهجته الجديدة من موضوعات وعناوين، وغيرها وهي ليست بالقليلة كما سيلاحظ وجود تغييرات في بعض الآراء فيه، كعدولي عن كون عمائر العتبة العلوية خمساً إلى كونها تسعاً، وغير ذلك.

ولا يفوتني -وأنا أختتم كتابتي هذه- ذكر ما واجهتني في كتابة هذه الموسوعة من صعوبات وعوائق يأتي في مقدّماتها قلة الدراسات السابقة التي سعت لأن تبحث عن سرّ هذا التميّز في حوزة النجف الأشرف، وأن تقف على الأسباب والظروف التي جعلت حوزة النجف الأشرف تتبوّأ على مدى قرون وقرون مركز الصدارة بين حوزات علمية عديدة منتشرة في شرق الأرض وغربها، دقة بحث،

وغزارة إنتاج، وعمق تحليل للنصّ الشرعي سواء أكان قرآناً كريماً، أم سنة شريفة، أم ما دار مدارهما من خلال البحث الدؤوب، تأصيلاً، أو زيادة وتأسيساً، أو تطويراً وتحديثاً، أو تفریعاً، أو نحتاً، أو تعميقاً، لأصول وقواعد يستطيع المجتهد بواسطتها الوصول ما أمكن إلى فهم أقرب للنصّ الشرعي ودلالاته. ثم يبرهن علماء الحوزة على صحّة ما انتهوا إليه منها، وسرّ ذلك.

ويأتي من جملة هذه العوائق التي واجهتني انشغالاتي بوضع شيعة العراق المسي والمهمش والمتجاوز عليه خلال عضويتي في الجمعية الوطنية العراقية، وفي كتابة الدستور العراقي الدائم، وفي دورتين نيابيتين تاليتين بعضوية مجلس النواب العراقي من خلال سعيي الحثيث ليل نهار لاسترداد ما وسعتني القدرة على استرداده مما أخذ دون وجه حق، أو رفع الصوت على الأقل لاسترداده، من حقوق الشيعة المسلوبة أزمان ظلاماتهم المتواترة في عراقهم الذي يشكّلون الغالبية العظمى من سكّانه، ومع ذلك يعاملهم حكّام بلدهم الطغاة أو أزلامهم بأنهم من مواطني الدرجة الثانية، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فقد شغلّني أيضاً اهتماماتي مع القلة القليلة من إخواني النواب بالسعي إلى تقنين وتقعيد ما أمكننا العمل عليه من بعض المنظومة القانونيّة العراقيّة: دستوراً، وقوانين، وتشريعات، وقرارات، كي توافق مبادئ وقيم وتعاليم وثقافة الإسلام، وعدم السماح - ما أمكن أيضاً - بصدور ما يخالف ثوابت أحكام الإسلام في المنظومة القانونيّة الحاكمة.

غير أنّ فرصة حدثت أجبرتني على مغادرة بلدي للتداوي من داء عضال ألمّ بي، فاستثمرت الوقت خلال تلقّي جرعات العلاج الكيميائي الطويلة المؤلمة للتأليف والكتابة والمراجعة فكان هذا الكتاب وما يليه بعد مراجعتهما ثانية للطبعة الثانية.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر إلى العديد من العلماء والفضلاء والأساتذة والباحثين ممن لا يسعني المجال لذكر أسمائهم، فلهم مني كل شكر وتقدير واحترام. كما وأتقدم بالشكر إلى العتبة الحسينية المقدسة وعلى رأسها متولّيها الشرعي سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (حفظه الله)، والشكر موصول إلى مؤسسة (رؤاد) للتنمية والإعلام على ما بذلته من جهد في طباعة هذا الكتاب راجياً لهما كل خير وتقديم.

أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلِي بِقَبُولِهِ الْحَسَنَ الْجَمِيلَ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ (١).

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلّم تسليماً كثيراً.

عبد الهادي السيد محمد نقي الحكيم
النجف الأشرف

٢٧ رجب الأصب ١٤٤٤ هـ
١٩ شباط ٢٠٢٣ م

الكتاب الأول

البيئة الروحانية والطبيعية الحاضرة للحوزة



الفصل الأول

اسم وتاريخ النجف الأشرف

(موطن الحوزة العلميّة)

قبل وبعد تشرفّها باحتضان

المرقّد العلوي الشريف



يتضمّن هذا الفصل مطالب عدة هي:

الأوّل

معنى النجف في المعجم اللغوي ووروده في الكتب التاريخية

ورد في الصحاح للجوهري أنّ النجف والنجفة بالتحريك مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد والجمع نجاف^(١)، وفي لسان العرب أنّ النجفة شبه التل، ومنه حديث عمرو بن العاص أنّه جلس على منقاف السفينة قيل: هو سكّانها الذي تعدل به سمّي به لارتفاعه، قال الأزهري: والنجفة التي بظهر الكوفة، وهي كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها، ومنه: نجف الكوفة، ونجف الحيرة. وقال ياقوت الحموي^(٢) في كتابه معجم البلدان مثل ذلك.

يقول الدكتور الباحث مصطفى جواد^(٣) - بعد أن يستعرض أقوال اللغويين في النجف -:

وفذلكة الأقوال: أنّ النجف إنما سمي بهذا الاسم لأنّه يعني أرضاً عالية معلومة تشبه المسناة، تصدّ الماء عمّا جاورها، وينجفها الماء من جوانبها أيّام السيول، ولكنّه لا يعلوها، فهي كالنجد والسدّ، وتغلب على شكلها الاستطالة دون الاستدارة التي أشار إليها بعض اللغويين؛ لأنّها ضدّ الاستطالة، ولأنّ صفة النجف الحالية في استطالة أرضه تؤيّد ذلك، وأمّا الاستدارة التي ظنّها بعض

(١) الصحاح. الجوهري: ١١٨٢.

(٢) تقويم البلدان: ٢٩٩.

(٣) موسوعة النجف الأشرف. جمع بحوثها جعفر الدجيلي: ١ / ١٥٨.

اللغويين في النجف، فهي مستندة إلى استدارة قطعة تكون في النجف اتفاقاً لا دوماً وتسمى «الرحى».

وقد ورد اسم النجف كثيراً في كتب المؤرخين والجغرافيين والرواة القدماء، منها على سبيل المثال ما رواه أبو عبد الله الحميري، قال: لما أقبل خالد بن الوليد يريد الحيرة نزل النجف وبعث إليهم أن ابعثوا إليّ رجلاً من عقلائكم، فبعثوا إليه عبد المسيح بن ببيعة الغساني^(١)، فجرى بينهما حوار جاء فيه من جواب عبد المسيح لسؤال خالد: ما أدركت؟

قال: أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين، وأمواج البحر تضرب ما تحت قدمك، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها فتضعه على رأسها لا تزود إلا رغيماً، فلا تزال في قرى عامرة وعمائر متصلة وأشجار مثمرة ومياه عذبة حتى ترد الشام، وتراها اليوم قد أصبحت يباباً، وكذلك دأب الله تعالى في العباد والبلاد^(٢).

ومما ورد فيه ذكر النجف أيضاً ما أخرجه أبو العرب التميمي عن عثمان بن زيد قال: كنت مع سعيد بن جبير نريد النجف، فقلت: هل لك في أخيك وهب بن منبه هنا؟ قال: نعم.

فانحرفنا ومع سعيد بن جبير ابنه عبد الله، فتحدثنا، فقال سعيد بن جبير: إني خرجت وأمه حبل فما رأيته حتى بلغ السن ما ترى.

(١) تاريخ النجف الأشرف. الشيخ محمد حسين حرز الدين: ١/ ٥٠٩-٥١٠، نقلاً عن الروض المعطار في

خبر الأقطار: ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

فقال وهب: إني وجدت في كتب الله عز وجل المنزلة في ذكر الصالحين أنهم كانوا إذا طالت بهم العافية، حزنوا لذلك ووجدوا في أنفسهم، فإذا أصابهم الشيء من البلاء، فرحوا به واستبشروا به وقالوا عاتبكم ربكم^(١).
ومنه مطلع مقطوعة الشاعر حنين الذي قال فيه^(٢):

أنا حنين ومنزلي النجف وما نديمي إلا الفتى القصف

ومما ورد فيه ذكر النجف أيضاً ما رواه الطبري في تاريخه من أنه في حدود منتصف القرن الثاني للهجرة بنى المنصور العباسي مدينة في أرض النجف سماها الرصافة^(٣).

ومنه ما أخرجه أبو الفرج الأصفهاني عن إسحاق الموصلي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) قال: ما وصلني أحد من الخلفاء قطّ بمثل ما وصلني به الواثق، ولقد انحدرت معه إلى النجف فقلت له: يا أمير المؤمنين قد قلت في النجف قصيدة، فقال: هاتها فأنشدته:

يا راکب العيس لا تعجل بنا وقف

نحيّ داراً السعدى ثم ننصرف

حتّى أتيت على قولي:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل

أصفى هواء ولا أعذى من النجف

(١) المحن. محمد بن أحمد التميمي: ٥٧/١.

(٢) الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني: ٣٣٤ ٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٣٤/٦.

حَفَّتْ بَرٌّ وَبَحْرٌ مِنْ جَوَانِبِهَا
فَالْبَرُّ فِي طَرَفٍ وَالْبَحْرُ فِي طَرَفٍ
وَمَا يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ
يَأْتِيكَ مِنْهَا بَرِيًّا رَوْضَةً أَنْفٍ

فقال: صدقت يا إسحاق هي كذلك وأمر لي بمائة ألف درهم^(١).

كما ذكر النجف الشاعر علي بن محمد العلوي المعروف بالحماني (ت ٢٦٠هـ/
٨٧٤م)^(٢) بقوله:

فيا أسفي على النجف المغرى وأودية منورة الأقاحي
وما بسط الخورنق من رياض مفجّرة بأفنية فساح
ووا أسفى على القناص تغدو خرائطها على مجرى الوشاح

ومّا ورد في معجم البلدان^(٣) عن النجف قول الشاعر الكوفي:

وبالنجف الحاري إذا زرت أهله
مهاً مهملات ما عليهن سائس



(١) الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني: ٥ / ٣٦٧.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣٠ - ٣١.

(٣) معجم البلدان: ٨ / ٢٦٧.

الثاني

أسماء النجف الأخرى في المعجم اللغوي والكتب التاريخية

للنجف الأشرف أسماء عديدة أخرى عرفت بها، هي اليوم أقل شهرة من (النجف)، وإن كان بعضها متداولاً.

فمن هذه الأسماء: «الظهر، وظهر الكوفة، وظهر الحيرة»، ذلك الظهر كان يمتد من الحيرة إلى (بارق) الواقعة في البادية بين النجف وكربلاء^(١)، فالظهر لغة: ما غلظ وارتفع، وسميت النجف بذلك؛ لارتفاع أرضها عما جاورها، فقد أخرج أبو الفرج الأصفهاني عن الحسن بن علي الخلال عن جده، قال: قلت للحسن بن علي: أين دفنتم أمير المؤمنين؟ قال: خرجنا به ليلاً حتى مررنا على مسجد الأشعث، حتى خرجنا إلى (الظهر) بجنب الغري^(٢).

ويسمى هذا الظهر أحياناً بـ(نجد العذري) وهو الموضع المعروف في ظهر الكوفة، وأنه كالمسناة يمنع السيل أن يعلو جبانة الكوفة (الثوية)^(٣).

ومن أسماء النجف الأخرى: (خدّ العذراء) أو (خدّ العذارى)، قال الشعبي: كان ظهر الكوفة ينبت الخزامى والشيخ والأقحوان وشقائق النعمان، وكانت العرب تسميه في الجاهلية: خدّ العذارى^(٤).

(١) ينظر: الأحلام. الشيخ علي الشرفي: القسم الرابع: ١٤٦.

(٢) مقاتل الطالبيين. أبو الفرج الأصفهاني: ٢٦.

(٣) ينظر: الأحلام. سابق: القسم الرابع: ١٤٥-١٤٦.

(٤) كنز العمال. المتقي الهندي: ١٤/١٧٠.

ومنها: (اللسان) أي لسان البر، وقد كان يقال لظهر الكوفة: اللسان، وما ولي الفرات منه: الملطات، قال ابن قتيبة: إنَّ ظهر الكوفة كان يقال له: اللسان^(١). ونقل ياقوت الحموي في معجم البلدان عن ابن النجار في كتابه (كتاب الكوفة) قوله: وكان يقال لظهر الكوفة: اللسان^(٢).

ومن هذه الأسماء: (الغري)، ومعناه: الحسن من كل شيء، حتّى قالت العرب هذا رجل غريّ الوجه إذا كان حسناً مليحاً، وبناء غريّ إذا كان حسناً جيّد العمارة، وقد كانا (غريّين) فهدم أحدهما وبقي الآخر، ولعل هذا هو منشأ تسمية النجف باسم (الغري) بالإنفراد.

ومّا يشهد لذلك ما ورد من أنه مرّ الشاعر القديم معن بن زائدة الشيباني بالغريّين فرأى أحد البنّاءين الجميلين الراسخين قد هدم ولم يبقَ له أثر فأنشد قائلاً^(٣):

لو كان شيء له أن لا يبديد على طول الزمان لما باد (الغريّان)
ففرّق الدهر والأيام بينهما وكلّ إلفٍ إلى بين وهجرانٍ

ونزل الشاعر الفرزدق بالغريّين فعراه ذئب دارت معه قصّة سجّلها بمقطوعة أدبيّة مطلعها^(٤):

وليلة بتنا بالغريّين ضافنا على الزاد موشي الذراعين أطلّس

(١) عيون الأخبار ابن قتيبة: ١ / ٢١٨.

(٢) معجم البلدان: ٥ / ١٩٢.

(٣) المصدر نفسه: ٤ / ٢٠٠.

(٤) أمالي المرتضى السيّد المرتضى: ٤ / ١٢٠.

وورد ذكر (الغري) بالافراد أيضاً في شعر الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) حيث قال^(١):

سقى الله المدينة من محل	لباب الماء والنطف العذاب
وجاد على البقيع وساكنيه	رخي الذيل ملآن الوطاب
وأعلام (الغري) وما استباحث	معالمها من الحسب اللباب
وقبراً بالطفوف يضم شلواً	قضى ظمأ إلى برد الشراب
وسامراً وبغداداً وطوساً	هطول الودق منخرق العباب

فالنجف هي: الظهر من شرقي المدينة والشمال الشرقي، والغريان هما: الجبلان الواقعان شمال وجنوب النجف، ويطلق على كل هذه المدينة: النجف الأشرف^(٢).

ومن أسماء النجف كذلك (بانقيا)، فقد ورد عن ياقوت الحموي في معجم البلدان أن بانقيا أرض النجف دون الكوفة^(٣).

ويؤيد ذلك ما ورد في أخبار خليل الرحمن عليه السلام من أن إبراهيم ولوطاً عليهما السلام مرّا بها يريدان بيت المقدس مهاجرين:

خرج من بابل ومعه ابن أخيه لوط فنزلا بها -بانقيا- وكانت تزلزل في كل ليلة، وكانت ضخمة جداً، فلما باتا بها لم تزلزل، فمشى بعضهم إلى بعض، تعجباً من عافيتهم في ليلتهم، فقال صاحب منزل إبراهيم: ما دُفع عنكم إلا بشيخ بات

(١) ديوان الشريف الرضي: ١ / ١١٥.

(٢) الأحلام. سابق: القسم الرابع: ١٤٩.

(٣) معجم البلدان. سابق: ١ / ٣٣١.

عندي، كان يصليّ ليله ويبيكي، فاجتمعوا إليه، فسألوه المقام عندهم، على أن يجمعوا له من أموالهم، فيكون أكثرهم مالاً.

فقال: لم أوامر بذلك، وإنما أمرت بالهجرة.

فخرج حتى أتى النجف، فلما رآه رجع أدراجه فتباشروا برجوعه، وظنّوا أنه رغب فيما عندهم.

فقال: لمن تلك الأرض؟ يعني: (النجف).

قالوا: لنا.

قال: فتبيعونها؟

قالوا: هي لك، فوالله ما تنبت شيئاً.

فقال: لا أحب إلا أن تكون شراء. فدفعت إليهم غنيمات كنّ معه -والغنم بالنبطيّة يقال لها: (نقيا)-، وذكر إبراهيم عليه السلام أنه يحشر من ولده من ذلك الظهر سبعون ألف شهيد^(١)، ويذهب الشيخ جعفر محبوبة إلى أن هذا الاسم عام لغير البقعة أيضاً ممّا قاربها^(٢).

وقد يطلق على النجف الأشرف: المشهد، ومعناه: مجمع الخلق ومحتشدهم، يقول الشاعر والكاتب العباسي أبو إسحاق الصابي من قصيدة له يمدح بها عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م) إثر زيارته لمقعد الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف^(٣):

(١) المصدر السابق: ٩ / ١.

(٢) معجم ما استعجم: من أسماء البلدان والمواقع. عبد الله البكري الأندلسي: ١ / ٢٢٢.

(٣) قرى الضيف. ابن أبي الدنيا: ٢ / ٣٥٠. نقلاً عن تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٩٨.

توجّهت نحو (المشهد) العَلَم الفرد

على اليُمن والتوفيق والطائر السعد

تزور (أمير المؤمنين) فياله

ويا لك من مجدٍ منيخ على مجدٍ

وقد يطلق عليه أيضاً: وادي السلام ويراد به: مقبرة النجف الكبرى، إطلاقاً للجزء على الكل؛ لأن الأجساد والأرواح بعد الدفن تنعم بترية هذا الوادي بالسلام والصفاء، وهناك روايات عديدة في فضل الدفن في هذه البقعة المقدسة والتختم بدُرّها ومجاورة الإمام العادل الذي تشرفت به أرضها، وعلى ذلك شواهد كثيرة من السنة الماثورة، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه نظر إلى ظهر الكوفة -أي: النجف- فقال: «ما أحسنَ منظرِك وأطيبَ قعرِك، اللهم اجعل قبري بها»^(١).

وقد ورد على ألسنة المؤرخين القدماء والمحدثين والعلماء ذكر الغري في معرض ذكرهم موضع دفنه عليه السلام من أمثال ما ذكره أحمد بن إسحاق اليعقوبي المؤرخ (ت بعد ٢٩٢هـ / ٩٠٥م) في ترجمته لأمر المؤمنين، فقد نصّ على أنه عليه السلام دفن بالكوفة في موضع يقال له: (الغري)^(٢).

وما ذكره المؤرخ ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م) من أنه عليه السلام حمل ودفن في جوف الليل الغابر بموضع يقال له: (الغري)^(٣).

(١) ماضي النجف وحاضرها. الشيخ جعفر محبوبة: ١ / ١٥ نقلاً عن إرشاد القلوب. الديلمي.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٣.

(٣) كتاب الفتوح: ٤ / ١٤٥.

وما أثبتته نقيب الطالبين السيّد الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) في تحديد مدفنه عليه السلام من أنّ الصحيح الذي لا شكّ فيه، ولا لبس عليه، أنّه عليه السلام (بالغري من نجف الكوفة)، ومّا يدلّ على ذلك أنّ الصادق جعفر بن محمد عليه السلام زاره في هذا الموضع لمّا أشخصه المنصور إليه^(١).

وما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي - شارح نهج البلاغة (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) -: من أنّ قبره عليه السلام بد (الغري). وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كلّ الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب^(٢) وغير هؤلاء كثير^(٣).

وهناك من أسماء النجف الأخرى غير ما تقدّم لا داعي لذكرها^(٤).



(١) خصائص الأئمة: ٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/١.

(٣) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ٢٥٣-٢٥٨. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣٥٦-٣٦١ وغيرهما كثير.

(٤) ينظر: في غيرها: تاريخ النجف الأشرف: ١/ ٢٣-٤١.

الثالث

بعض من أسماء النجف الواردة على السنة أئمة أهل البيت عليهم السلام

وردت على السنة أئمة أهل البيت عليهم السلام بعض من أسماء النجف الأشرف المتقدمة مثل: (النجف) و(الظهر) و(وادي السلام) و(الغريين) و(الغري) وغيرها، بيد أن اسم (النجف) هو الأكثر شهرة بين الكتّاب والمؤرخين، بل الناس عامة، وبالأخصّ في العصور المتأخرة.

فمما ورد من ذكر (النجف) في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام: ما ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام من أنه خرج علي بن الحسين (سلام الله عليه) متوجّهاً إلى العراق لزيارة أمير المؤمنين وأنا معه وليس معنا ذو روح إلا الناقتين، فلما انتهى إلى (النجف) من بلاد الكوفة، وصار إلى مكان منه فبكى حتّى اخضلت لحيته بدموعه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا أمين الله في أرضه^(١).

ومنها كذلك: ما رواه صفوان الجمال قال: "حملت جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام فلما انتهيت إلى (النجف) قال: يا صفوان تياسر حتّى نجوز الحيرة فتأتي القائم. قال: فبلغت الموضع الذي وصف لي، فنزل فتوضّأ، ثم تقدّم هو وعبد الله بن الحسن فصلياً عند القبر، فلما قضيا صلاتهما قلت: جعلت فداك أيّ موضع هذا القبر؟ قال: هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو القبر الذي يأتيه الناس هناك"^(٢).

(١) ينظر: فرحة الغري عبد الكريم بن طاووس: ١٣٧-١٨٣. وينظر: الباب الرابع منه: (١٣٢-١٤٣) وفيه

طائفة من الروايات عن الإمام زين العابدين (ع) وغيره من الأبواب عن الأئمة عليهم السلام.

(٢) المصدر السابق: ١٦١-١٦٢.

ومّا ورد من ذكر (وادي السلام) و(الظهر) في الروايات الواردة عنهم عليه السلام:
 ما أخرجه الكليني عن حبة العرنى قال: (خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى (الظهر)،
 فوقف بـ(وادي السلام) كأنّه مخاطب لأقوام، فقامت بقيامه حتّى أعيتت، ثم
 جلست حتّى مللت، ثم قمت حتّى نالني مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتّى مللت.
 ثم قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من
 طول القيام، فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: «يا حبة إن
 هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته» قلت: يا أمير المؤمنين: وإئتمّ لكذلك؟ فقال:
 «نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقةً حلقةً محتبين يتحدّثون، فقلت: أجسام
 أم أرواح؟ فقال: أرواح»^(١).

وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن مروان بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
 قلت له: جعلت فداك وأين (وادي السلام)؟ قال: (ظهر الكوفة)^(٢).
 وقد تقدّم أن المقصود بظهر الكوفة عند اللغويين والجغرافيين والمؤرخين
 هو «النجف».

ومّا ورد من الروايات الواردة عنهم عليه السلام في ذكر (الغريين) و(الغري): ما
 أخرجه ابن طاووس ممّا ذكره الحسن بن الحسين بن طحال المقدادي من أن
 علي بن الحسين عليه السلام قال لأبي حمزة الثمالي وهو في الكوفة: "هل لك أن تزور معي
 قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: أجل، فسرت في ظل ناقته يحدّثني حتّى
 أتينا (الغريين)، وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً، فنزل عن ناقته ومرّغ خديّه عليها

(١) الكافي. الكليني: ٢٤٣ / ٣.

(٢) تهذيب الأحكام. الشيخ محمد بن الحسن الطوسي: ٤٦٦ / ١.

وقال: يا أبا حمزة هذا قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام... ثم زاره... ثم ودعه ومضى إلى المدينة ورجع أبو حمزة إلى الكوفة^(١). وغيرها^(٢).

ومنها: ما أخرجه ابن قولويه عن عبد الله بن سنان قال: "أتاني عمر بن يزيد، فقال لي: اركب، فركبت معه، فمضينا حتى نزل منزل حفص الكناسي، فاستخرجه فركب معنا فمضينا حتى أتينا (الغري)، فانتبهنا إلى قبر، فقال: انزلوا، هذا قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فقلنا له: من أين عرفت هذا؟ قال: أتيت مع أبي عبد الله عليه السلام حيث كان في الحيرة غير مرة، وخبرني أنه قبره"^(٣). وغيرها^(٤).



(١) فرحة الغري. سابق: ١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ١٧٤.

(٣) كامل الزيارات. جعفر بن قولويه القمي: ٨٢. وفرحة الغري. سابق: ١٧٧.

(٤) ينظر: فرحة الغري. سابق: ١٥٨ و ١٦٠ و ١٦٤.

الرابع

قصور منطقة النجف الكبرى وأديرتها القديمة

كانت مدينة النجف الكبرى قبل تشرفها باحتضان مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عامرة مأهولة بأهلها العرب أيّام التوحيين واللخمين والمناذرة وغيرهم، وفيها قصور جذب جماها وبراعة هندستها أنظار السكّان القاطنين قربها والملوك والأمراء والشعراء والأدباء والمستطرقين والمؤرخين والرحالة على السواء، وقد أشار ابن أبي الحديد^(١) إلى أن الملك في تلك الآونة كان إذا مرض حمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف فينزهونه.

كما روى الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)^(٢) أنّه هرب رجل من الطاعون إلى النجف أيّام شريح، فكتب إليه شريح: أمّا بعد، الفرار لن يبعد أجلاً ولن يقلل رزقاً، وأنّ من في النجف من ذي قدرة لقريب.

ولعلّ من بين قصور النجف الكبرى المهمّة: (قصر أبي الخصيب) الذي وصفه المؤرّخ الشابطيني صاحب كتاب الديارات بأنّه أحد متنزهات الدنيا، وهو مشرف على النجف وعلى ذلك الظهر، ويصعد من أسفله على درجة طولها خمسون مرقاة إلى سطح حسن ومجلس، فيشرف الناظر على النجف والحيرة من ذلك الموضع،

(١) ينظر: مدينة النجف عبقرية المعاني وقدسيتها المكان. د. محسن عبد الصاحب المظفر: ٣٦ نقلاً عن: ابن أبي الحديد المعتزلي.

(٢) البيان والتبيين: ٢/ ٢٠٣.

ثم يصعد منه على درجة أخرى طولها خمسون مرقاة إلى سطح أفيح ومجلس عجيب^(١).

ومن قصور النجف القديمة الأخرى: (قصر السدير) ذو القباب المحببة الثلاث، بناه ملوك اللخميّين الذين حكموا الحيرة، ويقع بالقرب من قصر الخورنق.

إنّ قصر السدير وفي ضوء الروايات التي رويت عنه يواجه قصر الخورنق، ولكنّه على جهة البادية^(٢)، ويقترن اسم قصر السدير غالباً بقصر الخورنق الفخم. ومن قصور النجف: (قصر العذيب)، وقد اتّخذ سعد بن أبي وقاص مقراً لقيادته في معركة القادسية المشهورة، وبه سجن أبا محجن الثقفي عندما شرب الخمر في قصة معروفة، و(قصر الصنوبر) و(القصر الأبيض) ويقع قرب الغرين في منطقة النجف ويعرف بأبيض النعمان، ويقال إن النعمان بناه وسماه باسمه، و(قصر الغرس أو الفرس) وهو نوع من النبات ويقع في منطقة الحيرة وقد ظل هذا القصر ماثلاً حتى أواخر القرن الرابع الهجري^(٣)، و(قصر الزوراء) الذي بناه المنذر بن أمّريّ القيس الثالث بالحيرة، و(قصر العدسيين) وهو أوّل ما فتحه المسلمون بعد فتحهم العراق ويقع طرف الحيرة، وقد ظل هذا القصر ماثلاً حتى أواخر القرن الرابع الهجري^(٤).

وهناك قصور أخرى منها: (قصر الطين) الذي بناه يحيى بن خالد بباب

(١) الديارات: ١٥٢.

(٢) مدينة النجف عبقرية المعاني وقدسيتها المكان. سابق: ٣٨.

(٣) الديارات: ١٥٢.

(٤) المصدر السابق: ٤٣.

الشماسية، ودومة الحيرة، و(القصور الحمر)، و(قصر مقاتل أو قصر بني مقاتل)، و(قصر ابن بقليلة) وينسب إلى عبد المسيح بن بقليلة الغساني وبقي ماثلاً حتى القرن الرابع الهجري فقد ذكره النشاشيبي (ت عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) وقال عنه: إنه كان ماثلاً إلى عصره، ويقال: إنَّ اسمه قصر بني بقليلة^(١)، و(قصر ابن مازن)، و(قصر محمد الأشعب)، و(قصر الدكاكين)، و(قصر الأثل)، و(قصر أم عريق)، و(قصر بن مقاتل)، و(قصر الجوسق)، وغيرها^(٢).

ويعدّ قصر الخورنق الفخم من أشهر قصور منطقة النجف الكبرى ومضرب أمثال العرب في البناء المزخرف الجميل، ومما يدلّ على حسن بنائه ما قاله شريح القاضي للضحّاك بن قيس: (يا أبا أمية أرايت بناء أحسن من هذا؟ قال: نعم، السماء وما بناها)^(٣).

ونظراً لكون هذا القصر من أشهر قصور النجف الكبرى وأجلّها، فسألتُ هذه نموذجاً لها وهو ما يستدعيني لأن أفسح له مساحة أوسع من غيره من القصور المتقدّمة.

يذهب المؤرّخون إلى أنّ بناء قصر الخورنق قد استمرّ لعشرين سنة على يد المهندس سنمار، وكان سنمار قد أجاب النعمان بن أمّريّ القيس بن عمرو بن عدي القحطاني فبنى له الخورنق، فلمّا فرغ منه صعد النعمان إلى قمّته

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٤٢ وينظر كتاب: النجف والحيرة. سابق: ٥٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: تفاصيل أكثر عن قصور النجف في المصدر السابق: ٥٨ وما بعدها والنجف قديماً للدكتور مصطفى جواد. بحث منشور في موسوعة العتبات المقدسة. قسم النجف: ٦/ ٩-٦٤. والديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها. محمد سعيد الطريحي وتاريخ النجف الأشرف: سابق. ١/ ٤٧٩-٤٩٢. وغيرها.

(٣) معجم البلدان. سابق: ٢/ ٤٠٣.

فرأى البحر أمامه^(١) والبرّ خلفه، ورأى في البحر الحوت، وفي البرّ الضبّ والظبي والنخل، فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قطّ!

قال سنمار: إني أعلم بقطعة آجرة لو زالت لسقط القصر.

قال النعمان: أيعرفها غيرك؟

قال سنمار: لا.

قال النعمان: لا جرم لأذعنّها، وما يعرفها أحد.

ثم أمر فقفذ به من أعلى القصر إلى أسفل فتقطّع، فضربت العرب مثلاً: (جزاء سنمار)^(٢).

وقد بقي هذا القصر أو آثاره حتّى عصر الإمام علي عليه السلام فقد روي أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام حطّ رحاله مرّة في هذا القصر، فقد أخرج ابن كثير وابن عساكر عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: (دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين: إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت ترعد من البرد! فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال من المدينة)^(٣).

وبقي قصر الخورنق والسدير يسيران الدولة العباسية حتّى عصورها المتأخرة، فقد ذكر الجواليقي (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) بقوله إنّه قائم إلى الساعة، كما ورد ذكرهما في العهد المغولي الإيليخاني^(٤).

(١) المقصود به: (بحر النجف).

(٢) ينظر: معجم البلدان: ٢ / ٤٠١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ٤. وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤٢ / ٤٨١.

(٤) مدينة النجف عبقرية المعاني وقديسية المكان. سابق: ٤٢.

ويمكن وصف طبيعة الأرض التي شيد عليها قصر الخورنق بأنها أرض رملية جافة مرتفعة ومتصلة بسلسلة مرتفعات طف الحيرة، ويبعد عن أبي صخير ستة كيلومترات تقريباً من جهة الغرب، كما ويبعد عن آثار مدينة الحيرة القديمة (كنيدرة) مسافة تقدر بأربعة كيلومترات تقريباً، ويشرف على أرض منخفضة من أراضي الطف انخفاضاً يقدر بعشرين متراً تقريباً من جهة الجنوب الشرقي.

أمّا مساحة آثار هذا القصر فتقدر بعشرة آلاف متر مربع تقريباً، بما في ذلك آثار المباني المدرسة الملحقة به والمرافق المتصلة فيه^(١).

وفي النجف الكبرى القديمة غير آثار القصور القديمة آثار لأديرة عديدة أهمّها:

(ديارات الأساقف) وهي ديارات وقصور باذخة يشقّها نهر يسمّى نهر (الغدير)، يقع عن يمينه قصر أبي الخصيب، وعن شماله قصر السدير، وفيه يقول الشاعر محمد بن جعفر العلوي الحماني^(٢):

كم وقفة لك بالخورنق لا توازي بالمواقف
بين الغدير إلى السدير إلى ديارات الأساقف

و(دير الأسكون)، وكان فيه هياكل ورهبان يضيفون من ورد عليهم.

و(دير الملكة) هند الكبرى بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي على طرف النجف المكتوب في صدره الجمل المعبرة التالية: (بنت هذه البيعة هند بنت

(١) الكوفة ويوم التاج / ٣. بحث. الحاج عبد المحسن شلاش. مجلة الاعتدال. العدد السابع. السنة الثانية.

(كانون الأول ١٩٣٤ م / ١٣٥٣ هـ): ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) معجم البلدان. سابق: ٢ / ٤٩٨.

الحارث بن عمرو بن حجر، الملكة بنت الأملاك، وأمّ الملك عمرو بن المنذر، أمّة المسيح وأمّ عبده وبنت عبيده في ملك ملك الأملاك خسرو أنوشروان في زمان مار أفريم الأسقف، فالإله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها، ويترحم عليها وعلى ولدها، ويقبل بها ويقومها إلى أمانة الحق، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الدهر^(١).

ومنها (دير مارت مريم أو دير مريم)^(٢) المشرف على النجف، وهو دير قديم بناه آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب وفيه يقول الشرواني:

بمارة مريم الكبرى	وظلّ فنائها فقف
فقصر أبي الخصيب المش	رف الموفي على النجف
فأكناف الخورنق وال	سدير ملاعب السلف
إلى النخل المكّم وال	حمام فوقه الهتف ^(٣)

ومن أديرة النجف الكبرى القديمة كذلك: (دير السوا)، ومعناه: دير العدل؛ لأنّهم كانوا يتحالفون عنده فيتناصفون.

(١) المصدر السابق: ٥٤٢ / ٢.

(٢) ورد اسم هذا الدير مرّة باسم (دير مريم) كما في أبيات لإسحاق الموصلي (ديوان إسحاق الموصلي: ١٣٧)، ومرّة باسم (دير مارت مريم) كما في معجم البلدان (مادة الدال والياء وما بعدهما، تحت عنوان (دير مارت مريم)، ودير مارت مريم هو نفسه دير مريم؛ لأنّ تصدير بعض الأديرة المنسوبة إلى القديسين بـ(مار) وتعني السيّد، أو بمؤنّتها (مارت) لا يعدو أن يكون نوعاً من الاحترام والتقديس وأنه لا يغير من اسم الدير شيئاً. انظر: ديوان إسحاق الموصلي: ١٣٧ نقلاً عن المؤرخ كوركيس عواد.

(٣) معجم البلدان. سابق: ٥٣١ / ٢.

و(دير ابن المزعوق) بظاهر الحيرة، وهو دير كثير الرهبان، حسن العمارة، أحد المتنزهات المقصودة، والأماكن الموصوفة^(١)، وللشاعر الحماني الكوفي وصف له جاء فيه:

إن أنس لم أنس أياماً لهوت بها
لم أنس يومي في دير ابن مزعوق
أيام أنشد من شعري يرجّعه
على المثنائي وأسقى بالأباريق

و(دير بني مرينا) بظاهر الحيرة الذي جرت فيه واقعة سقط فيها قتلى رثاهم الشاعر الجاهلي المعروف (امرؤ القيس) بقوله:

فلو في يوم معركة أصيبوا
ولكن في ديار بني مرينا
و(دير الجماجم)، ويقع على بعد سبعة فراسخ من الكوفة، ويعلّل المؤرّخان ابن الكلبي والبلاذري غلبة تسميته تلك على غيرها يعود إلى دفن قتلى قبيلة (إياد) فيه إثر معركة دارت بينهم وبين (بني بهراء بن عمرو).

ومن أديرة النجف الكبرى القديمة: (دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر) و(دير الحريق) و(دير سريس) و(دير الأعور) -وسياقي ذكره لاحقاً- و(دير حنظلة) و(دير ابن براق) و(دير الزرنق) و(دير الجرعة) و(دير عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة الغساني) و(دير العذارى) و(دير علقمة)

(١) الديارات. النشاشيبي: ١٤٩.

و(دير ماراثون) أسفل النجف، و(دير حنّة) وغيرها^(١).

ولعلّ من أشهر هذه الأديرة هو: (دالج) وهو ما يستدعيني أن أتّخذ نموذجاً فأطيل فيه أكثر من غيره ممّا تقدّم من الأديرة.

يعد (دالج) في الحيرة أو في ظاهرها من أجمل الأديرة بناءً وتخطيطاً وحسن عمارة، وكان النعمان - كما يصور أبو الفرج الأصبهاني - يركب إليه كلّ يوم أحد من كلّ أسبوع وفي كلّ عيد ومعه أهل بيته وندماؤه، وهم يلبسون الديباج المذهب، وعلى رؤوسهم الأكاليل المذهبة، وفي مناطقهم الزناير المفصّصة بالجواهر الثمينة، وفي أيديهم أعلام فوقها صلبان، حتّى إذا أتمّوا صلاتهم انصرفوا إلى منطقة مشرفة على النجف، ليستمتعوا ويمتّعوا أبصارهم بما قلّ أن تشهده نواظرهم من قبل.

وقد ورد ذكر بعض هذه الأديرة في شعر الأمراء وشعراء بغداد والكوفة وغيرهم في تلك الآونة كالأمير معن بن زائدة الشيباني، والشاعر إسحاق الموصلي، ومحمد بن عبد الرحمن الثرواني، وبكر بن خارجة الكوفي وأمثالهم.

ومن هذه الأديرة: (دير ابن مزعوق) أحد المتنزهات المعروفة، و(دير مارفاثيون) الموصوف بالجمال الربيعي، و(دير حنّة) المعروف بكثرة الخضرة والرياض وغيرها.

كما ورد ذكر لدير يقال أنّ اسمه (طعيريزات) بجنب النجف في مدينة شهيرة من أقدم مدن عراق العرب تقع بين الكوفة والقادسيّة على حافة الطريق على جادة

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٤٧٥/١. ومدينة النجف عبقرية المعاني وقديسة المكان. سابق:

٤٨-٥١، وقد عد منها وحدد أماكنها تحت عنوان التوزيع المكاني لمواقع الأديرة المحتملة في إقليم النجف

أيام الحيرة ٣٢ ديراً.

الحجّاج، وكان يظنّ أنّ آثارها طمست ولم يبق لها أثر يذكر بعد أن جرّ الزمان عليها ذيله فعفى ما كان قد بقي من أطلالها^(١).

ويعتقد رئيس بعثة بنسلفانيا أن خرائب مدينة (طعيريزات) - تلك التي مرّ عليها وهو على ظهر دابته متوجّهاً من مدينة أبي صخير إلى النجف الأشرف - هي موقع الحيرة القديمة.

وهناك في نجف تلك الآونة غير هذا المعلم أو ذاك، وغير هذا الدير أو ذاك ممّا لا يتّسع المجال لذكره هنا.



(١) أعيان الشيعة: ٨ / ٤٢٣ وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣ / ٢١.

الخامس

النجف بعد تشرفها باحتضان المرقد العلوي الشريف

مثلاً كانت بقعة النجف قبل تشرفها باحتضان مرقد الإمام علي عليه السلام مثوى ومقصداً للأنبياء عليهم السلام، حيث ورد في تاريخها ذكر لمدفن النبيين آدم ونوح عليهما السلام، وورد في تاريخها أيضاً أنها كانت مقصداً لهجرة نبيي الله (إبراهيم ومعه لوط عليهما السلام) وما تبع ذلك من شراء خليل الرحمن عليه السلام لقصبة أرضها من مالكةا بعد ميته فيها، وورد في تاريخها كذلك ذكر لمرقد النبيين هود وصالح عليهما السلام، كانت هي الأخرى بعد الإسلام مثوى لقبور العديد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي في مقدمتهم الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام من جهة، ومقصداً للأئمة الأطهار عليهم السلام من جهة أخرى كما تقدّم.

بيد أنّها وبعد ظهور المرقد المطهر للإمام علي عليه السلام واشتهاره باتت مقصداً لسكنى عدد من العلويين وشيعة أهل البيت عليهم السلام، حتّى إذا بنى ملك طبرستان محمد بن زيد المعروف بالداعي الصغير عمارة على المرقد المطهر حوالي سنة (٢٨٣هـ / ٨٩٦م) زمن المعتضد العباسي نشطت الهجرة إلى النجف الأشرف للمجاورة وطلب العلم.

فما أن حلّت سنة (٣٧١هـ / ٩٨١م) حتّى أصبحت مدينة النجف الأشرف مأهولة بالسكان علويين ومجاورين، قرّاء للقرآن وفقهاء وغيرهم، يدلّ على ذلك ما تقدّم من أنّ السلطان عضد الدولة البويهبي قصد النجف الأشرف للتشرف بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام سنة (٣٧١هـ / ٩٨١م) فوجد فيها من العلويين فقط ألفاً

وسبعمائة علوي، فوزّع عليهم الدراهم والهبات، ناهيك عن أضعافهم وأضعاف أضعافهم من غير العلويين.

لقد انتقل في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلى النجف الأشرف عدد من أرباب الصنائع والحرف وطلاب العلم والمعرفة، وازدهر فيها العمران والأسواق والسكان وأنفقت أموال طائلة لتشييد عمارة كبيرة للمرقد الشريف، وقدّر عدد سكان النجف عند زيارة عضد الدولة عام (٣٧١هـ/ ٩٨١م) بما يقرب من ستة آلاف نسمة^(١).

ورغم وجود قراء وفقهاء في النجف الأشرف خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري - كما تقدّم - إلا أنّ المركز العلمي المشهود للنجف الأشرف لم يتبلور إلا بعد هجرة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي إليها سنة (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) كما سيأتي.

ومنذ ذلك التاريخ وإلى اليوم مرّت المدينة المقدّسة بفترات نمو وازدهار حيناً، وهزال وضعف حيناً آخر - كما سيتضح من خلال الوثائق العثمانية وكتابات الرخالة عرباً وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين كما سيأتي لاحقاً -، إلا أنّ مدينة النجف الأشرف مع ذلك كلّها استطاعت أن تتبوّأ - عدا فترات قليلة - مركز الصدارة الروحية والزعامية والمرجعية العليا لشيعة أهل البيت (عليه السلام) في العالم الإسلامي كما سيتضح ذلك فيما بعد.



(١) النسيج الحضري للنجف عوامل النشأة والتغير. د. ماجد الخطيب: ٨٠-٨١.

السادس

النجف الأشرف في كتابات الرحّالة العرب والمسلمين

زار النجف الأشرف العديد من الرحّالة والسوّاح والمؤرّخين والحجاج من العرب والمسلمين سواء في زيارة خاصة لها وحدها أم خلال رحلتهم لأداء مناسك الحج والزيارة معاً أم للزيارة وحدها، وسأطيل الحديث نوعاً ما في هذا الموضوع لإغفال بعض الباحثين التركيز على موضوع البحث مقارنة بتناول زيارة الرحالة الأجانب. مستفيداً في الحديث عن الزوار الإيرانيين من كتاب (العتبات المقدسات في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية، من إعداد وتقديم وإشراف: د. كامل سلمان الجبوري).

ويأتي في مقدمة هؤلاء السواح والزوار المسلمين السائح العربي المسلم محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٢م) الذي دوّن في رحلته المعروفة قوله: "وأصبحنا في النجف وهو بظهر الكوفة كأنه حدّ بينها وبين الصحراء، وهو صلب الأرض منفسح، متّسع للعين، فيه مراد استحسان وانشراح"^(١).

ثم زارها السائح المغربي العربي المسلم ابن بطوطة الذي حطّ رحله فيها سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) فقال عن النجف الأشرف: "نزلنا مشهد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بالنجف، وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق، وأكثرها ناساً، وأتقنها بناءً، ولها أسواق حسنة نظيفة، دخلناها

(١) رحلة ابن جبير. ابن جبير: ٢١٠.

من باب الحضرة، فاستقبلنا سوق البقالين والطبّاخين والخبّازين، ثم سوق الفاكهة، ثم سوق الخيّاطين والقساريّة، ثم سوق العطّارين، ثم باب الحضرة حيث القبر قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزليج عندنا، ولكنّ لونه أشرق ونقشه أحسن.

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفيّة من الشيعة، ولكلّ وارد عليها ضيافة ثلاثة أيّام من الخبز والتمر مرّتين في اليوم، ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبّة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية، فعندما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له... ثم يدخل القبّة وهي مفروشة بأنواع من البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار، وفي وسط القبّة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكّمة العمل مسمّرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور: أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام، والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام، والثالث قبر علي رضي الله عنه. وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب، يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه. وللقبّة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة، وعليه ستور من الحرير الملون، يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير، وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير.

وأهل هذه المدينة كلهم رافضة. وهذه الروضة ظهرت لها كرامات، فمنها أن في ليلة السابع والعشرين من رجب، وتسمى عندهم ليلة المحيا، يؤتى إلى تلك

الروضة بكل مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك، فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه ونحو ذلك قام الجميع أصحاباً من غير سوء، وهم يقولون لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله. وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات. ولم أحضر تلك الليلة، لكنني رأيت بمدرسة الأضياف ثلاثة من الرجال: أحدهم من أرض الروم، والثاني من أصبهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون، فاستخبرت عن شأنهم فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا، وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر. وهذه الليلة يجتمع لها من البلاد وقيموها سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام. وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكّاس ولا وال. وإنما يحكم عليهم نقيب الأشراف، وأهلها تجار يسافرون في الأقطار. وهم أهل شجاعة وكرم، ولا يضام جارهم. صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم... وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرتة. ونقيب الأشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعة وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره. وله الأعلام والأطبال وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحاً وإليه حكم هذه المدينة ولا والي بها سواه ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره" (١).

كما قصد مدينة النجف الأشرف الرحالة سيدي علي التركي المصري صاحب كتاب (مرآة الكمال) سنة (٩٩١هـ / ١٥٨٣م)، قادماً إليها من مدينة كربلاء المقدسة عبر مدينة شفاثا التاريخية، فزار فيها مراقد الأنبياء والأئمة: آدم ونوحاً وشمعون والإمام علياً المرتضى ثم رحل منها إلى الكوفة (٢).

(١) رحلة ابن بطوطة. ابن بطوطة: ١٠٩ وما بعدها.

(٢) مرآة الكمال. سيدي علي التركي: ١٦.

ثم يمّم شطرها الرحالة السيد عباس المكي صاحب كتاب: (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) فدخلها سنة (١١٣١هـ / ١٧١٩م)، وكتب عنها وعن أهلها قائلاً: "دخلنا مشهد أمير المؤمنين، ويعسوب الدين ليث بني غالب، إمام المشارق والمغارب، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. فتشرّفنا بزيارة الإمام المؤيّد بالنصر من ربّه والفتوح، وضجّيعه الكريمين آدم ونوح، وقد عقدت عليهم قبة عظيمة، في زينة وسمية، وأوّل من عقد هذه القبة عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس، ثم عمّرها الملوك من بعده، وبها من الذهب الإبريز، والجواهر، وخالص اللجين، وأنواع الفرش الفاخر ما يكلّ عنه قلم الحاصر، والبلدة رخيّة أمنيّة، طيبة حصينة، سورها مكين، وهي جنّة المتقين، وأهلها سادة كرام، ملجأ الخاصّ العامّ.

لا عيب فيهم سوى أنّ النزيل بهم

يسلو عن الأهل والأصحاب والوطن

فأقمنا هناك شهراً (تأمّماً) في أرغد عيش مدام"^(١).

كما يمّم مدينة النجف الأشرف وعتبتها العلوية الشريفة الخواجة عبد الكريم ابن الخواجة عاقبت محمود الكشميري السني المذهب، الشيعي الهوى، سنة (١١٥٤-١١٥٥هـ / ١٧٤١م) رفقة السلطان نادر شاه فكتب عنها ما نصه: "عمران هذه المدينة السعيدة أقلّ من عمران كربلاء لقلة زرعها وبعدها عن النهر. أما أهلها فأكثرهم أناس كرام صالحون قانعون ولا يمكن المبيت أو السكن خارج سور المدينة لاحتمال هجوم أعراب البادية في بعض الأحيان حيث يحلون بغتة هناك

(١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس. السيد العباس المكي الحسيني الموسوي: ٦٧ / ١ وما بعدها.

لسلب المدينة. ومن هنا نرى صغار المدينة وكبارها اختاروا السكن داخلها، والاحتفاء بأسوارها، وتبدو قبة سيد الأولياء وروضته (رضي الله عنه وكرّم وجهه) في أكمل أيام عظمتها وزينتها شاخحة في وسط المدينة، وقد نصبوا على ضريحه المنور الجواهر النفيسة، وفي هذه الأثناء أصدر نادر شاه أمره... بتذهيب قبتي مرقيدي سيدي الأوصياء والشهداء أي تذهيب الألواح النحاسية وتلميعها... وقد شرع... بتنفيذ الأمر المذكور المتضمن في الحقيقة مباهاة وتفاخر الأمر والمأمور في فترة تواجدي هناك^(١).

وتشرف بالزيارة أيضاً الحافظ محمد عبد الحسين الكربلائي الكرناتكي الهندي سنة (١٢٣٠هـ / ١٨١٥م) من أسرة السلاطين والأمراء المعروفين بـ(النوّاب) فوصل النجف الأشرف عصر يوم الاثنين (٢٨ شوال ١٢٣٠هـ / ٣ تشرين الأول ١٨١٥م) ودوّن في رحلته قوله: "سلكنا طريقاً غير مطروقة بسبب فيضان المياه... ثم توجهنا عند الغروب إلى زيارة إمام المشارق والمغارب أسد الله الغالب علي بن أبي طالب... وتشرفنا بزيارة الروضة المقدسة... ثم عدنا أدرأجنا ليلاً إلى حيث الخيام فلم ننعم بليلة هائلة بسبب غارات اللصوص"^(٢).

وقصدها الرحالة المنشي البغدادي سنة (١٢٣٧هـ / ١٨٢١م)، فكتب عنها في رحلته يقول: "إنّ النجف في محلّ مرتفع، وهو قلعة محكمة، فيها نحو ألفي بيت من العرب والعجم، وهواؤها في غاية اللطف والجودة، ولا سيما لياليها"^(٣).

(١) العتبات المقدسات في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية. إعداد وتقديم وإشراف: د. كامل سلمان الجبوري: ١/ ٢٤-٢٦.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٥٢-٥٣.

(٣) رحلة المنشي البغدادي: ٩١ وما بعدها.

وقصد النجف الأشرف زائراً محمد ولي ميرزا بن فتح علي شاه سنة (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م) فكتب يقول: "النجف الأشرف نصفها خراب، ويقتصر إعطاء الدروس فيها على شيخين ومائة وخمسين طالباً، وربما أقل أو أكثر من ذلك... جمع من ملاي إيران يدرسون في النجف، ففي مجلس الشيخ محمد حسن يومياً يحضر أربعون إلى خمسون (كذا) مجتهد، وكذلك الشيخ حسن على نفس المنوال... والشيخ مرتضى الأصولي هو الآخر في النجف شيخ كثير الالتزام... وليس له شأن بأحد"^(١).

ويَمّمها أديب الملك عبد الملك خان -أحد كبار رجال ووزراء الدولة الإيرانية- وترب السلطان ناصر الدين شاه -فدوّن في رحلته (دليل الزائرين) -التي ابتدأت في حدود (بداية شهر صفر من عام ١٢٧٣هـ/ أيلول من عام ١٨٥٦م) - "أنَّ المرحوم الحاج محمد حسين خان الصدر الأصفهاني قام ببناء سور النجف، وبلغ ارتفاع الجدار المقابل لمسجد الكوفة اثني عشر ذراعاً، والذي يقع في جهتي وادي السلام، والبحر يبلغ أحد عشر ذراعاً، أمّا محيط السور حول المدينة فيبلغ أربعة آلاف قدم، ويبلغ عدد البيوت في النجف حوالي ألفين وسبعمئة منزل صغير وكبير، وفيها ثلاثمائة دكان، وألف مصنع لصناعة العباءة.

أمّا عدد المساجد في المدينة فهي -كما يقول سماحة الشيخ مهدي^(٢) - (أربعمئة مسجد)، وسبب كثرة المساجد في المدينة هو أنَّ الناس في الأزمنة الماضية لم يكونوا يجرؤون على استخدام التربة في المساجد الكبيرة للسجود عليها في الصلاة، ولذلك لجؤوا إلى إقامة مساجد صغيرة في منازلهم يصلي فيها الثلاثة أو الأربعة، وقد كان

(١) العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية. سابق: ٩٣/ ١.

(٢) المقصود به المرجع الشيخ مهدي كاشف الغطاء (ت ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م): ٥٦.

العثمانيون عندما يرون أحداً يسجد على التربة يسحقون رأسه بأقدامهم حتى يبقى أثر التربة على جبهته" (١).

وزار النجف الأشرف بعد ذلك أي في سنة (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م) سلطان عبد المحمد حفيد فتح علي شاه القاجاري أحد كبار رجالات الدولة الإيرانية حينها، فكتب عنها يقول: "النجف في الواقع عبارة عن ميناء يحيط بها الماء من ثلاث جهات هي الشمال والشرق والجنوب، أما الطرف الجنوبي فهو جاف، ومحيط هذه البحيرة حوالي الخمسة عشر ساعة، وبناء المنازل في النجف من الطابوق والجص، وأما السرايب فهي جيدة، وبعض السرايب في النجف لا يمكن النوم فيها في الصيف بدون غطاء، لبرودتها رغم قساوة الصيف النجفي اللاهب" (٢).

كما يّم شطرها السلطان ناصر الدين شاه القاجاري فلفت نظره وهو في طريقه من كربلاء للنجف الأشرف الخان الذي نزل فيه وجمال الطريق وأسراب طيوره فكتب عن خان الملح فيصفه بأنه: "مثل القلعة المحكمة البناء ولها برج وهو كله مبني بالطابوق وقالوا لنا إن الشيخ مرتضى - الأنصاري - بنى الخان... والخلاصة كان الطريق اليوم جميلاً... بوجود أعداد كبيرة من البط في مستنقعات في الصحراء فامتطينا الخيول... وكان البط يطير بأسراب كبيرة تتألف من خمسمائة وتنزل في الصحراء الواقعة على يمين الطريق، وحيث توغلنا في هذه الصحراء كانت طيور الماء تتواجد بكثرة مذهلة... وفي الوقت نفسه ظهر ذئب... شاهدنا هناك آثاراً كثيرة للغزلان ولكن لم نرها هي" (٣).

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي الأسدي: ٦١-٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٥ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه.

ومذ وصل إلى مدينة النجف الأشرف وحط رحاله فيها متشرفاً بالزيارة في (١٢ رمضان ١٢٨٧هـ/ ٦ أيلول ١٨٧٠م) وبصحبه كبار مسؤوليه من قواد عسكريين وخواص وأمرأ، وخاصّة عياله، وبصحبه كبار مضيفيه العثمانيين وبينهم والي العراق يومئذ مدحت باشا مع جيش كبير جداً، كتب المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين في الجزء السابع من كتابه المخطوط (النوادر) قائلاً: "رأيت شخصياً وكنت مع المستقبلين، وكان دخوله النجف من الباب الغربيّة المسماة بالباب الصغيرة بالقرب من دارنا في محلّة العمارة، ونزل الشاه من العربية التي تجرّها الخيل الجياد قبل أن يصل سور البلد بمقدار نصف ميل احتراماً للأمير المؤمنين عليه السلام ومجاوريه العلماء الأعلام، ووقف الجيش العثماني سماطين له حتّى دخوله الحرم المطهر. هذا وقامت حكومة آل عثمان بخدمات جليلة للشاه منها فتح باب جديدة للصحن الغروي باسمه وهي الباب الغربيّة المعروفة اليوم بـ(باب الفرّج)"^(١).

ونظراً لأهمية هذه الزيارة وتوثيق السلطان ناصر الدين شاه بنفسه لتفاصيلها فقد أثرت أن أقتبس مما دونه عنها ما أعتقد بأهمية ذكره هنا من خلال ترجمة رحلته في كتاب حمل عنوان (العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. ترجمة وتعليق الصديق المرحوم الأستاذ محمد الشيخ هادي الأسدي).

يقول السلطان ناصر الدين شاه ساعة وصوله لعتبة الروضة الحيدرية المقدسة: "عند البوابة ترجّلنا مع كلّ الخدم والوزراء والباشوات وتحركنا مشياً على الأقدام حتّى دخلنا البوابة، وفي مقابلنا كان هناك سوق واسع ونظيف وجميل جداً، ولكن قبل الوصول إلى السوق كان هناك ميدان طويل، وتقع في زاوية من الميدان

(١) معارف الرجال. سابق: ١/ ٩٦ هامش رقم ١.

ثكنة عسكرية يسكن في الطابق العلوي منها حاكم المدينة العثماني.

والخلاصة: كان السوق مريحاً ولكن فرشوه بكميات كبيرة من التبغ، ومشينا إلى الأمام حتى وصلنا إلى باب الصحن الشريف فدخلنا، والحقيقة أننا دخلنا إلى جنة الخلد، الصحن مفتوح وعريض، جدرانه مكسوة بالكاشي المعرق من العهد الصفوي، القبة ومرقد الإمام يتوسّطان الإيوان الذهبي، المنائر مكسوة بالذهب لكن فوق الباب الرئيس مكتوب اسم نادر شاه، ولعل الصحن من بناء نادر شاه... القبة الذهبية هي من أعمال نادر شاه... وحين دخلنا إلى حيث الضريح الذي كان كالجنة شعرنا بالصفاء والروحية العالية حيث لا بستان في أي مكان في الدنيا يمنحنا مثل هذه الروحية، بناء القبة يبدو أنه من العهد الصفوي، وقد استعمل الكاشي المعرق الغريب داخل القبة، حيث لا يوجد مكان في العالم مثل ذلك الكاشي، وهناك عدد كبير من قناديل الذهب والشمعدانات، كما تتدلى الستائر بكثرة في الأطراف، والشباك الذي فوق المرقد مصنوع من الفضّة، وربما يكون من العهد الصفوي، وفرشت الأرضية بالسجاد النفيس المصنوع من الحرير من العهد الصفوي، أي من قبل الشاه عباس الصفوي حيث كان مكتوباً على السجاد (كلب استان علي عباس) وكان السجاد يبدو وكأنه خرج اليوم من المعمل... وكان رواق الضريح مكسوً بالمراميز من قبل تاجر تركي اسمه (حمزة التبريزي آيينه كار) وقد كساه بشكل جميل جداً جداً جداً، وقد أعجبني كثيراً ومع أنه لم يتم بعد... وكان الحاج حمزة موجوداً هناك فجيء به وأكرّمته كثيراً وأعطيته وساماً وخلعة".

ويذكر السلطان ناصر الدين شاه خلال زيارة لاحقة للحرم المطهر أداها في

(١٤) رمضان ١٢٨٧هـ / ٨ كانون الأول ١٨٧٠م) رؤيته لمكان الإصبعيتين بقوله: "دخلنا إلى الضريح، وفي منطقة فوق الرأس يوجد مكان الإصبعيتين حيث قبّلت المكان وأديت الزيارة وقد وضعت وسام صورة الإمام هناك للتبرك، كما قلت لهم أن يضعوا هناك السيف الفاتح للعالم من أجل التبرك".

ويتحدّث ناصر الدين شاه عن بحر النجف فيصف هديره بقوله: "منذ منتصف ليلة البارحة كانت الأمواج تتلاطم في البحر حيث كانت كثيرة وأصواتها العالية مرتفعة وكان الجو اليوم لطيفاً كأنه الجنة"، ويتحدّث عن طبيعة ماء البحر بقوله: "والماء صافٍ جداً، وهو بدون رائحة، كانت الطيور الآكلة للأسماك تحلّق فوق الماء بكثرة، ويمتدّ طول البحر من الشمال إلى الجنوب، وأمّا عرضه فيمتدّ من الشرق إلى الغرب، أمّا ماؤه فيمكن شربه فهو ليس مرّاً لكنّه مالح قليلاً.

وتنتشر الجزر بكثرة في نهايات هذا البحر ولكنّها لا ترى من هذا المكان، ويجري من نهاية هذا البحر نهر ليصبّ في بحيرة أخرى أصغر منه، وبعدها يخرج نهر يصبّ في الفرات حيث هناك السماوة، وأصل هذه البحيرة هو من تفرعات نهر الفرات^(١). وتحدّث الشاه في مذكراته عن الهدايا الثمينة التي شاهدها بعد فتح الخزانة العلوية له، وسيأتي ذكرها عند الحديث عن الخزانة وجواهرها وهداياها الثمينة لاحقاً.

وفي يوم (٢١ رجب ١٢٨٩هـ / ٢٤ أيلول ١٨٧٢م) وصل النجف الأشرف السيد علي بن حسين بن خيرات المعروف بالمولي الكبير من بومباي بالهند، وتوجه لزيارة الحرم العلوي الشريف فبدأ بوصف الصحن الشريف بأبوابه وأهم ما فيه

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي الأسدي: ١٦٩ وما بعدها.

فالحضرة المقدسة بمحتوياتها وكنوزها فكتب قائلاً: "لما تشرف ناصر الدين شاه سلطان العجم (خلد الله ملكه) بزيارة سلطان العرب والعجم -الإمام أمير المؤمنين عليه السلام- أنزل صرة مليئة بالجواهر الباهرة من فوق رأسه ووضعها في محل مرتفع فوق موضع رأس الإمام، ثم أرسل ستارتين مرصعتين باللؤلؤ والأحجار الكريمة كي تعلّق في الجهة المقابلة للرأس المبارك، ويقال إن الجواهر الموجودة في داخل الضريح المبارك كثيرة جداً... وفي الصحن المبارك وخارجه تباع الأشياء المختلفة من قبيل الكتب الدينية والمأكولات والملابس والأواني النحاسية وغير النحاسية وأدوات الزينة من العقيق واللؤلؤ والكهرب وفصوص الخواتم والخواتم بأنواعها، فقامت بشراء بعض الأشياء وخاصة الكتب الدينية والتي تنسب إلى الهند وبأثمان زهيدة... وحضرت حلقة درس جناب السيد حسين الترك المجتهد المعروف".

وإذ سافر السيد علي من العراق إلى مكة لأداء شعيرة الحج وعاد ثانية بالسفينة إلى النجف الأشرف كتب واصفاً الفرحة الغامرة للحجاج بمسيرهم القادم عبر البحر دون البر هذه المرة بقوله: "بعد أن وصلنا إلى الرمادي، وودعنا مراكب الإبل، كان لدى الحجاج عيد عظيم وانفتحت أبواب الانسراح والابتهاج التي ليس لها نهاية... استأجرنا سفينة وركبنا فيها وما أن انتهى هزيع من الليل عبرنا البحر ونزلنا ساحل النجف، وبقينا طوال الليل هناك"^(١).

وفي سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م) حطّ رحاله بالنجف الأشرف الباحث المصري عبد الوهّاب عزّام زائراً فكتب عنها في رحلاته يقول:

(١) العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية. سابق: ٢/ ٥٢-٥٣ و٥٦ على التوالي.

"النجف مدينة مسورة بني سورها أيام ثورة الوهابيين الأولى خيفة على المدينة من عاديّتهم.

سرنا إلى مشهد الإمام عليّ، والمسجد إحدى آيات البناء عظمة وأبهة ونظاماً، فيه فناء عظيم، تحيط به أبنية كثيرة رفيعة؛ فيها معاهد للدرس، ومساكن للطلاب والعلماء.

وقد حدثت أنّ طلاب العلم في النجف يزيدون على عشرة آلاف، ولا عجب؛ فهو مشهد تهفو لذكراه أفئدة المسلمين عامّة، ولا سيما الشيعة منهم، يحيط الفناء بمسجد عظيم، يزيع البصر في جلاله وأبهته، مقدّم المسجد كلّ والمئذنتان الشاهختان على جانبيه كلّ هذا مغشى بصفائح الذهب الخالص، ولكن أنّى للدخل إلى حضرة أمير المؤمنين عليّ أن يعبأ بالذهب والزخرف.

دخلنا إلى المشهد العظيم، وللناس حوله جوار بالدعاء والقراءة، فأطفنا به في عشية من جلال الموقف، ورهبة الذكرى، ولم يمنعني روعة المقام من تسريح الطرف في القبة الهائلة، تبهر الأبصار في حلل من البلور والذهب، تتدلّى منها المصابيح تزري بالتيجان المعلقة هنالك، وقد رأينا تاجين أحدهما فوق المرقد الشريف، وهو تاج الشاه إسماعيل، والآخر في زاوية من القبة؛ يقال: إنّ تاج نادر شاه، ويقال: إنّ تاج أحد ملوك الهند. ثم خرجنا إلى الرواق المحيط بالقبة، فمررنا بحجرة فيها قبر محمد شاه القاجاري، عليه صفيحة من المرمز مزينة بنقوش، وصورة ملكين ذوي أجنحة يحملان بينهما تاجاً^(١).

وفي سنة (١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م) وصل النجف الأشرف بعد رجوعه من الحج

(١) رحلات عبد الوهاب عزام: ٦٢ وما بعدها.

عبر نجد الشاعر بل نجم الشعراء محمد إبراهيم مشتري طوسي أيام انتشار وباء الطاعون في النجف الأشرف فكتب يقول: "هكذا كانت الأمور معكوسة في النجف / فالحياة صعبة والموت كان سهلاً / لمحن سطوة وشدة طعنات الطاعون ملئت السكك والبيوت بصراخ النساء الثكلى / ولكثرة ما رأيت من الأموات على التوايت والأعواد / جرت دموعي على ثيابي كأنها المطر / فالشخص الذي كان جليساً وصديقاً وأنيساً في الليل فعند طلوع الصبح دفن تحت التراب / ولا فرق فالعرب والعجم والرجل والمرأة آلاف وآلاف فرّوا من المدينة وهاموا في الصحراء / والذي بقي في المدينة فكان شغله البكاء / أما الذين كانوا يضحكون فالطبيب والدفان... إلخ"^(١).

وكان ممن يمم النجف الأشرف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام الشاعر السني الكردي الصوفي عبد المجيد محمود بن ميرزا عبد الكريم سقزي المعروف (بملك الكلام مجدي)، ففي (١٧ جمادى الأولى ١٣٠٥ هـ / ٣١ كانون الثاني ١٨٨٨ م) دخل النجف الأشرف فدوّن في رحلته ما يلي: "مكثنا فيها يومين ونحن منشغلين بأداء مراسيم الزيارة... في الجانب الجنوبي الغربي من المدينة توجد بحيرة تستمد ماءها من نهر الفرات، وطولها حوالي خمسون فرسخاً، وعرضها ستة عشر فرسخاً إلى عشرين، وفي العام الماضي أمر السلطان عبد الحميد خان أن يغلق مجرى تلك البحيرة الذي يأتي من الفرات مما سبب جفافها... وقيل... هلكت الأسماك والمخلوقات المائية التي فيها مما أدى إلى تعفنها. وبعد مرور ثلاثة أشهر انتشر الوباء في النجف نتيجة لذلك. والمدينة يسكنها نحو (خمسين ألف عائلة) وفي أسواقها توجد أنواع البضائع

(١) العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية. سابق: ٢ / ٨٩-٩٠.

والسلع المختلفة، وقد طوّقوا المدينة بحصار وسور حصين جداً... في العام الماضي أمر السلطان عبد الحميد خان باستحداث نهر عظيم سمي نهر الحيدرية، وقد جلبوه من مسافة فرسخين من نهر الفرات، وأجروه هناك... وكانت المنارة التي تقع على جهة اليسار من الإيوان محنيّة على جهة القبلة، وقد قاموا بتخريبها وإعادة بنائها عدة مرات إلّا أنها مالت مرة أخرى، وقد قمت بالصعود إلى أعلاها، ومن القاعدة إلى أعلى نقطة فيها أربع وسبعون مرقة... وفي داخل الحرم يوجد مسجد كبير لغرض أداء صلاة الجمعة، وتكية للدراويش البكتاشية، ومرشد للدراويش هو شيخ عطاء، وراقم راست عندما تشرف بتقبيل تراب الحرم المطهر لحضرة الإمام قال: أيها الرابض كالأسد في عرين النجف / وقد أخذ المحل شرفه ببركة ترابك / إن يد الله هي التي تسحب وترقوسك / فأوصل سهم مرادنا إلى الهدف" (١).

وتشرفت بزيارة الحضرة العلوية الشريفة السيدة العلوية (كرماني) الإيرانية الجنسية في (٢٨ صفر ١٣٠٩ هـ / ٣ تشرين الأول ١٨٩١ م). ومما هو جميل في هذه الرحلة أنها لرحلة امرأة دونت هي بنفسها ملاحظاتها أيام رحلتها من جهة، ووصفت لنا طريقة أداء الزوار العراقيين للإمام علي عليه السلام بمناسبة استشهاد الإمام الرضا عليه السلام على شكل مواكب عزاء مع ذكر مدنهم التي توجهوا منها إلى النجف الأشرف، فقالت السيدة (كرماني) من جملة ما قالته إنها: "ذهبت صباحاً إلى الحرم المطهر، وتشرفت بالزيارة، ولأن اليوم هو يوم استشهاد الإمام الرضا عليه السلام فعرب كربلاء، وعرب النجف، بالإضافة إلى عرب الكاظمين، يأتون على شكل مواكب تتكون من مجموعات صغيرة يتقدمهم شخص واحد، وهم يطوفون صحن الحرم

لاطمين صدورهم... وحتى وقت العصر وهم يجوبون الشوارع لاطمين على صدورهم ومعزين، وكانوا يحملون بأيديهم الصنوج (الطوس)، ومقسمون إلى مجموعات متفرقة".

وتحدثت عن شعورها خلال زيارات الأئمة عليهم السلام فقالت: "والله كلما أتشرف بالزيارة فإنني أدعو للجميع وأن يسهل الله لهم قصد هذه الأماكن المقدسة وزيارتها فهي بمثابة الجنان على الأرض، ويا لحسن حظ مجاوريها، ولو كان لدي مبلغ من المال كاف لجاورتها أيضاً"^(١).

وقصد النجف الأشرف للزيارة وهو في طريقه إلى حج بيت الله الحرام السيد الميرزا حسن بن إبراهيم الموسوي الأصفهاني أحد علماء أصفهان ووجه من وجوه أسرها العلمية فدخلها "يوم (١٣ ربيع الأول ١٣١٥ هـ / ١٢ آب ١٨٩٧ م) واصفاً الطريق من كربلاء إلى النجف بقوله: "أكثر ما يطويه المسافر بين كربلاء والنجف أراض خضراء عامرة بالزرع، وعلى ضفاف نهر الفرات... وهي طريق ممتعة إلى حد بعيد". وإذ وصل إلى النجف الأشرف تشرف بالزيارة وصلى، وكان الحر فيها لا يطاق، و"يقال إن مثل هذا الحر لم تشهده النجف طوال سنوات عديدة، وأخبرنا بعض الزائرين من مجاورينا في المنزل وكان قد جاء من مسجد الكوفة... أن امرأة ذهبت البارحة من مسجد الكوفة إلى مسجد السهلة ماتت من شدة الحر ورياح السموم". وفي طريق عودته مع القافلة إلى كربلاء قال: "سمعنا أخباراً عن تعرض جماعة من الزوار في طريقهم من كربلاء إلى النجف إلى غارة من بعض السراق قبل وصولهم إلى خان الشمس، وأنهم قد سلبوهم كل ما معهم من مال

(١) المصدر السابق نفسه: ٢ / ٣٤٥.

ومتاع وتركوهم حفاة. بعد أن خرجنا من الخان صباحاً ولم نكن نطوي أكثر من نصف الفرسخ عن الخان شاهدنا سبعة أشخاص حفاة عراة إلا من القميص الداخلي وهم يبحثون ويفتشون عن أشياءهم التي سرقها السراق علّهم يجدون شيئاً منها ساقطاً من أيدي السراق، وقالوا إنهم الزوار الذين سلبوهم البارحة وأنهم كانوا حجاجاً.

طريق الحجاز محفوف بالمخاطر، إذ ما أن يحل الظلام حتى يكون المسير فيه مجازفة غير محمودة^(١).

وتشرفت كذلك بزيارة العتبة العلوية في طريقها لأداء فريضة الحج السيدة (وقار الدولة سكيّنة سلطان) زوجة السلطان ناصر الدين شاه بعد أربع سنوات من مقتل زوجها السلطان ناصر الدين شاه، حيث وصلت إلى النجف الأشرف في (٢٠ رجب ١٣١٧هـ / ٢٤ تشرين الثاني ١٨٩٩م) فصادفها مع أخيها والقافلة -وهي في الطريق من كربلاء إلى النجف الأشرف- مطر شديد فكتبت وهي تتذكر بحسرة وشوق زوجها السلطان فيحترق قلبها، ثم تلتفت أنها بحضرة الإمام علي عليه السلام والمفروض أن تخلي قلبها وعواطفها إلا من إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف تجرأت فتذكرت غيره بحضرته عليه السلام فكتبت تقول: "وركبت وإن المطر يتساقط قطرات قطرات، فواصلنا السير، وازداد هطول المطر شدة، وبناء على مقولة الملك الشهيد (نور الله مضجعه) الواردة في كتاب (مذكرات السفر إلى العتبات المقدسة) قال: (جاء المطر فتتظف أولاً، ثم ألق نظرة على المكان النظيف)، وحقاً ما قال (أعلى الله درجاته) وجعل خبزه وملحه الذي أطعمنيه حلالاً عليّ،

(١) المصدر السابق نفسه: ٢٨/٣ و ٣٤-٣٥ و ٤١-٤٢.

والزيارة التي زرتها أنا (مسوّدّة الوجه) لأجل روحه الطاهرة، أرجو أن يصل ثوابها إلى روحه المباركة، وأتمنى لو أنني من تحت ظله. وإن كانت هذه الزيارة غير مقبولة عندي لنطقي بهذه الكلمات، والله إن قلبي يتحرق لذكري إياه، وأفقد توازني، وأنا أتلفظ بهذه العبارات، أقسم على الله بحق سلطان الولاية عليه السلام أن يغفر لي تقصيري".

وتضيف إلى قولها السابق ما يلي: "أصبح المطر شديداً... فسرنا والمطر يزداد شدة حتى غطى الصحراء، ووصل الماء إلى بطون البغال، وفي بعض الأماكن إلى رُكبها، وخلاصة القول: إن المطر قام بغسلنا غسلًا جيداً... والحمد لله وصلنا إلى وادي السلام، وقرّت عيناى لرؤية العتبة المطهرة، أشكر الله ألف مرة أني لم أمت وشمّلني هذا الفيض العظيم، أسأل الله أن لا يحرم الجميع من مثل هذا اليوم الذي زرنا فيه الوادي المشرف، وزرنا قنديل النور، وكلما أردت أن أصف ما أنا فيه من الغبطة لزيارتي العتبة المطهرة عقلي لا يسعفني".

وتضيف واصفة أزقة مدينة النجف الأشرف بعد المطر وكرم أهلها قائلة: "عزّمتنا على الزيارة فقالوا لنا لا يمكنكم ذلك، فالذي يريد أن يعبر من مكان إلى مكان لا بدّ له أن يمشي حافياً، ويرفع ملابسه، ويخوض في المياه أو يحمله أحد الحمالين على ظهره... واليوم كنت ضيفة عزيزة مكرّمة... وهؤلاء المساكين قد أعدّوا لنا ما لذّ وطاب من الأطعمة مع شدة المطر وسوء الأحوال الجوية، ومع أننا كنا ستة أشخاص فقط، إلّا أنهم صنعوا طعاماً يكفي لثلاثين شخصاً... وقد أصرّوا على أن أبقى في البيت حتى تيسر الطرق فلم اقتنع بذلك، وذهبت، وبأي وسيلة عبرت تلك الطرقات، ودخلت إلى جنة الأرض، وهي في الحقيقة صحن

أمير المؤمنين عليه السلام، وأمررت تراب عتبه المباركة على عيني، وحمدت الله ألف مرة...
روحي فداء أمير المؤمنين عليه السلام، فزيارته تغير القلوب" (١).

ثم حين أتممت حجها عادت من مكة فحطت رحالها في النجف الأشرف ثانية يوم النوروز، واصفة كثرة الزوار في المدينة المقدسة بحيث أنها رغم شوقها الشديد لم تستطع دخول الحرم، ثم عادت ثانية فدخلته، لكنها لم تستطع أيضاً كما المرة الأولى أن تلمس الضريح المقدس. فعادت ثالثة، وقد دوّنت ذلك منذ دخولها النجف الأشرف بقولها: "دخلنا النجف وقت شروق الشمس المضئية للكون، وكأننا دخلنا إلى الجنة، وأعني (وادي السلام)... فنزلنا وأول الأمر ذهبنا إلى الصحن المطهر فرأينا والله الحمد كثرة الزائرين فلم نستطع أن ندخل الحرم المطهر لكثرة الزحام، فسلمنا من الخارج، وذهبنا إلى البيت، وتناولت الشاي، ونمت قليلاً، وبعد استيقاظي توجهت إلى الحرم، وضربت خيمة هناك، وقد خفّ الزحام... فقبّلت الضريح المقدس وخرجت على أمل أن تصل يدي مرة أخرى، وألمس الضريح المقدس... وقررت أن أبقى في النجف حتى يفعل الله ما يريد".

وإذ حان وقت خروجها من النجف الأشرف كتبت مودعة ما يلي: "يا ليوم الوداع وثقله، فإنه شبيه باليوم الذي يودع فيه الإنسان الحياة... وفي الحقيقة فإن لحظات يوم الوداع تمر بصعوبة وبأسف بالغ، قبّلت الحضرة المباركة، وودعتها، وخرجت متجهة نحو العربة، وركبنا، والله يعلم ما حلّ بي جرّاء وداعي لوادي السلام، ماذا أقول؟ وماذا أكتب؟ ركبنا، وقد بقيت لغروب الشمس ثلاث ساعات، وإلى أن غربت الشمس وليس فوق شفاهي سوى كلمات الزيارة للحضرة

(١) المصدر السابق نفسه: ٩٥-٩٦ و ٩٧-٩٨. على التوالي.

المقدسة. ولحظة لحظة حررنا من فيض النظر إليها؟ وغابت القبة عن أنظارنا... ولا أكذب في القول إذا قلت بأنني بكيت طوال الليل، وأتمنى أن أعود مرة أخرى للزيارة"^(١).

كما يمم شطر النجف الأشرف بعد أدائه لمناسك حجه ميرزا داود حسيني وزير الوظائف في العتبة الرضوية المقدسة سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) وحين دخلها حل ضيفاً على المرجع.

كما يمم شطر النجف الأشرف بعد أدائه لمناسك حجه ميرزا داود حسيني وزير الوظائف في العتبة الرضوية المقدسة سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) ودون وصفاً لبعض دروس المراجع ذلك الوقت، وتطرق إلى الحياة القاسية التي يعانيها الحوزويون. ويبدو أن للزائر علاقات جيدة كانت تربطه بساحة المرجع الأخوند الخراساني، فكلاهما من خراسان، ومن أهل العلم، لذا فحين دخل النجف الأشرف حلّ ضيفاً على سماحته.

يقول ميرزا داود في رحلته متحدثاً عن الحوزة العلمية في النجف الأشرف وحوزيها بقوله: "جاء لزيارتنا عصر هذا اليوم جناب الأغا ميرزا مهدي نجل حجة الإسلام مع بعض السادة الطلاب، كما زارنا في صباح الغد حجة الإسلام والمسلمين الأخوند الملا محمد كاظم -الخراساني- (من الله تعالى على الإسلام بطول بقاءه) بعد الدرس مع جماعة كبيرة من الطلاب، ودامت زيارته بين الساعتين والثلاث ساعات، وحقاً قيل: إن الله لا يعطي الجاه والسلطنة إلا لأهلها ومستحقها. لقد برز هذا العالم كل معاصريه واحتل قمة الأخلاق الحسنة والصفات المستحسنة

(١) المصدر السابق نفسه: ٣/ ١٠٢ - ١٠٤.

في عصرنا، وقد انتهزت الفرصة وسألته عن كل ما كان يدور في بالي من الأسئلة، فأجابني عنها.

مما لا شك فيه أن النجف الأشرف قريبة من عالم الآخرة، والطلاب فيها في أحسن حال وأمثل محيط، وهم مرتاضين بالإجبار. هواء النجف حارّ إلى أبعد الحدود... ولولا وجود السرايب لما أمكن ممارسة الحياة اليومية، وعندما تهب الرياح عصراً فهي بالضبط كما لو أن الإنسان يمرّ قرب ألسنة اللهب... أما الماء فقليل خصوصاً إن الريح العاتية غالباً ما تهب يوماً في الأسبوع فتدفع الرمال والأتربة لتلقيها في مجاري المياه، وربما كان مقدار هذه المواد الملقاة كثيرة بحيث ينسدّ المجرى الذي يحتاج فتحه إلى العمل لمدة يومين أو ثلاث، وتكون كمية المياه خلال هذه الفترة ضئيلة جداً حتى يصل سعر المحمولة منه أربعة قرانات، وذلك ليس في مقدور الجميع دفعه إلا الفئة القليلة الميسورة".

ويتحدث عن مشاهداته لدروس سماحة المرجع الشيخ الآخوند الخراساني، ومكانها، وعدد حضّار كل منها فيقول: "اعتدت الحضور صباحاً ومساءً في دروس حجة الإسلام الآخوند. يلقي الآخوند دروسه في خارج الفقه صباحاً في مسجد الهندي الذي تمتلئ دكّته ورواقه بما يقرب الستائة أو السبعمائة نفر من الطلبة. أما في المساء فيلقي درسه في الأصول في مسجد الشيخ الطوسي، ويحضر هذا الدرس حوالي الألف نفر".

ويتحدث عن ظروف الدروس القاسية في الصيف اللاهب فيقول: "لاحظت أن الظلام يعمّ ممرّ المسجد، ودرجات سطحه، مما يسبب الأذى للطلاب، كما أن الماء الذي يجب على الساقى أن يدور به بين الطلاب العطشى لم يكن توفيره منتظماً

لعدم توفر المتبرع، وقد وفقني الله إلى توفير مصباح للمكان من جهة، والاتفاق على جلب أربع قرب -جمع قربة- من الماء إلى المسجد كي يوزعها الساقى على الطلبة كل ليلة. وما توفيقي إلا بالله. دفعت مصاريف الماء الذي تبرعت به لمدة سنة... مقدماً، ووعدتهم أن أدفع هذه المصاريف سنوياً ما دمت حياً وما دام المدرس موجوداً... وقد أبدى الكثير من الطلاب امتنانهم لذلك.

إن ظروف طلبة النجف الأشرف قاسية جداً، وأفضل أعمال الخير التي يستطيع الإنسان القيام بها هو مساعدتهم. أرغب في مساعدتهم بمبالغ كبيرة، لكن ماذا أعمل مع حظي العاثر^(١).

لقد استعرضت فيما تقدم قسماً من رحلات الزوار والسواح العرب والمسلمين للنجف الأشرف وعتبتها العلوية الشريفة، وهناك الشيء الكثير مما ورد في الرحلات الفارسية على الأخص، والرحلات الهندية، والأراجيز الشعرية العربية عن النجف الأشرف، وخاصة ما استلقت منها أنظار الرحالة والزوار، ناهيك عن المرور على ذكر كل ما كتبه الطلاب الحوزويون خلال دراستهم في حوزتها عنها، بعد رجوعهم إلى مدنها وبلدانهم ويأتي في مقدمة هؤلاء المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه في كتابه (حجر وطن) وغير ذلك، ولكنني سأكتفي بإشارة موحية لمنزلة النجف الأشرف في عقولهم ونفوسهم بما ورد عن بعضهم من أن (النجف قلب العالم)، وأنها (العالم في مدينة)، وأنها (تتلقي كل أخبار العالم)^(٢)، بل فمنزلة

(١) المصدر السابق نفسه: ٣/ ١٣٩ - ١٤١ و ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر: مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين. د. رباب الحسيني.

بحث ألقى في مؤتمر علمي عن النجف أقامته: مؤسسة كربلاء للدراسات والنشر في لندن ونشر لاحقاً مع بقية الأبحاث ضمن كتاب من مجلدين عن النجف.

النجف الأشرف عند قسم من كبار الملوك والسلاطين تفوق ذلك بكثير، وليس أدل على عظم منزلة هذه المدينة المقدسة عند الأتراك والإيرانيين مما ورد خلال مفاوضات جرت بينهما خلال حرب طاحنة سنة (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م) حيث استطاع الإيرانيون من حصار بغداد والهجوم عليها من ثلاث جهات، فطلب شاه إيران في المفاوضات بينهما "فصل بغداد عن السلطة العثمانية رسمياً ليكون منها ولاية لولي عهد إيران... وفي جلسة متأخرة جلسوها قبل إبقاء بغداد للترك إذا أعطي النجف مكانها. فكان جواب الوزير -العثماني- (إن كل حجر من النجف يعادل عنده ألف إنسان، وما بغداد إلا حماها)"^(١).

هذا ما كان يتعلق بزيارة الزوار والحجاج والسواح المسلمين، أما ما يتعلق بزيارتها من قبل السواح والرحالة الغربيين، فقد لاحظ الدكتور جعفر الخياط: "أنّ عدداً غير يسير من الغربيين الذين زاروا النجف أو مروا بها أو الذين تصدّوا للكتابة عن تاريخ المسلمين ومعالجة شؤونهم، قد تطرّقوا إلى ذكرها بالقليل أو الكثير، أو عاجلوا شؤونها بشيء غير يسير من البحث والتفصيل"^(٢). لذلك فسأعرض قسماً من هذه الرحلات، وهي كثيرة، معتمداً على ما كتبه الباحث د. جعفر الخياط في هذا المجال، ومستفيداً مما تناوله الباحث رسول كاظم عبد السادة في بحثه عن (المرقد العلوي في نظر الرحالة والمستشرقين) ومن أراد المزيد فليراجع.



(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. لونكريك: ٨٥.

(٢) النجف في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة ٦. قسم النجف: ١ / ١٩٤.

السابع

النجف الأشرف في كتابات الرحّالة والباحثين الغربيين

مثلاً زار الرحّالة العرب والمسلمون حاضرة النجف الأشرف وكتبوا عنها، زارها كذلك العديد من الرحّالة والباحثين الغربيين وكتبوا عنها، فمثلاً: يمم شطرها الرحّالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) وقال متحدثاً عنها في رحلته المعروفة ما يأتي: "دخلنا مشهد علي في (شهر ربيع الثاني ١٠١٣ هـ/ نهار السبت في الثامن عشر من أيلول سنة ١٦٠٤ م) فقصدت خاناً من الخانات الكبيرة التي كانت تشبه في شكلها ومنظرها العام الصوامع الموجودة في البلاد الأوربيّة، وقد كانت هذه المدينة كبيرة، فإن دورها كانت قبل ما يزيد على خمسين أو ستين سنة نحو ستّة آلاف أو سبعة آلاف مبنية بإتقان في الغالب، فأصبحت لا يزيد عدد بيوتها على الستائة فقط، وأن آثار الأسواق العامرة المبنية بالطابوق كانت ما تزال شاخصة للعيان وأن الروضة الحيدريّة كان فيها الكثير من النفائس الثمينة ومنها ثلاث ثريّات من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة، وكان عدد من الأمراء المسلمين والملوك قد أهدوها إلى الحضرة المطهّرة، مشيراً إلى أن النجف كانت تخضع في تلك الأيام إلى الأتراك، وأن الماء الصالح للشرب فيها شحيح إلى حدّ كبير"^(١).

وزارها (سنة ١٦٧٨ م) السيد (جان بابتيست تافيرنييه) فكتب عنها يقول "وصلنا إلى مدينة كانت تسمى الكوفة، الآن تدعى مشهد علي، حيث دفن زوج

(١) الرحالة تكسيرا في النجف. د. جعفر الخياط: ص ١١. نقلاً عن رحلة تكسيرا المترجمة إلى الإنكليزية سنة

بنت الرسول محمد في مسجد بسيط. بصورة دائمة يوجد أربعة شمعدانات مضاءة وقناديل مدلاة من السقف. بالرغم من تقدير الإيرانيين لعلي ولكنهم لا يزورون قبره. يعود السبب إلى كون عدم وجود طريق إلا بالمرور ببغداد والتي تحت سيطرة الأتراك فيترتب عليهم دفع رسوم مقدار ثمانية قروش لكل زائر. وكان هذا الرسم بنظر الشاه إهانة لرعيته وحكومته فسعى إلى إبعادهم عن هذه الزيارة باتجاه ثان وهو قبر الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد مما أدى إلى تناقص الزوار الإيرانيين شيئاً فشيئاً. بجانب الشمعدانات والقناديل المضاءة بشكل مستمر يوجد قارئان يتلوان القرآن الكريم على الدوام وفقاً للتقاليد. تحتوي المدينة على ثلاثة أو أربعة آبار مياه غير عذبة وقناة ماء جافة يظن أن الشاه عباس مدّها لجلب الماء من نهر الفرات إلى المدينة لخدمة الزوار، وبالنسبة للطعام فلم نجد سوى التمر والعنب واللوز والذي كان الناس يبيعونه بسعر غال^(١).

كما زارها الرحالة الألماني الشهير (كارستن نيور) الذي دخل النجف الأشرف في (ما بين شهري جمادى ورجب من سنة ١١٧٩ هـ/ ٢٢ كانون الأول من سنة ١٧٦٥ م)، فذكر في رحلته أن الماء الذي كان الناس يحتاجونه للطبخ والاعتسال -في النجف- كانوا يستقونه من قنوات خاصّة تمتدّ في باطن الأرض، لكن الماء الصالح للشرب كان يؤتى به محمولاً على ظهور الحمير من مسافة ثلاث ساعات.

ومّا يذكره عن عمران البلدة أنّ جهة من جهاتها يكثر فيها الكلس الذي كان يحرق للحصول على مادّة البناء منه، وأنّ الخشب كان ينذر وجوده ويرتفع ثمنه فيها؛ ولذلك كانت البيوت تشيد كلها بالطابوق والجصّ وتعقد سقوفها على شكل

(١) التطور العمراني للمرقد الشريف. تراث جميل للهوف: ٨٠-٨١.

قُب وعقود، فتكون متينة البنيان عادة، وأنّ العلاقة بين أهل السنّة والشيعة في النجف وكربلاء كانت علاقة حسنة إلى حدّ غير يسير.

على أنّه يقول -من جهة أخرى-: إنّ الشيعة كان لا بدّ لهم من أن يلزموا جانب الهدوء؛ لئلا يغضب عليهم الباشا في بغداد، ولم يفت (نيبور) -وهو الرجل العالم المدقّق- أن يرسم مخطّطاً خاصّاً لـ (مشهد عليّ) -كما يسميه- يشير فيه إلى معالم البلدة المهمّة وشكلها العامّ، فهو يشير قبل كلّ شيء إلى أنّها كانت في تلك الأيام محاطة بسور غير عامر يمكن الدخول إلى البلدة من عدّة فجوات فيه، وأنّ هذا السور كان فيه بابان كبيرتان هما: باب المشهد وباب النهر وباب ثلاثة تسمّى باب الشام لكنّه يقول: إنّ الباب الأخيرة كانت قد سدّت فتحتها بجدار خاصّ، ويضيف إلى هذا قوله: إنّ الشكل الخارجي للبلدة يشبه شكل مدينة القدس، وإنّ سعتها تقارب سعة القدس أيضاً.

ويقول الرحّالة الألماني -كذلك-: "إنّ النجف كان فيها عدا الجامع الكبير المشيد حول الضريح المطهر ثلاثة جوامع صغيرة أخرى".

وقد عمد (نيبور) إلى تخطيط رسم خارجي عامّ للجامع الكبير -كما يسميه- وهو يذكر أنّ سقفه قد صرفت مبالغ طائلة على تزيينه وطلّيه بالذهب بحيث لا يمكن أن يوجد مبنى آخر في العالم أجمع يضاهيه بكلفة تسقيفه الباهظة. (...) ويشيد كذلك بالمنظر الأخاذ الذي يبين للناظر إلى القبة المذهّبة، ولا سيّما حينما تسقط أشعة الشمس عليها، أو حينما تبين للرائي من بعد ستّة أميال، وأنّ الجامع الكبير كان محاطاً بساحة واسعة يقام فيها السوق كلّ يوم.

وقد قدر (نيبور) عدد الزوار الذين يقصدون النجف وكربلاء يومذاك

بحوالي (٥٠٠٠) زائر في السنة رغم شدة وقساوة وخطورة ظروف السفر تلك الأيام^(١).

كما زارها الرحالة الفرنسي أوليفيه سنة (١٢١٠هـ/ ١٧٩٦م) وكتب عن النجف الأشرف واصفاً إياها بأنها مدينة كبيرة جداً قد تكونت حول المسجد ويسكنها العرب وغيرهم ويزورها من العجم بعدد يقدر بخمسة آلاف أو ستة آلاف، وأنها أفضل شأناً من كربلاء^(٢).

وفي سنة (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م) مرّ ببغداد المسيو فونتانييه نائب القنصل الفرنسي في البصرة يومذاك، وزار واليها داود باشا، وحين دوّن ملاحظاته عن الزيارة أرجع ازدهار بغداد إلى قربها من النجف لا العكس، مشيراً إلى أهمية النجف في السياحة الدينية واستفادة بغداد العاصمة من ذلك كونها ممراً للزوار القاصدين إلى النجف الأشرف عبرها، فكتب يقول: "إنّ بغداد - وقد مررت بها في (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م) - لم تكن بغداد الموصوفة في ألف ليلة وليلة وإنّا لها طابعها الشرقي، فإنّها أصبحت مجمعاً للمسلمين نظراً لوجود ضريح الإمام علي على مسافة منها، ولا شك أنّ وجوده يدعو شيعته إلى زيارته والقدوم إليه. ويقال: إنّ مائة ألف أجنبي يمرّون سنوياً بمدينة (أي: مدينة الوالي: بغداد) للذهاب إلى زيارة ضريح الإمام علي، وهذا الازدحام يجعل من أية نقطة في البر وسطاً تجارياً كبيراً"^(٣).

(١) ينظر: مشاهدات الرحالة نيبور في النجف. د. جعفر الخياط. ص ٣١ وما بعدها. نقلاً عن رحلة نيبور بلغته الأم.

(٢) ينظر: الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين. حولية الكوفة. العدد ١٢٣/١. نقلاً عن رحلة أوليفيه إلى العراق ترجمة د. يوسف جبي (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م). ص ١٥٠-١٥١.

(٣) النجف في ١٨٢٤-١٨٥٢. د. جعفر الخياط: ص ٤٠ نقلاً عن نص اليوميات. يعقوب سر كيس في مباحث

وفي صيف سنة (١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) زار النجف الأشرف الرحالة الإنكليزي (لوفتس)، فشدّ نظره المنظر المهيب للحرم العلوي المطهر حتّى قال: "إنّه لا يمكن أن يصف الشعور الذي يخالج الناظر إلى جميع ما كان في داخل الجامع من زينة في البناء وتناسق في الألوان، لأن ما يراه كان لا بدّ من أن يولّد انطباعاً خالداً في نفسه".

ويصف الرحالة الإنكليزي شكل الصحن الشريف والضريح المطهر الموجود في وسطه، مشيراً إلى زينة القاشاني المحتوية على الرسوم المتناسقة للطيور والأوراق النباتيّة والكتابات المذهّبة، ثمّ يذكر أنّ أركاناً ثلاثة من أركان الصحن كانت تقوم فوقها مآذن ثلاث كسيت الاثنان الأماميّتان منها بالآجر المغلّف بالذهب، وهذه مع القبة كانت تؤلّف منظراً فخماً يعجز عنه الوصف، وكانت القبة الكبرى المكسوّة بالذهب وهي تتوهّج في نور الشمس تبدو للرائي من بعيد وكأنّها تلّ من الذهب يقوم من البراري الممتدّة من حوله، كما كانت توجد بين يدي الضريح المطهر بركة من النحاس تزيد في جمالها أشعة الشمس المتراقصة فوق سطحها الصقيل اللّماع الذي يكاد يحاكي سطح القبة نفسه في بهائه وتألّؤه.

ويذكر لوفتس كذلك أنّ الصحن كانت تباع فيه أشياء وحاجات كثيرة، فيقارن ذلك بالمعبد في بيت المقدس الذي دخل إليه المسيح قبل ثمانية عشر قرناً فوجد الناس يبيعون فيه الثيران والأغنام، والصّرّافين يتاجرون بالعملة.

ولقد لفتت نظره على الأخصّ طيور الحمام الكثيرة المتخذة من الحرم المطهر واحة سلام وأمن وطمأنينة ودعة^(١).

(١) ينظر: النجف في رحلة لوفتس. د. جعفر الحياط. ص: ٤٣ نقلاً عن رحلته المنشورة بلغته الأم.

وزار العراق سنة (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م) السائح الألماني المتقن للغة العربية وقواعدها (بيترمان)، فذكر في رحلته التي طبعها سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) أنَّ زوّار النجف وغيرها من العتبات المقدّسة كانوا يتواردون من إيران إلى بغداد باستمرار، وقد بلغ عددهم في تلك السنة حوالي ستين ألف زائر، وهو ما أحصاه (بيترمان) من عدد التذاكر التي أصدرتها السلطات التي كانت مسؤولة عن الحجر الصحي يومذاك في خانقين^(١) وهي زيادة كبيرة عمّا قدّره السائح الألماني (نيبور) قبل حوالي (٩٠ عاماً) من زيارة بيترمان^(٢).

وزار النجف الأشرف سنة (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) الرّحالة المستر (بارلو) فحدّد طول بحيرة النجف بـ(٦٠ ميلاً)، وعرضها بـ(٣٠ ميلاً) وأضاف: أنَّ أكثر الزائرين الذين يقدمون من الهند لزيارة الأماكن المقدّسة في كربلاء والنجف يسلكون طريق الفرات، فالعطشان، فشط الشنافية، وأن سفناً كبيرة ذات حمولة خمسين طناً تمرّ من هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف^(٣).

ويعدّ الأمريكي (جون بيترز) رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار في موقع (نفر) الأثري (عفك) من أهمّ الباحثين الأمريكيين الذين زاروا النجف الأشرف تلك الآونة، فقد زارها في سنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م) سالكاً الطريق النهري من السماوة عبر بحر النجف وصولاً إلى أبي صخير، ومنها عن طريق البرّ بواسطة الدوابّ إلى النجف، ويصف الباحث الأمريكي النجف التي رآها بأنّها محاطة

(١) النجف في المراجع الغربية. سابق: ٢٣٨/١ وما بعدها.

(٢) ينظر: في أواسط القرن التاسع عشر. د. جعفر الخياط: ص ٤٧ نقلاً عن رحلته المشورة باللغة العربية. ط ٢. ص ٢٨٥.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣/ ١٩-٢٠.

بسور متداعٍ آيل للسقوط وقد بني بالطابوق المجلوب والذي لا زال يجلب يومياً من خرائب الكوفة بواسطة الدواب.

ويعتقد عالم الآثار الأمريكي بيترز أنَّ العرب في المنطقة الجنوبيَّة من العراق يعيشون عيشة تشبه عيشة البابليين قبل أربعة آلاف سنة في كثير من الأشياء، ويقارن من جملة ما يقارن بين وجود الأكشاك في أبواب الصحن لبيع الكثير من الحاجيات واللوازم المختلفة وما كان يحصل في أبواب معبد (بيل) في (نقر) من قبل.

ويقول بيترز: إنَّه وجد النجف الأشرف مدينة مزدهرة يتراوح عدد نفوسها ما بين العشرين والثلاثين ألف نسمة^(١).

وفي مطلع القرن العشرين قصدت السائحة الإنكليزية (المسز رولاند ويلكنس) العراق فكتبت في كتابها عن الرحلة أنَّها مرَّت في طريقها إلى بابل بجماعات الزوار الإيرانيين الذين كانوا في طريقهم لزيارة الإمام الحسين في كربلاء والإمام علي في النجف وكان الكثير منهم يأتون من بلادهم مشياً على الأقدام للزيارة رغم صعوبة ذلك ومشقَّته وبعده عن مدنها وخطورة مسالكه المليئة بقطاع الطرق والسرَّاق^(٢).

كما ورد النجف الأشرف في سنة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) الرحالة (لويس ماسينيون) فوصف محلاتها الأربع: المشراق وكانت خاضعة لسلطة الشمرت وأتباعها، والبراق والعمارة والحويش وكانت محلات واسعة وخاضعة لسيطرة الزقرت^(٣).

(١) المصدر السابق: ١ / ٢٤٠ وما بعدها.

(٢) ينظر: النجف في المراجع الغربية، سابق: ١ / ٢٣٣ وما بعدها و ٢٤٥.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف، سابق: ٣ / ١٠٧-١٠٨.

وفي صبيحة (١٣٣٠هـ/ ٢٧ نيسان ١٩١٢م) زار النجف الأشرف السائح النمساوي (ألواموسيل) فدخلها من بابها الشمالية، فألفى فيها سوقاً كبيرة تمتد في اتجاه جنوبي حتى تصل إلى الجامع الكبير، وقد بنيت بلديتها في الجانب الشمالي الغربي من المدينة، وحينما استقلّ السائح النمساوي الترامواي -الذي بنته بلدية النجف الأشرف من أموالها لا من أموال خزينة الدولة سنة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)- قاصداً الذهاب إلى الكوفة شاهد المدافن على جهتي الخطّ الموصل بين المدينتين.

ثم زار النجف الأشرف في (١٣٣٥هـ/ ١٩ مارس سنة ١٩١٧م) بعد احتلال الإنكليز للعراق الجنرال البريطاني السير (رونالد ستورز) الملمّ باللغة العربيّة والحاكم البريطاني لمدينة القدس بعد احتلالها من قبل الإنكليز فيما بعد، فمرّ في السوق الكبير المؤدّي إلى العتبة العلويّة المقدّسة، ومن هناك توجه إلى دار السيّد عباس الكلّيدار، فخصّ بالذكر منه السرداب الكبير الذي تنخفض درجة الحرارة فيه بمقدار عشر درجات عن الخارج، وحينما صعد الضيف وقت الغروب إلى سطح دار مضيفه القريبة من الحضرة المطهّرة، شاهد (ستورز) منه عن قرب القبّة والمآذن وبرج الساعة في الصحن العلوي الشريف، وصوّر مناظر عدّة من هناك على ضوء الشمس الغاربة، ثم استراح حتّى دقّت الساعة مشيرة إلى الثانية عشرة غربيّة فتذكر حينذاك ساعة (كيمبرج) أو ساعة (بيك بين) المشهورة.

ومن طريف ما رواه الكاتب في حديثه عن النجف الأشرف ما أورده من تفاصيل زيارته للمرّجع الديني الأعلى في عصره السيّد محمد كاظم اليزديّ عليه السلام فذكر السياسي البريطاني أنّه في الساعة الخامسة من عصر اليوم التالي لوصوله

توجّه مع رفيقه المستر (غاربوت)، لزيارة العلامة الأكبر السيّد كاظم اليزدي الذي يمتدّ نفوذه من العراق إلى أصفهان، ويذكر (ستورز) في هذا الشأن: أنّ الإنكليز لم يكونوا مطمئنين من موقف السيّد تجاههم، وأنّه كان قد رفض مبلغ المائتي باون الذي قدّم إليه على سبيل الهدية من قبل، وكان المستر (غاربوت) الذي رافق السير (ستورز) في السفارة من بغداد قد طلب إليه في هذه المرّة أيضاً أن يتحايل على السيّد اليزدي فيقدّم له رزمة بألف باون هدية من الحكومة.

فاستغل هذه المهمة الصعبة، وكلف السير (رونالد ستورز) نفسه بأن يتولّى المهمة عنه، فقبل بتحفظ ودسّ الرزمة في جيبه ثم توجه معاً إلى دار السيّد، وهناك انتظر برهة من الزمن في خارج حجرته ريثما يخبر بحضورهما. فخرج لهما السيّد المرجع، وإذا به رجل متقدّم في السنّ يلبس زبوناً أبيض ويعتمر بعمّة سوداء، وقد تخضبت لحيته وأظافره بحنّة حمراء لثامعة، فحيّاهما السيّد من بعيد وأجلسهما على الحصيرة بجنبه خارج الحجرة.

يقول (ستورز): إنّّه بعد أن تبحّر في وجه السيّد أدرك في الحال السرّ في شهرته ونفوذه، فهناك قوّة في سيمائه الواضحة وعينيّه الرماديتين المتعبتين، وسلطان في وجوده وحديثه الخافت، ممّا لم يجد له مثيلاً في أيّ مكان آخر من بلاد المسلمين.

وحين سأل السياسي البريطاني (ستورز) المرجع النجفي السيّد اليزدي عمّا إذا كان هناك أي شيء يريد أن يفعله الإنكليز له، بادره السيّد اليزدي بقوله: حافظوا على العتبات الشريفة، حافظوا على العتبات الشريفة. فاعتبر (ستورز) أنّه يقصد بذلك المحافظة على العتبات المقدسة ومن فيها من جماعة العلماء والمجتهدين بوجه عام.

ثم عاجله السيّد المرجع بجملة أخرى طلب إليه فيها أن لا يعينوا في المدن الشيعية إلا الموظفين من أبناء الشيعة، وأن يطلقوا سراح بعض الشيعة الذين كانوا معتقلين.

وحينما مدّ (ستورز) يده لتقديم رزمة الباونات إلى السيد، دفع السيّد الرزمة برفق مقرون بالعزم الأكيد وهو يعتذر عن قبولها. فلم يجد (ستورز) من اللياقة الإلحاح على تقديمها. وبعد أن انقضت ساعة على هذا المنوال عزم المسؤول الإنكليزي السير (رونالد) على توديع السيّد المرجع اليزدي والعودة إلى المنزل، غير أنه قبل أن يفعل ذلك حاول تقديم الألف باون مرّة ثانية إليه، لكن السيّد المرجع رفضها من جديد بكل مجاملة وأدب. وهو يعتقد أن الشيء المهم الذي كان يعبأ به السيّد هو الأنفة والإباء لا المال. وهذا موقف بعيد تمام البعد عما يحدث في مصر والحجاز في ظروف مماثلة على حدّ تعبيره.

وحينما عاد (ستورز) بعد ذلك إلى منزل مضيفه السيّد عباس الكلّيدار طلب إليه أن يشاركه في تناول العشاء ويضحّي بآداب المجاملة التي تدعوه إلى الوقوف في خدمة الضيف في أثناء الطعام وهو يذكر بإعجاب أنّ السيّد عباساً وقف بعد ذلك للعناية بتقديم العشاء للسوّاق أيضاً على المائدة نفسها، ثم أوى إلى فراشه بعد مدّة، وقضى ليلة خالية من النسيم تماماً فوق السطح، وقد تسنّى له خلالها أن يعجب بالهدوء التام والصمت الغريب الذي كان يلفّ النجف ما بين الساعة الثانية والرابعة بعد منتصف الليل وقبل الفجر كذلك^(١).

وبرغم أن الرّحالة والمؤرّخين الفرنسيّين يركّزون جلّ اهتمامهم في العادة على

(١) المصدر السابق: ٢٥٨/١.

أحوال بلدان مستعمراتهم وبالأخص ما كان منها في المغرب العربي، إلا أنهم اهتموا بدراسة مدينة النجف الأشرف وأحوال سكّانها اهتماماً خاصاً، من ذلك مثلاً ما كتبه (فكتور بيرار) و(بارون كارا دي فو) والرحالة (جان باتيست تافرنيه) و(فونتانييه) و(أدريان دوبريه) و(جان ديولافوي) و(جاك بيرك) الذي يعشق النجف وأهلها وتقاليدهم وفكرهم، و(بيير جان لوزارد) الذي يعيش مع فكر المجتهدين في النجف الأشرف، ويتبنّى قضيتّها وكأنّه ولد فيها، واصفاً النجف الأشرف بأنّها تحتلّ الموقع الرابع في ترتيب المدن الإسلاميّة المقدّسة بعد مكّة والمدينة والقدس. وأنّها مركز كلاسيكي للثقافة الإسلاميّة والتعليم الديني بالنسبة للعالم الإسلامي بأسره، فهي بمنزلة جامع الأزهر في القاهرة أو الزيتونة في تونس أو القيروان في فاس.

وإذ يبدو المفكر الفرنسي (جاك بيرك) مأخوذاً بعلم اجتماع المدينة واقتصادياتها وروابط الثقة بين الأفراد والجماعات والمنازعات والمفارقات، فهو لا يغفل كرم أهلها وعاداتهم وسحر مناظراتهم ويصبّ كلّ اهتمامه على الشعر والتعليم والفكر بشكل عامّ، فيعطي للتعليم الديني النجفي مكانة راقية ومهمّة، ويتحدّث عن الشيعة بكثير من الإعجاب، ويحاول أن يقيس مدى تأثير التاريخ على حاضرهم، وكيف تجسدت ملحمة كربلاء على سلوكهم وحزنهم، فأصبحت الطقوس مشاعر إلهاميّة تستوحي التاريخ وتصبّ حكمته في الشعر الراقي والأدب الرفيع والمناظرات الاجتهادية.

ويلاحظ أنّ النجف التي تعيش إرث هذا التاريخ الدامي لم تتوقّف عن التواصل مع العالم الخارجي، فهي تقرأ لأعلام الأدب والفنّ الغربيين والشرقيين على حدّ سواء، وتؤثر أعمال هؤلاء على إبداعاتهم، ويذكر (بيرك) باحترام شديد

قصص المدينة المقدّسة، ويأتي على أعلامها فيعجب بالفكر كما يعجب بمعاني الأسماء، ويذكر المناهج التعليميّة ويتبنّى نقدها وعدم برجة المعارف التي تدرس في مدارسها، ولكنّه يعترف بعمق هذه الدراسة؛ لأنّها تتّسم بنوع من إدراك وحدة الجوهر للغة العربيّة التي يتغلّز بنغمها ولحنها المقفّى، ويأسف أنّ اليونانيّة واللاتينيّة قد خسرت صفاتها الشعرية القديمة.

أقول: في الوقت الذي تأخذ النجف الأشرف بألباب الباحث (جاك بيرك)، يتساءل الفرنسي (لوي زارد) الملمّ بما قدّمته مرجعيّة النجف الأشرف للإسلام والمسلمين والعراق والعراقيين من دم وعرق وفكر ومال فيقول: هل تجد النجف مستقبلاً يليق بمكانتها؟ فالنجف تحتلّ مكانة أساسيّة في قرار القضية العراقيّة بالنسبة للشيعة سواء أكانوا دينيين أم علمانيين، فالمرجع أو المجتهد يرمز إلى هويّتهم، ومكانة النجف مرتبطة بشرعيّة المرجعيّة.

إنّ جعل النجف فاتيكان عراقية يمكن أن يمثلّ حلاًّ قد يضمن الهوية الشيعيّة من جهة، ويسمح من ناحية ثانية بقيام حياة سياسيّة دنيويّة في البلاد.

ويشير إلى اتّفاقية لاتران (١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م) التي نظّمت العلاقة الدوليّة الدينيّة الفاتيكانية مع الدولة الإيطاليّة، ويعتبرها نموذجاً لتنظيم علاقة مشابهة مع الدولة العراقيّة التي ينبغي أن تعترف باستقلاليّة معيّنة للمدينة المقدّسة كمقدّمة لاعتراف رسمي بالأهميّة العدديّة للطائفة الشيعيّة في العراق.

ويقترح (لوي زارد) أن تكون إدارة المدينة من قبل مكتب إداري يتكوّن من مرجعيّات ومجتهدين ووجهاء المدينة، سيوفّر لها الأمن من تدخّلات الحكومة العراقيّة وتدخلات الدول الخارجيّة.

وأن جعل النجف فاتيكان عراقية سيكون الحلّ الناجح للمدينة المقدسة، وبطبيعة الحال لن يكون هذا أمراً ممكناً إلا في حالة قيام نظام ديمقراطي تعدّدي يضمن الحريّات للجميع^(١).

وزارت النجف الأشرف الباحثة الإنكليزية (الليدي درور) في مطلع تشكيل الحكومة العراقية في العهد الملكي فكتبت تقول:

"إنّ المرقد يتعالى علوّاً كبيراً في سهل يمتدّ امتداداً واسعاً، وتحت القبّة هذه مرقد (الشهيد) رأس أسرة لم تفارقها المصائب الكبرى أبداً.

وفي شمال المدينة وشمالها الشرقي مقابر غير مسوّرة وفيها أنواع من القبور، منها ما تعلوه القباب التي صرفت على تشييدها مبالغ طائلة، وقد غشيت بالقاشاني الملونّ البهيج، واللون الغالب فيه الأزرق الشذري".

ثم تستعرض الباحثة دور النجف الأشرف في التصدي للظلم والطغيان، وما قام به ثوارها من قتل المارشال البريطاني سنة (١٣٣٦هـ / ١٩١٨م) بثورة العشرين وما قبلها قائلة: "إنّ النجف موطن الثورات، وهكذا كانت في أيّام الحكم التركي تناهض حكومته وهي وكرلاء اليوم موطن السياسيين المتطرّفين الذين لا يقرون الأوضاع الراهنة".

ثم تنعطف لتحدّث عن المدينة فتقول: "والنجف جميلة جداً، لكنّ شوارعها ليست على شيء من الاستقامة والتنظيم، وتعلو الأزقة فيها طوق البيوت، ولهذه نوافذ ناتئة، والأزقة في النجف ضيقة متعرّجة، ولا تنفذ أشعة الشمس إليها إلا

(١) ينظر: النجف كما وصفها بعض المستشرقين الفرنسيين. بحث. د. قيس جواد العزاوي: ١ وما بعدها و٢٦

وما بعدها و٢١ وما بعدها كذلك.

لهاماً، وقد يصادفك على حين غرة باب من أبواب الحرم الكبيرة، وهي مزينة بالزهور المختلفة الألوان.

هذا وأن نصف المدينة كائن تحت الأرض، والنصف الأرضي هذا عميق، جدّ عميق، إنه شبكة من السرايب المتصلة، وبينها ممرّات، وقد يفضي بعضها إلى الصحراء خارج المدينة، ولكل بيت سردابه، والسرداب غرفة أرضية سوداء تقع تحت الأرض على عمق (٧ أقدام)، وإليه يأوي سكان البيت في الصيف، ويحتمل أن يكون تحت السرداب، سرداب ثانٍ وثالث ورابع، وفي السرداب آبار عميقة جداً.

وبيوت هذه المدينة المسورة مبنية بالحجارة أو محفورة، وفي خارجها تلّول غربية عالية، وفي مقدور المرء أن يرى من أعالي التلّول منظراً رائعاً لمدينة النجف وبحر النجف الممتدّ حتّى حافة التلّ المنحدر، إنه وإدّ ضاحك ضيق يتلأأ فيه الماء وتزيّنه الخضرة، وتمتدّ الصحراء الواسعة حتّى مدّ البصر، وخارج نطاق الخضرة الذي يحيط بالنجف^(١). وغيرهم.



(١) ينظر: على ضفاف دجلة والفرات. الليدي درور: ٧١ وما بعدها.



الفصل الثاني

جغرافية النجف الأشرف

(عرض موجز)

موقعها، وسكانها،
وطبقات أرضها وهضبتها،
وطبيعتها، وبحرها،
وأهوارها، ووديانها،
ومياهاها، وطاراتها،
وأسوارها، وسراذيبها،
وثرواتها المعدنية



ويتضمّن هذا الفصل مباحث عدّة أتناولها تباعاً وهي:

الأول

موقع النجف الأشرف جغرافياً

تقع محافظة النجف الأشرف في الجزء الجنوبي الغربي من وسط العراق بين خطّي طول (٤٨ و ٤٤ شرقاً، و ٤٧ و ٤٢ غرباً) وخطّي عرض (٢٠ و ٣٢ شمالاً، و ٥١ و ٢٩ جنوباً)^(١)، ضمن المناطق الشماليّة الشرقيّة من جزيرة العرب.

ولو لاحظنا المخطّط الجغرافي لجزيرة العرب على وفق وصف الجغرافيين القدامى لوجدنا بعضهم يرسم خطّ جزيرة العرب الحدودي فينصّ على ذكرها ضمنه.

فهذا العالم الجغرافي الحميري^(٢) في كتابه (الروض المعطار في خبر الأقطار) يقول: حدود جزيرة العرب ممّا يلي الشمال، في الخطّ الذي يخرج من ساحل أيلة (مدينة على ساحل البحر الأحمر)، فيمرّ مستقبل الشرق، ويمضي في وادي شيبان وتغلب وبكر، ويتّصل بالكوفة وظهرها النجف، والقادسية، والحيرة، كلّ ذلك أرض العرب.

ومدينة النجف الأشرف اليوم هي مركز لمحافظة سمّيت باسمها، تقع جغرافياً بالنسبة لمحافظةها في أقصى شمال رقعة منها مطلّة على البادية الموصلة إلى حدود المملكة العربيّة السعوديّة من طرفها الجنوبي.

(١) أرض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي والثروات الطبيعية. د. موسى جعفر العطية: ٢١.

(٢) الروض المعطار. الحميري: ١٦٤.

ولذلك فهي من محافظات البادية الجنوبيّة وهي أيضاً من محافظات الفرات الأوسط، حيث تقع في وسط العراق في الجزء الجنوبي الغربي من العاصمة بغداد على مسافة (١٦١ كم) مائة وواحد وستين كيلومتراً منها.

تحدها كمحافظة: محافظة كربلاء ومحافظة بابل (أو الحلة) من الشمال، ومحافظة القادسيّة (أو الديوانيّة) والمثنّى (أو السماوة) من الشرق، ومحافظة الأنبار (أو الرمادي) من الغرب، والحدود الدولية مع المملكة العربيّة السعوديّة من الجنوب.

ومدينة النجف الأشرف هي مركز محافظة النجف الأشرف، وتطلّ من جنوبها الغربي على بحر النجف أو منخفض النجف الذي تبلغ مساحته (١٨٠٠ ميل مربع) ذي البساتين والأنهار والأراضي السهلة، ومن شمالها الشرقي حيث مقبرة النجف الكبيرة.

ومن جهة الشرق تطل على أراضٍ زراعيّة خصبة باتجاه مدينة الكوفة، قريبة من الحيرة عاصمة المناذرة التي كانت ثغراً من ثغور الصحراء آنذاك ومركزاً مديناً للإقليم الشامل الذي تمثله النجف الأشرف اليوم وكانت ضاحية من ضواحيها الجميلة.

وتكاد تكون مدينة النجف الأشرف من بين المدن القليلة والنادرة بهذه الخاصيّة التي تجمع بين السهل والصحراء، وتصل بين إقليمين مختلفين^(١).

تشكل التضاريس الأرضيّة لسطح محافظة النجف بعضها من امتدادات السهل الرسوبي للعراق، والجزء الآخر وهو الجزء الأكبر يعتبر من امتدادات الصحراء الجنوبيّة للعراق، كما تبرز في محافظة النجف ظاهرة التهضّب المتمثلة في

(١) ينظر: النسيج الحضري للنجف عوامل النشأة والتغير. سابق: ٧١-٧٢.

هضبة النجف التي تشكّل الجزء الأكبر من هضبة كربلاء - النجف.

أمّا مساحة محافظة النجف الأشرف فتبلغ (٢٨٨٢٤ كم مربع)، مشكلةً (٦,٦٪) من مساحة جمهورية العراق، متميّزة بموقع يؤهلها - إضافة لمؤهلات أخرى كثيرة - لأن تكون مركز استقطاب وجذب لمحافظة الفرات الأوسط، كما أنّها تقع عند أقصر طريق موصل بين السهل الخصب الوفير الإنتاج والهضبة الصحراوية التي تتسم بوفرة مواردها الأولية^(١).

والمعروف أنّ (الذكوات البيض) تلك الذكوات الشريفة التي تشرفت باحتضان جدث الإمام العادل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هي (جبل الديك، وجبل النور، وجبل شرفشاه).

ولعل لفظة (جبل) المتقدم ذكرها جاءت من قبيل التسامح اللفظي لا المصطلح الجغرافي، ذلك أن مؤرخين محدثين يرون أن "لا وجود لأي جبال في موقع مدينة النجف، وأن ما كان موجوداً ما هو إلّا تلّول ترابية صغيرة لا يزيد ارتفاع أعلاها عن (١٢) متراً عن مستوى الأرض المجاورة، وهي محدثة وتكونت نتيجة ما يقذف من الأتربة المستخرجة من عمليات الحفر في الدور والأبنية الأخرى، وقد اندرست جميعها عدا مترب الحويش الذي ما زال موجوداً وهو بارتفاع (١٢) متراً فقط. أما الارتفاعات الأخرى التي حددتها بعض المصادر فهي خيالية ولا وجود لها"^(٢).

وإذا كان نفي (د. عبد الستار شنين الجنابي) لوجود جبال في أرض النجف الأشرف حدياً من دون تفسير؛ كما درج عليه بعضهم من إطلاق قولهم بوجودها،

(١) ينظر: استراتيجية تنمية محافظة النجف الأشرف (١٤٢٩-١٤٣٣ هـ / ٢٠٠٨-٢٠١٢ م). مجلس محافظة

النجف الأشرف بالتعاون مع برنامج الحكومة المحلية: ١١.

(٢) تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٦٨. سابق: ١١١.

فإن إضاءة (د. محسن عبد الصاحب المظفر) بوصفه لطبيعة موضع النجف جغرافياً بأنه متموج شبه تلي بقوله في تعريف الموضع بأنه "لا يعدو عن أن يكون أرضاً متموجة زادت من ارتفاعها الأتربة المستخرجة من حفر الملاجئ (السراديب). أما التسميات الأخرى فلها مدلولات تاريخية وأسطورية. وعلى العموم أنشئت مدينة النجف على موضع متموج شبه تلي يؤلف جزء (كذا) من حافة هضبة صحراوية ذات صخور رملية".

ويضيف محمداً ارتفاعات محلات النجف الأشرف عن مستوى سطح البحر قائلاً: "أما الارتفاعات فإن مستوى ارتفاع موضع النجف القديمة (٦٠م) فوق مستوى سطح البحر، ومع هذا يوجد تباين بين جزء وآخر من أجزاء الموضع، ففي محلة المشراق حيث تل (الديك) ترتفع الأرض إلى (٦٤م)، وفي محلة العمارة... حيث تل (شرف) ترتفع الأرض إلى (٦٠م).

وكذلك الحال في تل (النور) جنوب المرقد وتل (الحجالة) في شرقه، أما محلة الحويش فمعدل ارتفاع أرضها (٥٩م) وأعلى جزء فيها هو المبتدئة (كذا) من دورة الصحن حتى مكتبة الحكيم والمسجد الهندي... ومتوسط ارتفاع محلة البراق (٥٨م)، وتل الحويش حافة عالية جمعت عندها الأتربة المستخرجة من جراء حفر السراديب فبلغ ارتفاعه (٧٠م) فوق مستوى سطح البحر، (١٢م) فوق مستوى سطح الأرض المجاورة، و(٥٢م) فوق مستوى سطح منخفض النجف الذي يشرف عليه، وتنحدر أرض المدينة القديمة تدريجياً نحو الجديدة التي يبلغ ارتفاعها (٥٥م)... أما متوسط ارتفاع المقبرة فهو (٥٥م)^(١).

(١) مدينة النجف عبقريّة المعاني وقديسيّة المكان. د. محسن عبد الصاحب المظفر: ١٢٤-١٢٨.

ومدينة النجف الأشرف هي مبتدأ طريق الحجّ البرّي الموصل إلى المدينة المنورة، ثم إلى مكّة المكرّمة ويمتدّ بعدها حتّى حدود الصين، ويبلغ طول طريق الحجّ البرّي حدود (١٣٥٠ كم)، وهو طريق قديم جدّاً غير معبّد قد يعود تاريخه إلى سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) حيث عرف بـ (طريق زبيدة) زوجة هارون الرشيد، وكانت سلكته وتسلكه القوافل الذاهبة إلى أداء فريضة الحجّ منطلقاً من النجف وآية إليه سنوياً.

ويذهب المؤرّخون إلى أنّ هارون الرشيد سلك هذا الطريق سبع مرّات لأداء فريضة الحجّ وقد أصلحه وزوّده الرشيد بما يحتاج إليه المسافر من ماء وزاد ومأوى. كما أن قوافل الحجّيج في العصر العباسي ما كانت ترحل لأداء الفريضة المقدسة إلا عبره، واستمرّت الحال على ارتياد هذا الطريق لأداء الشعيرة المقدّسة في العصر المغولي والجلائري والصفوي^(١).

ثم أثّرت الظروف السياسيّة وإرادات الحكّام الظلمة بعد ذلك على هذا الطريق الحيوي لاحقاً فأوحشته، وحجّمت دوره أحياناً ومنعت السفر عبره أخرى وهكذا، بيد أنّ هذا الطريق نشط أخيراً بعد سقوط النظام الصدامي عام (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، وسيستمرّ إذا ما أولته محافظة النجف الأشرف الاهتمام الذي يستحقّه.

بالنسبة إلى مناخ النجف الأشرف، فهو بارد جاف شتاءً، تصل معدّلاته في شهر كانون الثاني إلى حدود (١٠ درجات مئويّة)، وحارّ صيفاً تبلغ معدّلاته بحدود

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٤٠٥ / ١. ومجلة آفاق نجفية. العدد ٥٣ لسنة ١٤٤١ هـ /

(٣٥ درجة مئوية) في شهر تموز، حسب دعاوى دائرة الأنواء الجوية في النجف الأشرف، وإن كان ساكنوها يشعرون -وأنا منهم- أنّها أكثر برودة في الشتاء وأشدّ حرارة في الصيف ممّا تدّعيه قراءة الأنواء المتقدّمة، حيث تحطّت عظمها في أيام من تموز من عام (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م) الخمسين درجة مئوية؛ ولكون المدينة بشكل عام ذات مناخ صحراوي، فإن معدلات سقوط الأمطار فيها بحدود (٢٠ ملم) في السنة، وهي معدّلات واطئة كما هو واضح.

"أما الرياح فتهب على المدينة من اتجاهات مختلفة، لكن السائد في الهبوب هو الرياح الشمالية لمعظم أيام السنة. وبالدرجة الثانية الرياح الشمالية الغربية حيث إن تكرار هبوب الرياح من الشمال يؤلف (٧, ٣٠ ٪) من أيام الشهر في المدينة، تأتي بعدها الرياح الشمالية الغربية حيث تشكل نسبة (٨, ٢٥ ٪)"^(١).



(١) مدينة النجف عبقرية المعاني وقديسية المكان. سابق: ١٣٦.

الثاني

سكّان مدينة النجف الأشرف في الوثائق العثمانية

تعدّ الوثائق العثمانية الخاصّة بالعتبات المقدّسة في العراق وفي مقدّمتها العتبة العلوية الشريفة وأوقافها ذات أهميّة تاريخيّة كبيرة؛ كونها تمثل أقدم الوثائق الرسميّة التي وصلت إلينا عنها خلال القرن السادس عشر الميلادي وما بعده.

ففي مجال عدد السكّان المجاورين وأماكن سكناهم في النجف الأشرف، فقد نصّت الوثائق العثمانية على وجود محلات أربع هي: (البراق) و(المشراق) و(الشيخ إبراهيم وسيد فضل الله) أي: (العمارة) حالياً، والحطيش (الحويش) حالياً، وبلغ عدد سكّان محلات النجف الأربع جميعها: سادة أشرافاً، وغير سادة (٢١٠٩) ساكناً، تقاسمتهم محلات النجف الأربع المتقدّمة.

فقد سكن محلة (المشراق) -أكبر محلات النجف الأشرف حينها- ما مجموعه (٨١٥) ساكناً، بينهم (٣١) ساكناً من السادة الأشراف، بواقع (٢٤) متزوّجاً و(٧) من غير متزوّجين، و(٧٨٤) ساكناً من غير السادة الأشراف، بواقع (٥٠٤) ساكنين غير متزوّجين، و(٢٠٨) ساكنين غير متزوّجين.

وتلي محلة المشراق من حيث عدد السكّان محلة (البراق)، فقد بلغ إجمالي عدد سكّانها (٥٩١) ساكناً، بينهم (٩٧) ساكناً من السادة الأشراف، بواقع (٥٩) ساكناً متزوّجاً، و(٣٨) ساكناً غير متزوّج، في حين بلغ عدد السكّان الآخرين (٤٩٤) ساكناً، منهم (٣٢٧) ساكناً متزوّجاً، و(١٦٧) ساكناً غير متزوّج.

أمّا في محلة (الشيخ إبراهيم وسيد فضل الله) أي (العمارة) حالياً، فقد سكنها من السادة الأشراف (٤٠) ساكناً، بواقع (٣٢) متزوّجاً، و(٨) سَكَّان من غير المتزوّجين. في حين بلغ عدد السكّان الآخرين (٣٨٣) ساكناً، منهم (٢٥٨) متزوّجاً، و(١٢٥) ساكناً غير متزوّج.

أمّا أقلّ المحلات سَكَّاناً حينها فهي: محلة (الحطيش) أي: (الحويش) حالياً، فقد حط رحاله فيها (٢٤٨) ساكناً، بينهم (٣٢) ساكناً من السادة الأشراف، بواقع (٢٤) شخصاً متزوّجاً، و(٨) أشخاص من غير المتزوّجين، في حين بلغ مجموع عدد السكّان الآخرين في هذه المحلة (٢٤٨) شخصاً، بواقع (١٦٥) ساكناً متزوّجاً، و(٨٣) ساكناً من غير المتزوّجين.

نخلص من ذلك إلى أنّ مجموع عدد السادة الأشراف كلّهم في محلات النجف الأشرف حينها بلغ (٢٠٠) ساكن، بواقع (١٣٩) متزوّجاً، و(٦١) ساكناً من غير المتزوّجين، في حين بلغ مجموع بقية السكّان الآخرين (١٩٠٩) ساكنين، بواقع (١٢٥٤) متزوّجاً و(٦٥٥) غير متزوّج.

يقول الدكتور ياسين شهاب شكري^(١) بعد ذكره لهذه الوثيقة التي أدرجتها بطولها لأهميتها: "إنّ الملاحظات الأساسية على الجدول الوارد ذكره أعلاه، هو أنّ مجموع السكّان من الذكور البالغين قد بلغ (٢١٠٩) نسمة، وإذا ما أضفنا إلى هؤلاء أعداد النساء والأطفال وغير المسجّلين فقد تصل أعداد سَكَّان النجف آنذاك بحدود (٦-٧) آلاف نسمة تقريباً.

(١) النجف الأشرف في الإرشيف الوثائقي العشائري. د. حسن ويس يعقوب. رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في كلية الآداب جامعة الكوفة. ٧٦ و ٧٧.

غير أن شحّة الماء الصالح للشرب في النجف الأشرف، وتعرّض المدينة المقدّسة إلى هجمات الأعراب المتكرّرة، أدّت إلى قلّة عدد زوّارها من جهة، وهجرة عدد من ساكنيها من جهة أخرى.

يقول الباحث إسحاق نقاش^(١): إنّ النجف استقبلت عدداً قليلاً جداً من الزوّار في أواخر القرن السادس عشر بسبب شحّة الماء في المدينة حيث تجمع (الغرين) في ما شقّ من قنوات فكادت تجفّ.

ويتجلّى وضع النجف البائس حينذاك في عريضة لربّما أرسلها أحد سكّان المدينة إلى الحاكم العثماني سنان باشا الذي أحالها بدوره إلى السلطان مراد الثاني (ت ١٠٠٢هـ / ١٥٩٤م)، فلقد شكّا صاحب العريضة مجهولة الهوية من تعرّض المدينة إلى هجمات العشائر المتكرّرة، ومعاناتها بسبب النقص الحادّ في الماء، وأنّ افتقارها إلى الأمن والإمدادات المنتظمة من الماء أجبر الناس على الرحيل عنها، ففي حين كانت هناك في الماضي ثلاثة آلاف دار مأهولة في المدينة لم يبق فيها إلّا ثلاثون داراً في أواخر القرن السادس عشر، وكان من بين الذين بقوا: خطيب الجمعة، وإمام صلاة الجماعة، وسدنة الحضرة، وخدامها، مع قلّة من الأفراد الآخرين.

ويبلغ العدد التقريبي لسكّان مدينة النجف الأشرف في منتصف القرن التاسع عشر طبقاً لإحدى وثائق الأرشف العثماني، (٢٠ ألف) نسمة في سنة (١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م)^(٢).

(١) شيعة العراق إسحاق نقاش: ٣٩-٤٠. نقلاً عن كتاب مباحث عراقية. يعقوب سركيس. ج ٢ / ٥٨-٦٠.

(٢) ينظر: كربلاء في الإرشيف العثماني. دراسة وثائقية (١٢٥٦-١٢٩٣هـ / ١٨٤٠-١٨٧٦م). ديك قايا:

يبد أن مدينة النجف الأشرف نهضت من كبوتها نهضة مشهودة، فقد قدرت وثيقة عثمانية سنة (١٣٠٨هـ / ١٨٩١م) عدد الذكور من سكان مركز قضاء النجف الأشرف بـ (٦٤٦٢) رجلاً.

كما ذكرت وثيقة عثمانية مؤرخة سنة (١٣١٦هـ / ١٨٩٩م) بأن المدارس الدينية الشيعية في صحن الإمام علي عليه السلام بلغ عدد طلابها (٥٠٠٠) طالب. فضلاً عن الكثير من الأساتذة.

ومن الواضح أن هذه الوثيقة وإن نصّت على أن عدد طلاب المدارس الدينية في صحن الإمام علي عليه السلام بلغ خمسة آلاف طالب عدا الكثير من أساتذتهم، إلا أن كاتب الوثيقة يقصد - كما يبدو - أن عدد طلاب المدارس الدينية في النجف الأشرف كلّها هو خمسة آلاف طالب، لا في الصحن العلوي الشريف وحده؛ لبداية عدم وجود مدارس دينية في الصحن الشريف سوى مدرسة دينية واحدة فقط، إضافة إلى غرف يسكنها الطلاب في الطابق الثاني من الصحن العلوي الشريف ولم يبلغ مجموعهم في أي وقت أكثر من خمسة آلاف طالب، بل إن الصحن الشريف بصحنه وغرفه ومقابره لم يبلغ طلابه في أي زمن من الأزمنة - حسب قراءتي - خمسة آلاف طالب عدا المدرسين.



الثالث

سكان محافظة النجف الأشرف

أمّا الاستيطان السكاني في محافظة النجف الأشرف فيتركز في القسم الشمالي منها، ويتكثف أكثر في مدن المحافظة الكبرى الثلاث: النجف الأشرف وهي أهمها وأكبرها، وبقضائي: الكوفة، والمناذرة ونواحيهما، وهذه المدن العامرة ثلاثتها: النجف الأشرف، والكوفة، والمناذرة وتوابعها ذات تاريخ حضاري حافل وماضي علمي تليد.

لقد ارتفع عدد سكان مدينة النجف الأشرف بحسب السنين، ففي سنة (١٣٣٦هـ / ١٩١٨م) بلغ عدد سكانها (٤٠ ألف نسمة)^(١) كما ذهب بعضهم، أو إلى زهاء (٤٥ ألف) نسمة كما ذهب بعضهم الآخر^(٢).

وفي سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م) بلغ مجموع سكان مدينة النجف من العراقيين فقط، وفي داخل السور فقط، فكان عددهم (٢٢, ٠٢٦ نسمة)^(٣) حسب تقديرات نسبية.

كما بلغ سكان مدينة النجف حسب إحصاء سنة (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م) (٢٦١, ٥٦ نسمة)، وفي إحصاء سنة (١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) بلغ تعداد سكانها (١٩٠, ٨٩ نسمة)، أما في إحصاء سنة (١٩٦٥م) فقد وصل عدد سكانها

(١) ينظر: فصول من تاريخ العراق الحديث. المس بيل: ١٢١

(٢) ينظر: شيعة العراق: إسحاق نقاش: ١٧٤.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢ - ١٩٦٨ م. سابق: ٢٠٦. وينظر هامش الصفحة.

إلى (١٣٤, ٠٢٧ نسمة)، وفي سنة (١٩٧٣ م) بلغ عدد سكانها (٢٠٠, ١٦٨ نسمة)^(١).

ويحسن بي أن أشير إلى وجود بعض الاختلافات في الأعداد لدى باحثين آخرين^(٢).

وقد بلغ عدد سكان النجف، بعد أن أصبحت محافظة، وفق إحصاء وزارتي التخطيط والتجارة لعام (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) بحدود (٢٥١, ٩٤٦) ساكناً، وإن كان المظنون أنها تحطت عتبة المليون نسمة ذلك الوقت.

ويبلغ عدد سكانها كما جاء في الإحصاء الذي جرت بموجبه الانتخابات النيابية العامة لعام (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م) على وفق قاعدة بيانات وزارة التجارة العراقية لا وزارة التخطيط؛ لأنها المعتمدة (٠٠٠, ٢٠٠, ١ مليوناً ومائتي ألف) مواطن، وهو رقم نسبي، كما يقول الرسمىون أنفسهم، بسبب غياب تعداد سكانى دقيق جرت بموجبه الانتخابات النيابية العامة في (١٤٣١ هـ - ٧ / ٣ / ٢٠١٠ م).

ويزعم المتخصصون أن الرقم أعلاه تقريبي بل غير دقيق، ولعله كان خاضعاً لاعتبارات انتخابية أريد لها أن تقلل من أعداد محافظة ما على حساب محافظة أخرى تبعاً لاعتبارات سياسية معروفة، ومما يدعم هذا التشكيك ما ورد من اختلاف بين عدد العوائل النجفية الواردة من إحصائية فرع تموين النجف، وعددها الوارد من مفوضية الانتخابات ببغداد، ففي حين بلغ مجموع عوائل المحافظة (٩٣٧, ٢٢٥ ألف عائلة) - حسب إحصاء فرع تموين النجف المؤرخ في (١٤٣٠ هـ / ١١ / ٨ / ٢٠٠٩ م)، وهو تابع لوزارة التجارة - بلغ عددها الوارد

(١) ينظر: مدينة النجف عبقرية المعاني و قدسية المكان. د. محسن عبد الصاحب المظفر: ٢٦٢ - ٢٦٤.

(٢) ينظر: شيعة العراق: إسحاق نقاش: ١٧٤. وتاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢ - ١٩٦٨ م. سابق: ١٨٩ - ٢٠٦.

من قبل مفوضيّة الانتخابات ببغداد معتمدة على رقم وزارة التجارة نفسها (٢٠٤ ألف عائلة)، علماً بأنّ العدد التقريبي لأفراد الأسرة النجفيّة يتراوح بين (٥-٦ و ٦-٧) نسمة^(١)، وفي ذلك فرق واضح لكلّ ذي عينين. خاصة إذا عرفنا أن مدينة النجف تأتي في المرتبة الخامسة من حيث عدد السكان بعد بغداد والبصرة والموصل وكركوك اعتماداً على إحصاء سكان سنة (١٩٦٥م) والحصص السكاني لسنة (١٩٧٠م)، وإذا قارناها مع المدن التي سبقتها عددياً يظهر أن تلك المدن حصلت على خصائص تمكّن من النمو السكاني لم تحصل عليها النجف لأسباب طائفية معروفة^(٢).

وحين يجري التعداد السكاني لمواطني النجف الأشرف والعراق كلّ سنقف على أعداد مواطني النجف الأشرف وبقية المحافظات الأخرى ممّا لا يدع بعده قولاً لقائل إن شاء الله.

وإذ بدا أنّ التعداد السكاني لمواطني النجف الأشرف لا يأتي إلا بالمرتبة الخامسة فإن أهميّتها الدينيّة والوطنية في العراق والمنطقة والعالم، بسبب احتضانها مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وتبوّتها زعامة المرجعية الدينيّة العليا لشيعة العراق والمنطقة والعالم لكبيرة جداً.

ذلك أنّ الغالبية العظمى من العراقيين هم من شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم كما بيّنت ذلك الإحصائيّات، حيث احتسب الإحصاء البريطاني التقريبي الذي أجري سنة (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) نسبة عدد شيعة العراق بحوالي (٥٣٪)

(١) ينظر: استراتيجية تنمية محافظة النجف الأشرف (١٤٢٩-١٤٣٣هـ / ٢٠٠٨-٢٠١٢م). مجلس محافظة النجف الأشرف بالتعاون مع برنامج الحكومة المحلية: ٢٠.

(٢) ينظر: مدينة النجف عبقرية المعاني وقدسيتها المكان. سابق: ٢٦٦-٢٦٧.

من السكّان، وفي سنة (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) بلغت نسبتهم زهاء (٥٦٪) من السكّان^(١).

إنّ عمليّة حسابيّة بسيطة تنتهي بنا - وفق معدلات النموّ المعروفة - إلى غالبيّتهم العظمى في عراق اليوم، وهو ما بات مسلماً به لدى العراقيين وخاصّة بعد إجراء العديد من الانتخابات التي تنتهي بفوز غالبيّة الشيعة بغالبيّة أعضاء مجلس النّواب، إضافة إلى تقارير المنظمات الدوليّة، وسفارات الدول الكبرى ومراكز البحوث فيها وفي العراق، إضافة إلى بيانات المهتمّين بالشأن العراقي، وغيرهم.

وكمؤيد لذلك، فقد سجلت إحصائيّات محافظة كربلاء المقدّسة لزوّارها القادمين لإحياء مراسم زيارة (الأربعين) الدينيّة سنة (١٣٣٤هـ / ٢٠١٢م) أنّها تخطّت عتبة الـ (١٧) مليون زائر، وأنّ هؤلاء الزائرين يتبعون توجيهات مرجعيّة النجف الأشرف.

واستمرّت الاحصائيّات تشير إلى زيادة أعداد الزوّار سنويّاً، فقد قال سماحة السيّد أحمد الصافي في خطبة يوم الجمعة (٢ / ١١ / ٢٠١٨م) في إحصائيّات رقميّة دقيقة: لقد تعودنا أن ننقل الإحصائيّة النهائيّة لعدد الزائرين، لافتاً إلى أنّ الإحصائيّة الخاصّة بسنة (١٤٣٩هـ) شملت أربعة محاور، مبيّناً أنّ الإحصائيّة الخاصّة بالعام الحالي شملت خمسة محاور، بإضافة محور الحرّ ومحور الحسينيّة للمحاور الثلاثة الرئيسيّة وهي: محور (كربلاء - بغداد)، ومحور (كربلاء - الحلة)، ومحور (كربلاء - النجف).

وأوضح السيّد الصافي: أنّ المعايير التي يتمّ اعتمادها في الإحصائيّة هي معايير

(١) ينظر: شيعة العراق. إسحاق نقاش: ٢٣.

رقميّة من خلال الكاميرات التي ترصد عدد الزائرين الداخلين لمدينة كربلاء، سواء المشاة منهم أم الركاب.

وأضاف: أنّ الزائرين الوافدين بالسيارات تمّ احتساب عددهم بالحد الأدنى المعقول الذي تستوعبه واسطة النقل التي يستقلونها، مبيّناً: أنّه من باب المثال فإن السيّارات ذات الطابقين التي تستوعب أكثر من (٩٠) تسعين راكباً، تمّ احتساب عدد ركّابها بـ (٨٠) راكباً.

وأوضح: أنّ إحصائيّة عدد الزوّار كانت للفترة من (٧ صفر - ٢٠ صفر) في الساعة (١٢ ليلاً)، رغم أنّ المدينة كانت تشهد توافداً للزائرين بعد هذا التاريخ المحدّد بالإحصائيّة.

وقال السيّد الصافي: إنّ بعض الشعائر الدينيّة يصعب احتساب عدد المشاركين فيها كعزاء طويريج، مبيّناً أنّ ممارسة عزاء طويريج غير مألوفة للعالم ووسائل رصده الحديثة، فهي تخطئ في احتساب عدد المعزّين المشاركين في الممارسة الحزينة نتيجة للاندفاع السريع للمشاركين الراكضين فيها وسرعة جريانهم، وشدة تراحمهم، وساعات تدفّقهم، وقد تمّ مفاتحة أصحاب الاختصاص من الخارج عسى أن يبتكروا طريقة رقميّة لإحصاء أعدادهم.

وأوضح السيّد الصافي: أنّ عدد زوّار الأربعين في مدينة كربلاء سنة (١٤٣٨ هـ/ ٢٠١٦ م) بلغ (٣٦٧, ٢١٠, ١١) أحد عشر مليوناً ومائتين وعشرة آلاف وثلاثمائة وسبع وستون نسمة، وفي سنة (١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٧ م) بلغ (٨١٨, ٨٧٤, ١٣) ثلاثة عشر مليوناً وثمانمائة وأربعة وسبعين ألفاً وثمانمائة وثمانية عشر زائراً، وفي سنة (١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٨ م) بلغ (٩٤٩, ٣٢٢, ١٥) خمسة

عشر مليوناً وثلاثمائة واثنين وعشرين ألفاً وتسعمائة وتسعة وأربعين زائراً^(١).

ثم وبموجب آليات الإحصائية السنوية للعتبة العباسية نفسها لسنة (١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م) بلغ عدد الزوار (١٥, ٢٢٩, ٩٥٥) خمسة عشر مليوناً ومائتين وتسعة وعشرين ألفاً وتسعمائة وخمسة وخمسين زائراً، وفي سنة (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م) بلغ عدد الزوار (١٤, ٥٥٣, ٣٠٨) أربعة عشر مليوناً وخمسمائة وثلاثة وخمسين ألفاً وثلاثمائة وثمانية زائرين، وفي سنة (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) بلغ عددهم (١٦, ٣٢٧, ٥٤٢) ستة عشر مليوناً وثلاثمائة وسبعة وعشرين وخمسمائة واثنين وأربعين زائراً.

إذا عرفنا ذلك، وعرفنا أنّ هذه الأرقام هي لأعداد من شاركوا في زيارة الأربعين للسنوات المؤثرة إزاءها، وغالبيتهم العظمى من العراقيين طبعاً، نعم، هناك أعداد من خارج العراق شاركت بالزيارة ولكن ليست مؤثرة تأثيراً ذا بال على موضوعنا المطروح قياساً بعدد العراقيين المشاركين، ناهيك عن وجود أعداد غفيرة من العراقيين لم تشارك لأسباب شتى: كالمرض والعجز والكبر والشغل وعدم القدرة والبعد ووجود أطفال لا يمكن تركهم لوحدهم وغيرها كثير.

ومما تقدم يتبين لنا كم هي أعداد شيعة العراق قياساً بغيرهم من عدد سكان العراق. ذلك أن هذه الأرقام وحدها تكشف أهمية مدينة النجف الأشرف، ومركزية مرجعيتها الدينية العليا بالنسبة للعراق؛ لأن شيعة العراق يقلدونهم، وكذلك أهميتها للمنطقة، والعالم.

(١) وينظر: ولاء الصفار. الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة مع متابعة شخصية مني مع ساحة السيد الصافي (imamhussain.org).

الرابع

طبقات أرض النجف الأشرف

يذهب علماء الآثار وباحثو علم طبقات الأرض إلى أنّ الوضع الطباقى للتكوين المكتشفة على سطح مدينة النجف الأشرف والمنطقة التي حوالها يمتدّ من الحقبة المبكّرة للعصر الثلاثي إلى حقبة الباليوسين.

أمّا التابع الطباقى تحت السطحي - كما يظهر في بئر كفل رقم (١) شمال غرب النجف الذي تمّ حفره لأغراض الاستكشافات النفطية ويبلغ عمقه (٨٤٦٢م) وهو أعمق ما وصل إليه في أرض محافظة النجف - فيظهر لنا أن طبيعة الصخور:

- « حتى عمق (٩٣م) متكوّنة - على الأغلب - من رمل وحصو غير متماسك.
- « حتى عمق (١٩٧م) متكوّنة من صخور جبسية غرينية، مارلية، جيرية.
- « حتى عمق (٣٠٣م) متكوّنة من صخور كلسية متداخلة مع صخور مارلية.
- « حتى عمق (٣٤٧م) متكوّنة من صخور دولومايت، صخور كلسية، مارلية في الأسفل.
- « حتى عمق (٥٣٧م) متكوّنة من صخور كلسية ذات حبيبات صغيرة أنهدراتية ودولومايت ذات حبيبات مبشرة.

- « حتى عمق (٦١٦م) متكوّنة من صخور مارلية، كلسية، درولومائية.
- « حتى عمق (٨٨٢م) متكوّنة من صخور مارلية دولومايتية^(١).

(١) ينظر: أرض النجف. سابق: ٣٩-٤٠.

وبوصف آخر لباحث أسبق فإن أرض النجف تتكون من الطبقات العشر التالية ابتداء من سطح الأرض:

الطبقة الأولى: طبقة تتألف من تراب تراكمات أنقاض الأبنية السابقة ومخلفاتها وأمثال ذلك بمعدل عمق سبعة أمتار تقريباً.

الطبقة الثانية: طبقة رملية مختلطة بالكلس (الخص) بمعدل عمق أربعة أمتار تقريباً.

الطبقة الثالثة: طبقة رملية متماسكة صلبة بمعدل عمق (٣ أمتار) تقريباً تسمى سن الهصهاص.

الطبقة الرابعة: طبقة صخرية شديدة الصلابة والقسوة تكاد من صلابتها الفائقة أن تتصدع منها الآلات الحديدية التقليدية بمعدل سمك فوت واحد. تسمى سن القرص.

الطبقة الخامسة: طبقة متكونة من رمال متحجرة بمعدل سمك ثلاثة أمتار تقريباً تسمى سن الطار.

الطبقة السادسة: طبقة رملية ممزوجة بمعدل سمك ثلاثة أمتار تقريباً. تسمى الزغل.

الطبقة السابعة: طبقة رملية شفافة يميل لونها إلى الصفرة بمعدل سمك مترين تقريباً.

الطبقة الثامنة: طبقة رملية صافية شفافة يميل لونها إلى الزرقة بمعدل سمك ثلاثة أمتار وسبعين سنتمراً تسمى الشاد.

الطبقة التاسعة: طبقة طينية بمعدل سمك أربعة عشر متراً.

الطبقة العاشرة: طبقة طينية صلبة يحفر فيها متران لقنوات الآبار الجارية^(١).

وكانت النجف الأشرف بحكم موقعها الكائن على حدود البادية، ومركزها الديني والاجتماعي الفريد في بابه، تقع في طريق الكثير من القوافل التي تأتي من الغرب عن طريق حلب وتستهوِي الكثير من المسافرين في تلك الأيام فيمرّون بها أو يتوقّفون فيها مدّة من الزمن.

ويبدو ممّا جاء في كتابات عدد من الرّحالة الأوروبيّين يومذاك أنّ القوافل التي كانت تسير بين حلب وأصفهان كان بوسعها أن تسلك خمسة طرق عامّة معروفة، غير الطريقين اللذين كانا يمرّان بالأناضول فيربطان بين اسطنبول (أو أزمير) وأصفهان، وقد كان أوّل هذه الطرق يبدأ بحلب، ويقع إلى يسار المتّجه في الاتجاه الشمالي الشرقي، لكنّه يمرّ بديار بكر وتبريز، وكان الطريق الثاني يتّجه من حلب إلى الشرق رأساً فيحاذي بلاد ما بين النهرين، ويمرّ بالموصل فهمدان، وأمّا الطريق الثالث فقد كان ينحرف أكثر من ذلك نحو الجنوب، ويحتاج بادية صغيرة ثم يمرّ بعانة والنجف وبغداد والبصرة، وكان الطريق الرابع يقع إلى يمين الذهاب إلى الجنوب الشرقي، فيمرّ بالنجف وبغداد أيضاً، وكان هناك طريق خاصّ يخترق البادية الكبيرة بطولها نحو البصرة، وكانت القوافل التي تسلكه تمرّ بالنجف أحياناً، لكنّه لم يكن يسلك إلاّ مرّة واحدة في السنة، أي: حينما كان يقطعه تجار تركيا ومصر لشراء الإبل.

ولا شكّ أنّ هذه الطرق هي التي كان يسلكها الرّحالة الغريّبون الذين أخذ

(١) ينظر: مجلة آفاق نجفية. آبار النجف ومجاريها. عبد المحسن شلاش. العدد ١٩ لسنة (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)

تواردتهم على هذه الجهات يكثر بحلول القرن السابع عشر^(١).

ولقد ساعد موقع النجف الجغرافي على ربط العراق منذ الألف الثالث قبل الميلاد بجزيرة العرب عبر بوابة النجف، وتشير المصادر التاريخية إلى سعة العلاقات ما بين الحيرة والأحساء ونجد والحجاز واليمن، وإلى وجود اتصالات وثيقة ما بين أهل الحيرة وأهل مكة^(٢)، ثم بعد أن تضاعف دور الحيرة، ونما دور الكوفة في العصر الإسلامي تجددت أهميّة هذا الطريق باعتباره ممراً لجيوش المسلمين الخارجة من الجزيرة صوب شرق العالم الإسلامي حيث معسكر المسلمين في الكوفة، ومسلكاً لحركات الهجرة الزاحفة من الجزيرة صوب بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات بعد أن تعرّضت الجزيرة العربيّة إلى موجة جفاف قاحل وقحط شديد^(٣).



(١) موسوعة العتبات المقدّسة ٦. قسم النجف: ١ / ٢٠١.

(٢) محافظة النجف الأشرف التشكيل الإداري وتحليل الموقع المكاني. سابق: ٢٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه.

الخامس

تكوّن هضبة النجف الأشرف

يواجه الباحثون الجيولوجيون مشكلة علمية محيرة في آلية نشوء هضبة النجف، لا زالت مستعصية على الفهم والتحليل ضمن قوانين هذا العلم الطبيعية المعروفة، وهو ما حداً بباحث متخصص منهم إلى القول: بأن نشوء هذه الهضبة واجهه الباحثون في اختصاص علوم الأرض بما أسماه بتناقض النظريات أو تقاطع الشواهد والدلائل بما يؤدي إلى إحراج قوانين المعرفة العلمية أمام التحليل المنطقي لمعطيات الوضع الجيولوجي للهضبة، وفي ذلك تعتبر آلية نشوء هضبة النجف من المعضلات الجيولوجية التي لم تزل قائمة، ولا يتوفر حالياً نموذج منطقي يفسر كيفية نشوئها بالرغم من أنها خضعت إلى بعض الدراسات الجيولوجية.

ولكي نتلمس مشكلة الإخفاق في التوصل إلى نموذج (موديل) منطقي يستند على قوانين المعرفة الجيولوجية يفسر آلية نشوء هضبة النجف، لا بدّ من الإشارة إلى الحقائق الخاصة بالإطار الجيولوجي لهضبة النجف^(١) لنكون على بينة من الأمر.

وبعد أن يستعرض الباحث تلك الحقائق من: كون شكل الهضبة المثلث من صنف متساوي الضلعين، وهو يندرج ضمن الهيئة المروحية لرسوبات نهريّة معروفة بالدلتا.

(١) أرض النجف. سابق: ٦٥.

وارتفاع الهضبة حالياً عن مستوى سطح البحر بمقدار يصل إلى (١٧٦ م) في أحد المواقع على سطحها، كما ترتفع عن مستوى السهل الرسوبي في منطقة نهر الفرات بمقدار (٢٥ م) تقريباً.

وأنّ إطلالة الهضبة من طرفيها الغربي والجنوبي على منخفض بحر النجف هي إطلالة حادة بحيث شكّلت جرفاً صخرياً بلغ ارتفاعه عن بحر النجف بحوالي (٤٠ م).

وأنّ سطح الهضبة يغطّيه تكوين الدبدبة من حقبة البلايوسين من أواخر العصر الثلاثي وبدايات العصر الرباعي، وتتكوّن رسوبيّات التكوين من صخور رملية مترسبة من بيئة نهريّة فيضية.

وأنّ مناطق هضبة النجف من الناحية التركيبية هي مناطق هابطة، في حين أنّ مناطق بحر النجف هي مناطق صاعدة، كما أنّ أنماط مضارب الفوالق الطولية والمستعرضة وتقاطعاتها لا تتسجم مع اتّجاهات امتدادات طار النجف وطار السيّد؛ كونها تنتهي بصورة حادة مقطوعة على امتدادات مشارف الهضبة على منخفض بحر النجف، أي: بامتداد طاري النجف والسيّد.

ثم إنّّه لم ترصد أية شواهد لوجود امتدادات لرسوبيّات تكوين الدبدبة في مناطق بحر النجف الذي تطل عليه هضبة النجف من جهة طار النجف إطلالة حادة، ولم ترصد أية شواهد لوجود تكوين الدبدبة في المناطق التي تطلّ عليها هضبة النجف من جهة طار السيّد إطلالة حادة أيضاً.

ثم يطرح الباحث الجيولوجي المتخصّص مجموعة تساؤلات محاولاً الإجابة عنها من خلال طرح الاحتمالات الطبيعية للإجابة عنها كافّة متّبِعاً في طرّحه

التحليل المنطقي بالاستناد إلى وقائع الخصائص الجيولوجية للمنطقة على وفق معطيات علم الأرض، لينتهي بعدها إلى القول: بأن البحث في آلية نشوء هضبة النجف يتطلب التأمل لتزاحم التناقضات التي أوردناها حول واقع خصائص جيومرفولوجية هضبة النجف والآليات التقليدية المعروفة بحمم الأرض لنشوء هذا النوع من التهضّب، وفي ذلك توصّلت في بحثي حول هذه المعضلة بأنّ نشوء هضبة النجف يدولي صورة من صور الإعجاز الإلهي، وهي خارجة عن قوانين المعرفة الجيولوجية التي يمتلكها الإنسان^(١).

ثم يستعرض الباحث ما ورد في القرآن الكريم عن قصّة الطوفان، ثمّ ما جاء في الألواح السومرية عن أخبار الطوفان من أسماء مدن عراقية في سهل وادي الرافدين ومن ملوك حكموا مناطق وادي الرافدين قبل الطوفان، ويستدلّ بما ذهب إليه بعض العلماء المتخصّصين بآثار ودراسات وحضارات وادي الرافدين القديمة مثل السير وليام ويليوكوكس، والسير ليونارد دويلي؛ من أنّ أرض الطوفان هي أراضي دلتا الفرات ودجلة شمال أور الكلدانيين، ويدعم ذلك اكتشاف الخير الآثاري ليونارد وويلي آثار الطوفان في تنقيباته في أور.

ثمّ عزّز ذلك الاعتقاد بإعلان البعثة الآثارية لجامعة أكسفورد الشهيرة عن اكتشاف مماثل لآثار الطوفان في منطقة كيش مشيراً إلى إجماع معظم الباحثين في أرض الطوفان أنّ أرض الرافدين كانت موطن قوم نوح، معزّزاً ذلك بمقولة الباحث الشهير بتاريخ حضارات وادي الرافدين السير وليام ويليوكوكس التالية: (يجب أن نتذكّر ونحن في دلتا دجلة والفرات أنّنا في بلاد الطوفان)، ثم يتساءل

(١) أرض النجف. سابق: ٧١.

بقوله: (إذا كان وادي الرافدين هو موطن قوم نوح عليه السلام وأنهم -بنص القرآن- قد أغرقوا بالطوفان فأين رست سفينة نوح عليه السلام وأين موقع الجودي الذي استوت عليه؟).

لينتهي الباحث بعد ذلك كله وبعد ما قدمه من أدلة علمية إلى أن نشوء هضبة النجف خارجة عن قوانين المعرفة الجيولوجية التي يمتلكها الإنسان إلى نتيجة مفادها: أن هضبة النجف كانت مرساة سفينة نوح عليه السلام ولا يمكن أن يكون سواها؛ لانبساط مناطق السهل الرسوبي الشاسعة التي تبرز فيها جزيرة شاخصة عندما يُغرق الطوفان مناطق ذلك السهل الرسوبي الشاسعة وما حولها من مناطق، وهنا نضيف إلى ذلك ملاحظة مهمة حول ملائمة هضبة النجف كمرساة تلجأ إليها سفينة تخوض غمار الطوفان بأمواجه المتلاطمة من اضطراب جريان المياه الذي يكون أشده في مسار التالوك لنهري دجلة والفرات، وأن الطاقة العالية لتلك الأمواج تتلاشى في الاتجاهات البعيدة عن مجرى النهرين وحوضهما سيما وأن موقع هضبة النجف يبعد حوالي (١٠٠ كم) مائة كيلو متر عن مجرى نهر الفرات في زمن الطوفان مما يؤمن رسوها فوقها^(١).

ولزيادة التفاصيل عن رأي الخبير الجيولوجي الشهيد، فقد أثبت نص بحثه المهم في (الملحق الأول) من هذا الكتاب.

إن النتيجة التي انتهى إليها الباحث الشهيد د. موسى العطية بأن أرض النجف هي مرسى سفينة النبي نوح عليه السلام قد ذهب إليها غير واحد من الباحثين سواء أكانوا غير عراقيين كما تقدم أم عراقيين قدماء ومحدثين: فمن القدماء غير واحد منهم

(١) المصدر السابق: ٧٧.

كالشيخ فخر الدين الطريحي حيث انتهى بعد سرده للآراء المختلفة في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾^(١) قال: "وفي الحديث (هو فرات الكوفة) وهو الأصح"^(٢)، وسماحة السيد سامي البدري ابتداء من عنوان بحثه: "النجف مرسى سفينة نوح عليه السلام"^(٣) وانتهاء باستدلاله بالوثائق العربية وفي مقدمتها القرآن الكريم وأحاديث المعصومين عليه السلام، والوثائق المسماة باللغتين السومرية والأكدية، والوثائق العبرية والآرامية واللاتينية، و د. محسن عبد الصاحب المظفر بقوله: "أما الطوفان الذي تحدث عنه التاريخ كان حادثاً لا شك في حدوثه في الفرات الأوسط وقد أدى إلى غرق السهل برمته وبقيت حافة الإنقاذ (إيطيرتو) أو حافة النجف"، وأضاف في موضع آخر من كتابه قوله: "إن الجودي جبل في النجف أو (أرض مرتفعة) استوت عندها السفينة، ولذلك... أصبح الحدث معلماً لهذه البقعة المشرفة"^(٤). يقصد بذلك أن البقعة كلها سميت بـ(الجودي) هي تسمية لكل باسم الجزء. وغيرهم^(٥).

وقد سبقت الباحثين في ذلك العديد من الروايات الواردة عن أهل البيت عليه السلام في توضيح معنى الجودي خلال تفسير الآية الكريمة المتقدمة قول

(١) سورة هود: من الآية ٤٤.

(٢) مجمع البحرين. فخر الدين الطريحي: ١ / ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) المصدر السابق: ٩-٧٣.

(٤) مدينة النجف عبقرية المعاني وقديسية المكان. سابق: ٢٣-٢٤ و ١٥٢ على التوالي.

(٥) ينظر: طوفان النبي نوح والتغيرات البيئية اللاحقة في وادي الرافدين بالأدلة الباليولوجية. د. ثامر خزعل العامري. مجلة تراث النجف. العدد ٢ لسنة ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣. ص: ٣٢. والعوامل الجيولوجية وراء تحول مجرى نهر الفرات. د. عبد الزهرة موسى العباسي. بحث. المصدر نفسه: ٤٧. والعوامل الجغرافية التي ترشح هضبة النجف الأشرف مرسة لسفينة نبي الله نوح عليه السلام. د. عايد جاسم الزاملي. بحث. المصدر نفسه: ٥١. وغيرها.

الإمام الصادق عليه السلام: "قل هو جبل صغير كان في نجف أمير المؤمنين عليه السلام" (١). كما وردت روايات أخرى تفصح عن دفن النبيين آدم ونوح عليه السلام والنبيين هود وصالح عليه السلام في النجف الأشرف كالزيارة المروية عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين يوم زار قبر جدّه الإمام علي عليه السلام في النجف فقال: «السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح عليه السلام وعلى جاريك هود وصالح»، والحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام بنصّه التالي: «إذا زرت جانب النجف فزُرْ عظام آدم وبدن نوح عليه السلام وجسد علي بن أبي طالب» (٢) كما تقدّم.

وقد تقدّم أنّ ابن بطوطة حين ورد إلى النجف سنة (٧٢٥هـ / ١٣٢٥م)، وكتب في رحلته الشهيرة عن المرقد المطهر وما فيه من فرش ومعلقات، قال: (وفي وسط القبّة مصطبة مربّعة مكسوّة بالخشب، عليها صفائح الذهب المنقوشة المحكّمة العمل، مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب لا يظهر منه شيء، وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون أنّ أحدها قبر آدم عليه السلام والثاني قبر نوح، والثالث قبر علي عليه السلام).

وقد كان قبر النبيين آدم ونوح عليه السلام باقياً في سنة (٩٦١هـ / ١٥٥٤م)، فقد ذكر الرحّالة (سيدي علي التركي) في كتابه (مرآة الممالك) أنّه حين زار النجف سنة (٩٦١هـ / ١٥٥٤م) زار الإمام عليّاً عليه السلام فيها كما زار فيها أيضاً قبري النبيين آدم ونوح عليه السلام.



(١) النجف مرسى سفينة نوح. سابق: ١٤.

(٢) مفاتيح الجنان. الشيخ عباس القمي: ٣٦٠.

السادس

الطبيعة الخلابة لأرض النجف قديماً

كانت العرب تسمي أرض النجف قديماً بـ(خدّ العذراء) كما تقدّم، حيث تنبت أرضه المعشبة من أزهار الطيب أشداها وأحلاها كالخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والزعفران وشقائق النعمان وغيرها.

ولشقائق النعمان وتربة النجف علاقة حميمة، فقد روي عن ابن الجوزي قوله في كتابه الأذكياء: "مرّ النعمان يوماً بالشقائق فأعجبته فقال: من نزع من هذا شيئاً فانزعوا كتفه، قال: فسميت شقائق النعمان"^(١).

لذلك وغيره فقد غدت النجف وأرضها متنزّهاً للساسانيين والمناذرة قبل الإسلام، والعبّاسيين ومن تبعهم بعده، فمّا كان قبل الإسلام ما أورده الطبري من أنّ النعمان بن المنذر ذكر أنّه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار، ممّا يلي المغرب، وعلى الفرات ممّا يلي المشرق، وهو على متن النجف في يوم من أيّام الربيع فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار^(٢).

وذكر صاحب كتاب المناقب المزدنيان كسرى أقطع النعمان عدّة قطائع بينها (طباق السلام) وأنها معروفة بأرض النجف في غرب بلاد تستر، فكان خراج ذلك للنعمان في كلّ سنة مائة ألف درهم.

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٤. هامش ١ نقلاً عن المصدر المذكور.

(٢) موسوعة العتبات المقدّسة ٦. جعفر الخليلي. قسم النجف: ١ / ١٣٥.

ومّا كان بعد الإسلام وبالأخصّ زمن تقدّم الحضارة وشیوع الترف عند الحکّام والأمرء والأغنياء فقد بهرت طبيعة أرض النجف ألباب بعض من خلفاء بني العباس في تلك الآونة ومن أقدمهم السفاح والمنصور وهارون الرشيد، فبنوا القصور المشرفة عليها كقصر أبي الخصب والقصر الأبيض وغيرها ليتنزّها بها أيام الربيع^(١).

وقد تغنّى العديد من الشعراء القدماء - وبالأخصّ قبل تشرف بقعتها باحتضان مرقد الإمام علي عليه السلام - بجمال أرض النجف، كما تغنّى العديد من الشعراء - بعد تشرف البقعة باحتضان مرقد الطاهر - بقدسيّتها وروحانيّتها، وفضلها وعلمها، والحنين إليها والتعلّق بها، وأشابه ذلك.

فمن الشعراء القدماء مثلاً: الشاعر المغني إسحاق بن إبراهيم الموصلی (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) الذي أنشد الخليفة العبّاسي الواثق خلال زيارته للنجف الأشرف قصيدته التي مطلعها:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف
نُحَيّ داراً السعدى ثم ننصرف

وقال في البيت الخامس منها:

ما إن أرى الناس في سهل ولا جبل
أصفى هواء ولا أغذى من النجف

(١) انظر مثلاً: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٤ وما بعدها، والنجف والحيرة. د. مصطفى جواد: ٥٨ وما بعدها، والجواهري شاعر من القرن العشرين. د. جليل العطية: ١٤ وما بعدها.

كأنَّ تربته مسك يفوح به
 أو عنبر دافه العطار في صدف
 قد حفَّ برّاً وبحراً فهو بينهم
 فالبرّ في طرف والبحر في طرف
 وبين ذاك بساتين يسبح بها
 نهر يجيش مجاري سيله القصف
 وما يزال نسيم من أيامنه
 يأتيك منها برّياً روضة أنف
 يلقاك منه قبيل الصبح رائحة
 تشفي السقيم إذا أشفى على التلف
 لو حلّه مدنف يرجو الشفاء به
 إذا شفاه من الأسقام والدنف
 ومنهم أيضاً: الشاعر محمد بن عبد الرحمن الثرواني (أبو نؤاس الكوفة)
 الذي يقول بدارة مريم من أرض النجف:

وظل فنائها فقِفِ	بدارة مريم الكبرى
الموفي على النجفِ	بقصر أبي الخصيب المشرف
والسدير ملاعب السلف	فأكناف الخورنق
والحمام فوقه الهتف	إلى النخل المكمّم

ومنهم كذلك من قدماء الشعراء على سبيل المثال لا الحصر: الفرزدق، والكميت، والعبدى، والبحترى، وابن حمّاد، والمتنبّي، والصاحب بن عباد، والشريف الرضي، وأبو إسحاق الصابي، والحسين بن الحجّاج، ودعبل الخزاعي، ومان الموسوس، وابن أبي الحديد، وعلي بن عيسى، وكثير غيرهم.

أمّا من ذكر أرض النجف من الشعراء المعاصرين فأكثر عدداً، ولو استعرضت من ذكرها منهم في القرن الماضي فقط لما وفيت، فكيف إذا توسّعت؟!

بيد أنّي سأستعرض بعضاً ممّن ذكر أرض النجف وهو من شعراء النجف في القرن المنصرم فقط من أمثال الشعراء:

السيد محمد سعيد الحبّوبي، والسيد جعفر الحلّي، والسيد إبراهيم الطباطبائي، والشيخ جعفر النقدي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد السماوي، والسيد باقر الهندي، والسيد رضا الهندي، والشيخ أغا رضا الأصفهاني، والشيخ عبد الحسين الحياوي، والشيخ عبد الحسين الحلّي، والشيخ جواد الشبيبي، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ باقر الشبيبي، والشيخ عبد المهدي مطر، والشيخ علي الشرقي، والدكتور عبد الرزاق محي الدين، والشيخ محمد الخليلي، والسيد محمود الحبّوبي، والشيخ محمد تقي الجواهري، والدكتور السيد مصطفى جمال الدين، والدكتور الشيخ أحمد الوائلي، والشيخ محمد جواد السهلاني، والسيد جواد شبر، والشيخ عبد الغفار الأنصاري، والشيخ محمد علي يعقوبي، والشيخ عبد الغني الخصري، والشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والسيد محمد بحر العلوم، والشيخ محمد حيدر، والأستاذ جميل حيدر، والأستاذ حميد فرج الله، والسيد صالح بحر العلوم، والسيد حسين بحر العلوم،

والدكتور صالح الظالمي، والأستاذ محمد جواد الغبان، والشيخ محمد حسن آل ياسين، الأستاذ عبد الغني الخليلي، والدكتور عبد الصاحب الموسوي، والدكتور الشيخ محمد حسين الصغير، والشيخ أحمد الدجيلي، والأستاذ صادق القاموسي، والدكتور حازم الحلّي، والدكتور زهير غازي زاهد، والدكتور مسلم الجابري، والدكتور محمود البستاني، والسيد هاشم الهاشمي، والسيد عامر الحلو، والشيخ إبراهيم النصيراي، والسيد هاشم الطالقاني، والدكتور مجيد ناجي، والأستاذ مدين الموسوي، والشيخ عبد الله الخاقاني، والشيخ محمد رضا آل صادق، والدكتور محمد حسين الطريحي، والأستاذ عدنان الصائغ، والسيد مهدي جمال الدين، وكاتب هذه السطور، وغيرهم ممن يصعب إحصاؤهم وتعداد أسمائهم في هذا البحث.



السابع

بحر النجف الأشرف

من معالم النجف الأخرى (بحر النجف) ويقع عند حافة الهضبة الصحراوية في الجنوب الغربي من المدينة حيث تطل مدينة النجف الأشرف اليوم على مزارع شاسعة يشقّها جدول عذب الماء صغير يوصل عذب مائه إليها من نهر رائق يجري في مدينة أبي صخير المجاورة.

وتصل بحر النجف مياه الجداول والأنهار من الفرات، وتصبّ فيه مياه الفيضانات؛ لانخفاض أرضه.

ومن المعروف أنّ الآراميين قديماً أسموا بحر النجف باسم (فرثا) ومعناها: البثق، وأسماء اليهود (حاشير) ومعناه: مجموع المياه، وهذا اللفظ و(الحشر) بالعربية بمعنى: (الجمع) من أصل واحد^(١).

وقد أشار إلى بحر النجف الجغرافي والمؤرّخ المعروف أبو الحسن المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) في كتابه (مروج الذهب) بقوله: "وكان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالنجف، وكانت تقدم هناك سفن الهند والصين ترد إلى ملوك الحيرة"^(٢).

كما كان تجار البندقية وجنوة - في القرن السادس عشر الميلادي - يسلكون باستمرار الطريق الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالسواحل الإيرانية، وكانوا

(١) مجلة لغة العرب. العدد ٤ من السنة الثالثة: ٣٦.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر. المسعودي: ١٠٣/١.

في طريقهم ينزلون خانات بغداد أو بابل ويشاهدون النجف أو يتلبّثون أيّام مرورهم^(١).

قال أبو المظفر سبط بن الجوزي: "وكان البحر المعروف بالنجف في ذلك الوقت جارياً، وكان مرسى السفن من الهند والصين إلى ذلك المقام يحمل فيه الأمتعة إلى ملوك الحيرة لَمّا كانت الحيرة عامرة، ولَمّا استحال الماء وانقطع عن مصبّه في النجف صار ذلك البحر برّاً، وصار بينه وبين الحيرة مسافة".

وقال أبو عبد الله الحميري: "وكان البحر فيما سلف في الموضع المعروف بالنجف، وهو الحيرة، وكانت ترفأ هناك سفن الهند والصين ترد على ملوك الحيرة، فصار بين الحيرة وبين البحر الآن مسيرة أيّام كثيرة".

ويظهر أن الخندق الكبير الذي بناه الملك الساساني سابور ذو الأكتاف في برّية الكوفة كان أحد حلقات الوصل بين بحر فارس وبحر النجف في أحد أدواره^(٢).

وقد نقل إلينا ابن الديبسي عن عبد الجبار بن معيّة العلوي أنّه خرج قوم من أهل الكوفة يطلبون (الأحجار الغرويّة) يجمعونها لأيّام الزيارات والمعيشة بها -وبالكوفة من يعمل ذلك إلى اليوم- وأبعدوا في الطلب إلى النجف، وساروا فيه حتّى خافوا التيه، فوجدوا ساجة كأثّها سكّان مركب عتيقة، وإذا عليها كتابة، فجاؤوا بها إلى الكوفة، فقرأناها فإذا عليها مكتوب: سبّحان مجري القوارب، وخالق الكواكب، المبتلي بالشدة امتحاناً، والمجازي بالإحسان إحساناً، ركبت في

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق. ١ / ٣١٩ في مبحث الملاحة إلى جهات العراق والهند والصين نقلاً عن

تاريخ نصارى العراق: ١٢٤.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٣٢١-٣٢٢.

البحر في طلب الغنى ففاتني الغنى وكسر مركبي، فأفلتُ على هذه الساجدة، وقاسيت أهوال البحر وأمواجه ومكثت عليها سبعة أيام، ثم ضعفت عن مسكها، فكتبت قصتي بمدية كانت معي في خريطتي، فرحم الله عبداً وقعت هذه إليه فبكى لي، وامتنع عن مثل حالي.

يقول الدكتور كاظم الجنابي^(١): وتدلّ الآثار والأبنية المنتشرة على الضفة الشرقية لبحر النجف - وكان قد عمل ضمن بعثة استكشافية للمنطقة - أنّها كانت مسكونة في الفترة الواقعة من العصر الساساني المتأخّر إلى القرن الثالث الهجري تقريباً، كما أثبتت حفائر منطقة الخورنق وتلّ أمّ عريف، ومما يسترعي النظر أنّنا عثرنا على جملة سلالم مشيدة بالآجر الأحمر قياساً: (٢٤ × ٢٤ × ٨ سم) كانت تنزل من أعلى الضفة الشرقية إلى ساحل بحر النجف، وكان من الشائع أن تبنى هذه السلالم إمّا كمتنزّهات ملحقة بقصور الحيرة، وإمّا كأرصفت للتجارة البحرية.

ويدعم الاحتمال الثاني أنّ تجارة الحيرة أيام ازدهارها قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً ببحر النجف، فقد كان أحد المسالك الرئيسة لنقل تجارتها، سواء أكان نقلاً داخلياً أم نقلاً خارجياً عبر الخليج العربي ومن ثمّ إلى العديد من البلدان، فعن طريق بحر النجف ونهر الفرات والخليج العربي ينقل سكّان الحيرة التمور والمواشي والمحاصيل، كما أنّه عبر هذا الطريق المائي تصلهم الواردات من الشام وبلاد الرومان واليونان ومن الهند والصين وشرق أفريقيا، ومن المعادن والحريز والقرنفل والصمغ والمرجان وغيرها^(٢).

(١) تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية. د. كاظم الجنابي: ٣٣.

(٢) محافظة النجف الأشرف التشكيل الإداري وتحليل الموقع المكاني. سابق: ٢٢ نقلاً عن: الحيرة المدينة والمملكة

العربية. يوسف رزق الله غنيمه: ٩١.

ويدعمه أيضاً: ما ورد في (معجم البلدان)^(١) وغيره مما تقدّم من أنّ في أرض النجف كان هناك ما يسمّى بالقائم، وهو بناء في غاية الارتفاع كالعلم لهداية السفن القادمة.

وحين زالت دولة الحيرة استمرّ دور بحر النجف في ربط هذه المنطقة في العصور اللاحقة.

وللباحث الشهيد الدكتور موسى جعفر العطية^(٢) البحث المعنون بـ(أرض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي والثروات الطبيعية) الصادر في تشرين الثاني من سنة (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

وهو من أواخر من كتبوا دراسة بحثية متخصصة عن أرض النجف من زاوية تراثها الجيولوجي حتّى الآن، قدر فيه عمر بحر النجف أخذاً بنظر الاعتبار تاريخ بعض الصفحات المعروفة للطورين الثاني والثالث لمجرى نهر الفرات، وهو تاريخ الاستيطان الحضاري في وادي الرافدين الذي يعود إلى عشرة آلاف سنة، حيث اتخذ مواقع على ضفاف نهر الفرات في طوره الثاني، ويضاف إلى ذلك فترة عشرة آلاف سنة أخرى، وهو تقدير معقول للحد الأدنى للفترة اللازمة لشق مجرى النهر وبناء ضفافه (مصاطبه) في طوره الثاني، وبذلك يكون تقدير الحد الأقصى لعمر بحر النجف هو (١٨٠ ألف سنة)، وأنّ تحديده بدقة معقولة يتطلّب مواصلة البحث باتجاهات متعدّدة منها: تحديد بداية النشاط البنيوي الحديث الذي أثر على المنطقة، وكذلك إجراء دراسات معمّقة لرسوبيّات منخفض بحر النجف وتشخيص الرسوبيّات البحريّة وفرزها من الرسوبيّات النهريّة أو استخدام تقنية النظائر

(١) ياقوت الحموي: ٢ / ٥٠٧.

(٢) أرض النجف: ٥٩-٦٠.

المشعة (C - ١٤) لتحديد عمر تلك الرسوبيات.

وفي (١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) زار النجف الرحالة الإنكليزي (لوفتس) وقد كان عضواً من أعضاء لجنة الحدود التي تجوّلت في منطقة الحدود العراقية الإيرانية في سنة (١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م) وقد جاء إلى النجف الأشرف في صيف (١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م) ووقف على بحر النجف فقال عنه: إنه يمتدّ نحو الجنوب الشرقي إلى مسافة أربعين ميلاً، وينشأ من نهايته السفلى نهران يقال لهما: شطّ الخفيف (Khuff) وشطّ العطشان.

وحينما يطغى الفرات طغيانه السنوي المألوف يفيض إلى بحر النجف فتصبح المسافة الممتدة بينه وبين السماوة كلّها قطعة واحدة من المياه، يطلق عليها (خور الله). أما ماء هذا البحر فيكون عذباً صالحاً للشرب حينما تصبّ فيه مياه الفرات، ويصبح ملحاً أجاباً حينما تنقطع عنه، وعند ذلك يضطر الأهالي إلى جلب الماء من الكوفة^(١).

ووصف الزائر الحاج سلطان عبد الحميد ميرزا سيف الدولة - حفيد فتح علي شاه القاجاري - خلال زيارته للنجف الأشرف سنة (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م) سعة بحر النجف الأشرف بقوله: "محيط هذه البحيرة حوالي الخمسة عشر ساعة"^(٢).

أمّا الرحالة (بارلو) الإيطالي الذي زار العراق سنة (١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) فقد حدّد مساحة بحيرة النجف المسماة ببحر النجف بطول ٦٠ ميلاً وعرض ٣٠ ميلاً، وكان خير طريق للمواصلات بين النجف وسائر جهات العراق، بل حتّى بين

(١) النجف في المراجع الغربية. سابق: ١١ و ٤٤ على التوالي.

(٢) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. سابق: ١٠٦.

النجف وخارج العراق وأن أكثر الزائرين الذين يقدمون من الهند لزيارة الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف كانوا يسلكون طريق الفرات، وأن سفناً كبيرة ذات حمولة تبلغ خمسين طناً تمرّ من هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف^(١).

كما قامت شركة الاستكشافات النفطية العراقية بدراسة بواسطة الأقمار الصناعية لمناطق النجف، كربلاء والرمادي، تبين منها أن مجرى بحر النجف يشكّل لساناً غامق اللون يمتدّ باتجاه شمال الغرب نحو طار السيد ولمسافة بحدود (٢٥ كم)، وهذا اللسان بدوره يشكّل امتداداً طبيعياً للسهل الرسوبي المتكوّن من مترسبات نهري دجلة والفرات، ويمكن الاستنتاج بأنّ الفرات في العصور السحيقة كان يجري باتجاه هيت، فمنخفض الرزازة، فطار السيد، فبحر النجف فجنوب النجف.

ولاحظ عالم الآثار الأمريكي المعروف (Gibson) في دراسة علمية له نشرها سنة (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) أن هناك نهراً عباسياً كان يسمّى (نهر سعيد) يأخذ مياهه من الجهة الغربية لنهر الفرات الحالي عند مدينة هيت، والظاهر أن هذا النهر كان من بقايا مشروع إروائي يرجع إلى القرن الرابع الميلادي يسمّى: (خندق سابور)، وقد أعيد حفره في زمن العباسيين حيث كان يجهّز الماء إلى خطّ الحصون في الصحراء الرملية (مناطق غرب الفرات الحالية) ومزارع النجف الحالية قبل أن يفرغ مياهه في الخليج قرب البصرة.

وأوضحت صور التقطتها (شركة الاستكشافات النفطية العراقية) بالأقمار الصناعية وجود مجارٍ واسعة ومطمورة في المنطقة الواقعة في جنوب السماوة الحالية

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٤-٥.

حتى جنوب الناصرية، وأن هذه المجاري قد تكون قديمة حيث يمكن أن تربط مع مجاري الفرات القديم بين هيت والنجف لتكوين مجرى كامل ولكنه تقريبي جداً، يبدأ من هيت وينتهي جنوباً قرب غرب الناصرية.

يعتقد الباحث (الساكني) أن جفاف مجرى الفرات القديم وتحوله يرتبط بجفاف مجرى (هيت - النجف) وهذا يشمل مأخذ النهر قبل جفافه، وأن جفاف مجرى هيت وتحوله أدى إلى جفاف المجرى جميعه وتحوله إلى مجرى جديد آخر، وبذلك يكون الفرات قد دخل في طور جديد سُمي بالطور الثاني. لكننا لا نعرف الحقبة الزمنية التي مرت على بقاء نهر الفرات (في مجرى الكرمة)؛ لكوننا لا نعرف الحقبة التي بدأ يتحول فيها الفرات من مجراه القديم إلى مجرى الفرات الحالي^(١).

ونظراً لجمال الإطلالة على بحر النجف الأشرف، فقد اعتاد العلماء والأدباء على ارتياد بحر النجف الأشرف والتمتع بمنظره الجذاب، ما يستدعي تفتح القرائح العلمية والأدبية، وقد أثبت لنا المؤرخون شواهد على ذلك منها أن المرجع الأعلى في وقته السيد محمد مهدي بحر العلوم رحمته الله كان يأخذ تلاميذه إلى ساحات رحبة خارج سور النجف، ويجلسهم في رياض مبهجة تطل على بحر النجف، وهو لم يجف بعد، ويتمشى بهم وسط البساتين فيجلسهم هناك، ويقوم بدور المدرّس الذي يحاول أن يوصل الخواطر العالية لتلميذه بعد التأكد من استعداده الذهني لقبولها^(٢).

(١) المقتطف من التاريخ الحضاري والفكري والروحي لمدينة النجف الأشرف. د. جليل العطية: ١-٢.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٨٠.

وكان للمجتهد المجاهد الشاعر السيّد محمد سعيد الحبوبيّ رحمته الله - كما يقول المجتهد الشيخ محمد حرز الدين^(١) - جلسة معروفة بأهل العلم والفضل تضمّنا إلى شطر بعيد من الليل في سطح (قبة اليماني) بمقبرة الصفا في النجف الأشرف، وهذا المكان مشرف على بحر النجف قبل كمال جفافه، وله منظر بديع في الليالي البيض، إضافة إلى طيب هوائه وهدوء جوّه، وكانت تحرّره فيه المسائل العلميّة والأدبيّة والمعاني الشعريّة، وممن يحضر معنا في هذه الجلسة: العالم الأديب الشيخ موسى بن محمد أمين شرارة العاملي، والأخ المقدّس السيّد مهدي بن السيّد صالح الحكيم النجفي، وجماعة من فضلاء العاملين.



(١) معارف الرجال. الشيخ محمد حرز الدين: ٢ / ٢٩١.

الثامن

طارات النجف الأشرف

تشكّل الطارات إحدى الظواهر الطبيعية لمدينة النجف الأشرف وتقع في الأطراف الغربية والجنوبية للمدينة، حيث ينقطع امتداد الهضبة فجأة مشكلة جرفاً صخرياً حاداً تسمّى به (النواويس) ولعلّها هي التي أشار إليها سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى أرض العراق محدداً مكان مصرعه عليه السلام يوم قال: "وكأنّي بأوصالي هذه تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء".

ويمكن للمشاهد أن يلاحظ وجود طارين يحيطان بالنجف الأشرف يبدأ أولهما المسمّى به (طار النجف) من منطقة الحيرة جنوب النجف ويتّجه غرباً ويبلغ طوله حدود (٦٥ كم) وترتفع أعلى نقطة ارتفاع فيه بحدود (١٧٦ م)، ويحيط ثانيهما المسمّى به (طار السيّد) بالمدينة المقدّسة من جهتها الغربية ويبلغ طوله حوالي (٦٠ كم) وترتفع أعلى نقطة فيه بحدود (١٣٢ م)، ويلتقي الطاران في منطقة (وادي اللسان) ويذهب بعض النجفيين إلى أن الطارات كانت تستخدم كمداخن لسكان الحيرة القدماء.

وقد تهيأت لي فرصة الوقوف وقفة متأنية عند هذه الطارات ذات الكهوف الطويلة وتصوير بعضها أثناء كتابتي مع بعض الإخوة الفضلاء وبعض الأكاديميين دليلاً لمحافظة كربلاء في سنوات خلت فيهرني ما شاهدته.



التاسع

أهوار النجف الأشرف ووديانها

في محافظة النجف الأشرف مجموعة أهوار مختلفة أهمها: (هور أبو نجم) و(هور الجبسة) و(هور الصليبات)، وقد نشأت هذه الأهوار في مواقع منخفضة مغلقة التضاريس بسبب عوامل الحركات البنيوية الحديثة، وقد اعتبر بعض الجيولوجيين أن مواقع تلك الأهوار مؤشرات ميدانية على أنشطة تلك الحركات، وربما تعدّ هذه الأهوار الحديثة التكوين تطوراً لشيخوخة بحر النجف^(١).

وتوجد في محافظة النجف أيضاً عدد من الوديان تقدّر مساحتها بمئات الكيلومترات من أمثال: (وادي الخرّ) و(وادي الرهيمائي) و(وادي المالح) و(وادي مشرق) و(وادي شعيب) و(وادي حسب) وغيرها.

أما (وادي الخرّ)، وهو أكبرها مساحة، فيبلغ طوله (٧٠ كيلو متراً)، ومساحة حوضه (١٣٩٩ كيلو متراً مربعاً)، ويقع إلى الشمال من منخفض النجف، وفي تقرير المجلس الزراعي الأعلى في الجمهورية العراقية أن (وادي الخرّ) يعتبر هو الحد الفاصل بين الباديتين الشمالية والجنوبية في الصحراء الغربية، حيث يتدّى من الأراضي السعودية ويتجه نحو الشمال الشرقي، وينتهي شمال شرق مدينة النجف، وينتهي في منخفض بحر النجف).

في حين أن (وادي الرهيمائي) يبلغ طوله (٧٢ كيلو متراً)، أما مساحة حوضه

(١) ينظر: المقتطف من التاريخ الحضاري والفكري والروحي لمدينة النجف الأشرف. سابق: ١-٢.

فتبلغ (٧٦٧ كيلو متراً مربعاً). أما ثالثها من حيث المساحة فهو (وادي المالح) الذي يبلغ طوله (٧٦ كيلو متراً) ومساحة حوضه حوالي (٦١٤ كيلو متراً مربعاً). أما (وادي شعيب) فيبدأ حوض واديه من الحدود العراقية السعودية قرب منطقة المعاينة ويتجه نحو الشمال الشرقي قاطعاً طريق النجف - الشبكة حيث ينتهي في بحر النجف، كما أن (وادي حسب) يبدأ أيضاً من الهضبة الغربية قرب الأراضي السعودية، وهو الأقرب لمدينة النجف حيث تتوزع حوله معامل غربلة الحصى الخابط التي تجهز محافظات الوسط والجنوب بهذه المادة والتي يجلبها الوادي من الهضبة الغربية^(١).



(١) ينظر: عطش النجف. تحسين عمارة: ١ / ١٣٣ - ١٣٥.

العاشر

مياه النجف

عانت مدينة النجف الأشرف طويلاً من شحة الماء الصالح للشرب؛ لارتفاع أرضها وبعدها عما جاورها "ولا يخفى أن أرض النجف جبلية وتبعد عن الفرات الحالي في الكوفة مسافة عشرة كيلومترات، وترتفع عن سطح الماء في الكوفة إلى معدل (٤٣ متراً) تقريباً داخل المدينة.. ولهذا فقد كان سكان مدينة النجف يسدون معظم احتياجاتهم للماء من الآبار وإن كان غير صالح للشرب، ولكن الضرورة قصت بحفر بئر في كل دار مهما كلف الأمر، وكان الممولون -على ما يقال- يجلبون الماء للشرب من الكفل، غير أن سلاطين الإسلام وكبار المسلمين بذلوا جهوداً جبارة لتقريب ماء الفرات إلى النجف بشتى الوسائل من وقت لآخر، ومن ذلك قنوات الصفويين وغيرهم الممتدة بسلسلة من الآبار تحت الأرض إلى قلب المدينة وأطرافها، مراراً عديدة وبظروف مختلفة.. فكان السكان يفتحون مجارياً لآبار بيوتهم ويلطفون ماءها المالح من المياه التي تجري آنذاك في القنوات المذكورة"^(١)، غير أن يد الإهمال والتخريب وعدم وجود صيانة دائمة لها أدت إلى خرابها واندارسها.

ولذلك فقد جرت محاولات ومساعٍ عديدة سابقة لإيصال الماء الصالح للشرب إلى النجف مجدداً، فباعت جميعها بالفشل في استدامة إمداد الماء الصالح للشرب إليها. غير أن جهوداً بذلها الوزير محمد شاه يحيى خان آصف الدولة

(١) آبار النجف ومجارياها. تقرير رفعه معالي الحاج عبد المحسن شلاش الى اللجنة المعنية بآبار النجف في ١٤

أيلول ١٩٤٦م، الموافق ٨ شوال ١٣٦٥ هجرية. مجلة آفاق نجفية. العدد ١٩ لسنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

النيشابوري الساكن في الهند خلال زيارته للنجف بناء على طلب العلماء والأهالي منه حل هذا المشكل المستدام وتوفير الماء الصالح للشرب بعد معاناتهم من شرب مياه البحر والآبار المالحة، فجمع القبائل العربية والمهندسين باذلاً أموالاً طائلة وشق جدولاً من الفرات - المسيب إلى النجف - اشتهر بنهر الهندية أو آخر سنة (١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م) ثم صار هذا الجدول نهراً كبيراً بطبيعة مجرى النهر حتى أصبح الفرات الرئيسي وفيه مجرى السفن من المسيب إلى الكوفة ثم إلى البصرة والخليج، ولما وصل هذا النهر أرضاً مرتفعة وهو في طريقه إلى النجف شقوا في وسطه نهراً عميقاً جداً، غير أن النجف لم تنعم بمائه طويلاً، فبعد سنين امتلأ النهر طيناً ورملاً فتوقف عن الجريان، فنهض بالأمر المرجع الأعلى الشيخ محمد حسن الجواهري. يقول المؤرخ الشيخ جعفر محبوبه "لما رأى العلامة الشهير الشيخ صاحب الجواهر اشتداد الأمر على النجف وتحقق عدم صلاحية الاستقاء من ماء البحر المرّ، جمع المهندسين وبذل الأموال الطائلة فحفر نهراً من نهر آصف زادة (نهر الهندية) - المتقدم ذكره - وأوصله إلى النجف قاطعاً تلك الرمال المتحجرة والآكام الكثيرة، ولما أجري الماء فيه توقف في محل يقال له الطويل؛ لارتفاع الأرض منه إلى النجف فأمر الشيخ بحفره بعمق بعيد القعر... يبعد عن سور النجف بضع خطوات.. ولكن شاء الله.. أن لا تشرب النجف الماء الذي تشربه سائر البلدان العراقية"^(١)، إذ توفي المرجع الأعلى الشيخ الجواهري سنة (١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م) فتعطل العمل بالمشروع.

بيد أن حفر النهر ومحاولات إيصال الماء الصالح للشرب إلى مدينة النجف الأشرف لم تنتهِ بوفاة المرجع الجواهري، فقد كرر المسعى السيد أسد الله

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١٩٧/١ - ١٩٨.

الأصفهاني (ت ١٢٩٠ / ١٨٧٣ م)، فحين زار النجف الأشرف "ورأى ما يقاسيه أهلها من الظمأ لا سيما أهل العلم والفقراء، عزم على تميم مشروع العلامة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، ولما عاد إلى أصفهان أرسل المهندسين مع الأموال فحفر في وسط نهر الشيخ لأجل الانخفاض وقد شرع بهذا العمل في (١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م)^(١)، أراد به إيصال ماء الفرات إلى النجف، حتى وصل على بعد ثلثي فرسخ من النجف ووقف الماء لارتفاع أرض النجف، وفي سنة (١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م) زار السلطان ناصر الدين شاه العتبات المقدسة في العراق ووقف على كرى السيد الأصفهاني فلم يظن فيه نجاحاً؛ لارتفاع الأرض وأعلم السيد عند وصوله إلى إيران بعدم النجاح، فعند إذن عدل السيد عن حفر نهر في الأرض المرتفعة إلى حفر قنوات جوفية مع الإسراع في العمل، وزيادة العمال، والأموال، فأسرع جري الماء إلى النجف، واستمر عمل السيد الأصفهاني ست سنين حتى وصل الماء إلى النجف سنة (١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م)، وصار ليوم وصول الماء إلى النجف مشهد عظيم، وحملوا إلى السيد أسد الله قارورتين من الماء للبشارة، قيل واعترضه البشير في الطريق وهو قاصد لزيارة العتبات المقدسة سنة (١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م) فاخرمه الأجل في الطريق في (كرند) وحمل جثمانه الطاهر إلى النجف.. ودفن في مقبرته المعروفة في حجرة من حجر الصحن العلوي الشريف^(٢).

ثم أهملت الحكومة أمر إدامة إصلاح "هذه القناة التي تسقي النجف مدة تناهز العشرين سنة، ولم تهتم في تنظيفها وترميم المتهدم منها.. فبقيت تعالج نفسها بنفسها حتى صادف العام الذي انصب فيه البرد العظيم سنة (١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م)

(١) طبقات علماء الشيعة الكرام البررة. الشيخ آغا بزرك الطهراني: ١٠ / ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) ينظر: معارف الرجال. سابق ١ / ٩٥ - ٩٨.

الذي أهلك الحرث والنسل فأوسعها هدماً وردماً... عادت النجف إلى حالتها الأولى تقاسي الظماً..

وفي زمن العلامة الحاج ميرزا حسين الخليلي أصلحت القناة هذه وبني المتهدم منها وجعل لها مجرى من الفرات، ابتدئ بالعمل سنة (١٣١٩هـ / ١٩٠١م) وفرغ منه سنة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م)، ولكن لانقطاع مجراه من النهر الكبير نهر الهندية ووفور ماء الآبار المرّة؛ تغير طعمه فلا يطفي الغلّة^(١).

ويعدد لنا صاحب (تاريخ النجف) محاولات إيصال ماء الشرب إلى النجف الأشرف، وهي:

"(أولها قناة آل زرارة بن أعين)، ثم تخرب فأصلحوه آل بويه، وهو ماء الآبار في وسط دور البلد.

ثم الدولة الإليخانية، وهو (نهر التاجية).

ثم نهر الشاه طهماسب وهو (الطهماسية).

ثم نهر الشاه عباس وهو نهر (المكرية)، ويقال له (شط الشاه).

ثم نهر أمين الدولة والقناة الذي في كري سعدى.

ثم نهر آصف الدولة، وهو الهندية وقناة الفرع.

ثم كري الشيخ محمد حسن - صاحب الجواهر.

ثم قناة السيد أسد الله - رحمته الله - في وسط كري الشيخ المذكور.

ثم سنية عبد الغني بأمر الوالي.

ثم الحيدرية بأمر الدولة العلية، والآن يعملون في القناة"^(٢).

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٢٠٠.

(٢) تاريخ النجف المعروف باليتيمة الغروية والتحفة النجفية. السيد حسين البراق: ٤٦٠.

غير أن النتيجة النهائية كانت على غير ما أريد لها أن تروي مدينة أمير المؤمنين عليه السلام، وبقيت النجف الأشرف تعاني وتعاني من شحة الماء الصالح للشرب حتى حانت سنة (١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م) يوم قصد الحاج محمد علي رئيس تجار عربستان النجف الأشرف ساعياً إلى بذل المال الكافي لإرواء مدينة النجف الأشرف بالماء الصالح للشرب، فنصحته الحاج عبد المحسن شلاش المهتم بإرواء النجف الأشرف والمتابع علمياً لهذه القضية الملحة حيث انتهى بها بحثه إلى القناعة بمشروع كري سعد لريّ النجف والكوفة معاً كأفضل حل لهذه المشكلة المستعصية.

"لأن كري سعد يتصل بمرتفعات سدة الهندية الحالية.. فترتوي مرة من مصب نهر السدير المتصل بكري سعد وأخرى بجداولها المتفرعة من شط أبي صخير... لقد اقتنع الحاج محمد علي.. فقدم معروضه الخاص طالباً قبول تبرعه في هذا الصدد على أن يكون الريع الزراعي وقفاً خاصاً على المستشفيات والمدارس الأهلية في النجف وكربلاء على أن تدار بنظارة جلالة الملك -فيصل الأول- الخاصة بواسطة لجنة يعينها جلالته من وقت لآخر في النجف الأشرف.. كما أن المتبرع أوعده الملك بأنه على أثر تنفيذ هذا العمل سيقدم ذوات غيره من أصحاب الخيرات الذين ما زالوا يتعطشون لمثل هذه المشاريع الخيرية في المشاهد المقدسة"^(١).

وإذ تألفت الوزارة العسكرية الأولى وتولى الملك من جهة والحاج عبد المحسن شلاش وزارة المالية، دعم هذا المشروع الخيري دعماً قوياً فقررت الوزارة العسكرية الموافقة عليه بالإجماع بجلستها المنعقدة في (٣ آذار ١٩٢٣م) "وقد كانت موافقة وزارة المالية مستندة للأسباب الآتية:

(١) فيصل والعتبات المقدسة. عبد المحسن شلاش. مجلة آفاق نجفية. العدد ٢٠ لسنة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. ص:

١. فسخ المجال بدخول رؤوس الأموال من الخارج بطريقة التبرع.
٢. تعمير الأراضي الميتة تمهيداً للأمن والعمران.
٣. دفع العشر من (كذا) الخزينة من ناتج الزرع والضرع.
٤. عدم تكليف الخزينة أي خسارة للقيام بإنشاء المشاريع أولاً وصيانتها الدائمة ثانياً.
٥. تخفيف النفقات عن خزينة الدولة من وجهتي المعارف والصحة في النجف وكر بلاء في النجف.
٦. وجوب تأمين أسباب الراحة والعمران للأماكن التي يؤمها سنوياً عدد كبير من الزوار والسواح ممن يتركون مالية كبيرة بطرق مختلفة يعود نفعها للعراق بوجع عام. وعند ذاك صدرت الإدارة الملكية بالتصديق والتنفيذ^(١) بتاريخ (١ رمضان ١٣٤٢ هـ / ٦ نيسان ١٩٢٤ م) وجاء فيها "لما استدعى الحاج محمد علي رئيس تجار عربستان ورفع لنا بكتاباته المؤرخة (١١ تشرين الثاني ١٩٢٣ م) بأنه مستعد لأن يتبرع بإعطاء ثلاثمائة ألف روية على أن يكون مصرفها في حفر جدول من محل يعرف بالمزيديات المتصلة في جدول بني حسن وينتهي مصبه إلى بحيرة النجف، وهذا التبرع غايته إرواء بلدة النجف والانتفاع بالماء أينما جرى للخيرات... وجدنا أن معروضة المذكور ينطوي على أكبر مشروع خيري، سقاية ماء، وتربية أبناء، واستعداداً لشفاء فأمرت^(٢) بالتنفيذ.
- غير أن حكومة جعفر العسكري الأولى استقالت وحلت محلها حكومة شكلها

(١) المصدر السابق: ١٤٥.

(٢) المصدر السابق نفسه: ١٤٧.

الطائفي ياسين الهاشمي في (٢ آب ١٩٢٤م)، فقررت أمراً في غاية الغرابة مفاده إرجاع أموال المتبرعين لأصحابها رغم ما يقدمه التبرع الخيري من خدمة جلّ للنجف والكوفة وللزوار والوافدين. يقول الوزير عبد المحسن شلاش مستغرباً ومعتزلاً: لقد "رأينا انحرافاً بيننا في فكرة الحكومة تجاه المشروع وسمعنا الدعايات ضده بمختلف الأساليب حتى قررت الرجوع عن العمل وإرجاع أموال المتبرعين لأصحابها.. نعم ردت الـ (٣٠٠) ألف ربية بتمامها... والمُتَبَرِّع لا يعاد بحكم الشرع والقانون، نعم كان يجب أن لا تعاد، وكان يجب استثمارها بتوابعها الموعود بها لعين الأغراض الخيرية في العتبات المقدسة التي كانت ولا تزال متعطشة لمثل هذه المشاريع الخيرية في العراق أو خارجه.. بقصد الخير المحض".

وهكذا أصرت الحكومة الطائفية حكومة ياسين الهاشمي على أن تبقى مواطنيها من العراقيين عطاشى ظماء، وأراضي إحدى أهم مدنها بوراً يباباً بلا زرع ولا ضرع، فتزد بتأثير طائفي أعمى عرضاً خيراً مجانياً لا يكلفها فلساً واحداً من محسن متبرع حريص.

ليستمر عطش المدينة المقدسة سنوات إثر سنوات حتى النصف الثاني من القرن العشرين يوم "زار رئيس الوزراء نوري السعيد النجف سنة (١٩٥٢م) وقد دعته جمعية منتدى النشر بطلب من عميدها الشيخ محمد رضا المظفر... ولدى طلبه الماء قدم له كأساً (كذا) من الماء الخابط وقد تغير لونه وحاول شربه إلا أنه لم يستطع وعند استفساره عن السبب أخبر بأن ماء النجف هو هكذا... وفي عام (١٩٥٩م) خصص مجلس الإعمار مبلغ (١١٥٠ ديناراً) لغرض إدانة مشروع ماء النجف والكوفة وكانت المدة بين (١٩٥٦-١٩٥٩م) قد ساهمت بإبراز مشروع ماء النجف الجديد"، ومع ذلك فقد ظلت المدينة المقدسة تعاني وإن بدرجة أقل

من شحة الماء الصالح للشرب حتى عام (١٩٩٧م) حيث تم المشروع بتنفيذ مباشر من قبل مديرية ماء النجف^(١).

ونظراً للتوسع السريع في المدينة المقدسة وكثرة عدد الزوار اليومي لها بدأت الحاجة تبدو واضحة على سكان المدينة المقدسة وزائريها، ما يستدعي وضع حد لتجاوز هذه الشحة في الماء الصالح للشرب للحاضر المعاش حالياً فضلاً عن المستقبل الآتي.



(١) عطش النجف. تحسين عمارة: ٢/ ٢٠٨-٢١٤.

الحادي عشر

سراييب النجف الأشرف

تشتهر مدينة النجف الأشرف بالسراييب وهي أبنية تحت الأرض ينزل إليها النجفيون في الصيف للنوم والاستراحة، وخاصة في ساعات الظهيرة، توقياً من قىظ الصيف الحارق أو تلافياً لهبات العواصف الرملية الشديدة التي تعصف بالمدينة المقدسة أحياناً، كما تستعمل السراييب كبرادات للمياه وأماكن لحفظ المأكولات في الصيف، مخابئ للاحتماء من هجمات الأعداء الذين دأبوا على مهاجمة النجف الأشرف بين الفينة والأخرى، كما تستعمل آبار السراييب الموصولة ببعضها للهرب من ملاحقة الأعداء وقت الحروب والاعتداءات، وقد تسلل عبرها بعض ثوار النجف الأشرف بعد قضاء الانكليز على ثورتهم التحررية الكبرى ناجين بأنفسهم من حملات المداهمة والاعتقال وأحكام الإعدام.

وللسراييب بشكل عام نظام تهوية في أحد جدرانها متكون من ممر هوائي يربط بين السرداب وسطح الدار يسمى النجفيون بالبادكير.

وقد صنف النجفيون سراييب النجف إلى أصناف منها: (الأرضي) ويبلغ معدّل عمقه (٦م) يخترق خلالها الطبقة الأولى من طبقات هضبة النجف.

و(سرداب نصف السن) ويبلغ معدّل عمقه حدود (١١م) ويخترق الطبقتين الأولى والثانية من الهضبة.

و(سرداب السن) ويبلغ معدّل عمقه حدود (١٤م) ويصل إلى الطبقة الرابعة من الهضبة.

و(سرداب سن الطار) ويبلغ عمقه بحدود (١٨ م) ويصل إلى الطبقة السادسة من طبقات الهضبة^(١).

لقد بلغ عدد السرايب التي تضمّها مساكن النجف القديمة في عام (١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م) (٦٠٤٦) سرداباً تتوزّع على (٨٦٪) من مجموع مساكن المدينة القديمة، وبلغ مجموع مساحتها (٤٢٣٢٩ م^٢) تشكّل نسبة (٥٪) من المساحة الكلية لمدينة النجف القديمة^(٢).

وتشتهر بعض المدارس الدينية بسرايبها الواسعة نتيجة حاجة نزلائها من الطّالّاب لها، وقد وصف لنا الشيخ محمد الخليلي تصميم بعضها فقال: "لقد روعي في هندسة المدارس العلميّة في النجف طبيعة البلد فكان لا بد من حساب (للسرايب) في أغلب أبنية المدارس وتقوم هذه السرايب في جهة واحدة من عمارة المدرسة أو جهتين أو الجهات الثلاث أو الجهات الأربع من العمارة ينزل إليها بواسطة سلالم، وتسمّى بالسرايب الفوقانيّة في مصطلح النجفيّين، وفي بعض المدارس الأخر بسرايب تقام تحت السرايب الفوقانيّة وهي ما تسمّى بالسرايب: (نيم سن) والكلمة فارسية معناها (منتصف السن) والسنّ طبقة من الرمل المتحرّجّ ينحت فيه الناحت سرداباً آخر وهنالك من السرايب ما هو أعمق من (النيم سن) ويسمّى بسرداب (السنّ) ويحفر لـ(السنّ) أو لـ(النيم سن) في وسط المدرسة حفيرة على هيئة متوازي الأضلاع بقطر مترين أو أقل من ذلك وفي عمق عشرين متراً أو أقلّ من ذلك لينفذ هذا الحفر من متوازي الأضلاع إلى وسط السرداب بقصد إيصال النور وسحب الماء

(١) ينظر: المقتطف من التاريخ الحضاري والفكري والروحي لمدينة النجف الأشرف. سابق: ٨٧.

(٢) ينظر: النسيج الحضري للنجف عوامل النشأة والتغيير. سابق: ١٢٧-١٢٨.

البارد إلى الأعلى كما تحيط بالسراديب من أطراف أعاليها شبابيك لنفوذ النور والهواء، فضلاً عن عدد من المنافذ الهوائية المتصلة من أعلى سطح العمارة بالسراديب الفوقانية وهي التي تسمى بـ(البخاريات) ثمّ تبنى هذه السراديب في الغالب بالآجر وتزخرف، وقد تترك سراديب السنّ على حالها وهي منحوتة منطبقة السنّ التي تشبه الصخور أو تزين جدرانها بالآجر وقد تزين الجدران وأرض السراديب بالكاشاني.

وكثيراً ما تفتح في السراديب منافذ تتصل ببئر المدرسة إذ المفروض أن يكون في كلّ بيت وفي كلّ عمارة بئر ماء تتصل بالبئر المجاورة لها وهذه تتصل ببئر أخرى، وهكذا حتّى تتجمّع المياه في بئر كبيرة تستمدّ مياهها من نهر الفرات ويتحوّل السكن في الصيف في وسط البيت أو وسط المدرسة إلى هذه السراديب وتتمّ فيها المطالعة وتناول طعام الغداء وال قيلولة وقد تسمي في بعض ليالي الصيف عند اجتياح العواصف الرملية المدينة ملاذاً للطلّاب يقضون فيها الليل نياماً^(١).

وقد نقلت القنصلية البريطانية في بغداد - وهي تتحدث عن زيارة قام بها المستر باكلي نائب القنصل البريطاني إلى النجف الأشرف لمدة ثلاثة أيام - وصفاً للسراديب في النجف الأشرف بقولها: "لقد زرنا أحسن السراديب في النجف، وهي الموجودة في بيت الحاج عبد المحسن شلاش، لقد كانت الغرف في الطابق الأول من السراديب لا يقل عمقها عن خمسة عشر قدماً. وإلى الأسفل منها كان الطابق الثاني من السراديب، وهو ينخفض بثلاثين قدماً على الأقل، وهو يحتوي على غرف بنيت وزينت بمهارة فائقة. وكانت مساحتها أكبر من مساحة البيت في

(١) ينظر: مدارس النجف القديمة والحديثة: ١٠ وما بعدها.

الأعلى. ويوجد طابق ثالث من السراييب إلى الأسفل من هذا لم نستطع زيارته^(١). يذكر أن سراييب النجف الأشرف أذاقت الغزاة البريطانيين الويل والثبور خلال اقتحامهم للمدينة المقدسة مما لا زال يتناقله الأبناء عن الآباء والأجداد منذ ثورة النجف الأشرف سنة (١٩١٨م) إلى ثورة (١٩٢٠م) إلى ما بعدها.

لقد قدر لباحث مصري أن يزور سراييب إحدى مدارسها الدينية فكتب عنها يقول: "ثم توجَّهنا إلى مدرسة الشيخ كاظم اليزدي وهبطنا بعض السراييب هناك؛ فإذا طبقات ثلاث أو أربع تحت الأرض ينزل إليها نحو خمسين درجة، وكل طبقة تستمدّ الهواء من كوة صاعدة إلى ظهر الأرض، وفي السراييب آبار مفضية إلى قنوات تتشعب تحت المدينة من مجرى واحد.

والسراييب كما رأينا أعجوبة ناطقة بذكاء أهل النجف ونشاطهم وجدّهم. وهي مأواهم في الصيف لا محيص لهم منها، فإن النجف الأشرف في صحراء جرداء شديدة الحر، فإذا توسط النهار هبط الناس جميعاً إلى هذه السراييب فيجدون بلداً آخر بارد الهواء.

وقد حُدثنا أنّ المقيم في السراييب يحتاج أحياناً إلى اتّقاء بردها بالغطاء بينما الحرّ على ظهر الأرض يأخذ بأكظام الناس"^(٢).

ولطالما وقانا الطابق الثاني من سرداب بيت جدي المغفور له سماحة آية الله السيد سعيد الحكيم رحمته الله في محلة الحويش في النجف الأشرف، ووقى أصدقاءنا وزملاءنا من طلاب كلية الفقه في الستينات من القرن المنصرم خلال مباحثاتنا في

(١) تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٦١. سابق: ٩٥. نقلاً عن تقرير سري من مركز الاستخبارات المشتركة

للسفارة البريطانية في بغداد بتاريخ: ٢٢ شباط ١٩٤٣م.

(٢) رحلات عبد الوهاب عزام: ٦٥.

كتاب (الأصول العامة للفقهاء المقارن) لسماحة سيدي الوالد عليه السلام، بل ولطالما وقى وأسعد ضيوف وزوّار بيت جدي الكثر ببرودته وتهويته ورطوبته المحببة لساعات الحرّ الحارقة وعواصف الغبار الكثيف طيلة أشهر الصيف وبعض أشهر الربيع التي غالباً ما تصاحبها هبات الغبار والأتربة، ووفّر لنا السرداب ساعات استراحة مقبولة وأوقات قراءة ودراسة وكتابة مبتغاة، نهاراً غالب الأحيان، وليلاً متى ما دعت الظروف الجوية الحارّة لذلك. ناهيك عن برودة ورطوبة (سرداب السن) الذي كنا نستعمله -لما يحتاج خزنه إلى برودة كي لا يفسد- استعمال الثلاجة في وقتنا الحاضر.

ولم تقتصر وظيفة السراديب في النجف على الحماية من هب الصيف الحارق ولا على كونها محلاً للدراسة العلمية والاجتماعات الأدبية والثقافية، بل تعداهما إلى الوظيفة السياسية التي "جاءت متساوقة مع عمقها وتعددتها وتواصلها أو آبارها بالشبكة الرئيسة لآبار المدينة، ومهما يكن فإن سراديب النجف كانت الحاضنة للحراك الثقافي والفكري والسياسي لعدد من الثورات والانتفاضات، أيام الهجمات الوهابية، حفرت الآبار العميقة وفيها المتاهات لحماية النساء والأطفال والشيوخ والمؤلفات... وفترات الصراع بين الزكركت والشمركت، وثورة (١٩١٨م) ومقاومة الغزو البريطاني، ثم ثورة العراق (١٩٢٠م)، وبعدها انتفاضة (١٩٣٥م)، وبعدها الحركات السياسية التي تلت مثل انتفاضة (١٩٩١م)"^(١).



(١) موسوعة الجغرافية الاجتماعية النجف الأشرف. ملامح الحضارة والتراث. د. صادق المخزومي: ١/ ٤٦٥.

الثاني عشر

أسوار النجف الأشرف

أحاطت مدينة النجف الأشرف نفسها بسور يقيها هجمات الأعداء -وهم كثر- وخاصة غارات أعراب البوادي، ولذلك فقد حصنت عتبتها المقدسة وأهاليها بسور كان على بعد خطوات من مرقد الإمام، واتخذت المقبرة خلف السور مباشرة، ثم بدأ الأحياء بغزو مدافن الأموات كلما ضاقت المدينة بالنفوس، فيزول السور، وتزول معه المقابر ليقوم سور آخر على مسافة أبعد منه.

ولا يعرف بالضبط عدد الأسوار التي أقيمت على النجف منذ تأسيسها عدا الأسوار التي يذكرها المؤرخون، وكانت المدينة تضيق بالنفوس فلا يسعها أن تتجاوز السور خوفاً من السطو على بيوتها الخارجية، وقد شهد الكثير من النجفيين بقيّة علائم الخوف ورأى كيف كانت المدينة تبادر إلى إغلاق أبواب السور عند غروب الشمس أو بعيد الغروب بقليل.

ولا بدّ أن نكون قد سمعنا بما كان يقع من السلب والقتل للذين يتخلفون في الطريق إلى وقت متأخر بين أبي صخير والنجف، وبين الكوفة والنجف وليست حادثة سلب الشاعر مهدي الجواهري لتغيب عن ذهني والوقت كان لا يزال في أوّل الليل، والجواهري على بعد خمسمائة متر أو أقلّ من ذلك عن المدينة^(١).

وقد ذهب العديد من المؤرخين إلى بناء عدّة أسوار طوّقت المدينة المقدسة،

(١) العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعريّة. جعفر الخليلي. بحث ضمن كتاب الغابة العذراء: ٧٠.

زادها بعضهم، وأنقصها آخر^(١)، أذكر منها أربعة أسوار قبل مجيء الشيخ الطوسي وسورين بعد مجيئه، معتمداً في ذلك على ما أورده الشيخ جعفر محبوبة في كتابه المعروف عن النجف الأشرف^(٢).

أمّا السور الأوّل قبل مجيء شيخ الطائفة فقد بناه (محمد بن زيد الداعي) (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م) ولم يعرف بالضبط تاريخ تشييده للسور، ثم شيّد السور الثاني: (أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان) وكان حصناً منيعاً، غير أنه لم تعرف سنة تشييده كذلك، ثم شيّد: (السلطان عضد الدولة البويهري) سوراً ثالثاً منيعاً بين سنتي (٣٦٧-٣٧٢هـ / ٩٧٧-٩٨٢م).

ثم بنى: (أبو محمد الحسن بن مفضل بن سهلان) وزير سلطان الدولة بن بويه سوراً رابعاً حول النجف الأشرف سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م، وقيل ١٠١٠م) إثر شفائه من مرض كان نذر إن شفي منه يبني سوراً حول النجف الأشرف، حماية لمركدها المقدّس من الأعداء.

وبهذا السور اتخذت النجف الأشرف شكلاً دائرياً، إذ بلغ طول محيطه (١٢٥٠م) تقريباً، ويبعد عن المرقد في أغلب الجهات (١٩٩م)، وموقعه عند أوّل سوق الصّفّارين الحالي الرابط بين السوق الكبير وشارع الإمام زين العابدين عليه السلام، وموقعه هذا هو المشهور عند معمري النجفيين، وكان يعد حينها من أضخم أسوار المدينة وأقواها.

ثم كان أن بنى السلطان ويس الجلايري سوراً جديداً حول النجف الأشرف

(١) ينظر: أسوار مدينة النجف الأشرف كم هو عددها. بحث. تحسين عمارة. مجلة آفاق نجفية. العدد ٣٧ لسنة

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. ص: ١٩٧-٢١٥.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢٠٩-٢١٤.

هو السور الخامس، وبنى ولده أحمد باب هذا السور، ويبعد مسافة (٧٥م) عن السور الرابع، "وموقعه من جهة الشرق قريب من مدرسة الصدر فتكون مدرسة الصدر ومقبرته خارجتين عن هذا السور، كما وقفنا عليه قبل العمارة الحاضرة للسوق"^(١)، وكانت هناك باب كبيرة هي: (باب البلدة) ويميل الشيخ محبوبة إلى أن ما شاهده الرحالة تكسير الذي دخل النجف الأشرف في شهر ربيع الثاني في العام الثالث والعشرين منه سنة (١٠١٣هـ) وتحدث عن سور فيه ألف فتحة، وهو مبني كالجامع والدور بآجر وطين، والرحالة الآخر نيبور الذي يممّ النجف الأشرف ما بين (جمادى الآخرة ورجب سنة ١١٧٩هـ/ ٢٢ كانون الأول من سنة ١٧٦٥م) فقال عن سورها بأن له بايين، باب المشهد وباب النهر، وله باب ثالث يقال لها باب الشام لكنها مغلقة ببناء، والسور مهدم بحيث يمكن دخول المدينة من خمسين موضعاً. وقد تقادم عهده وانقض السور من جميع جهاته فعمّره محسن من الهند.

ولقد كان من الأسوار المتينة للنجف سورها السادس الذي تمّ بناؤه سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١٠م) ببذل ومساعي الصدر الأعظم الحاج محمد حسين خان العلاف الأصفهاني وزير السلطان فتح علي شاه، "وحفر خلفه خندقاً عميقاً وأقام فيه الأبراج المكتنفة بالمعاقل والمراصد والمخافر وجعل له في طبقاته ثقوباً ومنافذ متقاربة مختلفة في الصغر والكبر لوضع فوهات المدافع والبنادق عند الحاجة، وكان ابتداء بنائه سنة (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م) وتماه سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م) ... وجعل له بايين أحدهما مقابل طريق الكوفة ويعرف بالباب الكبير، والآخر في جهة القبلة مما يلي الغرب بالقرب من المقام المنسوب الى الإمام زين العابدين عليه السلام وعرف أخيراً بباب الثلثة، ولما حدثت القناة التي شقها السيد أسد الله الرشتي فتح أحد التجار...

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢١٢-٢١٣

باباً ثالثاً من جهة القبلة... وهو المعروف بباب السقائين... ويسمى باب أشتائية... وفي سنة (١٣١٧هـ) فتحت الحكومة التركية باباً رابعاً بالقرب من الباب الكبي^(١)، خلافاً لما ورد في كتاب: كربلاء في الإرشيف العثماني من أن أبواب السور ثلاثة^(٢).

وقد أكد دليل المملكة العراقية لسنة (١٣٥٤-١٣٥٥هـ / ١٩٣٥-١٩٣٦م) وجود أربع أبواب للسور السادس حين بني مع اختلاف بسيط في أسماء بعض الأبواب فالذي يؤدي إلى الكوفة يسمّى: (الباب الكبير)، والذي إلى جانبه ومنه يخرج الناس إلى كربلاء يدعى: (الباب الصغير)، أمّا المؤدّي إلى البركة ومزارع النجف فيسمى: (باب الثلثة)، ويسمى الباب الرابع: (باب الحويش) بالتصغير، أو (باب أشتائية) أي: الطائية، وقد وضع هذا السور على هيئة حربيّة تصدّ الهاجمين على النجف، والواقف على مرتفع ينظر إلى هذا السور يلمحه على هيئة أسد رابض يطوّقه خندق وهذه الغاية^(٣).

وقد وصف الزائر عبد العلي خان (أديب الملك) -رفيق صبا السلطان ناصر الدين شاه- سور النجف الأشرف خلال زيارته للنجف الأشرف في سنة (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م) بقوله "قام المرحوم الحاج محمد حسين خان الصدر الأصفهاني ببناء سور النجف، ويبلغ ارتفاع الجدار المقابل لمسجد الكوفة اثنا عشر ذراعاً، والذي

(١) المصدر السابق نفسه: ٢١٢-٢١٣.

(٢) كربلاء في الإرشيف العثماني. لذلك قايا الذي ورد فيه متحدثاً عن مدينة النجف الأشرف قوله: "وأطرافها محاطة بسور، ولها ثلاثة أبواب" ص: ٣٢٨.

(٣) دليل المملكة العراقية لسنة (١٣٥٤-١٣٥٥ / ١٩٣٥-١٩٣٦). سابق: ٩٥٠ وما بعدها، الدر الثمين في التختيم باليمين ص ١٠٨-١٠٩.

يقع في جهتي وادي السلام والبحر يبلغ أحد عشر ذراعاً، أما محيط السور حول المدينة فيبلغ أربعة آلاف قدم^(١).

كما تحدث الرحالة الإنكليزي (لوفتس) -الذي زار النجف سنة (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)- عن أسوار النجف فقال: إنّ أسوارها عالية ممتازة يحيط بها خندق عميق خال من الماء.

وتصدّعت أجزاء من هذا السور خلال الحصار الذي فرضته القوّات البريطانيّة على النجف الأشرف أثناء مقاومة النجفيّين المحاصرين للغزاة الأجانب الذين منعوا عنهم إمدادات الغذاء والدواء عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، وقد أزيل من السور أغلبه سنة (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م). وقد أعان هذا السور الرصين أهالي المدينة المحاصرة في صدّ ومقاومة هجمات الجيش البريطاني لمدة زادت عن الشهر خلال فترة حصار الإنكليز لمدينة النجف الأشرف بعد ثورتها العامرة عام (١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م)^(٢).

ولم تستطع قوات الاحتلال اقتحامها إلا بعد أن قصفت جبل الخويش ثم المناطق السكنية بمحلّة العمارة قصفاً مهولاً بالمدافع الثقيلة، ثم استولوا على السور بأبوابه وعلى الدور الملاصقة له، ثم عمدوا إلى تخريب جميع الأبنية والبيوت المشادة في إيوانات السور بالمدفعية وعددها لا يقلّ عن خمسمائة بيت، وكذلك جميع البيوت في خارج السور ومنها محلة كاملة تسمّى (الثلمة) بدورها التي يقدر عددها بخمسمائة بيت، بل بلغ عدد الدور المخربة في النجف الأشرف خلال يومين أكثر من ألف دار.

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي الأسدي: ٦١.

(٢) ينظر: مقدمة الشيخ محمد رضا المظفر لكتاب جواهر الكلام: ١ / ١١.

ولا تسل عمّا ذهب فيها من التلف والضياع والنهب في الأثاث؛ لأن معظم سكّان هذه البيوت المهذّمة أسرعوا ناجين بأنفسهم وأطفالهم وعائلاتهم من القصف الوحشي الظالم^(١).

يقول الشيخ محمد حسين حرز الدين: "أدركنا هذا السور كاملاً حصيناً، وأدركنا العمّال تهدّمه بأمر من السلطة الحاكمة سنة (١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م)"^(٢)، ثم أكملت هدم ما بقي منه حكومة النظام الصدامي البائدة لاحقاً سنة (١٩٨٠م).

وكنت حين أذهب وأقفل راجعاً إلى المقرّ العامّ لجمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف أمرّ على بقايا السور المذكور لسنين حتّى هدّمت بقاياها حكومة (صدام حسين) فخسرت النجف يومها معلماً من معالمها ومصدّاً يذكّر أبناءها بصمود وشجاعة مراجعهم وحوزتهم الدينيّة وآبائهم وأمّهاتهم دفاعاً عن مدينتهم المقدّسة التي طالما كانت ولا زالت حتّى يوم الناس هذا شوكة في عيون أعدائها التكفيريّين رغم محاولاتهم المستمرّة للنيل منها ومن مرجعيّتها العليا لعموم الشيعة في العالم.



(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣ / ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) تاريخ النجف الأشرف: ٢ / ٣٩٧.

الثالث عشر

الثروات المعدنية في النجف الأشرف

في أرض النجف ثروات معدنية عديدة منها: ترسبات معدنية ومنها: صخور صناعية ومنها: ترسبات لليورانيوم.

فمن ذلك أنه اكتشف في قرية الكبريتية في الجنوب الغربي من محافظة النجف احتياطي كبريتي قدر بحوالي ٣٢٥ طناً تم استثماره بشكل بدائي محدود.

كما أن حصباء النجف غنية بحجر كريم من أحجار الكوارتز يطلق عليه: (درّ النجف)، ورد الحث على لبسه في بعض الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام (١).

وتوجد نسب ما من (السلساتيت) في صخور طار النجف، وهو المصدر الرئيس في الطبيعة للحصول على عنصر (السنترونيوم) المستخدم في صناعة الأصباغ والمطاط وأنواع من الأدوية، كما كشفت الدراسات العلمية الميدانية عن وجود معادن (الفلدسبار) في رمال هضبة النجف ورمال بعض المواقع القريبة من مدينة النجف الأشرف على طريق كربلاء - النجف.

وهناك - إضافة لما تقدم - في أرض النجف صخور صناعية من أنواع الصخور الجيرية وأطيان الباليغور سكايت وربما غيرها.

بيد أن الأهم من ذلك كله هو ما كشفت عنه الدراسات العلمية من وجود ترسبات معدنية لليورانيوم في بعض الأماكن في المحافظة وخاصة منها في قرية

(١) ينظر: الدر الثمين في التختم باليمين: ١٠٨-١٠٩.

(الزجري) من توابع مدينة الحيرة التاريخية من قضاء أبو صخير فقد عرض الباحث الدكتور موسى جعفر العطية -مدير مشروع التطوير ولأول مرة على صعيد النشر العام- ملامح عن هذه الترسّبات بعد أن سلّمت معلوماته إلى أعضاء فرق التفتيش الدوليّة وبالتفاصيل المطلوبة خلال عمل تلك الفرق في العراق منذ عام (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ولغاية عام (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن الدولي التي أصدرها عام (١٤١١هـ / ١٩٩١م) حول التحقيق عن برامج أسلحة الدمار الشامل.

يقول الدكتور مدير المشروع: (لقد أمكن استخلاص اليورانيوم في قرية (الزجري) بمقياس الإنتاج الريادي بالرغم من كونها من الترسّبات المعدنية الواطئة المحتوى نسبياً من عنصر اليورانيوم، كما أنّ طبيعتها وجودها وأصل نشأتها في الصخور الجيرية يجعلها من الأمثلة النادرة في العالم ضمن الأطر المعروفة لجيولوجيا ترسّبات اليورانيوم، وقد خضعت خامات اليورانيوم في منطقة (أبو صخير) للفحص الريادي، وتمّ بناء معمل ريادي لهذا الغرض في بغداد، وقام بإعداد تصاميمه التفصيلية وتنفيذ بنائه وتشغيله نخبة من الكوادر الهندسيّة العراقيّة، واستمرّت عمليّة التشغيل لفترة قصيرة حيث توقّفت بسبب قرارات مجلس الأمن بحظر برامج الأنشطة النوويّة في العراق التي صدرت عام (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) وبعد غزو العراق للكويت).

الطاقة التصميميّة للمعمل الريادي هي معالجة طنّ واحد من خام (أبو صخير) في الساعة الواحدة، ويتألّف المعمل الريادي الذي لا يزال قائماً من سبعة وحدات، وقد تمّ إنتاج حوالي ثلاثة كيلوغرامات من الكعكة الصفراء لليورانيوم

مستخلصة من خامات (أبو صخير) وذلك قبل إيقاف عمليّات الفحص المستمرّ في المعمل الريادي هذا علماً بأنه تمّ توثيق الأشغال المنجميّة التي أنجزت في منطقة (أبو صخير) تخليداً لهذه التجربة الأولى في تاريخ الصناعة الاستخراجيّة في العراق قبل أن يطمر المنجم بكميّات الصخور المستخرجة منه ويغلق من قبل فريق التفتيش التابع للأمم المتّحدة وذلك بإقفال بوابات النفق العمودي بواسطة اللحام الكهربائي بتاريخ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)^(١).

لذا أجدني بحاجة -بعد ما تقدم- إلى أن أشير -وقد وصلت إلى هذا الموضع من البحث- إلى أهميّة أن يولي الباحثون والأكاديميون المعنيون بماضي هذه المنطقة الأثريّة من تاريخ قديم وحضارة اهتمامهم بالتعريف بها؛ كونها لا زالت حتّى يوم الناس هذا غير واضحة المعالم حتّى لأهلها وساكنيها بالشكل الكافي.



(١) أرض النجف. سابق. انظر الفصل الرابع: ٩٣-١٢٢.



الفصل الثالث

المركد العلويّ الشريف



يتناول هذا الفصل مباحث عدة هي:

الأول

مدينة النجف تتشرف باحترضان المرقد العلوي الطاهر

تشرفت بقعة النجف الأشرف باحتضان العديد من المعالم المقدسة والأماكن التاريخية والأثرية.

بيد أنّ معلمها المقدس الأهم هو الحرم العلوي المطهر، وهو ما دعاني لأن أفرد له مكانة خاصة، ومساحة أوسع تناسب ومكانته وقديسيته وكثرة زوّار أميره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذين يتجاوزون الملايين في هذه السنوات في بعض الزيارات الخاصة، لما للزيارة عند المسلمين وعند الشيعة بالأخص من حضور روحي محبّب.

يقول أبناء النجف وزوّاره إنّ الروحانيّة الكبرى للمزور، وصفاء ونقاء سريرته المعجز، وصفاته القدسيّة التي هي دون صفات الخالق وفوق صفات المخلوق المتعارف تفيض على نفسيّة الزائر، فتكتسب منها ما تكتسب لتطمئن بعد اضطراب، ولتسعد بعد شقاء، وترجو بعد قنوط، وتشرق بعد تجهّم، وربّما يحصل ذلك الإنعاش الروحي بمجرد تصوّر نفسيّة المزور واستعراض صفاته الممتازة في طواف حول تلك الشخصية الروحية طوافاً ذهنياً بدون خصوصيّة للمكان.

ولكنّ الشيعة لا يكتفون بذلك، بل لا تعدّ الزيارة الروحية زيارة إلا إذا كانت عند تربة المزور، ويركّزون عملهم هذا على ركيزتين:

إحداهما: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)، فهم يعتقدون أن أرواح المؤمنين لها الحياة ولها الخلود لا تموت ولا تتلاشى.

وثانيتها: أن بين الروح والجسد اتصالاً وارتباطاً فهما متصلان منفصلان، وأن للروح على تربة المدفون انعكاساً مثل الزجاجاة والنور، فروح ذلك العظيم متصلة بمشهدة، ومن يحظ بذلك المشهد يدركها إدراكاً روحياً، فيحظى ويتنور ببعض الأضواء، ويرجع إلى أهله وفي نفسه قبس من النور المقدس^(٢).

يقول الدكتور محمود البستاني: (إنّ المشهد العلوي يشمل التربة والعمارة بصفتها مادة ويشمل - وهذا هو الأهم - (الروح) أو (الخير) الذي نثره الله تعالى على هذه البقعة، وذلك من خلال التمهيد لها بهبوط الأنبياء وبتحرّكاتهم وبمدفن بعضهم..

ولهذا التمهيد أهمية بطبيعة الحال، حيث يشكّل أرضاً مخفوفة بها هو مقدّس، توطئة لما يحمل قدسيّة خاصّة هي شخصية الإمام علي عليه السلام بصفتها تجسيدا لفهوم (الولاية) التي تفرز المؤمنين عن سواهم.

يضاف إلى ذلك أن للشخصية العبادية المصطفاه كالنبي صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام كرامتها عند الله تعالى، ومن أجل ذلك يهبها الله تعالى فاعلية الشفاعة، بل يهبها حتّى في نطاق الفائدة الدنيوية فاعلية المعطى الدنيوي، كما هو ملاحظ في المعطيات التي يظفر بها الزائرون والمجاورون والوافدون لحاجات خاصّة (بها فيهم غير المؤمنين).

(١) سورة آل عمران. آية ١٦٩.

(٢) الأحلام. سابق: ١٤٥.

نخلص من ذلك كله إلى أنّ العناية بالمشهد العلوي على شتى الصعد يقترن بما يحمله المشهد المذكور من فاعليّة تفسّر لنا من جانب سبب المحاولات اليائسة لإخفائه من قبل المنحرفين عن ولايته عليه السلام في البدء، وتفسّر لنا سبب إخفاقهم في ذلك، وتفسّر لنا سبب تطوير عمارته على نحو استمراري^(١).

ولذلك وغيره فإنّ الحضرة العلويّة تضيّج بدعوات المؤمنين ومناجاتهم في آناء الليل وأطراف النهار، وخاصّة في أسحار شهر رمضان المبارك شوقاً لله عز وجل، وتقرباً إليه، وبكاء وتضرّعا بين يديه، وولهاً وحبّاً وولعاً بذكره ودعائه.

والشواهد على ذلك حيّة وكثيرة لا مجال لذكرها، غير أنّ ذلك لا يعفيني من ذكر شاهد واحد عليها ذلك هو: ما رواه المرجع الشيخ محمد حسن المامقاني سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) بقوله: (تشرفت سحر ليلة من ليالي شهر رمضان إلى الحرم العلوي الشريف على صاحبه آلاف التحيّة والثناء، وهو مكتظّ بالمصلّين لصلاة الليل وغيرها، فكان أن عددت منهم أكثر من خمسين مصلّياً ممّن يقرأ دعاء أبي حمزة الثمالي عليه السلام^(٢) في قنوت صلاة الوتر عند رأس مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام عدا من كان يقرؤه من كتب الدعاء)^(٣).

هذه هي الزيارة، وهذه هي آثارها الروحيّة والنفسيّة والماديّة الكبيرة. ثمّ إذا كانت للزيارة هذه الآثار الروحيّة والماديّة، فكيف -إذا كانت- بقصد المجاورة للمشاهد المقدّسة وما يصاحب المجاورة من بركات وإجابات؟!

(١) موسوعة النجف الأشرف. القسم الأول. ٢ / ٧ - ٨

(٢) دعاء أبي حمزة الثمالي دعاء مروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يعد من أطول أدعية الذكر والمناجاة عند عموم المسلمين.

(٣) مخزن المعاني في ترجمة المحقق المامقاني: ٣٣ هامش رقم: ١.

الثاني

خطّ المرقد العلوي الشريف

خطّ المرقد العلوي الشريف لأمر المؤمنين وإمام المتّقين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة أربعين للهجرة الشريفة، وقد سوى الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام قبره مع الأرض وأخفيا معالم القبر بوصية منه إليهما كما أثبت الدميري^(١).

وهو على ما يقول الجاحظ أوّل إمام خفي قبره، وبقي موضع خطّ المرقد العلوي سرّاً مكتوماً لا يعرفه إلا أهل بيته والخاصّة من صحبه والصالحين من أتباعه لأسباب عديدة منها جرأة أعدائه الظلمة على نبش قبره عليه السلام حتّى قيل: إنّ الحجاج بن يوسف الثقفي حاول جهده الاهتداء لموضع القبر الشريف فحفر لذلك ثلاثة آلاف قبر في النجف طلباً له ولم يعثر له على أثر^(٢).

يقول هشام بن السائب الكلبي عن أبيه: قال: "أدركت بني أود وهم يعلمون أولادهم وحرّمهم سبّ علي بن أبي طالب، وفيهم رجل من رهط عبد الله بن إدريس بن هاني، دخل على الحجاج بن يوسف الثقفي يوماً فكلّمه بكلام، فأغلظ له الحجاج في الجواب.

فقال له: لا تقل هذا أيها الأمير، فلا لقريش ولا لثقيف منقبة يعتدّون بها إلا ونحن نعتدّ بمثلها.

(١) حياة الحيوان الكبرى: ٦٨ / ٢.

(٢) ينظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات. محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني: ٥٣ / ٢. ومنتخب التواريخ: ٢٩١. وماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣٧ / ١. والأديان والمذاهب بالعراق. د. رشيد الخيون: ٣٢٠.

قال له وما مناقبكم؟

قال: ما ننقص عثمان ولا يذكر بسوء في نادينا قطّ.

قال: هذه منقبة.

قال: وما رؤي منّا خارجي قطّ.

قال وهذه منقبة.

قال: وما شهد منّا مع أبي تراب مشاهده إلا رجل واحد فأسقطه ذلك عندنا وأحلّه فما له عندنا قدر ولا قيمة.

قال: ومنقبة.

قال: وما أراد منّا رجل قطّ أن يتزوّج امرأة إلا وسأل عنها: هل تحب أبا تراب أو تذكره بخير، فإن قيل أنّها تفعل ذلك اجتنبها فلم يتزوّجها.

قال: ومنقبة.

قال: وما ولد فينا ذكر فسمّي علياً ولا حسناً ولا حسيناً، ولا ولدت فينا جارية فسمّيت فاطمة.

قال: ومنقبة.

قال: ونذرت منّا امرأة حين أقبل الحسين إلى العراق إن قتله الله أن تنحر عشر جزر، فلمّا قتل وفت بنذرهما.

قال: ومنقبة.

قال: ودعي رجل منّا إلى البراءة من علي ولعنه فقال: نعم، وأزيدكم حسناً وحسيناً.

قال: ومنقبة.

قال: وقال لنا أمير المؤمنين عبد الملك: أنتم الشعار، وأنتم الأنصار بعد الأنصار.

قال: ومنقبة. قال: وما بالكوفة ملاحه إلا ملاحه بني أود.

فضحك الحجاج.

قال هشام بن السائب الكلبي: قال لي أبي: فسلبهم الله ملاحظتهم^(١).

وليس لمن جاهر بشتمه على المنابر عقوداً، ولا لمن قال ما قال آنفاً وأمثاله أن يتوقف عن نبش قبره عليه وآله وهتك حرمة متى ما عثر عليه.

أمّا الخاصّة من أهل بيته والخلّص من أتباعه فكانوا يتعاهدونه عليه السلام بالزيارة والسلام بعيداً عن أعين الرقباء، فقد زاره الإمامان الحسن والحسين، والإمام عليّ بن الحسين زين العابدين مع ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام، وأنشأ عنده الزيارة المعروفة بـ(زيارة أمين الله)، وزاره الإمام محمد الباقر عليه السلام مرّة أخرى مع ولده الإمام الصادق عليه السلام.

وزاره أيضاً الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين مع أبي حمزة الثمالي وأبي قرّة من أصحاب زيد الشهيد، وحين استقدم المنصور الإمام الصادق عليه السلام إلى الحيرة زاره عليه السلام عدّة مرات يصحبه في كلّ مرّة بعض أصحابه، وأعطى في إحداها نقوداً لصفوان الجمال لإصلاح القبر الشريف سنة (١٤٣هـ / ٧٦٠م).

ومنّ زاره مع الإمام الصادق عليه السلام خلال زيارته: ولده إسماعيل، ومن أصحابه أبان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، وصفوان الجمال، ومحمد بن معروف الهلالي، وسليمان بن خالد، وأبو الفرج السندي، والمعلّى بن خنيس، وزيد بن طلحة، وعبد الله الرضوي، والمفضل بن عمر، ويونس بن ظبيان. كما زاره من الأئمّة الاثني

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٢/ ١٤٣. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد نقلاً عن ماضي النجف وحاضرها.

عشر عليه السلام أيضاً: الإمام موسى الكاظم سنة (١٤٩ هـ / ٧٦٦ م)، والإمام علي بن موسى الرضا سنة (١٩٩ هـ / ٨١٤ م)، والإمام محمد الجواد سنة (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م)، والإمام علي الهادي سنة (٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) عليه السلام.

وقد وردت العديد من الروايات عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام روت لنا زيارات خاصّة لهم عند مرقده المقدّس، وهي مدوّنة مسندة إليهم في كتب الزيارات المعروفة^(١).

وذكر قسم من المؤرخين أنّ المنصور العبّاسي حين علم أنّ الإمام الصادق عليه السلام وعدداً من أصحابه يوالون زيارة القبر، وكان كغيره من عامّة الناس يجهل موضعه، أراد أن يتأكّد من ذلك بنفسه، فذهب منفرداً مع بعض خاصته وخدمه وأمر أن يحفر في المكان المحدّد للقبر، وكان يزوره بعد ذلك يناجيه معتذراً إليه ممّا يفعله بأبنائه.

وذكروا: أنّ داود بن عليّ أيضاً فعل ذلك، فشاهد كرامة باهرة أخافته، فأمر ببناء القبر وصنع صندوقاً وضعه عليه سنة (١٣٣ هـ / ٧٥٠ م) وجعل عليه صندوقاً خشبياً برهة من الزمن ثمّ أزاله^(٢).

وفي عهد (الرشد) وقد خرج للصيد في هذه المنطقة - كما سيأتي - رأى كرامة حملته على أن ينعطف ويخشع.

وقد يصحّ القول بعد كلّ ما تقدّم: بأنّ أوّل من أصلح القبر المقدّس هو الإمام

(١) ينظر: في ذلك: فرحة الغري. غياث الدين عبد الكريم بن طاووس العلوي حيث أفرد لكل من زاره من الأئمة عليهم السلام باباً خاصّة.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٥٥ / ٢.

الصادق عليه السلام، وأوّل من وضع الصندوق على القبر الشريف هو داود بن علي العباسي، وأوّل من بنى الضريح المقدّس بالحجارة فأقام عليه عمارة هو هارون العبّاسي^(١) - كما سيأتي -.



(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٥٥.

الثالث

الاختلاف في عدد عمارات الحرم العلوي الطاهر

ما إن أشهر الإمام الصادق عليه السلام موضع المرقد الشريف بعد زوال دولة بني أمية، حتّى تعاظمت على تشييد عمارته أيدي المسلمين والمؤمنين والأخيار الصالحين.

وكان أشهر من أظهر القبر الشريف الإمام جعفر الصادق عليه السلام يوم جاء إلى العراق وصحب معه صفوان الجمال وعبد الله بن الحسن وجماعة من أهل بيته وأصحابه فقصّد المرقد الشريف ودفع دراهم إلى صفوان الجمال ليصلح القبر، وأذن له بإرشاد الخلفاء من المؤمنين المواليين له لزيارته.

وقد عد السيد حسين البراقى ما أصلحه الإمام الصادق عليه السلام من القبر الشريف "أول تعمیر في الجملة"^(١).

ويعقب د. محسن عبد الصاحب المظفر على ما تقدم بقوله: "ثم عفي القبر بسبب السيول الجارفة، وبقي حتى أيام داود بن علي العباسي المتوفي (كذا) سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٥م) حيث أصلحه وعمل عليه صندوقاً. ثم عفي القبر الشريف مرة ثانية حتى أيام الرشيد الذي بنى القبر الشريف، وشيد عليه قبّة"^(٢).

وهكذا شيئاً فشيئاً بدأت العمائر على القبر الشريف تظهر تدريجياً، وعلى التعاقب. وهكذا أيضاً ظهر الخلاف بين المؤرخين في أمر من شيد العمارة الأولى

(١) قرة العين فيمن عمّر قبر أبي الحسين. السيد حسين البراقى: ٦٥.

(٢) مدينة النجف عبقرية المعاني وقديسية المكان. سابق: ٩٢.

على القبر الشريف من جهة، وكم هي عدد العماير عليه من جهة أخرى.

فقد ذهب السيد محسن الأمين إلى أنها خمس عمائر: هي على التوالي عمارة هارون الرشيد، وعمارة محمد بن زيد الحسني الملقب بالداعي الصغير، وعمارة السلطان عضد الدولة البويهري، وعمارة جدت سنة (٧٦٠هـ / ١٣٥٩م) بعد احتراق عمارة عضد الدولة البويهري لا يعلم مجددوها وربما تكون من جماعة، وعمارة الشاه عباس الصفوي بإصلاح حفيده الشاه صفي "ولعله الصواب"^(١).

كما ذهب الشيخ علي الشرقي إلى أنها خمس عمائر أيضاً مع اختلاف في تعدادها مع السيد الأمين. وهي على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة محمد بن زيد بن محمد المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان، وعمارة أبي علي عمر بن يحيى، وعمارة عضد الدولة البويهري، "وعمارة اليوم خططت في أوائل القرن الحادي عشر في عهد الصفويين وأولهم الشاه عباس الأول"، وما عدا ذلك فهو من قبيل التجديد بالبذل والهدايا وأمثاله ولمرات عديدة لم يتيسر له ضبطها وصولاً إلى الإكساء بالذهب، ومن هؤلاء "المجدين محمود وأشرف الأفغانيان، والسلطان نادر، والعثمانيون، والقاجاريون. كل هؤلاء خدموا النجف بالبذل والهدايا.. إلخ"^(٢).

وذهب الشيخ جعفر محبوبه إلى أنها خمس عمائر كذلك، هي على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة محمد بن زيد الداعي، وعمارة عضد الدولة البويهري، وعمارة السلاطين الإيليخانيين، وعمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الصفوي^(٣)، وتبعه على ذلك الأستاذ محمد علي جعفر التميمي. وهو ما ذهب إليه أيضاً الباحث عبد

(١) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٢/ ٣٢٧ - ٣٣١.

(٢) الأحلام. سابق: ٧٥ - ٧٦، وتنظر: ٨٣.

(٣) ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبه ٤١: ١٤٨ وما بعدها.

الرحيم محمد علي وإن كان أشار إلى أن "أهم العمائر" خمس هي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة محمد بن زيد الداعي "وقد سقطت وعمرها الرئيس عمر بن يحيى" ولكنه مع ذلك لم يعدها عمارة في ترقيمه للعمائر، وعمارة عضد الدولة البويهى، وعمارة السلطان أويس بن حسن الجلائري، وعمارة الشاه صفي الصفوي^(١).

وعدها خمس عمائر الدكتور محسن عبد الصاحب المظفر، وهي على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة محمد بن زيد الداعي، وعمارة عضد الدولة البويهى، وعمارة لم تنسب إلى أحد، وعمارة الملك صفي^(٢).

وهو ما ذهب إليه الباحث كاظم عبود الفتلاوي فعدها على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة محمد بن زيد الداعي الحسني، وعمارة عضد الدولة البويهى، وعمارة لم ينسب بناؤها إلى أحد، وعمارة الشاه صفي الصفوي^(٣).

أما الدكتور حسن عيسى الحكيم فذهب إلى أنها ست عمائر هي على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة الداعي العلوي، وعمارة عضد الدولة البويهى، وعمارة أويس بن حسن الجلائري، وعمارة الأمير التركماني بير بولاق، وعمارة الشاه عباس الصفوي^(٤).

في حين ذهب الشيخ محمد السماوي إلى أنها سبع عمائر هي على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة الداعي بن زيد الحسني، وعمارة عضد الدولة البويهى، وعمارة أويس بن الحسن الجلائري، وعمارة الشاه عباس الصفوي، وعمارة الشاه

(١) فصول من تاريخ النجف وبحوث أخرى. الباحث عبد الرحيم محمد علي: ٢٢.

(٢) مدينة النجف عبقرية المعاني وقديسة المكان. سابق: ٤٥٨-٤٥٩.

(٣) مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف. كاظم عبود الفتلاوي: ١١-١٣.

(٤) ينظر: الفصل في تاريخ النجف الأشرف. د. حسن عيسى الحكيم: ٣٥/٢ وما بعدها.

صفي الصفوي، وعمارة السلطان نادر شاه^(١). وهناك غيرهم لا يسعني ذكرهم لضيق المساحة المخصصة لذلك^(٢). وذهب الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي إلى أنها سبع عمائر^(٣)، هي على التوالي: عمارة محمد بن زيد الداعي، والعمارة الحمدانية، وعمارة عمر بن يحيى العلوي، وعمارة عضد الدولة البويهية، وعمارة الإيليخانيين، والعمارة الصفوية (عمارة الشاه عباس الصفوي وحفيده الشاه صفي)، وعمارة السلطان نادر شاه.

كما ذهب إلى أنها سبع عمائر أيضاً الدكتور عبد الهادي عباس الإبراهيمي وهي على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة الملك محمد بن زيد الداعي الحسيني، وعمارة الأمير عبد الله بن حمدان الحمداني، وعمارة الزعيم عمر بن يحيى، وعمارة السلطان عضد الدولة فناخسرو البويهية، وعمارة الأمير حسن بن نويان الجلאתري، وعمارة الشاه صفي الصفوي^(٤). وأوصلتها الدكتورة سعاد محمد ماهر إلى ثمان عمائر^(٥) وهي على التوالي: عمارة داود بن علي العباسي، وعمارة هارون الرشيد، وعمارة عمر بن يحيى القائم بالكوفة، وعمارة ابن زيد الداعي، وعمارة أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، وعمارة عضد الدولة البويهية، وعمارة الإيليخانيين، وعمارة صفي حفيد الشاه عباس الصفوي الأول، وهي العمارة الحاضرة اليوم. فقالت:

(١) عنوان الشرف في وشي النجف. الشيخ محمد السماوي (أرجوزة): ٥٠-٥٣.

(٢) من قبيل السيد عبد الرزاق الحسيني في كتابه: (العراق قديماً وحديثاً: ١٣٣). والدكتور محمد جواد نور

الدين فخر الدين في كتابه: (تاريخ النجف الأشرف حتى نهاية العصر العباسي: ٢٢٦).

(٣) ينظر: قبر الإمام علي وضريحه. د. صلاح مهدي الفرطوسي: ١٤٩.

(٤) قطب الدائرة. بحث. د. عبد الهادي عباس الإبراهيمي. مجلة تراث النجف. العدد ٢. لسنة ١٣٣٣ هـ /

٢٠١٣ م. ص ١٤٢.

(٥) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. د. سعاد ماهر ١٢٩-١٣٦.

"تعتبر عمارة داود بن علي العباسي سنة (١٣٣هـ) الأولى، وعمارة هارون الرشيد الثانية، وقام بالعمارة الثالثة للمشهد الرئيسي الجليل عمر بن يحيى... وتعتبر العمارة الرابعة التي قام بها ابن زيد الداعي... وعمارة أبي الهيجاء التي تعتبر العمارة الخامسة... والعمارة السادسة هي التي قام بها عضد الدولة البويهى... أما العمارة السابعة فقد حدثت سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) بعد احتراق عمارة عضد الدولة... لهذا فإننا نؤيد أن العمارة السادسة من عمل الإيلخانيين وأن بعض آثارها ما تزال باقية في مسجد الرأس -عندما زارتها هي، وقد أزيلت اليوم-... والعمارة السابعة للمشهد هي التي ما تزال قائمة حتى اليوم... فترجع إلى الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول بن (كذا) الشاه إسماعيل"^(١).

ويوضح النص أعلاه -المقتبس من كتابها-: أنها وصفت عمارة الإيلخانيين بالعمارة السابعة تارة، ثم عادت فوصفت عمارة الشاه صفي بالعمارة السابعة تارة أخرى.

وذهب د. محمد جواد نور الدين فخر الدين إلى أن عدد العمارات في المدة المحددة لموضوع بحثه في العصر العباسي هي خمس عمارات بين سنتي (١٣٢هـ-٦٥٦هـ) وهي على التوالي: عمارة هارون الرشيد، وعمارة محمد بن زيد العلوي، وعمارة أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، وعمارة عمر بن يحيى، وعمارة عضد الدولة البويهى.^(٢)

وكما اختلف المؤرخون في من هو أول من شيّد عمارة على قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وكم هو عددها، فقد اختلفوا في أمر من شيّد العمارة المائلة اليوم على قولين:

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٣٦.

(٢) تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي. سابق: ٢٤٧.

أولهما: إن من شيد العمارة الماثلة هو الشاه صفي الصفوي حفيد الشاه عباس الصفوي الأول، وقد ذهب إلى ذلك الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء^(١)، ورضا قلي في كتابه ملحق روضة الصفا^(٢)، والشيخ جعفر محبوبة^(٣)، ومحمد علي جعفر التميمي^(٤)، ومال إلى ذلك الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي^(٥). والدكتورة سعاد ماهر محمد^(٦).

فقد نقل صاحب (تاريخ النجف المعروف باليتيمة الغروية) عن الشيخ عباس كاشف الغطاء "أن الشاه صفي ابن -والصحيح حفيد- الشاه عباس زار قبر أمير المؤمنين عليه السلام في سنة إحدى وأربعين وألف، وأمر وكلاءه والمهندسين ببناء القبة المنورة والصحن والخانات على هذا التفصيل الذي هو موجود الآن... فبنوا القبة والصحن والرواق المعروف الآن بخان دار الشفا، وبنى محلاً للطبخ وإطعام الطعام... وبنى أيضاً من باب الصحن إلى قريب السور زقاً وفي جانيه أوابين لمبيت الزوار وبنى مما يلي خان دار الشفا من جهة الشرق مطاهر للزوار... كل هذه البناءات في ثلاث سنين"^(٧).

أما الشيخ جعفر محبوبة فقد أسمى العمارة الخامسة الماثلة الآن بـ "عمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول، وهي العمارة الحاضرة، فإنه بعد تعاقب الدهور

(١) تاريخ النجف المعروف باليتيمة الغروية: ٤٠٢

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٤٨/١. نقلاً عن رضا قلي. ملحق روضة الصفا ج ١.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٥٠.

(٤) مشهد الإمام أو مدينة النجف. محمد علي جعفر التميمي: ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) قبر الإمام علي وضريحه. د. صلاح مهدي الفرطوسي: ٢٠٣.

(٦) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف: ١٣٦.

(٧) تاريخ النجف المعروف باليتيمة الغروية. سابق: ٤٠٣.

ومرّ عشرات من السنين على العمارة المتقدمة تضعضعت القبة المنورة وكانت ساحة الصحن الشريف ضيقة ولم تكن بهذه السعة الموجودة اليوم فأمر الشاه المذكور بهدم بعض جوانب الصحن الشريف وتوسيعه وتوسيع ساحة الحرم العلوي المطهر وقد ذكر هذه العمارة رضا قلي في كتابه ملحق روضة الصفا فقال ما ترجمته: (صدر الأمر اللازم بتجديد عمارة القبة والمرقد لحضرة... أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مرور الدهور وتعاقب الأعوام والشهور حصل تكسر وأراد توسعة ذلك الحرم... وكان الذي تصدى لهذه الخدمة وزيره ميرزا تقي المازندراني وأقام في هذا العمل ثلاث سنين جمع المعمارين والمهندسين في النجف ووجدوا حوالي النجف معدن الصخور في غاية الصفاء وبهاء اللون فعملوا منه ما يحتاجون إليه)... وذكرها معاصرها محمد حسين كتابدار فقال: والعمارة الموجودة الآن (سنة ١٠٩٥) هي عمارة السلطان المرحوم شاه صفي)، ويضيف الشيخ محبوبة إلى ذلك قوله: إن "العمارة الحاضرة اليوم سنة (١٣٥٣ هجرية) هي عمارة الشاه صفي" ^(١).

ثانيهما: إن من شيّد العمارة الحاضرة هو الشاه عباس الصفوي الأول قبل منتصف القرن الحادي عشر، وقد ذهب إلى ذلك كل من السيد حسين بن أحمد البراقي، والشيخ محمد حرز الدين، والسيد محسن الأمين ^(٢)، والشيخ محمد الكوفي ^(٣)، والشيخ محمد حسين حرز الدين، والدكتور حسن عيسى الحكيم ^(٤)، والدكتور صادق المخزومي ^(٥) وغيرهم.

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٤٨ - ٥٠.

(٢) ينظر: أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٣٣١ / ٢.

(٣) نزهة الغري في تاريخ النجف. الشيخ محمد الكوفي الغروي: ١٨٣ / ٢.

(٤) المفصل في تاريخ النجف الأشرف. د. حسن عيسى الحكيم: ٤٥ / ٢.

(٥) موسوعة الجغرافية الاجتماعية. النجف الأشرف. ملامح الحضارة والتراث. سابق: ٣٦٥ / ١.

يقول السيد حسين البراقبي في كتابه (اليتيمة الغروية): "إن بناء قبر أمير المؤمنين عليه السلام للشاه الأول، وهو الشاه عباس الأول، وكان هو الذي جمع البنّائين والمهندسين، وبذل الأموال الكثيرة، وبنوا القبة والرواق والصحن الشريف... هذا هو النبا اليوم. وكان تفصيل الصحن والقبة بنظر الشيخ البهائي... وكان البهائي أحد المهندسين، وبنى الحرم والرواق والقبة مع الصحن بهذا البناء اليوم بنظره"^(١).

ويشير الشيخ محمد حرز الدين خلال حديثه عن الشاه عباس الصفوي الى ذلك بقوله: "وهو الذي عمر العتبات العالية في العراق وصرف لذلك أموالاً طائلة عليها، والشاه عباس هذا هو الباني لصحن أمير المؤمنين، وحرمة الموجود بناؤه اليوم سنة (١٢٩٥ هـ - / ١٨٧٨ م-) كما أمر بحفر قناة من الفرات إلى النجف ليشرب المجاورون وطلبة العلم والعلماء الماء الحلو وهو المعروف اليوم بنهر الشاه من صدره، وفي النجف بالقناة العباسية".

ويضيف الشيخ محمد حرز الدين إلى ذلك قوله: "ووجدت مكتوباً على ظهر كتاب الشرائع المخطوط من كتب والدنا العلامة البهائية أن دخول الشاه عباس بن (كذا) الشاه محمد الحسيني العراق سنة (١٠٣٣ هـ / ١٦٢٤ م) بعد أن أرسل جملة من الرؤساء والخوانين فحاصروا بغداد... ثم هرب رجال الحكم من الروم في بغداد وفتحها"^(٢).

كما تحدث الشيخ محمد حسين حرز الدين عن طريق الشاه عباس للنجف الأشرف وما فعله حين لاحت له القبة المطهرة بقوله: إنه وصلها عن "طريق الحلة،

(١) تاريخ النجف المعروف باليتيمة الغروية.. سابق: ٤٠٥ - ٤٠٨. و ٤٠٤ أيضاً.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٤ / ٢. هامش رقم ١.

فلَمَّا أن صار موكبه على مرحلة من وادي السلام، ولاحت لعينيه القبة المنورة، نزل عن ركابه وجعل يمشي حافياً على قدميه، وهو حامل تاجه بين يديه، ونزل معه جميع وزرائه وأمرائه وعساكره حتَّى دخول الحرم الأقدس، وبقي في جوار حرم أمير المؤمنين عليه السلام عشرة أيام، وكان يقضي أكثر أوقاته في الزيارة والدعاء والابتغال، وقد جعل نفسه أحد الخدم الذين يخدمون ذلك الحرم الشريف، وكان يتولَّى كنس الحرم من الغبار بيده في كلَّ يوم من أيَّام إقامته في النجف الأشرف... وبعدما قضى ما يريد من زيارته انعطف إلى كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام ومنها إلى كركوك وبعدها عاد مرة أخرى سنة (١٠٣٣ هجرية)... أمر بتجديد القبة العلوية ووسع الحرم وجلب من أجل ذلك المهندسين^(١).

وزاد الشاه عباس الصفوي الأول من اهتمامه بالمرقد العلوي الشريف على ما تقدم ذكره بأن راعى أن يتولى سدانة العتبة رجل فقيه مؤهل وإداري لائق لذلك، فجاء من إيران بعالم كبير ومحقق ومنطقي شهير هو صاحب كتاب الحاشية في المنطق الملا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي صاحب كتاب (الحاشية) في المنطق ليكون خازناً لحرم أمير المؤمنين عليه السلام، يقول المجتهد الشيخ محمد حرز الدين: "المعروف المتسالم عليه أنه - الشاه عباس - أتى به - المولى عبد الله شهاب الدين - ليتولى نقابة الحرم المقدس، وسلَّمه مفاتيح الحرم، والخزانة الكبيرة والتي فيها السلاح الموقوف الذي أعد للدفاع عن الحرم خاصة والنجف الأشرف عامة من الغارات البدوية والوهابية، وخزانة الآثار النفيسة، وبنى له الشاه عباس مدرسة في النجف في الجانب الشمالي الغربي منها تقع في محلة المشراق... وجلب له الطيور من الهند المعروفة عند

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٢٨٨.

العامّة في النجف بطيور الحضرة تارة والطورانية أخرى"، وغير ذلك^(١).

ويبدو أن السيد عبد المطلب الخرسان لم يطلع على ما كتبه الشيخ حرز الدين فروى عن من أدرك من كبار السن: "أن أحد الهنود المقيمين في النجف الأشرف في القرن الثالث عشر للهجرة جاء بزوجين من هذا النوع من الحمام... إلى أن تكاثرت... وكثير من الزائرين وأهل النجف -ولا زالوا إلى اليوم- يندرون لها الحبوب ويعتقدون أن الله تعالى يقضي حوائجهم لرأفتهم بهذه الطيور، ويوفون نذرهم بها"^(٢).

وكان الشيخ جعفر محبوبة قد أكد أن الشاه عباس الصفوي الأول قد عمّر الحرم العلوي الشريف ودعم قناعته بآراء بعض المؤرخين فقال: إن الشاه عباس الصفوي الأول قد كان "عمّر الروضة المطهرة، والقبة المطهرة، والصحن الشريف، كما في (ملحق روضة الصفا) الفارسي لرضا قلي المتخلص بهداية، طبع إيران سنة (١٢٧٠ هجرية) فإنه عدّ مآثره الخيرية وذكر منها هذا الإصلاح. ومثله في (المنتظم الناصري) تأليف محمد حسن خان صنيع الدولة (ج ٢ ص ١٧٩)"^(٣). وقد اشتهر بين المعمرين من علماء ووجهاء بل كبار سكنة النجف الأشرف ذلك، وتسالموا عليه فتناقلته أجيالهم. وهو ما استدل به الشيخ محبوبة ردّاً على من أنكر ذلك وأنكر أيضاً دور الشيخ البهائي في هندستها، وهو استشهاد في محله. فقال: إن "ما اشتهر بين النجفيين من أن العمارة كانت في زمن الشاه عباس هو صحيح لا شبهة فيه، فإنهم تلقوه خلفاً عن سلف وتسالموا عليه يدّاً عن يد، وهي كسائر أماكنهم المقدسة

(١) معارف الرجال. سابق: ٢ / ٤-٥.

(٢) مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة. ٦٥ - ٦٦.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. ١ / ٤٧-٤٨.

التي يثبتونها والآثار التي يعلمونها. ويعضد شهرتهم المصدر التاريخي كما ذكرنا عن المنتظم الناصري وعن ملحق روضة الصفا، فإنها عدّا من آثار الشاه عباس الأول بناء القبة والصحن الشريف والروضة (كما تقدم نقله)، فعلى هذا يمكن أن يقوم الشيخ البهائي بهذه الخدمة الجليلة وهو معاصره^(١).

وعلى الرغم من أن الشيخ محبوبة استدل على رأي من ذهب إلى أن الشاه عباس الصفوي قد عمّر المرقد العلوي الطاهر وسدده وبرهن عليه، إلا أنه لم يعد ما شيده الشاه عباس الصفوي عمارة قائمة بذاتها.

والذي أميل إليه أن بعض هيكل العمارة القائمة اليوم يعود لعمارة الشاه عباس الصفوي، وقد حدثتها وطورتها وأضافت إليها وأعطتها هيكلها المائل اليوم - ما خلا تذهيب القبة الشريفة، والمنارتين العلويتين والإيوان المطهر، وتجديد الكاشي في الصحن الشريف - عمارة حفيده الشاه صفي، فبغض النظر عن قوة السند التاريخي لهذا القول من جهة، وبعيداً عن اشتها ذلك عند النجفيين الذين تسالموا على أخذه يداً عن يد، وجيلاً عن جيل حتى يوم الناس هذا من جهة أخرى، فإن بعض أهل الفن والتخصص الدقيق في العمارة انتهى بعد الفحص والتحري والبحث والكشف الميداني إلى ذلك.

تقول الدكتورة سعاد ماهر محمد خلال حديثها عن الاختلاف بين المؤرخين في أمر من شيد العمارة الحاضرة، هل هو الشاه عباس الصفوي أو هو حفيده الشاه صفي، ولكل من الرأيين من يقول به، ويتبناه كما تقدم: "لذلك رأيت الرجوع إلى بناء المشهد نفسه، وقد تبين لي بعد فحصه بدقة... أن الذي قام بعمارته الشاه صفي

(١) المصدر السابق: هامش رقم ١ / ٤٩-٥٠.

لا يرجع كله إلى عهد واحد، وذلك واضح من فتحات عقود الأروقة وكذا مساحة الإيوان الذي يقع خلفه... وعند الكشف عن أساسات وكذا مقاس أحجار إيوانات وعقود الجهة اليمنى من الباب -باب الطوسي- وجد أنها تختلف تماماً عن أساسات ومقاس أحجار عقود وإيوانات الجهة اليسرى كما أنها أحدث قليلاً. ومثل هذا الاختلاف في البناء وفي المقاسات وفي عدد العقود وكذا الإيوانات أو الحواصل نجده في الأضلاع الثلاثة الأخرى التي تحيط بصحن المشهد... وعلى ذلك (نستطيع أن نؤكد أن السور الذي يحيط بالمشهد والذي يوجد به الأروقة والإيوانات التي تطل على الصحن يرجع إلى عمارتين مختلفتين، وإن تقاربنا في الزمن وفي الطراز). لذلك فإنني أرجح أن تكون المباني القديمة للعمارة في هذا السور من عمل الشاه عباس الأول^(١).

وقد التبس الأمر على د. سعاد ماهر، فهي في الوقت الذي انتهت فيه بعد الفحص والتحري المعماريين إلى أن العمارة الماثلة هي مزيج من عمارتين متقاربتين في الزمن والطراز، كما أنها اقتنعت بما عزز به الشيخ محبوبة رأيه بأن ما توارثه النجفيون من أن الشاه عباس الصفوي قد أشاد عمارة المرقد الشريف، لذلك فقد كان من الطبيعي أن تنتهي ببحثها إلى أن العمارة الحاضرة التي ترجع كما وصفتها "إلى عمارتين مختلفتين وإن تقاربنا في الزمن وفي الطراز" متكونة من عمارة الشاه عباس الصفوي، وعمارة حفيده الشاه صفي الصفوي، لاشتغالهما على ما ذكرته من تقارب في الزمن وفي الطراز، إلا أنها حين عدت العماثر على المرقد العلوي الشريف لم تذكر منها عمارة للشاه عباس الصفوي، مرجحة أن الشاه عباساً

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. ص: ١٣٩.

أصلح عمارة الإيليخانيين ولم يعمر عمارة جديدة، غافلة عن أن الزمن بين عمارة الإيليخانيين، وزيارة الشاه عباس الصفوي الذي عمّر خلالها المرقد المطهر أقل قليلاً من ثلاثمائة سنة وهو زمن طويل، كما أن آثار العمارة الإيليخانية لم تجد لها هي نفسها حين فحصت أثراً في عمارة الصحن الشريف ووجدته في مسجد الرأس فقالت: "لذلك فإني أرجح أن تكون المباني القديمة للعمارة في هذا السور من عمل الشاه عباس الأول" كما تقدم ذكر ذلك آنفاً..



الرابع

عمارات الحرم العلوي الطاهر

أما وقد انتهى بي البحث إلى ما انتهى إليه فيني أرجح أن تكون عمائر الحرم العلوي الشريف تسع عمائر^(١) هي:

العمارة الأولى: عمارة هارون الرشيد

ذكر الكثير من المؤرخين^(٢) أن أول عمارة على القبر الشريف أقيمت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (ت ١٤٩-١٩٣ هـ / ٧٦٦-٨٠٨ م) يوم بنى عمارته بآجر أبيض، وأنشأ رواقاً، وأقام على الرواق قبّة من طين أحمر، جعل لها أربعة أبواب، ووضع عليها جرّة خضراء، وهي العمارة الأولى للحرم العلوي المطهر.

ورغم أن القندوزي أورد في (ينابيع المودة) قوله: "لم يزل قبر علي رضي الله عنه مختفياً إلى زمن الرشيد، ثم ظهر بالغري بظاهر الكوفة، ويزوره إلى اليوم الناس، وصار قبره مأوى كلّ لهيف وملجأ كلّ هارب.

ففي سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، بُنيت قبّة على القبر الشريف ذات أبواب أربعة، بأمر من هارون الرشيد، أشار ابن طاووس إليها فقال: فيما ذكر ابن طحال أن

(١) خلافاً لقناعتي السابقة المنشورة في كتابي (حوزة النجف الأشرف النظام ومشاريع التطوير)، و(النجف الأشرف وحوزتها) بعد أن تبين لي أن مفهوم العمارة أوسع مما كنت أعتقد.

(٢) قالت د. سعاد ماهر محمد: "يجمع جمهور المؤرخين على أن أول عمارة أقيمت على قبر أمير المؤمنين تلك القبّة التي أقامها هارون الرشيد" (مشهد الإمام علي في النجف: ١٢٨). وهو ما ذهب إليه أيضاً د. محمد جواد نور الدين فخر الدين في كتابه (تاريخ النجف الأشرف حتى نهاية العصر العباسي: ٢٢٦).

الرشيد بنى عليه بنياناً بأجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم من كل جانب بذراع، ولما كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنياً عليه تربة وجصاً وأمر الرشيد أن يُبنى عليه، فبنيت من طين أحمر وطرح على رأسها جرة خضراء، وهي في الخزانة اليوم^(١).

وتعدّ هذه العمارة أول عمارة أقيمت على قبر الإمام علي عليه السلام، ووصفت في إرشاد القلوب للدليمي بأنها عبارة عن بناء مربع، جدرانه من الأجر الأبيض، أقيم فوقه قبة من الطين الأحمر ووضع فوق القبة جرة خضراء.

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ إقامة هذه العمارة، فقد ذكر صاحب (رياض السياحة) بأنها بنيت سنة (١٥٥ هـ / ٧٧٢ م)^(٢)، وهو غريب؛ لأنّ الرشيد تولى الخلافة سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، فيما جاء في (عمدة الطالب) و(نزهة القلوب) أنّها بنيت سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، بينما ذكر صاحب (نزهة الغري)، وتبعه صاحب (تاريخ النجف الأشرف)^(٣) أنّها بنيت سنة (١٧٥ هـ / ٧٩١ م)، وذكر بعضهم^(٤) أنّها بنيت سنة (١٨٠ هـ / ٨٠١ م) معللاً ذلك بالظرف السياسي المستجدّ بين العلويين والعباسيين في هذه السنة.

وأرجح الأقوال -عندي- أنّها بنيت سنة (١٧٥ هـ / ٧٩١ م)، لوجود سند تاريخي رواه المستوفي القزويني نقلاً عن نزهة القلوب^(٥)، خلافاً لمن ذهب إلى أنّها

(١) فرحة الغري. سابق: ٢٧٣.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. الشيخ محمد حسين حرز الدين: ٢ / ٦٥.

(٣) الشيخ محمد حسين حرز الدين: ٢ / ٦٥.

(٤) ينظر: تاريخ النجف الأشرف في العصرين الأموي والعباسي الأول. كريم مرزة الأسدي.

(٥) موقع صوت العروبة. دراسات. أكتوبر. ٢٠١٧ م.

(٥) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٦٥ نقلاً عن نزهة القلوب فارسي: ٣٣.

بُنيت سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م)، ذلك أن الرشيد تولى الخلافة سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م)، ومن المستبعد أنه بناها في أول سني خلافته.

أمّا قصّة بناء هذه العمارة، فقد ذكرها الشيخ المفيد، وابن طاووس، وابن عنبه، والديلمي، والمجلسي، والحر العاملي، والسيد حسن الصدر، وغيرهم ناقلين عن عبد الله بن حازم قوله: "خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة لتتصيد، فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية، فرأينا طباءً فأرسلنا عليها الصقور والكلاب، فحاولتها ساعة ثمّ لجأت الطباء إلى أكمة، فوقفت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب، فتعجّب الرشيد من ذلك، ثمّ أنّ الطباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب، فرجعت الطباء إلى الأكمة فتراجعت الصقور والكلاب، ففعلت ذلك ثلاثاً، فقال الرشيد: اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال له هارون: أخبرني ما هذه الأكمة؟! قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك، قال: لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك، فقال: حدّثني أبي عن آبائه أنّهم كانوا يقولون إنّ في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حرماً آمناً لا يأوي إليه شيء إلا آمن، فنزل هارون ودعا بماء فتوضّأ وصلى عند الأكمة وتمرّغ عليها وجعل يبكي ثمّ انصرفنا"^(١).

وروى الدميري أن الرشيد بعد أن وقف على الأكمة: "جاءه رجل من أهل الحيرة وقال: رأيته إن دلتك على قبر ابن عمك علي بن أبي طالب ما لي عندك؟ قال: أتم مكرمة، وقال: هذا قبره، فقال له الرشيد: من أين علمت ذلك؟، قال: كنت أجيء مع أبي فيزور قبره، وأخبرني: أنه كان يجيء مع جعفر الصادق (رضي الله

(١) الإرشاد. المفيد: ٢٥ / ١ وما بعدها. وفرحة الغري. ابن طاووس: ١٠١. وعمدة الطالب. ابن عنبه: ٤٣.

عنه) فيزوره، وإن جعفرًا كان يحيي مع أبيه الباقر فيزوره، وإن محمدًا كان يحيي مع أبيه علي زين العابدين فيزوره، وإن عليًا كان يحيي مع أبيه الحسين فيزوره، وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر فأمر الرشيد أن يحجر الموضع فكان أول أساس وضع فيه^(١).

ولعل الرواية الثانية أدعى للقبول.

"يقول محمد بن عائشة: فكان قلبي لا يقبل ذلك، فلما كان بعد أيام حججت إلى مكة، فرأيت بها ياسرًا، وكان يجلس معنا إذا طفنا فجرى الحديث إلى أن قال: قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا من مكة فنزلنا الكوفة، يا ياسر: قل لعيسى بن جعفر فليركب فركبا جميعاً وركبت معهما، حتى إذا صرنا إلى الغريين، فأما عيسى فطرح نفسه فنام، وأما الرشيد فجاء إلى أكمة فصلّى عندها، فكلما صلّى ركعتين دعا وبكى وتمرّغ على الأكمة، ثم يقول: يا ابن عمّ أنا والله أعرف فضلك وسابقتك، وبك والله جلست مجلسي الذي أنا به، وأنت أنت، ولكنّ ولدك يؤذونني ويخرجون عليّ، ثم يقوم فيصليّ ثم يعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي، حتى إذا كان وقت السحر، قال لي: يا ياسر أقم عيسى، فأقمته، فقال له: يا عيسى قم صلّ عند قبر ابن عمّك، قال له: وأيّ ابن عمومي هذا؟ قال: هذا قبر علي بن أبي طالب، فتوضّأ عيسى وقام يصليّ، فلم يزال كذلك حتى طلع الفجر، فقلت: يا أمير المؤمنين أدركك الصبح، فركبنا ورجعنا إلى الكوفة"^(٢).

وقد تكررت أهم هذه المضامين في رواية أخرى بعد سنة عن ياسر أيضاً إثر

(١) تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي. سابق: ٢٢٧ نقلاً عن حياة الحيوان الكبرى. كمال الدين محمد بن

موسى الدميري: ٢/ ٢٢٦.

(٢) الإرشاد. المفيد: ١/ ٢٥ - ٢٨.

خروجه مع الرشيد إلى الرقة جاء فيها قول ياسر للرشيد: "قلت يا أمير المؤمنين تفعل هذا بقبره وتحبس أولاده؟"، فإذا فهمنا من عبارة ياسر المتقدمة للرشيد "تفعل هذا بقبره) وتحبس أولاده"^(١)، أي تأمر بعمارة للمرقد الشريف من جهة وتحبس أولاده من جهة أخرى؟ فتكون الرواية بذلك من أولى الروايات الدالة على عمارة الرشيد للمرقد المطهر، كما أنها تشي بتاريخ العمارة.

ويبدو أنّ عمارة الرشيد قد هدمت على يد المتوكل العباسي كما ورد في تاريخ طبرستان الفارسي^(٢) أو اندرست بعد عشرات السنين، بسبب الضغوط الكبيرة التي كان يمارسها عتاة العباسيين على مراقد العلويين، من خلال عدم السماح لهم بصيانة أو ترميم المرقد الطاهر لأمر المؤمنين عليه السلام.

فقد أشار ابن طاووس عن محمد بن علي بن رحيم الشيباني، قال: مضيت أنا ووالدي علي بن رحيم وعمي حسين بن رحيم وأنا صبي صغير في سنة نيف وستين ومائتين بالليل، ومعنا جماعة متخفين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فلما جئنا إلى القبر، وكان يومئذ قبراً حوله حجارة سنده ولا بناء عنده، وليس في طريقه غير قائم الغري^(٣)، ذلك أنّ المتوكل منع زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ومنع السكن عنده^(٤)، بل زاد على ذلك فخرّب النجف الأشرف سنة (٢٣٦هـ / ٨٥٠م)^(٥).



(١) فرحة الغري، ابن طاووس: ١٤٣ وما بعدها.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٤٣ / ١ نقلاً عن تاريخ طبرستان الفارسي: ١ / ٩٥.

(٣) فرحة الغري، ابن طاووس: ١٢٢.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ. ابن الأثير: ٥ / ٢٨٧.

(٥) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٦٤.

العمارة الثانية: عمارة محمد بن زيد الحسني

هو محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل المعروف بـ(جالب الحجارة)^(١) ابن الحسن المعروف بـ(دفين الحاجز)^(٢) ابن زيد المعروف بـ(الجواد)^(٣) ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بـ(الداعي) صاحب طبرستان^(٤).

فقد ذكر ابن طاووس أن محمد بن زيد هو الذي بنى المشهد الشريف الغروي، أيام المعتضد بعد اندثار عمارة هارون الرشيد، وقتل محمد في وقعة أصحاب السكّان، وقبره بجرجان^(٥).

وقد نقل صاحب كتاب (تاريخ طبرستان) لابن اسفنديار أن عمارة الداعي أقيمت بعد الخراب الذي لحق بعمارة الرشيد في عهد المتوكل كما وأعاد جميع القبور الدارسة للطالبيين^(٦).

وذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ في حوادث سنة (٢٨٧هـ / ٩٠٠م)، أن (الداعي) ملك طبرستان سبع عشرة سنة وسبعة أشهر بعد أخيه الحسن^(٧)، وقيل: عشرين سنة، وقتل في (شوال من سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م)،

(١) تحفة العالم، بحر العلوم: ٢٧١.

(٢) فرحة الغري، ابن طاووس: ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٤) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٤٥.

(٥) فرحة الغري، ابن طاووس: ١١٠.

(٦) تاريخ طبرستان. ابن اسفنديار: ١ / ٢٣٧، نقلا عن النجف حتى نهاية العصر العباسي. د. محمد جواد نور الدين فخر الدين: ٢٣٧.

(٧) مقاتل في عام (٢٧٠هـ / ٨٨٣م) توفي الحسن بن زيد العلوي (وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وولي مكانه أخوه محمد بن زيد. مجلة البلاغ ٤ السنة الأولى رجب (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) صفحة ٩١).

وحمل رأسه ورأس ابنه زيد إلى بخارى^(١).

وكان محمد هذا يبعث في كل سنة بثلاثين ألف درهم أحمر يصرفها على العتبات المقدسة، ويعود إليه الفضل في إعادة بناء قبور جميع الطالبين المندرسة التي عفا عليها الزمن.

وربما تنسب هذه العمارة إلى أخيه الحسن، ولعل سبب هذا اللبس ما أشار إليه الشيخ الطوسي في كتابه (التهذيب) من أن الحسن بن زيد بنى حائطاً كسور يحيط بالمشهد العلوي.

وقد أنشئت عمارة محمد بن زيد المعروف بـ(الداعي الصغير) ملك طبرستان في زمن المعتضد بالله العباسي كما تقدم^(٢)، ولعلها هي العمارة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام عند زيارته لقبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، فعن فرات بن أحنف، قال: "كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، ونحن نريد زيارة أمير المؤمنين عليه السلام مضى ومضيت معه، حتّى انتهى إلى موضع، فنزل وصلى ركعتين، وقال: ها هنا قبر أمير المؤمنين عليه السلام، أمّا أنّه لا تذهب الأيام حتّى يبعث الله رجلاً ممتحناً في نفسه في القتل، يبني عليه حصناً، فيه سبعون طاقاً"^(٣).

وتتكوّن هذه العمارة من قبة وحائط وحصن فيه سبعون طاقاً على شكل عقود، والعقود التي في الحصن جعلت على شكل زوايا، اتخذت كمحل لسكن طلبة العلم وزوّار المرقد الطاهر.

(١) في سنة سبع وثمانين ومائتين جرت حروب ومناوشات بين محمد بن زيد وإسماعيل الساماني، أدت أن يصاب محمد بعدة ضربات مميتة قضت عليه بعد ذلك فدفن على باب جرجان، وأسر ابنه زيد في هذه الواقعة وحمل إلى إسماعيل. مجلة البلاغ ٤ السنة الأولى رجب (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) صفحة ٩١.

(٢) المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله (ت ٢٨٩هـ / ٩٠٢م).

(٣) فرحة الغري. سابق: ١٧.

العمارة الثالثة: عمارة عبد الله بن حمدان التغلبي أمير الموصل

روى محمد بن حوقل البغدادي الموصلي في كتابه (صورة الأرض) أنَّ الأمير الحمداني أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان مؤسس الأسرة الحمدانية ووالد سيف الدولة، وأمير الموصل (ت ٣١٧هـ / ٩٢٩م) عمّر مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، "وجعل عليه حصاراً منيعاً، وابتنى على القبر الشريف قبة عظيمة رفيعة الأركان ومن كل جانب لها أبواب، وسترها بفخر الستور، وفرشها بثمان الحصر الساماني، وقد دفن في هذا المكان المذكور جلة أولاده وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبة، وجعلت الناحية ممّا دون الحصار الكبير ترباً لآل أبي طالب" ^(١).

ولم يقتصر ذكر هذه العمارة من قدماء المؤرخين على ابن حوقل، بل ذكرها غيره أيضاً منهم الشريف الإدريسي بقوله: "وعلى ستة أميال من الكوفة قبة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها باب مع بالحصر السامانية، ويذكر أن بها قبر علي بن أبي طالب، وما استدار بالقبة مدفن لآل أبي طالب، وهذه القبة بناها أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان" ^(٢).

وورد في بعض المصادر أنَّ عمارة أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان أضافت أبنية جديدة للحرم.

ومن الجدير بالذكر أنَّ ابن حوقل لم يحدّد سنة بناء هذه العمارة، غير أنَّ الشيخ محمد حسين حرز الدين ^(٣) ذكر أنَّها شيّدت سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م) وهي سنة وفاته عليه السلام، وقيل في سنة (٣١٢هـ / ٩٢٢) وقيل سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) وقيل

(١) صورة الأرض. محمد بن حوقل البغدادي: ٢١٥.

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. الشريف الإدريسي: ٣٨١ - ٣٨٢.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٨٥.

سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ولعلّ الأرجح أنها بنيت سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م).



العمارة الرابعة: عمارة عمر بن يحيى العلوي

ثم حين حلت سنة (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) عمّر المرقد الشريف الرئيس أبو علي عمر بن يحيى العلوي القائم بالكوفة ابن الحسين النقيب الطاهر ابن أبي عاتقة أحمد المحدث الشاعر ابن أبي علي عمر بن أبي الحسين يحيى المقتول سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) ابن أبي عاتقة الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين عليه السلام بأن بنى على قبر جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قبة بيضاء^(١).

وكان يحيى العلوي والد عمر هذا من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام قتل سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) وحمل رأسه في قوصرة إلى المستعين العباسي^(٢).

يقول الشيخ محمد حسين حرز الدين^(٣): (إنَّ الله اختصَّ عمر بن يحيى بفضيلتين: فضيلة بناء قبة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام من خالص ماله، وردّ الحجر إلى محلّه، حيث توسّط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي هذا بين الخليفة المطيع لله في سنة (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) وبين القرامطة حتّى أجابوه إلى ردّ الحجر الأسود، وجاؤوا به إلى الكوفة وعلّقوه على الاسطوانة السابعة من أساطين الجامع قبل ردّه إلى البيت الحرام، وذلك تصديق لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في إخباره بالمغيبات.

(١) ينظر: المصدر السابق: ٢ / ٨٨.

(٢) ماضي النجف وحاضر: ١ / ٤٣ نقلاً عن مستدرک الوسائل للمحدث النور: ٣ / ٤٣٥.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٨٨-٨٩.

فقد روى أئمة الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ذات يوم بالكوفة: لا بدّ أن يسلب الحجر الأسود ويعلّق في هذه السارية وأومى إلى السارية السابعة^(١).



العمارة الخامسة: عمارة السلطان عضد الدولة البويهري

يعدّ السلطان عضد الدولة البويهري أحد تلامذة الشيخ المفيد، وقد أنشأ هذه العمارة حوالي سنة (٣٦٩هـ / ٩٧٩م) خلافاً لما ورد في تاريخ النجف الأشرف^(٢) من أنّه أنشأ عمارته سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م)، واستمرّ العمل على تشييدها حتّى سنة (٣٧١هـ / ٩٨١م).

لقد كانت هذه العمارة من أفضل العمارات المشيّدة في حينها وأحسنها وأجملها وأفخمها وأكبرها، وهي على شكل ضريح مربّع تعلوه قبة عظيمة، فبعد أن دخل البويهريّون إلى العراق، أمر عضد الدولة البويهري ببناء عمارة جديدة للعتبة العلويّة المشرفّة، بدلاً من العمارة القديمة، وبذل الأموال الطائلة لتشييدها، جالباً لها من بغداد العصر الذهبي، خيرة المهندسين والمصمّمين والمعماريين والبنّائين وذوي الفنّ والصنعة في دولته، ثمّ أحضر موادّ البناء من صخور وأخشاب وغيرها من أماكنها النائية حيث ما وجدت، وحين أعوزه الطابوق والجصّ لعمارته الشاهقة بنى لها قريباً من بئر معروف في بادية النجف مصاهر لما يحتاجه منها، كما حفر قناة للماء من نهر الفرات في الكوفة إلى حيث النجف الأشرف، ثمّ أقام رواقاً مرتفعاً عقد عليه قبة بيضاء زاهية.

(١) شهداء الفضيلة: ١٩٥.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٩١.

لقد كسا عضد الدولة البويهى حيطانها بخشب من الصاج منقوش بنقوش بديعة، ثم أوقف عليها أوقافاً لإدامة عمارتها وخدمتها وتهيئة السبل الكفيلة بخدمة القائمين عليها وزوّارها.

غير أنّ حريقاً نشب في تلك العمارة المترفة سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م)، فعمّرت بعد ذلك بأحسن وأجمل عمارة سنة (٧٦٠هـ / ١٣٥٩م) كما سيأتي.

ورغم وجود من ذهب من المؤرخين^(١) إلى أنّ عضد الدولة أقام عسكر في النجف الأشرف قرابة عام يشرف فيها على البناء، إلّا أنّ المطمأن به أنّ عضد الدولة كان يرسل الأموال ويتابع مراحل العمارة ومستلزماتها عن بعد، وحين انتهى العمل وتمّ تشييد العمارة على أحسن وجه توجه عضد الدولة بموكبه المهيّب إلى النجف الأشرف سنة (٣٧١هـ / ٩٨١م) ليفتح المرقد الطاهر.

يقول الشيخ محمد رضا الشيبى: "تبين بعد النظر في كلام المؤرخين ومقابلة ما جاء في (فرحة الغري) و(روضة الصفا) و(الكامل لابن الأثير) و(تاريخ البراقى) وملاحظة الجميع أنّ عضد الدولة أشار بالبناء وأنفذ الأموال والفعة وهو في بغداد سنة (٣٦٨ أو ٣٦٩هـ / ٩٧٩م) وأنّه خرج إلى النجف بعد الفراغ من العمارة سنة (٣٧١هـ / ٩٨١م) فشارفها ورأى حُسن أثره... وزار وأطلق الصدقات"^(٢).

وقد نوّه الشيخ علي الشرقي بـ"عزم عضد الدولة البويهى على إقامة أعظم عمارة للنجف، فبذل الأموال الطائلة وجلب البنّائين ومواد البناء والصنّاع وأهل

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٩٢ / ٢.

(٢) كتاب النجف. مجلة آفاق نجفية. العدد ١ / (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م): ٢٩٢ هامش رقم ١.

الخبرة ونقل الأخشاب والصخور من أماكن عديدة وأنشأ قريباً من المكان المعروف ببئر ملاحه مصاهر للطابوق والجص، وكان ينقل ماء الشرب على ظهور الجمال، ثم حفر قناة للماء تصعد من الفرات إلى النجف وهي اليوم موجودة تعرف بقناة آل بويه وأنهض رواقاً عالياً عقد عليه قبة بيضاء وتحتها مصطبة عليها آثار قبور ثلاثة هي قبر آدم وقبر نوح وقبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه القبور ذكرها ابن بطوطة، وتدل عليها الزيارة الماثورة التي جاء فيها: (السلام عليك وعلى ضجيعك آدم ونوح) وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهواً كان يجلس عليه متأدباً لقضاء الحوائج... وأقام حصاراً فيه الغرف والإيوانات وأنشأ داراً للضيافة وبذل الطعام للزائرين ثلاثة أيام وأجرى الجرايات وبث العطاء^(١) كما سيأتي لاحقاً.

وقد شاهد الرحالة (ابن بطوطة) هذه العمارة، عندما زار مدينة النجف الأشرف سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٧م)، ووصفها وصفاً مفصلاً كما تقدم.

وإذ أنجز مهندسوه وبنّائوه العمارة الفخمة زار عضد الدولة المشهد العلوي بموكب عظيم في آخر شهر جمادى الأولى المصادف ليوم الاثنين من سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ووزّع الأموال والعطايا على العلويين ومجاوري المرقد والمترددين عليه، وعلى الفقهاء والفقراء وعلى الخازن والنواب، كما عقد عضد الدولة في بهو الحرم المطهر وتحت رواقه البهي مهرجان افتتاح عمارته الفخمة، داعياً إليه الأمراء والعلماء والنقباء والوجهاء والشعراء والأدباء وكان من بينهم الفقيه الشاعر الشريف المرتضى، يومها دخل عضد الدولة الحضرة الشريفة وقبل أعتابها وأحسن الأدب ثم ألقى الشاعر الحسين بن الحجاج قصيدته المعروفة في

(١) الأحلام. علي الشرقي: ٧٠ - ٧١.

ذلك البهو الزاهي بمطلعها المشهور:

يا صاحب القبة البيضاء على النجف

من زار قبرك واستشفى لديك شفي

ومنها^(١):

إني أتيتك يا مولاي من بلدي

مستمسكا بحبال الحق بالطرف

راج بآنك يا مولاي تشفع لي

وتسقني من رحيق شافي اللف

لأنك العروة الوثقى فمن علقت

بها يدها فلن يشقى ولم يخف

وأنك الآية الكبرى التي ظهرت

للعارفين بأنواع من الظرف

بحب حيدرة الكرار مفخرتي

به شرفت وهذا منتهى شرفي

ووصف ابن طاووس ما قام به عضد الدولة خلال تشرفه بزيارة الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

"حدثنا يحيى بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) انظر: الكنى والألقاب. الشيخ عباس القمي: ١ / ٢٥٦.

طالب عليه السلام أنه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله محمد بن السري المعروف بابن البرسي رحمه الله المجاور بمشهد الغري سلام الله على صاحبه، على ظهر كتاب بخطه، قال: كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الأولى في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وورد مشهد الحائر لمولانا الحسين صلوات الله عليه لبضع بقين من جمادى، فزاره صلوات الله عليه، وتصدق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين وتوجه إلى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرخ ودخلها وتوجه إلى المشهد الغروي يوم الاثنين ثاني يوم وروده، وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم، وكان عدد العلويين ألف وسبعمائة اسم، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة ألف درهم، وعلى المترددين خمسمائة ألف درهم، وعلى الناحية ألف درهم، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم، وعلى المرتبين من الخازن والبواب على يد أبي الحسن العلوي، وعلى يد أبي القاسم ابن أبي عائد، وأبي بكر بن سيار^(١).

ونتيجة لإحكام السلطان عضد الدولة لعمارتها، فقد قاومت عوادي الزمن حوالي أربعة قرون تقريباً، وإن طرأت عليها إصلاحات كثيرة من قبل البويهيين ووزرائهم والحمدانيين إضافة لبعض الخلفاء العباسيين، كالناصر لدين الله الذي زاره مراراً، والمستنصر بالله الذي عمّر الضريح المقدس، وبالع في عمارته، وزاره مراراً والمستعصم الذي فرق الأموال الجلييلة عنده^(٢)، واستمرت العناية بالحرم العلوي بعد سقوط بغداد بيد المغول أيضاً حتى وصلت عمارته إلى ما وصلت إليه

(١) فرحة الغري. سابق: ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢٧٣.

من فخامة وجلال وجمال صوّرها الرحّالة (ابن بطّوطة) في رحلته تصويراً جميلاً حين زارها سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) كما تقدّم.

ولم ينسَ عضد الدولة أن يوصي بدفنه متى حان حينه عند رجلي إمامه الإمام علي عليه السلام كما سيأتي حين الحديث عن الرواق المطهر للروضة العلوية المشرفة.

وقد نفّذت وصيّته عليه السلام فإذ توفي عضد الدولة ببغداد سنة (٣٧٢هـ / ٩٨٢م) عن عمر بلغ سبعاً وأربعين سنة وأشهرًا، بعد سنة من زيارته للنجف الأشرف، وافتتاحه لعمارته لمرقد إمامه أمير المتّقين عليه السلام، فحملت جنازته إلى النجف الأشرف، ودفن حيث أوصى.

كما دفن جوار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبنائه: شرف الدولة أبو الفوارس (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م) وبهاء الدولة أبو النصر (ت ٤٠٤هـ / ١٠١٣م).

وقد شاهد محمد حسين كتابدار (١٠٩٨هـ / ١٦٨٧م) خادم الروضة العلوية المشرفة بقيّة من عمارة عضد الدولة فقال في ذلك: "أقول: وكنت قد رأيت عمارة المشهد الغروي صلوات الله على مشرفه سنة إحدى وأربعين وألف من الهجرة، وأنا في سنّ عشرة سنين أو أكثر، وكانت لسلطين كثيرة، ورأيت فيها بقيّة من عمارة عضد الدولة منها صفة كبيرة كانت على وجه باب الرواق معروفة بـ(صفة رزين) وإيوان آخر معروف بـ(حسن الأدب)"^(١).



(١) تعليقات محمد حسين كتابدار على كتاب عمدة الطالب لابن عنبه. تحقيق. د. علي خضير حجي. بحث. مجلة

العمارة السادسة: عمارة الإليخانيين

وهي العمارة التي تَمَّت في سنة (٧٦٠هـ / ١٣٨٥م) ونَقَّذها أكثر من سلطان من السلاطين، حيث لم تقتصر عمارتها على واحد منهم بعينه كي تسمَّى باسمه، غير أنَّها تَمَّت على أيدي الإليخانيين.

ولقد أقيمت هذه العمارة بعد احتراق عمارة عضد الدولة البويهبي المتقدِّم ذكرها، ذلك أنَّ الحريق الكبير لم يأت على عمارة عضد الدولة بالكلِّية، فقد احترقت أجزاء كبيرة منها، وخاصَّة جدرانها التي كانت موشاة ومزخرفة بالخشب الساج المنقوش بأبهى النقوش وأحلاها.

يقول السيّد محسن الأمين العاملي "عن آخر كتاب: (الأماقي في شرح الإيلاقي) لعبد الرحمن العتايقي الحلِّي المجاور بالنجف الأشرف في نسخته المخطوطة في الخزانة العلويَّة، الذي تم كتابه في المحرم سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م-)، قال: "في هذه السنة احترقت الحضرة الغرويَّة صلوات الله على مشرِّفها، وعادت العمارة وأحسن منها في سنة (٧٦٠هـ)"^(١)، وكان من شهود هذا الحريق، خلافاً لابن عنبه الذي يقول: "إنَّ الحريق وقع في سنة (٧٥٣هـ)"^(٢) الموافق (لسنة ١٣٥٢م). والأول أدقُّ لأنه شاهد على الحريق.

ثم عادت العمارة بعد خمس سنوات من الحريق بأحسن ممَّا كانت عليه قبله كما تقدِّم.

لقد اختلف الباحثون في أمر من وُقِّع لتشييد هذه العمارة، فمنهم من

(١) أعيان الشيعة. السيّد محسن الأمين العاملي: ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) عمدة الطالب. سابق: ٥٩.

رَجَّح أنَّها من أعمال ملوك الإيلخانيين كالشيخ جعفر محبوبة^(١)، والشيخ محمد حسين حرز الدين^(٢)، والدكتورة سعاد محمد ماهر^(٣)، ومنهم من رَجَّح أنَّه من عمل أويس بن حسن الجلائري كالدكتور حسن عيسى الحكيم^(٤)، ومنهم من رَجَّح أنَّه من عمل الشيخ حسن الجلائري كالدكتور صلاح الفرطوسي^(٥).

إلاَّ أني أميل مع من مال إلى أنَّها من عمل الإيلخانيين؛ لأنَّ هذا الرأي -إضافة لأسباب أخرى أقل أهمية- مدعوم بدراسة ميدانيةٍ لتخصُّص بآثار العمارة المتبقية، مشفوعة بقرائن أخرى، تبدو إلى حدٍّ ما مقنعة^(٦).



العمارة السابعة: عمارة الشاه عباس الصفوي الأول

تشرف الشاه عباس الصفوي الأول بزيارة العتبة العلوية الشريفة سنة (١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م) بعد أن يمّم النجف الأشرف "من طريق الحلة، فلمَّا أن صار موكبه على مرحلة من وادي السلام، ولاحت لعينيه القبة المنورة، نزل عن ركابه وجعل يمشي حافياً على قدميه، وهو حامل تاجه بين يديه، ونزل معه جميع وزرائه وأمرائه وعساكره حتَّى دخول الحرم الأقدس، وبقي في جوار حرم أمير المؤمنين عليه السلام عشرة أيام، وكان يقضي أكثر أوقاته في الزيارة والدعاء والابتهاال، وقد جعل نفسه

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٤٧.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف: ١ / ٤٧.

(٣) ينظر: مشهد الإمام علي في النجف، وما به من الهدايا والتحف: ١٣٤.

(٤) ينظر: المفصل في تاريخ النجف: ٢ / ٤٤.

(٥) ينظر: مرقد وضريح أمير المؤمنين: ٢٢٢.

(٦) ينظر: مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف: ١٣٤. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٢٣٤.

أحد الخدم الذين يخدمون ذلك الحرم الشريف، وكان يتولّى كنس الحرم من الغبار بيده في كلّ يوم من أيام إقامته في النجف الأشرف وفي هذه الزيارة أمر بتنظيف النهر المعروف بنهر الطهمازيّة الذي حفره جده الشاه طهماسب، وأوصله إلى النجف بقنوات لارتفاع الأرض ووصل الماء إلى الروضة المطهّرة ومنها إلى بحر النجف وعمل له بركة في مدينة النجف ينزلون إليها ويستقون منها^(١).

ولم يكتفِ الشاه عباس بذلك بل تشرف بالزيارة مرة ثانية فأشاد خلالها عمارة ضخمة حسب بعض المؤرخين من أمثال السيد حسين البراقي النجفي^(٢)، والمجتهد الشيخ محمد حرز الدين كما سيأتي، والمجتهد السيد محسن الأمين^(٣)، والشيخ جعفر محبوبه الذي انتهى خلال بحثه إلى أن الشاه عباس الصفوي الأول قد "عمّر الروضة المطهرة، والقبة المطهرة، والصحن الشريف، كما في (ملحق روضة الصفا) الفارسي لرضا قلي المتخلص بهداية، طبع إيران سنة ١٢٧٠ هجرية فإنه عدّ مآثره الخيرية وذكر منها هذا الإصلاح. ومثله في (المنتظم الناصري) تأليف محمد حسن خان صنيع الدولة (ج ٢ ص ١٧٩)"^(٤).

وقد اشتهر بين المعمرين من علماء ووجهاء بل وكبار سكنة النجف الأشرف ذلك، وتسالموا عليه فتناقلته أجيالهم عن من سبقهم.

وهو ما استدل به الشيخ محبوبه ردّاً على من أنكر ذلك وأنكر أيضاً دور الشيخ

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢٨٧.

(٢) تاريخ النجف المعروف باليتيمة الغروية والتحفة النجفية في الأرض المباركة الزكية. السيد حسين البراقي: ٤٦٢.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة. سابق: ٣٣١..

(٤) ماضي النجف وحاضرها. ١/ ٤٧-٤٨.

البهائي في هندستها، وهو استشهاد في محله. فقال: إن "ما اشتهر بين النجفيين من أن العمارة كانت في زمن الشاه عباس هو صحيح لا شبهة فيه، فإنهم تلقوه خلفاً عن سلف وتسلموا عليه يداً عن يد، وهي كسائر أماكنهم المقدسة التي يثبتونها والآثار التي يعلمونها. ويعضد شهرتهم المصدر التاريخي كما ذكرنا عن المنتظم الناصري وعن ملحق روضة الصفا فإنهما عدّا من آثار الشاه عباس الأول بناء القبة والصحن الشريف والروضة (كما تقدم نقله) فعلى هذا يمكن أن يقوم الشيخ البهائي بهذه الخدمة الجليلة وهو معاصره"^(١).

كما هدم السلطان الصفوي خلال تنفيذه لعمارته "الضخمة الجبارة" قسماً من رواق عمران بن شاهين المتصل بالحرم المطهر من جانب باب الطوسي وألحقه بالصحن الشريف، فقد ذكر المؤرخ الثبت الشيخ محمد حرز الدين خلال حديثه عن الرواقين اللذين بناهما عمران بن شاهين في النجف الأشرف وكرلاء قوله: "أما الرواق الذي في النجف الأشرف فقد بقي منه شيء، حيث إن الشاه عباس الأول الصفوي لما وسّع الصحن الغروي لم يرد أمير المؤمنين عليه السلام هدم معظمه لتوسعة الصحن وتربيعة، وبقي منه جناح محتفظاً بهيأته الأولى الضخمة الجبارة مع الترميم المتلاحق. وبابه اليوم من ساباط باب الصحن المعروفة بباب الطوسي، وعرف بمسجد عمران"^(٢).

وأشار إلى ذلك الشيخ علي الشرقي متحدثاً عن رواق عمران بن شاهين بعد ذكره بأن الشاه الصفوي هدمه "وألحقه بالصحن حتى تتم دورة العمارة وتحسن هندستها".

(١) المصدر السابق: هامش رقم ١ / ٤٩ - ٥٠.

(٢) مراقد المعارف. سابق: ١٣٩ - ١٤٠.

وأضاف "وقيل إن سبب الهدم هو انحراف الصحن، الأمر الذي أوجد تفاوتاً بين قبلة الصحن وقبلة الروضة، وبذلك الهدم والتغيير استقامت القبلتان. وكان الصحن ينتهي قريباً من الباب المعروف بباب الطوسي وما وراء ذلك كان رواق عمران فهدم السلطان قسماً منه واشترى ما حوله من دور وأقام هذه العمارة الماثلة^(١) المربعة الشكل.



العمارة الثامنة: عمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الصفوي الأول

زار الشاه صفي بن صفي ميرزا ابن السلطان شاه عباس الصفوي النجف الأشرف سنة (١٠٤٢ هـ / ١٦٣١ م) وقيل: سنة (١٠٤٧ هـ / ١٦٣٦ م)، وبعد أن زار الضريح المقدس ووقف عليه "وكان قد حصل بفعل عوادي الزمن تكسر فيه ونقصان فأمر وزيره ميرزا تقي خان بتجديد القبة المرتضوية، وفسحة الحرم، وتوسعته، فجمع وزيره الرازة والفعلة والمعماريين في النجف الأشرف، واشتغلوا بجد في البناء وقد عثروا على الصخر الأبيض، وهو في غاية الجودة في الجنوب الغربي لمدينة النجف الأشرف، فعملوا منه ما يحتاجون إليه، وبني خلال ثلاث سنوات داراً للشفاء، ومطبخاً، وداراً لضيافة الزائرين، وأواوين للزوار"^(٢).

لقد استمر العمل بتحسين هذه العمارة وترميمها بعد ذلك كلما استدعت الحاجة إلى إتمام بناء أو ترميم، فمن ذلك ما قيل: إنه قام به الشاه (عباس الثاني) ابن الشاه صفي الصفوي من إتمام عمل والده بعد وفاته، وكذلك ما قام به لاحقاً

(١) الأحلام. سابق: ٧١-٧٢. وينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ٣٩٤.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٢٩٥.

الوالي العثماني على العراق (حسن باشا) فقد أمر سنة (١١٢٩هـ / ١٧١٦م) من خلال ترميمه لقبة أمير المؤمنين عليه السلام مضيفاً إليها أبنية أعطتها أبهة وجمالاً^(١) وغيرهم أيضاً، والمجددون عديدون.



العمارة التاسعة: عمارة نادر شاه

زار السلطان (نادر شاه) مدينة النجف الأشرف في سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) وقيل: سنة (١١٥٥هـ / ١٧٤٢م) فوجد القبة المشرفة والمنارتين والإيوان والصحن الشريف مرصوفة بالحجر القاشاني فلم يرق له ذلك لأنها حسب قناعته لا يليق بها إلا التذهيب كونها مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، فأمر بأن تكسى القبة الموقرة بالإبريز (الذهب الخالص)، وأمر كذلك بأن تكسى المئذنتان والإيوان به أيضاً، وأن تطلّى الكتابة المنطقة للقبة من داخلها بالميناء والفسيفساء^(٢)، وقد ثبت التاريخ الهجري لتذهيب القبة والروضة سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) على أكثر من مكان، "منها ما هو مكتوب بالحروف الذهبية على جبهة الإيوان الذهبي. ونصه (الحمد لله قد تشرف بتذهيب هذه القبة المنورة والروضة المطهرة الخاقان الأعظم وسلطان السلاطين الأفخم أبو المظفر المؤيد بتأييد الملك القاهر السلطان نادر أدام الله ملكه وأفاض على العالمين سلطنته وبرّه وعدله وإحسانه، وقال في تأريخه (خلّده الله ودولته) سنة ست وخمسين ومائة وألف)، ومنها ما هو مكتوب في الرواق خلف البابين اللذين هما عند الرأس الشريف... ومنها ما هو في ظاهر القبة... وفي

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٣٢٢ نقلاً عن حديقة الزوراء في سيرة الوزراء: ١ / ٦٩. وينظر: المفصل

في تاريخ النجف الأشرف. د. حسن الحكيم: ٢ / ٨٨.

(٢) الأحلام. سابق: ١٧٦.

المأذنة الشمالية المجاورة لقبر العلامة الحلي رحمته الله أبيات فارسية، وفيها تاريخ تذهيبها، وفي آخرها اسم كاتبها محمد جعفر ومؤرخة سنة (١١٥٦هـ) ... وفي المأذنة الجنوبية المجاورة لقبر المقدس الأردبيلي رحمته الله خمسة أبيات عربية وفيها تاريخ تذهيبها. والأبيات تعلو ذراعاً فوق قامة الإنسان عن الأرض يتدنى بها الذهب وهي ...

وقام مؤذن التاريخ فيه يُكْرَرُ أَرْبَعاً (الله أكبر)

سنة ١١٥٦هـ ...

وهذا التذهيب من أشهر الآثار التاريخية وأجلها ذكراً، وهو عمل خطير قام به أكثر من مائتي صانع ونحاس وقد جمعهم من سائر الأقطار ويوجد فيهم الجيني (الصيني) والهندي والتركي والفارسي والعربي، وأكثرهم مكتوبة أسماؤهم على الطابق النحاسي وراء الذهب، وقد طليت كل قطعة على ما ذكر بعض الصاغة المباشرين لإصلاحه اليوم بمثقالين من الذهب^(١).

فلطالما بهرت بتوهج نورها الناظرين عراقيين وسواحاً من عدة أميال. فمن ذلك ما ذكرته الباحثة الآثرية البريطانية السيدة (الليدي دراور) في كتابها (على ضفاف دجلة والفرات) متحدثة وهي في طريقها إلى النجف الأشرف خلال زيارتها للعراق سنة (١٩٢٣م) بقولها: "وتراءت النجف الآن وهي تطفو في سراب الصحراء الممتدة وتغرق، تلك قبتها الذهبية المستديرة ومنائرنا النحيفة وهي ترتفع فوق أسوارها الرمادية، وكأنها صورة من الصور التي تحفل بها قصص الجان. إن المسافر المكدود التعب يرى فيها بعد قطع الأميال الكثيرة واحة جميلة فيها

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٦٤-٦٧.

الروح والريحان، فهي تضم شعائره ومقدساته ومأثوراته الدينية كلها. وفي مقدور المرء أن يرى القبة المتألثة من مسافة أميال عدة قيل إنها تبلغ (٤٠ ميلاً) إذا كان الجو صحواً رائعاً.

ويتحدث السيد عبد الرحمن شرف صاحب جريدة السفير الصادرة في الإسكندرية بمصر تحت عنوان رحلة في (الشرق المجهول) واصفاً القبة المطهرة والمئذنتين في عدد صحيفته المرقم (٣٠ لسنة ١٩٢٨م) فيقول: "لهذه القبة من الخارج شكل قلما يوجد له نظير (كذا) بين قباب الأضرحة والمساجد أيضاً في العالم كله... وهكذا شرفات المآذن الكبيرة والمحيطه بالقبة الذهبية فإذا ما أشرقت الشمس بأشعتها على تلكم القبة والمئذنتين قد تجدد إلى النجف - وهو على بعد أميال منها - بريقاً يأخذ بالأبصار، وتألّقاً يشع النور في الفضاء ويرتفع إلى عنان السماء"^(١).

ولم يكتفِ السلطان نادر شاه بتذهيب القبة الشريفة والمئذنتين المقدستين وإيوان الحرم المطهر فحسب، بل زادت زوجته الخاتون كوهر شاه بيبكم يوم رأت أن أووين الصحن الشريف وجدرانه المغشاة بالأحجار القاشانية على عهد الشاه صفي المتقدمة عمارته قد تكسر أكثرها نتيجة عوادي الزمن، وقلع قسم منها من مكانه ف"بذلت زوجته... لتجديد الكاشي في الصحن الشريف مبلغاً طائلاً، وكان الشروع في العمل سنة (١١٥٦هـ) وانتهأؤه في سنة (١١٦٠هـ)"^(٢) الموافق لسنتي (١٧٤٣ - ١٧٤٧م). ويصف الشيخ علي الشرفي بإعجاب ودهشة بداعة جدران الصحن العلوي الشريف الذي أمرت به الخاتون كوهر شاه زوجة السلطان نادر

(١) المرقد العلوي في نظر الرحالة والمستشرقين. الأستاذ رسول كاظم عبد السادة. بحث. مجلة آفاق نجفية.

العدد ٣٧ لسنة ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م: ٢٩٥ و ٢٨٥ على التوالي.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٨٤ / ١.

شاه الأفشاري فيقول: إن ارتفاعها قد "كسي بالقاشاني الملون بالواح بديعة تمثل روضاً أنفأ من رياض الفن قد أبدعت فيه ريشة المصور ومناقشه، فكم خط ذلك المبدع أزهاراً وتقاسيم وخطوطاً وتخريماً وريازة عليها جمال الصناعة وجلال العلم وهيبة الدين، كل هذه قد اجتمعت وامتزجت فكونت مادة لذلك التصوير ورشاشاً لذلك القلم وأصباغاً ودهاناً لتلك الريشة"^(١).

وزاد السلطان نادر شاه على تذهيبه للمرقد المقدس وزادت زوجته أيضاً فقَدَّم وقدمت كثيراً من الهدايا والنفائس إلى العتبات المقدسة في النجف وكربلاء وسامراء، وأنفق أموالاً طائلة على تغليف القبة بالذهب وكذلك زوجته (رضية سلطان بيكم) بنت الخاقان شاه حسين، التي أمرت بترميم سور المشهد، فأنفقت عليه مبلغ مائة ألف (نادري)، كما أهدت مبخرة مرصعة بالأحجار الكريمة، وإناء من الذهب الخالص لحرق البخور في الروضة العلوية^(٢).

ونقل الشيخ محمد حسين حرز الدين عن كتاب (النوادر) الخطي لجده الشيخ محمد حرز الدين ناقلاً عن والده الشيخ علي بن عبد الله حرز الدين قوله: "إن السلطان نادر شاه الأفشاري زار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف أيضاً سنة (ألف ومائة وسبعة وخمسين للهجرة - / ١٧٤٤ م-) ولما دخل النجف متوجهاً إلى زيارة المرقد المطهر لم يذهب إليه من الطريق العام الشرقي - وهو الرباط العباسي الذي أشاده الشاه عباس الأول الصفوي للزائرين الذي أصبح السوق الكبير - وإنما ذهب من الزقاق الجنوبي المؤدي إلى باب القبلة من محلة البراق، هذا وقد أمر السلطان بأن يوضع في رقبته سلسلة (زنجيل) ويقاد بها إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام

(١) الأحلام. سابق: ٨٦.

(٢) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١١٣.

تصاغراً وتذللاً من هذا الزقاق الضيق، فلم يجرؤ أحد من الوزراء وغيرهم أن يقود الشاه كما يريد، فجاء رجل لا يعرفه فقال: أنا أقوده، فقاده، ودخل نادر الحرم الغروي بهذه الصفة، وانصرف الرجل. وقيل: إن هذه السلسلة هي الذهبية المعلقة في إيوان الذهب على الباب الشرقي للحرم الشريف^(١).

أما وقد انتهى بي البحث إلى ما انتهى إليه، ولما تقدم، فإن هيكल العمارة القائمة اليوم - ما خلا التذهيب وتجديد الكاشي بإكساء جدران الصحن الشريف بالقاشاني الملوّن - تتكون من عمارتي الشاه عباس الصفوي، وحفيده الشاه صفي معاً.

بيد أن ما يلوح للناظر إلى عمارة المشهد العلوي الماثلة أمامه بكل ما فيها من قبة ذهبية مشعة، وإيوان ذهبي أسر للنظر، ومئذنتين ذهبيتين متلأأتين، وما إلى ذلك، فإني أرى أنها متكونة من عمارت ثلاث، هي: عمارة الشاه عباس الصفوي، وعمارة حفيده الشاه صفي، وعمارة السلطان نادر شاه الأفشاري.

وقد طرأت عليها ترميمات وإصلاح لأكثر من مرة، وفي أكثر من موضع، من قبل مؤمنين محبين عديدين، آخرهم أمناء وخدام العتبة العلوية المقدسة.



(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣٣٤ / ٢. نقلاً عن كتاب النوادر: ٣٧ / ٥.

الخامس

وصف العمارة الماثلة للحرم العلوي الطاهر

يعدّ الحرم العلوي المطهر بعمارته البهيّة الحاضرة وهي التاسعة أبرز معلم من معالم مدينة النجف الأشرف، ويقع وسط مدينتها القديمة تماماً، متّخذاً شكلاً دائرياً أو بيضوياً، مكوّناً بمركزيّته القطب الشامخ الذي دارت حوله مكونات المدينة، فهو العنصر المؤثّر في تكوينها وظيفياً وبصرياً، بمساحته البالغة هكتاراً ونصف الهكتار بما يقارب نسبة (٢٠٪) من مساحة المركز التاريخي للنجف التقليديّة^(١).

وتضمّ العمارة الحاليّة للحرم العلوي: الصحن الشريف، والروضة الحيدريّة المطهّرة بقبّتيها الداخليّة والخارجيّة، ومئذنتيها المذهبتين، وخزائنها النادرة، ومكتبتها العامرة، وملحقات أخرى عديدة.

وقد تميّزت العمارة الماثلة للعتبة العلوية المقدسة بل انفردت بميزات علميّة وفنية لم تتحقّق غيرها من المباني القديمة أو الحديثة، ولا توجد في أيّة عمارة أثرية في العالم^(٢)، فقد صمّم مهندسها المعماري الجدار الشرقي للصحن الحيدري الشريف "ليكون بمثابة شاخص لتعيين وقت الزوال على مدى فصول السنة، وهذه الظاهرة موجودة في مكانين في هذا الجدار:

(١) دراسة تحليلية تخطيطية للمحافظة على المركز التاريخي والحضاري لمدينة النجف الأشرف. د. المهندس حيدر عبد الرزاق كمونة. بحث. النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية وكثر المعارف والعلوم. مركز دراسات الكوفة. جامعة الكوفة: ٦/٢.

(٢) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام. سابق: ٢٣١.

الأول: توجد ثلاثة أقواس من القاشاني الأزرق الملتوي تحت الساعة على واجهة باب الإمام الرضا عليه السلام المعروف بـ (باب السوق الكبير)، وعندما تصل الشمس إلى منتصف القوس الأوسط منها يكون وقت الزوال.

الثاني: الأواوين الأربعة التي بين باب مسلم بن عقيل عليه السلام المعروف بـ (باب العبايحية) والزاوية الشمالية الشرقية، ففي الوقت الذي تصعد فيه الشمس إلى أرض هذه الأواوين بعرض أربعة أصابع من حافتها يكون وقت الزوال في جميع فصول السنة^(١) قد حلّ.

ولم يكتفِ المصمّم المعماري بذلك، بل أضاف إليه إبداعاً علمياً آخر، ذلك أنه في "كلّ يوم عند شروق الشمس وغروبها، وفي جميع فصول السنة تنفذ أشعة الشمس عند بزوغها إلى داخل الحرم المطهر من الشباك الشرقي الذي يقع في أسفل القبة الشريفة، وفي ساعة غروب الشمس تغرب بخروج حزمة من أشعتها من داخل الحرم المطهر من الشباك الغربي الذي يقع في أسفل القبة الشريفة"^(٢).

يقول الشيخ محمد حسين حرز الدين: "ويلاحظ أنّ في وضع الباب الكبير بمكانه هذا هو جعل بزوغ الشمس في الضريح الأقدس طيلة فصول السنة الأربعة، بحيث لو أنّ شخصاً وقف عند القبر الشريف جانب الرجلين يرى أوّل بزوغ الشمس من خلال الباب الكبير الشرقي والسوق الكبير وباب البلد الشرقي الرئيسي في سور المدينة على مدى أيّام السنة، هذا يوم كانت النجف مسورة والجانب الشرقي منها مكشوف، ولم تكن عمائر ولا أحياء جديدة ولا أشجار

(١) مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة. السيّد عبد المطلب الموسوي الخرساني: ٤٩، وينظر: ماضي

النجف وحاضرها: سابق: ١ / ٥١، مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام. سابق: ٢٣١.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٧٣.

تُحجب بزوغ الشمس، ونتيجة لتوالي العماير في الجهة الشرقية فقد انعدمت رؤية الشمس حين بزوغها، وقد أُشير إلى بزوغ الشمس ببيت من الشعر الفارسي كتب بالقاشاني في داخل الثلث الأعلى لطاق باب الصحن الشرقي الكبير من جانب الصحن بحروف كبيرة زرقاء داكنة على أرضية صفراء ومعناه: أعظم بأن الشمس تضع جبهتها كل صباح على تراب عتبة قبرك الطاهر^(١)، وتضع جبهتها أيضاً عند الغروب.

وقد بدا لي بعد التأمل وطول النظر ومعني بعض الإخوة - ونحن نقف في الصحن المطهر قبالة الإيوان الذهبي الكبير من جهة باب سوق الكبير - إبداع آخر للمصمم البارع لعمارة المرقد الشريف بحيث يجعل الناظر المدقق إلى جبهة المرقد المقدس بإيوانه الكبير وكيشوانيتيه الغربية والشمالية يرى جلسة أسد رابط أمامه، رأسه الكبير ومقدم صدره وعرض ما بين منكبيه هو الإيوان الذهبي الضخم، ويده اليمنى واليسرى هما الكيشوانيتان الغربية والشمالية، والطارمة التي بين الكيشوانيتين هي المسافة بين يدي الأسد وهو يجلس جلسة الرابط المتيقظ. وكأن المصمم المعماري رمز بذلك أن يوحى للناظر إلى أن هذا المرقد الطاهر هو مرقد (أسد الله الغالب) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا ولم يتضح لي ما إذا كان هذا هو مقصود (د. حيدر كمونة) فيما ذهب إليه أو غيره. إضافة إلى ميزة أخرى للعمارة العلوية المقدسة أشار إليها الدكتور أيضاً^(٢).

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٧٣.

(٢) يذهب د. المهندس حيدر عبد الرزاق كمونة وهو يجيب عن السؤال التالي: لماذا كانت القبة الشريفة للعتبة العلوية أعلى من المنارة خلافاً للمألوف في العتبات الشريفة الأخرى إلى القول "كي يتحقق تصميم المصمم لمواجهة أمير المؤمنين وهو أسد الله الغالب، وهي واضحة عند النظر إليها حال الدخول من جهة السوق =

أما وقد وصل بي البحث إلى ما وصل اليه، فإنني لأرجو من أمناء العتبة الحيدريّة المطهّرة ومهندسيها أن يُعلّموا هذه الإبداعات العلميّة الهندسيّة بإشارات دالّة عليها، بحيث تلفت نظر الزائر والباحث والمستطلع، والسائح والفنان، وأن يزيلوا أيضاً العوائق التي تحجب رؤية هذا الإعجاز الهندسي لكلّ ذي عينين.

أما تفاصيل ما ضمته العمارة الماثلة فسأتي على ذكر أهمّها باختصار.

١. المنظر العام للصحن العلوي الشريف من خارجه

ما إن يقبل الوافد على النجف الأشرف حتّى يخطف بصره الصحن العلوي الشريف وهو حصن مربع الشكل يطوّق الحرم العلوي الشريف بسور طابوقي خارجي من ثلاث جهات هي: الجهة الشماليّة، والجهة الشرقيّة، والجهة الجنوبيّة، أمّا الجهة الغربيّة فالصحن المقدّس ملاصق لصحن أنشئ حديثاً وسُمّي بـ(صحن الزهراء عليها السلام) وتبلغ مساحته (٤٥٧٣ م^٢) وبارتفاع يبلغ نحواً من (١٢ م) مزخرف ومزّين بتقاطعات من طابوق شذري ناصع مع طابوق أصفر جميل تتداخل وتتعانق فيما بينها مكوّنة أشكالاً هندسيّة متقابلة ومتناظرة، مقسّمة بصورة عموديّة متّخذة شكل مستطيلات يبلغ ارتفاع طول ضلعها (٩) وعرضه (٢ م)، تتوسّطه لفظة الجلالة (الله) عزّ وجلّ بخط كوفي حديث، مكرّرة في داخل كلّ مستطيل بزاوية درجتها (٤٥)، يعلو ذلك الجدار الخارجي شريط زخرفي بديع ويحزّمه حزام بارتفاع متر واحد من الرخام الأحمر الغامق الرائع.

= الكبير، الجهة الشرقيّة، ولكي تتحقّق ظاهرة الفصول الأربعة بين المنارة والقبة. صممت لكي تقرأ من جهة معينة من الجانب الغربي كلمة (الله). والله أعلم". أثر التراث العمراني في تطوير العمارة النجفية. بحث. مجلة:

إنَّ الجدار الخارجي بمنظوره العامَّ يشكّل لوحةً إسلاميّةً مزخرفةً وموحيةً، تأسّر أنظار المقبلين عليها وتشدّها شدًّا إليها، فلا تكاد تفارقه العين حتّى تجد نفسها وجهاً لوجه قبالة باب من أبواب الصحن الحيدري الشريف الواسعة العديدة.

وقد قام قسم الشؤون الهندسيّة والفنيّة في العتبة العلويّة بعد سقوط النظام البائد بتجميل الجدار الخارجي للعتبة وتبديل القطع المتضرّرة مع استحداث لوحة بيضاء من المعرّق والطابوق (الجف قيم) في منطقة الانفجار الذي أودى بحياة شهيد المحراب سماحة السيّد محمد باقر الحكيم وعشرات المصلّين الذين أدّوا صلاة الجمعة في صحن الإمام علي عليه السلام خلفه في اليوم الأوّل من شهر رجب الخير من سنة (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م) لترمز تلك اللوحة البيضاء لمكان الاعتداء الإرهابي الآثم الذي حصل على العتبة الحيدريّة المطهّرة والمصلّين والزوّار.



٢. أبواب الصحن العلوي الشريف

للصحن الحيدري الشريف خمسة أبواب ضخمة كبيرة مشيّدة في أوقات زمنيّة مختلفة مشرعة أبوابها للزائرين، وكأنّ لسان حال كلّ واحدة منها يقول: (ادخلوها بسلام آمين)، أكبر هذه الأبواب الباب الشرقيّة وأصغرها باب مسلم ابن عقیل عليه السلام، ولو درنا وفق مدار الساعة متّجهين من أكبر الأبواب إلى أصغرها لكان تسلسلها كالتالي:

أ. الباب الكبيرة أو الباب الشرقيّة

تقع هذه الباب وسط الجهة الشرقيّة للحرم العلوي المطهّر، وقد يطلق عليها أيضاً اسم (باب الساعة) لوجودها فوقها.

يبلغ ارتفاع هذه الباب (٩٠، ٣م) وعرضها (١٠، ٣م)، وتحيط بها واجهة ضخمة من البناء مغلفة بالكاشي الكربلائي الأزرق الرائع المزين بأنواع النقوش الجميلة، مكتوب في جبهة هذه الواجهة بالخط الثلث البديع باللون الأصفر الرائع نصّ الآيتين القرآنتين الكريمتين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْلِتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٣١﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَامِدُونَ اللَّسَّيْضُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَةِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

ولم يكتفِ المزخرف الموهوب بذلك، بل كسا ركني العقد ببلاطات من القاشاني وزينها بنقوش نباتية جميلة.

وكتب أسفل هاتين الآيتين وسط الجهة اليمنى فوق مرآة ناطقة قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، كما كتب على الجهة المناظرة لها وبالمواصفات نفسها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿٢﴾.

ولواجهة باب الساعة قوس كبير تنحدر منه أقواس متعددة واشكال معينة بارزة كتبت عليها آيات قرآنية وأسماء الله الحسنى وأسماء المعصومين عليهم السلام بالإضافة إلى النقوش المختلفة.

يعلو الباب الخشبية قوس صغير مغلف بالكاشي الكربلائي يمتدّ على عرض

(١) سورة التوبة: الآية ١١١-١١٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

الباب مكتوب عليه: قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها.

وعلى جانبي هذا القوس كتبت الأبيات التالية بحجم صغير:

عليُّ حُبُّهُ جُنَّةٌ قسيمُ النار والجَنَّةِ
وصيُّ المصطفى حقًّا إمامُ الإنس والجَنَّةِ

وفوق القوس المذكور كتب بخط كبير وجميل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (١).

وبنفس النسق كتب على الجدارين المتقابلين الذين يقعان على جانبي
مدخل الباب ما يلي مناصفة: قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ
إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٢). كتبه عبد العلي (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م).

ثم أنه في وسط واجهة باب الساعة وفي ثلثها العلوي كتبت العبارة التالية
على قوس مدبب:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٣). وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٤).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٥.

وفي أعلى هذين القوسين توجد نجمة معدنية بارزة ثمانية الشكل مكتوب عليها: (هو العلي الأعلى)، وفوقها مباشرة مكتوب على الكاشي الكربلائي: (باب عليّ لُذ بأعتابها)، وكتب أسفل هذه العبارة تاريخ (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م).

وفي الجبهة اليمنى من واجهة باب الساعة -بالنسبة للداخل إلى الصحن- كتبت ستة أبيات من قصيدة الحسين بن الحجاج البغدادي (ت ٣٩١هـ / ١٠٠١م) مطلعها:

يا صاحبَ القبةِ البيضاء على النجف

من زارَ قبركَ واستشفى لديك شفي

وفي الجبهة الاخرى من الواجهة كتبت الأبيات التالية لأبي الحسن التهامي:

تَراحُمُ تيجانِ المُلوكِ ببابِهِ

ويكثرُ عندَ الاستلامِ ازدحامُها

إذا ما رأتُهُ من بعيدٍ ترَجَّلَتْ

فإنَّ هي لم تفعلْ ترَجَّلَها مُها

وكذلك كتبت بعض أبيات الشعر الولائي على الجانبين لا يسع المجال لذكرها هنا.

كما احتوت الواجهة للباب الشرقية الكبيرة أيضاً على بلاطات من القاشاني ترجع إلى عهد السلطان العثماني (عبد الحميد خان الثاني) كان الغرض منها إلى جانب الزخرفة إثبات تاريخ الترميم الذي أجري في عهده، وقد أرّخ الشاعر

النجفي الكبير السيّد باقر الهندي تاريخ الانتهاء من زخرفة البلاطات بقوله:
(باب عليّ لُذ بأعتابها)^(١).

« مئذنة الساعة أعلى الباب الكبيرة المسماة (باب الساعة)

قبل أن انتقل من الحديث عن الباب الكبيرة في الجهة الشرقيّة للصحن العلوي الشريف أو باب الساعة كما يسمّيه النجفيّون أحياناً - كما تقدّم - يحسن بي أن أوضح سبب تسمية هذه الباب بـ(باب الساعة).

ذلك أنّ ساعة ضخمة ومئذنة تقع فوق جدار هذه الباب يبلغ ارتفاعها نحو (٢٧م) عن أرضيّة الصحن. كان قد أهداها الوزير علي أصغر بن إبراهيم خان (١٢٧٤ - ١٣٢٥ هجرية) أحد أدباء وساسة إيران ذلك الوقت.

تتكوّن المئذنة من طبقتين مكعبتين تعلوهما قبة ذات ثمان نوافذ مقوّسة مكسوّة بصفائح ذهبية جرى إكساؤها سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، ثمّ جدّد تذهيبها سنة (١٣٩١هـ / ١٩٧١م) وقد قامت الأمانة العامة للعتبة العلويّة المقدّسة بترميم المئذنة وأعادت طلاء الصفائح الذهبيّة البالغ عددها (٦٤٧) قطعة ذهبية.

وتعلو المئذنة ساعة كبيرة نادرة تمّت صناعتها يدويا في مدينة (مانشيستر) البريطانية تمّ نصبها عام (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م) وهي متكوّنة من ماكينة ورقاص وثلاثة أثقال ونواقل الحركة والأقراص والأجراس، وتدقّ كلّ ربع ساعة، وكلّ نصف ساعة، وكلّ ساعة^(٢).

وللتاريخ أشير هنا إلى أن "الساعة كانت مغلفة بصفائح معدنية رسم عليها

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٧٦.

(٢) ينظر: معالم المرقد العلوي المطهر. سابق: ٢٥-٢٦.

بالطلاء الدهني نقوش هندية، وبعد إتمام عمل الهيكل الحديدي الخارجي تم وضع (الهايرب) ثم إكساء الجدار بطبقة من الإسمنت ثم تركيب قطع الكاشاني المعرّق بنقوش إسلامية على جدار المنارة من جهاته الأربع، وقد شمل المعرّق مجموعة من النقوش الإسلامية والأحاديث الشريفة... لتظهر الساعة بحلة جديدة وجميلة تليق بتاريخها وأهميتها لأهل المدينة والزائرين^(١).

ب. باب القبلة أو الباب الجنوبية

سمّيت هذه الباب ب(باب القبلة)؛ لمواجهتها القبلة الشريفة وتقع وسط السور الخارجي في الجهة الجنوبية من الحرم المطهر مقابل شارع الرسول.

يبلغ ارتفاع باب القبلة (٣٠, ٤م) وعرضها الكلي (٤٨, ٣م).

وقد رصّعت جبهة الباب العلوية ببلاط من القاشاني البديع مزدان بزخارف في غاية الروعة والأناقة، زادت بها بهاءً وجمالاً سورتا: الضحى والإخلاص، والآية القرآنية الكريمة من سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّئَتْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢).

وكتب أسفل الآية الكريمة المباركة على جهتين متناظرتين زاهيتين قول الرسول الكريم ﷺ: مكرراً أكثر من مرة: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». وكتب على الجانب الأيمن من الواجهة -بالنسبة للداخل إلى الصحن- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٣).

(١) كراس صادر عن شعبة الدراسات والنشر. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة العلوية المقدسة. لسنة: ٢٠١٢م.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٣) سورة المطففين: الآية ٢، سورة الانفطار: الآية ١٣.

وكتب في موضع من الباب على الجانب الأيسر من الواجهة بشكل يناظر الآية المتقدمة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾^(١).

كما كتبت العبارتان: (يا أمير المؤمنين)، (يا إمام المتقين) بشكل متناظر على الجانبين أيضاً.

وكتب فوق الباب الخشبية مباشرة على الكاشي الكربلائي - إضافة لما تقدم - قوله تعالى: ﴿نَصَّرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾^(٢)، وأرخت الكتابة في (١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م).

كما كتبت العبارة التالية: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بأبها» موزعة مناصفة على الجدارين الجانبيين المجاورين لدخل الباب الخشبية. جدّد بناء باب القبلة بأمر فاطمة خاتون ابنة شبلي باشا أحد قواد الترك الكبار، وقد أرخ المؤرخون تجديد هذه الباب في سنة (١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م)^(٣).

ومما يلي باب القبلة ممر يصل طوله إلى (٨٠، ٨ م) وعرضه (٩٧، ٣ م) يتخلّله شبّاكان كبيران متقابلان لمقابر العلماء، فعلى يمين الخارج من الصحن الشريف تقع مقبرة الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله يقابلها مقبرة السادة من آل الخلخالي، ولكل من المقبرتين واجهة تطلّ على الممر المذكور مزينة بنقوش نباتية بارزة، وتضمّ نوافذ زجاجية تطلّ على المقبرة مباشرة^(٤).

(١) سورة الدخان: الآية ٥١.

(٢) سورة الصف: الآية ١٣.

(٣) مشهد الإمام للتميمي: ٢٦٣ / ١.

(٤) دليل العتبة العلوية المقدسة - نسخة مخطوطة.

ج. باب الفرّج أو الباب الغربيّة

تقع هذه الباب في الجهة الغربيّة للحرم المطهّر ويبلغ ارتفاعها (٣٠, ٤م) وعرضها الكلّي (٢٠, ٣م)، ويسمّي النجفيّون هذه الباب باسم (باب الفرّج)؛ لأنّه ينتهي إلى مقام الإمام المهدي عليه السلام، وقد يطلقون عليها اسم (باب العمارة) نسبة إلى محلّة العمارة المقابلة له والتي هدمت بالكامل زمن النظام الصدامي البائد بحجة توسيع الحرم العلوي الشريف، ولكنّ السبب الحقيقي لهدمها هو كثرة وجود بيوتات المراجع العظام التي قادت المعارضة القويّة لذلك النظام الطائفي الفاسد، إضافة لوجود العديد من المساجد والمدارس الدينيّة فيها.

ومحلّة العمارة إحدى المحلّات الأربع لمدينة النجف الأشرف القديمة وهي الحويش والعمارة والبراق والمشراق.

وقد كتبت أعلى الباب سورة القدر، وكتب على واجهتها ما يأتي: قول النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بأبها» إضافة إلى بعض الأبيات الشعريّة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام.

وفوق الباب الخشبية مباشرة كتب على الكاشي الكربلائي البيتان الشعريان التاليان:

يا شاكياً كَرَب الزمانِ وحُزنه

يا غارقاً في الهَمِّ أعيته الحُجَجُ

دَغْ عَنْكَ أبواباً تريدُ سُلوكها

واقصِدْ عَلَيَّ سالِكاً باب الفرّج

إضافة إلى الآية الكريمة من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

ويعلو باب الدخول إيوان مقبب توسّطه شبّاك كبير يطلّ على رواق غرف الطابق العلوي، أحيط بشريط كتبت عليه سورتا (الانشراح والنصر)^(٢).

د. الباب الشمالية أو باب الطوسي

تقع هذه الباب وسط الجهة الشماليّة للحرم العلوي المطهر، وسمّيت هذه الباب بـ(باب الطوسي)؛ لأن الخارج منها يواجه شارع الطوسي المنتهي بمقبرة وادي السلام الشهيرة حيث تقع على يسار الذهاب إليها مقبرة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م).

يبلغ ارتفاع باب الشيخ الطوسي (٧٠، ٤ م) وعرضها (٤٠، ٣ م)، في أعلى الباب كتيبة مكتوب عليها من الخارج عبارة (السلام عليك يا أمير المؤمنين) ومن الداخل عبارة (أستودعك الله وأسترعيك وأقرأ عليك السلام).

كما كتبت على واجهة الباب آيات من سورة الأعلى، وفوق الباب الخشبية مباشرة كتبت الأبيات الآتية على الكاشي الكربلائي:

باب علم النبيّ حول حماه شيّدوا باب حطّة فادخلوه

باب صحن أرّخت أم باب قدس عام تتويج فيصل جدّوه

وكتب أسفل هذه الأبيات تاريخ (١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م).

(١) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٢) دليل العتبة العلويّة المقدسة - نسخة مخطوطة.

وفوق هذه الأبيات واجهة خشبية مقوّسة من الأعلى عليها زخارف هندسيّة ونباتيّة ومنقوش في أعلاها أسماء الله جلّ جلاله تحيط به أسماء المعصومين الأربعة عشر، وتحتوي هذه الواجهة على ثلاث نوافذ زجاجيّة صغيرة.

وقد كتب عند واجهة الباب ما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لبابك وقفت وبفنائك نزلت وبحبلك اعتصمت ولرحمتك تعرّضت وبوليّك صلواتك عليه توسّلت فاجعلها زيارة مقبولة ودعاءً مستجاباً وأرّخ بتاريخ (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، وكتبت عبارة: (تاريخ توسيع باب الطوسي) وكتبت أبيات التاريخ التالية:

لشيخنا الطوسي قد وسّعوا	في الصحن باباً فنّه ساحرٌ
ضاء بأنوار العلي فاغتندى	يهدي الحيارى ضوؤه الباهرُ
ومذ بدا الإبداع في صنعه	أرّخت باباً نوره ظاهرُ

وكتبت العبارة الآتية بخطّ صغير مناصفة: "جدّد في زمن سادن الروضة الحيدريّة السيّد عبّاس السيّد محمد حسن السيّد جواد الرفيعي الكلّيدار (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م)"^(١).

هـ. باب مسلم بن عقيل عليه السلام

تقع هذه الباب في الجهة الشرقيّة للحرم المطهر أيضاً، وسمّيت بـ(باب مسلم بن عقيل عليه السلام)؛ لمواجهتها مرقد سفير الإمام الحسين عليه السلام، والباب مصنوعة من الخشب الساج، وتشكّل من دفتين يبلغ ارتفاعهما (٤م)، والعرض الكلّي لكليهما (٣,٣٠م).

(١) دليل العتبة العلويّة المقدّسة - نسخة مخطوطة.

وقد كتب على جبهة الواجهة التي تحيط بالباب الآية القرآنية الكريمة:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، وقوله تعالى:
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢).

وختمت الآية الثانية باسم الكاتب وفق النصّ الآتي: (كتبه محمد جواد). كما
كتب فوق الباب الخشبية مباشرة على الكاشي الكربلائي الأبيات الشعرية الآتية:

جَلَّ بَابٌ شَادَ الْإِلَهَ بِنَاهُ فهو يهدي إلى سَوَاءِ السَّبِيلِ
مِلْ إِلَيْهِ وَاعْقِلْ رَجَاكَ لَدَيْهِ إِنَّهُ بَابُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلِ

وفوق هذه الأبيات كتب قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾^(٣)، ودون
معه تاريخ الصنع فكان سنة (١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م)، كما توجد عبارة: "يا علي"
مكتوبة بحجم صغير ومتناظر على جانبي واجهة الباب.

وإلى الواجهة المغلّفة بالكاشي الكربلائي هناك قوس كبير مكتوب أسفله
العبارات التالية بخطّ إسلامي يزيّن الجدار الطابوقي: "يا الله، ما شاء الله، لا حول
ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وتعدّ هذه الباب أحدث أبواب الصحن العلوي المبارك؛ لكونها فتحت في
شهر رجب من عام (١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م)^(٤).



(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤٦.

(٤) ينظر: مرقد وضرّيح أمير المؤمنين. سابق: ٢٥٧. دليل العتبة العلوية المقدّسة - نسخة مخطوطة.

٣. الصحن العلوي الشريف من داخله

ما إن يجتاز الزائر عتبة الصحن العلوي الشريف من أحد أبوابه الخمس المتقدمة حتى تخشع روحه مستذكرة تقوى، وعدل، وزهد، وشجاعة، وبأس، وحكمة خليفة رسول الله وإمام المتقين علي أمير المؤمنين عليه السلام.

وتعدّ الباب الشرقية الباب الرئيسة للصحن الحيدري المطهر، وقد شيدت بابه على ساعة أهداها الوزير أمين السلطان سنة (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م)، وتعلو باب الساعة قبة مطلية بالذهب الخالص، ترتفع على عرشها ساعة مهيبة ذات أربعة أوجه بداخلها جرس ناقوسي ضخيم يسمع رنين دقاته أبناء المدينة القديمة قاطبة.

ونظراً للأضرار التي حلت بمنارة الساعة، وبالساعة المهمة نفسها، فقد باشرت الأمانة العامة للعتبة العلوية المطهرة بترميم وتغليف منارة الساعة على مرحلتين؛ تتولّى أولى المهمتين ترميم وإسناد منارة الساعة، وتتولّى ثاني المهمتين تغليف منارة الساعة وتذهيبها.

وقد انتهى العمل بآخر المرحلتين بعد تثبيت القطع النحاسية المطلية بأكثر من (٦) ستة كيلوات من الذهب، وقرابة نصف طنّ من النحاس لقبة منارة الساعة، بواقع (٦٤٧) قطعة قبل منتصف هذا العام (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

يتكوّن الصحن الحيدري الشريف من طابقين باستثناء أربعة إيوانات جميلة متقابلة ذات طابق واحد شاهق بارتفاع الطابقين كليهما، ينعقد من كل إيوان من الإيوانات الأربعة المتقابلة قوس مطوي بما يشبه الإطار، حيث يقع الإيوان الأوّل منها - وهو المقتطع أصلاً من رواق عمران بن شاهين - في الجهة الشمالية، ويقابله الإيوان الثاني (إيوان العلماء)، بينما يقع الإيوان الثالث في الجهة الجنوبية، ويسمّيه

النجفيّون بـ(إيوان الحبّوي) بعد أن دفن فيه المرجع المجاهد السيّد محمد سعيد الحبّوي (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)، أمّا الإيوان الرابع الذي يسمّيه النجفيّون بـ(إيوان ميزاب الذهب).



٤. إيوان ميزاب الذهب

سمّي هذا الإيوان بـ(إيوان ميزاب الذهب)، كونه يعلوه ميزاب ذهبي طوله (١, ١م) وعرضه (١٤سم) وهو الميزاب الذي يفرغ سطح المرقد الشريف من مياه الأمطار المتجمّعة فيه، وقد اعتاد المؤمنون أن يسألوا الله تحته فتستجاب دعواتهم، ويقع هذا الإيوان في ظهر الحرم العلوي.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا الإيوان كان باباً في العهد الصفوي نقش في أعلاه الآية القرآنيّة الشريفة ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾، وينظر في موقعه إيوان العلماء في الشكل والحجم والزخارف الهندسيّة والرسوم النباتيّة، ويوجد في وسطه اليوم شبّاك كبير يتألّف من كرات فضيّة يطلّ على الرواق الجنوبي للحرم العلوي يشاهد من خلاله الشبّاك المطهر.

يحاط الإيوان بقوسين متقاربين مزيّنين بزخرفة بارزة على شكل صفائر، ونقشت آيات قرآنيّة بين الضفيريّتين وفي المنطقة الوسطى من الإيوان، وفي وسطه مزهريّة منحوتة تحيط بها أبيات شعريّة للميرزا قوام الدين محمد القزويني، وتحيط بالشريط الوسطي للآيات القرآنيّة قصيدة أخرى لقوام الدين كتبها كمال الدين حسين كلستانه، ويعدّ القاشاني فيه هو الأقدم في الصحن الشريف، إذ نقش عليه تاريخ (١١٥٧هـ / ١٧٤٤م)، ويرجع وضعه إلى عهد نادر شاه الأفشاري^(١).

(١) معالم المرقد العلوي المطهر. سابق: ٢٣-٢٤.

٥. إيوان العلماء

ترجع سبب تسمية (إيوان العلماء) بهذا الاسم إلى كثرة من دفن فيه من العلماء -كما سيأتي-، وتزين (إيوان العلماء) ضفيران كبيرتان بارزتان تزخران بالإيوان، تزيدهما روعة وجمالاً وقديسية، آيات كريمات من القرآن الكريم مكتوبة بخطّ ساحر، ومنقوشة على أرضية زرقاء رائعة الجمال، مزهّوة بنقوش نباتية بديعة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكاشي الموجود في هذا الإيوان هو من أقدم أحجار الكاشي الموجودة في الصحن المطهر فإن تاريخها يرجع إلى سنة (١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) إثر زيارة السلطان نادر شاه الذي زار النجف الأشرف سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) وأمر بقلع الحجر القاشاني عن القبة المعظمة والإيوان والمئذنتين وتذهيبها.

وفي هذا الإيوان قصيدة لقوام الدين فيها تعداد أسماء الأئمة موقّعة باسم كاتبها كمال الدين حسين كلستانة مؤرّخة سنة (١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) مطلعها:

ياربّ خير المرسلين سلّم على الروح الأمين

لقد دفن في هذا الإيوان عدد غير قليل من العلماء حيث عدّ منهم صاحب كتاب (ماضي النجف وحاضرها)^(١) (٢٣) عالماً من أمثال: الشيخ أحمد الجزائري المفسّر المعروف وصاحب كتاب آيات الأحكام (ت ١١٥١هـ / ١٧٣٨م)، والشيخ محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م)، الفقيه الأصولي والرياضي الفيلسوف صاحب الكتاب المعروف في علم الأخلاق الموسوم باسم (جامع السعادات) ونجله الشيخ أحمد النراقي صاحب كتاب (المستند) (ت ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م)،

(١) الشيخ جعفر محبوبه ١ / ٩١-٩٣.

والسيد علي الداماد (ت ١٣٣٦هـ / ١٨٨٨م)، والشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٣م)، وهناك كثير من الصخور أثبتت أسماء الراقدين تحتها غير أنها مطموسة الكتابة لا يمكن قراءتها.

إن هذا الإيوان كان في تصميم العمارة الصفوية هو الباب الرئيسة لدخول الحرم العلوي الشريف، وقد توجت أعلاه الآية الكريمة: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾.

لقد بلغ عرض الإيوان (١٠، ٦م)، وعمقه (٢٥، ٣م)، وارتفاعه عند أعلى نقطة من قوسه (٣٥، ١٠م)، وهذه الباب مغلقة حالياً بشباك كبير من نسيج محكم من الكرات الفضية، وهو يطل على الرواق الشمالي للحرم العلوي، ويرى من خلاله شبك الضريح المقدس.

يحاط الإيوان بقوسين متقاربين، أحدهما خارجي والآخر داخلي، وهما مزينان بزخرفة بارزة على شكل ضفائر، كتب في المنطقة الوسطى منه وبين الضفيرتين آيات من القرآن الكريم، وتوجد في الجبهة الوسطى منه مزهريّة منحوتة رائعة محاطة بأبيات شعرية لقوام الدين القزويني، وتحيط بالشريط الوسطي للآيات القرآنية قصيدة أخرى للميرزا قوام الدين محمد القزويني بخط كمال الدين حسين كلستانة مؤرخة في عام (١١٦٠هـ / ١٧٤٧م)^(١).

ومن المدهش حقاً أنك لا تجد بعد التأمل الدقيق إيواناً يشبه نقش الإيوان الآخر، ولا نقش ما بين الإيوانين يشبه نقش الآخر، ولا نقش الأعلى يشبه نقش الأدنى، مع أن الغرف تكاد تكون مائة غرفة، فإذا لاحظنا هذا العدد مع جوانب الأواوين، ومع ما بين كل إيوانين تضاعف العدد.

(١) معالم المرقد العلوي المطهر. سابق: ٢١-٢٢.

وفي تلك النقوش الثابتة الخالدة الساخرة بالشمس والمطر من الروعة والجمال والفن ودقة الصنع وغريب الأوراد والصور والألوان ما لا يحيط بوصفه القلم^(١).
يمتد الصحن العلوي الشريف الحالي على مساحة (٤٢١٩ م^٢)، تضم (٩٩) إيواناً -بضمنها مداخل الأبواب الرئيسة- ترقد في كل إيوان جثامين لشخصيات مؤمنة معروفة.

ويتكوّن الصحن من طابقين مزخرفين بأحلى زخرفة وأبهاها، بني في الطابق الأول منها (٧٨) غرفة، وشيّد في الطابق الثاني منها (٧٧) غرفة، أعدت كلّها، لتكون سكناً لطلّاب العلوم الدينيّة الوافدين إلى النجف الأشرف للدراسة والتحصيل والتشرّف بالمجاورة.

أمّا أطوال أضلاع جدرانها المربعة البهيّة الفائقة الجمال من الخارج والداخل وسمكها فتختلف باختلاف الأمكنة، ففي حين يبلغ طول ضلع السور الطابوقي الشمالي من الخارج حيث جهة باب الطوسي (٥، ١١٨ م)، يبلغ طول ضلع السور الطابوقي من الداخل (٧٥، ٧٧ م)، فيما يبلغ سمكه الكليّ (٥، ٢٦ م).

وفي حين يبلغ طول ضلع السور الشرقي من الخارج حيث جهة باب الساعة (١١٩ م) يبلغ طول الضلع نفسه من الداخل (٥، ٨٤ م) بسمك كليّ يبلغ (٢٥، ١٢ م). وكذلك الحال نفسه بالنسبة للضلعين الآخرين فحين يبلغ طول ضلع السور الجنوبي من الخارج حيث جهة باب القبلة (٩٧ م)، يبلغ طوله من الداخل (٧٥، ٧٧ م) بسمك كليّ يبلغ (٧٥، ٩ م).

(١) النجف قبل ربع قرن موقعها تخطيطها. جامعة النجف في عصرها الحاضر. الشيخ محمد تقي آل الفقيه العاملي. موسوعة النجف الأشرف: ط ٢: ٣/ ١٠١. دار الأضواء. (١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م).

وحين يبلغ طول ضلع السور الغربي من الخارج حيث جهة باب الفرج (١٢٠, ٥ م)، يختلف طوله من الداخل باختلاف الأمكنة، فهو من جهة المضيف (٢١ م)، وهو من جهة باب الفرج (٥, ٢١ م) وهو عند منطقة التوسعة (٣٩ م).

وشبيه باختلاف أطوال هذا الضلع من الداخل اختلاف سمكه، بما يمكننا من تقسيم هذا السمك إلى ثلاثة أقسام، الأول: يمثل عرض منطقة المضيف ويبلغ حوالي (١١, ٥٠ م)، والثاني: يمثل عرض منطقة توسعة الحرم ويبلغ (٢٧ م)، والثالث: يمثل طول مدخل باب الفرج ويبلغ (٨, ٩٠ م) تقريباً.

أما ارتفاع السور الطابوقي للحرم المطهر فيبلغ نحواً من (١٢ م) بشكل عام، يزداد في جهة، ويقل في أخرى بحوالي نصف متر^(١).

والصحن بمجموعه مزدان الجدران بالحجر القاشاني الملون المزين بأبدع النقوش والزخارف والرسوم والخطوط التي كتبت ببهاء وضء على حواشي جدرانه العليا الزرقاء الرائعة الجمال، ولقد جدّد قاشاني الأواوين سنة (١١٥٦ هـ/ ١٤٧٣ م) من قبل الخاتون (كوهر شاه بيكم) زوج السلطان (نادر شاه)، بيد أن من المؤسف أن طرأت الكثير من التغيرات على الحجر القاشاني المغلف للصحن الشريف بسبب الترميم والصيانة المستمرة للجدران، ممّا أفقدنا الكثير من التواريخ والمعالم العائدة لعهد نادر شاه، حيث لم يبق منها اليوم إلا القليل كالموجود في إيوان العلماء، إذ كتبت قصيدة لـ (قوام الدين) يعود تاريخها إلى سنة (١١٦٠ هـ/ ١٧٤٧ م) بخط كاتبها (كمال الدين حسين كلستانه).

وإذ تشرف أحمد النّواب بزيارة المرقد العلوي المطهر في سنة (١١٩٨ هـ/

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة - نسخة مخطوطة.

١٧٨٤م) بذل أموالاً طائلة لصنع الحجر القاشاني في الصحن الشريف.

ولقد قدّر في زمن السلطان (عبد الحميد الثاني) أن تتساقط أحجار بعض الأواوين فيموت على أثر تساقطها بعض الزوّار ما نبّه المسؤولين إلى أهميّة قلع القاشاني القديم وإعادة الصالح منه مجدداً فاستمرّ العمل بذلك من سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) حتّى سنة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) بهمة المرحوم السيّد (جواد الرفيعي) وإشراف المعمار الأستاذ (أبي جوهر)^(١).

وهو ما حدا بالعلامة المرحوم الشيخ مرتضى بن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء (ت ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) أن يؤرّخ ذلك بالأبيات الآتية:

خليفة الهادي البشير النذير	كهف أمان الخائف المستجير
عمر صحن المرتضى فاغتنى	كروضة تزهر بورد نضير
صحن أمير المؤمنين الذي	قد خصّه الله بنص الغدير
بهمة الشهم (كليداره)	وعزّة فيها (جواد) جدير
وفاز بالأجر فأرخته	أن جدّد السلطان صحن الأمير

والأبيات المتقدّمة نجدها اليوم على الجبهة الأماميّة العليا للإيوان الذي يسبق إيوان باب الساعة من داخل الصحن الشريف، وابتدأت بالكلمات (سبحان الله الملك الدائم)، وختمت باسم الكاتب وأرخت سنة تجديد الحجر بـ (كتبه العبد أشرف الكتاب ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م).

ولعلّ من أقدم تاريخ للخطّ واسم للخطّاط في الصحن العلوي الشريف

(١) مشهد الإمام، محمد علي التميمي ٢٤٩.

يعود إلى سنة (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م) ونجد ذلك في نهاية الآيات القرآنية الشريفة التي خطت على جبهة الإيوان الكبير لمقبرة السيّد اليزدي، حيث الخطّ واضح وحجر التغليف جيّد لم يتأثر لحد الآن، هناك كتب الخطّاط اسمه وأرخ كتابته بنصّ الجملة الآتية: (كتبه محمد صالح الطبيب القزويني سنة ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م).

كما يبدو أنّ الخطّاط الذي قام لاحقاً بخطّ معظم الآيات القرآنية الشريفة على الحجر الذي غلّف أوابين الصحن الشريف وجبهاته من الداخل، هو الخطّاط (عبد العلي محمد اليزدي) حيث نجد اسمه وتاريخ تجديد الحجر متكرّراً في أماكن عدّة من الصحن الشريف وبتواريخ مختلفة تبدأ من سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) وهي سنة الابتداء بتجديد الحجر، حتّى سنة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) وهي سنة الانتهاء من العمل، ففي نهاية الكتيبة التي تحيط بالإيوان الكبير لمقبرة السيّد الحبوبي حيث خطت الآيات القرآنية الشريفة ختم الخطّاط نهايتها بالجملة الآتية: (كتبه المفتقر إلى رحمة الله الولي الغني أشرف الكتاب عبد العلي الثاني اليزدي في شهر رجب بمئة تعالى سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م).

وفي نهاية الشريط العلوي للجبهة الداخلية من جهة باب الشيخ الطوسي، وعند القوس الذي يحيط بالإيوان الكبير الذي يقابل إيوان العلماء (مقبرة السيّد اليزدي) خطّ الخطّاط المتقدّم ذكره اسمه أيضاً فكتب في نهاية الشريط الرائع اسمه وتاريخ كتابته بالنصّ الآتي: (عبد علي اليزدي ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م).

ومرّة أخرى في الجبهة التي تعلو المدخل الشمالي لفناء الحرم (الكيشوانية الشمالية) نجد الجملة التالية أيضاً: (كتبه أشرف الكتاب عبد العلي اليزدي في سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م).

وتعدّ الآيات القرآنيّة الكريمة المخطوطة بخطّ كبير الحجم، واضح المعالم، من أبرز الكتابات والنقوش الجميلة الناطقة بالوضوح على جدران الجبهة العلويّة من السور الطابوقي للحرم المطهر، فعلى طول الجبهة العلويّة منه كتبت السور الكريمة المباركة على الترتيب التالي ابتداء من مدخل باب الساعة وانتهاء به من الجانب الآخر، وهي: سورة الحجرات، سورة النبأ، سورة المزمل سورة العصر، سورة القدر، سورة الإنسان، سورة الفجر، سورة الملك.

وتوجد في الصحن والقبة والأروقة والإيوان الذهبي مجموعة من تواقع الملوك والوزراء والعلماء والأمراء المنقوشة على الآثار والنفائس والتحف حتّى أصبحت تلك التوقيعات من أهمّ آثار النجف التاريخيّة، فلو أريد نزاعها وجمعها لكوّنت كتاباً نفيساً، ومنها المنقوش على الحجارة، ومنها المحاك في البسط والسجاد، ومنها المحفور على الفصوص والأحجار، ومنها ما هو مذكّر في أخريات الكتب والمصاحف^(١).

ونتيجة للإهمال المتعمّد خلال فترة النظام الصدامي البائد فقد لحقت أضرار في عدد من غرف الصحن الموجودة في الجهة الجنوبيّة من الحرم كالغرفة التي تقع غرب إيوان ميزان الذهب والغرفة المطلّة على إيوان ميزاب الذهب والغرفة التي تقع شرق إيوان ميزاب الذهب كما لحقت أضرار شبيهة ببعض الغرف الموجودة في الجهة الشماليّة للحرم كالغرفة التي تقع خلف إيوان العلماء والغرفة المطلّة على إيوان العلماء والغرفة التي تقع شرق إيوان العلماء مثلما تضرّرت بعض مداخل رواق الحرم فبادرت الكوادر الهندسية في العتبة العلويّة بعد زوال النظام البائد

(١) الأحلام. سابق: ١٧٧.

لإصلاح ما تضرّر منها فأضاف إصلاح المداخل فضاء جديداً لاستيعاب عدد أكثر من الزوّار والمصلّين والداعين.

كما أكملت الكوادر الفنيّة والهندسيّة إصلاح وترميم القاشاني المتضرّر في داخل محيط الصحن الشريف الذي ابتدأت العمل به من عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، وذلك في منطقة باب الفرج وباب الساعة وباب الطوسي، حيث تمّ تغيير الشريط فوق هذه الباب من جهة الخارج الذي كان يحتوي على أبيات شعرية ارتفاعها (٨٠ سم) وطولها (٣م)، مع إعادة نفس الشريط القديم ولكن بخطّ جميل ومناسب لدخل باب الطوسي مع تغيير وإضافة قطع متفرّقة.



٦. أرضيّة الصحن الشريف

أمّا أرضيّة الصحن الحيدري الشريف فقد كانت حتّى عام (١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م) غير مبلّطة فبلّطت ورصفت بالحجر بأمر المرجع السيّد محمد مهدي بحر العلوم رحمته الله، ثمّ أعيد تبليطها سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) زمن السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني)، وفي سنة (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) بدأت حملة جديدة لتبليط أجزاء كبيرة من أرضيّة الصحن الشريف وإصلاح المرقد، وبقيت الأرضيّة على هذه الحال رغم تكسر بعض صخورها حتّى سقوط النظام الصدامي البائد، وما إن سقط النظام الطائفي وأطلّ العهد الجديد وتأسّس ديوان للوقف الشيعي حتّى ابتدأ العمل في (تشرين الثاني عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) لغاية الشهر الثاني عشر من سنة (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) بتبليط أرضيّة الصحن الشريف وجدران الإيوانات بالمرمر اليوناني الأبيض الأنيق (مرمر الثاسيوس) المشابه لبلاط بيت الله الحرام بمكة المكرمة

وساحات مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وهو مرمر ذو خاصية مهمة تتمثل في كون درجة حرارته تقل عن درجة حرارة الجو المحيط به (١٤) درجة مئوية، مما مكن الزائرين من السير عليه وسط لهيب الظهيرة دون حرارة كاوية ودون عناء كان يشكي منه زائروه وخاصة في أوقات ذروة ارتفاع درجات الحرارة.

وبهذا العمل النافع تم رفع الممر العراقي المسمى (كارينخان) ذو السمك القليل البالغ (٣ سم) أو أقل وإزالة طبقة الخرسانة المتآكلة والعديد من التخسفات بسبب كثرة المقابر الموجودة تحته ما استدعى وضع طبقة من الكونكريت المسلح فوقها كسقف للمقابر التي تحته وإعادة تبليط أرضية الصحن الشريف البالغة مساحته (٤٤٢٨ م^٢)، والجدران بمساحة (٥٧١٨٦ م^٢)، والإيوانات بمساحة (٣٧٨ م^٢)، وذلك في سنة (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م)^(١).

هذا وقد أحصى الباحث المرحوم كاظم عبود الفتلاوي مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف فقط، فكانوا (٤٤٥) فقيهاً، و(١٠) كتاباً، و(٢١) شاعراً و(١١) فضلاً، و(٤) أطباء، و(١٤) خطيباً، و(٣) نسابين، و(٢) من الفلاسفة كما حدّثني بذلك مؤلف الكتاب قبل طباعته^(٢).

ثم كان أن طبعه طبعة أولى، وثانية مزيّدة ومنقّحة، فبلغ عدد مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف - حسب مؤلف الكتاب - (٥٧٢) خمسمائة واثنين وسبعين مشهوراً، عدا السلاطين والوزراء والأمراء والأعيان، وعدا من أشار إليهم (ابن حوقل) - صاحب كتاب (صورة الأرض) خلال ذكره لأبي الهيجا -

(١) ينظر: أرضية الصحن الشريف تتألق بممر الناسيوس الأبيض. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة

العلوية المقدسة. النجف الأشرف. العراق. ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

(٢) مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف. مخطوط بقلم كاظم عبود الفتلاوي.

بقوله: وقد دفن في هذا المكان المذكور - يعني: الصحن الشريف - جلة أولاده - يعني: أبا الهيجا المذكور سابقاً - وسادات آل أبي طالب من خارج القبّة، وجعلت الناحية ممّا دون الحصار الكبير - السور - مراقداً لآل أبي طالب^(١)، ذلك أنّ المرحوم الفتلاوي^(٢) لم يتوصّل - كما أشار إلى ذلك في مقدّمته - إلى معرفة السادات المذكورين في نصّ ابن حوقل.

وخلاصة القول: إنّ العدد المذكور في كتاب مشاهير المدفونين أقلّ بكثير من المتوقّع كما أظنّ ويظنّ غيري من الباحثين المعنّين والنجفيّين المطّلعين والمعمّرين.



٧. البهو الكبير

ثم أنّ الصحن العلوي الشريف يقود زائره إلى بهو طوله (٤٢م) وعرضه (٥, ٧م) ترتفع أرضيّته عن أرضيّة الصحن الشريف بعد الإكساء الأخير لأرضيّة الصحن العلوي بالمرمر الأبيض بمقدار (٢٠ سم).

ويشبه مدخل البهو عند جزئه العلوي شرفة علاها سياج من الألمنيوم الفضيّ، وهي مغلفة بالقاشاني المعرّق الفاخر المزّين بالنقوش النباتيّة والكتابات الإسلاميّة، حيث كتب على شريط رفيع عند أعلى الشرفة أسماء الله الحسنى، وأدناه بمسافة كتبت مقاطع من حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي كالآتي: (العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى) (من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أعطي التوبة لم يحرم من القبول، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة) (كلّ يوم

(١) المصدر السابق في طبعته الثانية: ١٣ نقلاً عن صورة الأرض لابن حوقل: ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٣.

لا يعصى الله فيه فهو عيد) (أشد الذنوب ما استخفَّ به صاحبه) (من صارع الحقَّ صرعه) (الناس ثلاثة فعالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح) (من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاتته).

وعلى واجهات المدخل المطلّة على الصحن الشريف كتب على الكاشي المعرّق بخطّ ذهبي فاخر كلمات بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام وهي كالآتي: (باب مدينة الحكمة) (أسد الله الغالب) (ساقى الكوثر) (أمير المؤمنين صلوات الله عليه) (مولى الموحّدين) (ميزان الأعمال).

أمّا المدخل الشمالي فهو يشابه المدخل الجنوبي شكلاً وحجماً، ولكن يفترق عنه بالحكم التي وردت عن أمير المؤمنين عليه السلام، حيث كتب منها الآتي:

(لا عنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة)، (لا يرجون أحد منكم إلّا ربّه ولا يخافن إلّا ذنبه ولا يستحيّن أحد منكم إذا سئل عن ما لا يعلم أن يقول لا أعلم)، (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، (أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع)، (قيمة كلّ امرئ ما يحسنه) (فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحاً)، (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)^(١).



(١) دليل العتبة العلوية المقدّسة (مخطوط).

٨. الإيوان الذهبي

ولو تجاوزنا البهو إلى إيوانه فسنجد جدران الإيوان مكسوّة بالذهب الخالص، تتدلّى في وسطه سلسلة ذهبية طويلة ربط بها - كما قيل - السلطان (نادر شاه الأفشاري) يوم أمر أن يسحب إلى الحرم الشريف خاضعاً خاشعاً مستغفراً تائباً.

وكان السلطان (نادر شاه الأفشاري) حين أمّ النجف الأشرف للتشرف بالزيارة قادماً إليها من الموصل بعد عقده الصلح مع وإليها (حسين باشا الجليلي) سنة (١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م) أمر بتذهيب القبة الشريفة والإيوان والمئذنتين باذلاً من أجل ذلك أموالاً طائلة، ومهدياً تحفاً في غاية الروعة والجمال وحسن الصنعة لخزانة الحضرة العلوية المطهّرة.

ولم يترك تذهيبه القبة المطهّرة والإيوان الذهبي تمرّ دون إشارة تاريخية إلى عمله الفني الرائع ذاك، فها هي ذي جبهة الإيوان الذهبي توثّق وبكلمات عربية بأحرف ذهبية مؤرّخة بخطّ الثلث البارز الكبير تذهيب القبة والمئذنتين والإيوان الفخم بأمر من السلطان نادر شاه بما نصّه: (الحمد لله تعالى قد تشرف بتذهيب هذه القبة المنوّرة، والروضة المطهّرة الخاقان الأعظم سلطان السلاطين الأفخم المظفر المؤيّد بتأييد الملك السلطان نادر أدام الله ملكه وسلطنته، وأفاض على العالمين برّه وعدله وإحسانه، وقيل في تاريخه: خلّده الله ودولته، سنة (ستّة وخمسين ومائة بعد الألف ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م).

وما إن حلّت سنة (١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م) حتّى بدأ العمل بإصلاح جدران هذا الإيوان ثمّ توقّف، ثمّ بدأ العمل به ثانية لتنتهي عملية البناء وإعادة الصفائح الذهبية للجدران في أواخر سنة (١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م). كما بدأ العمل بإصلاح جدران هذا الإيوان سنة (١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) مجدّداً.

وقد ضمّ الإيوان العديد من قبور العلماء الأفاضل والوجهاء وكبار الشخصيات كتبت أسماء بعضهم على الصخر النجفي القديم، وحين أبدل بالمرمر اليزدي فقدت تلك الأسماء فضاعت بذلك ثروة تاريخية مهمة كان من المفروض ألا يفرط بها المفرطون، ولعلّ أشهر من بقي مدفنه معروفاً ممّن دفن في مداخل الروضة المطهرة العلامة الحسن بن يوسف المعروف بـ(العلامة الحلي) (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) صاحب التصانيف العلمية الكثيرة، والمدفون في غرفة كائنة على يمين الداخل إلى الرواق المطهر، والمرجع الشيخ أحمد بن محمد المعروف بـ(المقدس الأردبيلي) (ت ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) المدفون في غرفة كائنة على يسار الداخل إلى الرواق الشريف.



٩. المئذنتان الذهبيتان

تقع على جانبي الإيوان الذهبي الرائع مئذنتان مذهبتان: شمالية يبلغ ارتفاعها (٢٩م) تسعاً وعشرين متراً، وجنوبية يبلغ ارتفاعها (٢٩, ٥م) تسعاً وعشرين متراً ونصف المتر، ترتكز كلّ منهما على قاعدة متعدّدة الأضلاع مكسوّة بالمرمر يبلغ قطرها (٣م) ترتفع عن أرضية فناء الحرم بـ(٤, ٢م) مترين وأربعة أعشار المتر، والمئذنتان اسطوانيتان يقلّ قطر كلّ منهما كلّما ارتفعت، وقد أحيط ثلثهما العلوي بشريط عريض كتبت عليه آيات قرآنية كريمة بصفائح ذهبية على المينا زرقاء رائعة البهاء فقد خطّ على شريط المئذنة الشمالية النصّ القرآني الآتي:

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴿١٠﴾﴾. في حين خطّ على

شريط المئذنة الجنوبيّة تتمّة الآية السابقة ابتداء من قوله جل وعلا: ﴿فَأَنشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنفَضُوهَا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَالِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ﴿١﴾.

وفوق الشريط توجد مقرنصات ذهبية بارزة ومتدرّجة ذات أشكال غاية في التناسق والجمال تليها شرفة للمؤذن يصل ارتفاعها إلى (٢٥, ٢م) مترين وربع المتر، ويبلغ قطرها عند قاعدتها (٨, ١م) وثمانية أعشار المتر، أمّا قطرها من الأعلى فيبلغ (٢٥, ١م) تحتوي على (١٢) اثنتي عشرة نافذة مفتوحة على جميع الجهات.

هذا وتعلو شرفة المؤذن اسطوانة رفيعة يصل قطرها إلى أكثر من متر واحد تقريباً، ترتفع إلى (٤م)، وتنتهي بقبة ذهبية مفصّصة، يعلوها عمود زاه يتضمّن كرتين معدنيتين مشعّتين مطليّتين بالذهب، وقد تشّرفت قمة العمود بحمل لفظ الجلالة المذهب بارتفاع بلغ حتّى لفظ الجلالة (٦, ١م).

وقد غلّفت كلّ مئذنة من أعلى قاعدتها إلى قمّتها بصفائح مطلية بالذهب الخالص طول ضلع كلّ منها (٥, ١٩ سم)، صمّمت لتكون معظم أجزائها الذهبية على هيئة معينة بعدد يبلغ حوالي (٢٠٠٠) صفيحة معينة لكلّ منارة وفي ذلك من الدقّة الهندسيّة ما لا يخفى على أحد.

وفوق قاعدة المئذنتين التي غلّفت بالمرمر يبتدئ التذهيب بشريط نقش عليه أبيات شعريّة تؤرّخ سنة التذهيب، فكانت سنة تاريخ المئذنة الشماليّة المجاورة لقبر (العلامة الحلي) هي سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م)، وكاتبها هو (محمد جعفر) وبأمر من السلطان (نادر شاه الافشاري).

(١) سورة الجمعة: الآية ١٠ وجزء من الآية ١١.

أمّا تاريخ تذهيب المئذنة الجنوبيّة المجاورة لقبر (المقدّس الأردبيلي) فقد تضمّنته أبيات منتهية بتاريخ لتذهيبها زاد لمعان ذهبها جمالاً على جماله ومنحه روعة على روعته حسن التاريخ الذي تضمّنته أبيات شعريّة ختمت بيتين تضمّننا التاريخ وهما^(١):

وفازَ بذاك (نادرُ) كلّ عصرٍ فسبحَ ثم هلّ ثم كبرَ
وقامَ مؤدّنُ التاريخِ فيه يُكرّرُ أربعاً (الله أكبر)

مشيرة إلى أنّ الأمر بتذهيبها هو السلطان (نادر شاه الأفشاري) وذلك في سنة (١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م)، وقد حدثت إجراءات عدّة لإصلاح المئذنتين معاً بعد تذهيبهما من قبل السلطان نادر شاه الأفشاري، وتمّ ذلك في سنة (١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م)، بسبب تضعُّع بعض جوانبهما وتساقط قسم من صفائحها الذهبيّة.

كما أصلحت المئذنة الجنوبيّة المجاورة لمرقد الفقيه المقدّس (أحمد بن محمد الأردبيلي) في سنة (١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م) بأمر السلطان عبد العزيز خان العثماني بعد قلع صفائحها الذهبيّة وهدمها بالكامل وإعادة بنائها مع إرجاع صفائحها الذهبيّة، فيما أصلحت المئذنة الشماليّة المجاورة لمرقد (العلامة الحليّ) سنة (١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) بأمر (السلطان عبد الحميد خان العثماني) بعد قلع صفائحها الذهبيّة وهدمها إلى النصف وإعادة بنائها مع إرجاع الصفائح الذهبيّة، وقد تمّ الانتهاء من العمل في (العاشر من شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م).

وأصلحت المئذنة الجنوبيّة مرّة أخرى في (شهر جمادى الأولى من سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) بهدم القسم العلوي منها وإعادة بنائها على نفقة مديرية الأوقاف

(١) ماضي النجف وحاضرها، سابق: ٦٦/١.

في الحكومة العراقية، فيما أصلحت المئذنة الشماليّة مرّة أخرى أيضاً من قبل الأوقاف في سنة (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م) وقد تضمّن الإصلاح هدم القسم العلوي منها وإعادة بنائه، بناء على تقارير فنيّة من المهندسين المتخصّصين الذين زاروا النجف الأشرف لهذا الغرض^(١).

وفي أوائل سنة (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) قلع الصفيح الذهبي من المنارة الشماليّة أجمع، وهدم أعلاها، وأعيدت على حالتها السابقة، وكان الفراغ من العمل آخر شهر رجب من نفس السنة المتقدّمة^(٢).

وقد قامت الأمانة العامّة للعتبة العلويّة المقدّسة بإعادة تذهيب المنارتين في الوقت الحاضر وقد أنهت عملها قبل أيام.



١٠. أبواب الحضرة العلويّة الشريفة

للحضرة العلويّة الشريفة أبواب عدّة أوضحها وأترفها وأكثرها ثراء ما كان منها في الإيوان الذهبي والرواق المطهر، ففي الإيوان الذهبي ثلاثة أبواب ذهبية تأسر الناظر، واحد كبير في وسطه يقابل الباب الخارجي نصب (عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) وهو الأفخم، حيث اكتنز بذهب باذخ وتزيّن وسطه بطرّة كبيرة بارزة، داخلها طرّة أصغر منها، وبين الطرّتين الذهبيتين البارزتين المكتنزتين بالذهب طوق رفيع من الميناء الرائعة البديعة ما زاد الطرّتين المتوهّجتين جمالاً على جمالهما ونضارة على نضارتهما.

(١) مشهد الإمام. سابق: ٢٤٣/١.

(٢) دليل العتبة العلويّة المقدّسة - النسخة مخطوطة.

وقد حملت هاتين الطرّتين المكتنزتين بالذهب والمصوغتين بمهارة عالية وذوق رفيع مزهرية ذهبية بارزة في غاية الروعة والجمال والأناقة.

ومثلما ارتكزت الطرّتان الوسطيّتان المكتنزتان بالذهب على مزهرية ذهبية بديعة ارتبط أعلى الطرّتين بطرة ذهبية هي الأخرى متوهجة الجمال ببريق لامع، مشكّلة بمجموعها لوحة فنية بارزة على أرضية من الذهب المتلألئ الوهاج، وهو ما وشّح الباب الكبيرة من أعلاها لأدناها بزخارف ونقوش، شكّلت بجمالها وأناقتها ودقة صنعها منظراً أخاذاً قلّ نظيره في أبواب أخرى مماثلة.

هذا ما كان من أمر الباب الذهبية الكبير.



١١. البابان الذهبيتان

أمّا البابان الذهبيتان الواقعان على جانبي الباب الكبيرة شمالاً وجنوباً فكلتاهما أصغر من الباب الكبيرة بفارق واضح وقد تمّ إغلاق الباب الجنوبية الموشاة بالذهب والميناء الأزرق الغامق، كونها تقود إلى مدخل لحجرة فيها أهمّ نفائس الحرم حفاظاً على الخزائن وصوناً لها من عمليات السرقة أو التجاوز أو العبث خلال ظروف سياسية سيئة بالغة التعقيد قد لا يمنعها مانع من ارتكاب ما يخشى منه على نفائس الحرم المطهر، وقد دفن خلف هذه الباب المرجع الشيخ (أحمد الأردبيلي رحمته الله)، أمّا الباب الشمالية فتؤدّي إلى غرفة دفن فيها العلامة الحليّ الحسن ابن يوسف - كما تقدّم - وفتحت سنة (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م)، فأصبحت مدخلاً آخر إلى رواق الحرم، وأبدلت بابها أيضاً بباب ذهبية جميلة^(١).

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. ٣١٧-٣١٨.

هذا وقد أنجزت الكوادر المتخصصة بالعتبة العلوية وبالتعاون مع الجهة المتبرعة استبدال البابين الفضيّتين الموجودتين عند مدخل الضريح المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام من الجهة الشماليّة خلف شبّاك الضريح المقدّس، ببابين ذهبيّتين غاية بالروعة والجمال ودقّة الصنع.

فقد صنّعت البابان من خشب الصاج البورمي وغلّفا بالذهب والميناء، وتبلغ مساحة كلّ باب بحدود (٢, ٣م)، ويتألّف كلّ جزء من جزئي الباب الواحدة من مجموعة من الزخارف والنقوش المطعّمة بالميناء والذهب، حيث تحوي على (١١٠) وردات من الذهب، وهي تشير إلى مجموع حروف الإمام علي عليه السلام في كلمة (علي)، وتحوي أيضاً على (خمس) قطع من الميناء مزينة بمجموعة من الورد، تيمناً بعدد أسماء أصحاب الكساء الخمسة، وتزهر في كلّ جزء من جزئي كلّ باب أيضاً على (خمسة وعشرين) غصناً من غصون الورد مشيرة إلى فترة حجب سني الخلافة عن الإمام علي عليه السلام، وهناك اسم الإمام علي عليه السلام متكرّر حول الميناء (ثلاثاً وستين) مرّة، وهو بعدد سني عمر الإمام عليه السلام موجود في كلّ باب، ومكتوب فوق أحد جزئي الباب كتيبة طرّزتها (سورة الكوثر) التي نزلت في حقّ فاطمة عليها السلام، مكتوبة بالذهب الخالص، أمّا من جهة الجزء الثاني للباب فقد كتبت فيها البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بميناء مدهشة الجمال وذهب يخطف الأبصار.

لقد تمّ إنجاز البابين بناء على عقد موقع بين العتبة العلوية المقدّسة ومؤسسة الكوثر لإعمار العتبات المقدّسة في العراق، وتبرّع من أهالي أصفهان في عام (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، وتمّ إنجاز ونصب الأبواب الذهبيّة يوم (الجمعة الموافق ١٨ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) وبمدة إنجاز بلغت ثلاثة أيام، وأنّ الأبواب السابقة سيتمّ تهيئتها لنصبها عند أبواب أمّ البنين والشرياني بدلاً

من الأبواب الخشبيّة الموجودة فيها، ليكون الخطّ الأوّل على مداخل الرواق من الفضّة، ومداخل الضريح المقدّس من الذهب الإبريز.



١٢. رواق الحرم المطهّر

حين يدخل الزائر من الإيوان الذهبي متجاوزاً روعة الإيوان المشعّ بالذهب والمنارتين المتموّجتين ببريق ذهبي يخطف الأبصار متّجهاً إلى داخل الروضة الحيدريّة الشريفة عبر الباب الذهبية الكبير المصوغ من الذهب الخالص، والمطعم بالميناء الزاهية الألوان، بما يبهر الناظر من أزهار وتقاسيم، وزخارف، وتلوينات وخطوط تسحر الأبواب زخرفت بها آيات قرآنيّة كريمة وأحاديث شريفة وآيات شعريّة جميلة، يدخل وسط رواق مستطيل الشكل يحيط بالروضة المطهّرة يبلغ ارتفاعه (١٧م)، وطول ضلعه من الشمال إلى الجنوب (٣٠، ٣١م)، ومن الشرق إلى الغرب (٥، ٣١م). والرواق مكسوّ الجدران إلى ارتفاع مترين وعشرين ستمتراً بالمرمر وما بعد ذلك إلى السقف بالمرايا المختلفة الأشكال والألوان والأطوال والأحجام متعاقد ومتشابكة، وهي تكوّن مع قطع الفسيفساء الجميلة المتعانقة والمتألّفة لوحة فنيّة نادرة المثال، بل آية من آيات فنّ التزجيج الجميل الذي لا يوجد له مثيل في أيّ مكان في العالم - كما يقول الدكتور صلاح الفرطوسي^(١) -، وحقّاً أنّها آيات من الفنّ الإسلامي الرفيع الذي يحار القلم في وصفها، بل أنّ المسلم حينما يدخل إلى الروضة لغرض الزيارة والتأمّل تأخذه الدهشة ويصاب بالذهول من ذلك الثراء الفنّي الذي يحتلّ كلّ زاوية من زواياها في تناغم يبهر الأبصار والعقول.

(١) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام. سابق: ٣٢٥.

وهو أوّل رواق ممرّد، وقد أرّخ الشعراء هذا التمرید بالتاريخ الأبجدي الحسابي التالي: (صرح ممرّد من قوارير).

فإذا اجتاز الزائر الباب الذهبية الكبيرة ورواقها المتوهّج بالمرایا المتألّثة بالضياء المتكسّر ووصل إلى بابي الرواق المطهّر الذهبي يكون قد وضع أولى خطواته داخل الحضرة المطهّرة.

ومّا يلفت النظر في كلّ من البابين تزيينهما بآيات قرآنيّة كريمة وأحاديث نبويّة شريفة وتجمّل وسطها بطرّة شذريّة اللون جميلة من الميناء الزاهي الأخاذ المزيّن بالنصوص الكريمة، أحاطت تلك الطرّة من فوقها ومن أسفل منها طرّتان من الميناء الأزرق البديع وكتبت على أطراف مصراعي الباب قصيدتان شعريّتان مع تاريخ الصناعة، وعلى الأسطوانة التي تفصل بين البابين الشرقيّتين قصيدة عربيّة مؤرّخة سنة (١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م).



١٣. الحضرة العلويّة الشريفة

ما إن يخطو المرء أولى خطواته داخل الحضرة العلويّة المقدّسة حتّى تتلقّفه هيبة أمير المؤمنين عليه السلام، وتزدحم في عقله وقلبه صور من حكمة وعدل وفقه وبلاغة وإنسانيّة وبطولة الإمام علي عليه السلام، وقبل ذلك وبعده تغمر روحه طمأنينة يقين من لو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً، مثلما تأسر ناظره حسياً أرضيّة الحضرة العلويّة المفروشة بالرخام الأخضر الصقيل المعرّق بلون بنيّ محمّر، محزّمة الجدران لما فوق قامة إنسان أو قل لارتفاع مترين بجمال الرخام الأخضر المعرّق طبيعياً بخطوط وتقاسيم بنيّة محمّرة كما أسلفت، وقد زاد خضرتة الهانئة جمالاً موحياً

على جمالها وبهاء أخذاً على بهائها شلال هدوء هانئ ينساب من صفائها المترع بالخضرة المترفة.

وما إن تنتهي بداعة الرخام الأخضر حتى يأخذك وهج المرايا المضيئة المتألثة بأشكالها الهندسية المتناظرة صاعدة بزخارفها وتموجات ضوئها وانكساراته إلى الأعلى فالأعلى، ما تعتبر بحق آية من آيات الفن الإسلامي سواء أكان ذلك من الناحية الجمالية أم التطبيقية الفنية أم المادية، فقد كسي المقرنص الكبير الذي يحمل رقبة القبة بالمرايا المصنوعة على شكل مقرنصات صغيرة مصفوفة في ستة صفوف مشعة يبلغ ارتفاع كل منها ربع متر.

وتعدّ زخرفة العماير بالمرايا من مستحدثات الفن الفارسي في أواخر القرن الثامن عشر، واستمرّ حتى القرن العشرين، وقد قام بتصميم مرايا الحضرة العلوية الفنان الفارسي (حسين كيانفر) ونفذها المعمار العراقي الحاج (سعيد النجفي)^(١)، الذي انتهى من تزجيجه البديع في اليوم السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى من سنة (١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م).

لقد جدّد كاشي الروضة الحيدرية سنة (١١٩٧هـ / ١٧٨٢م) على يد (النوّاب ميرزا) بأمر من علي خان مراد.

ثم جدّد نقش الروضة الحيدرية ثانية على نفقة الحاج (حمزة) سنة (١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م).

ثمّ رصفت أرضية الحرم بالمرمر الفاخر على نفقة سلطان البهرة (طاهر سيف الدين) سنة (١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م).

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف: ١ / ٤٣١.

وتم تزجيج الحضرة الشريفة على نفقة شاه إيران (محمد رضا بهلوي) سنة (١٣٧٠هـ / ١٩٥١م)^(١).

وبعد سقوط النظام الصدامي البائد سنة (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) تمّ تبديل مرمر جدران الحضرة العلوية المطهرة وإكساء أرضيتها بالمرمر الأونكس الأخضر، كما حلّت محلّ كتيبة تأثرت بعوادي الزمن كتيبة جديدة من القاشاني المعرّق الجميل بطول (٩٨م) وعرض (٨٠ سم) تحوي آيات قرآنية مباركة كتبها الخطاط البارع (موحدي) على خلفيّة زرقاء بديعة اللون موحية، وقد اختلف خطها الأبيض الجميل عن خطّ أختها الكتيبة العليا بأمور جزئية منها: أنّ حروف الخطّ الأبيض الباهي في الكتيبة السفلى أكثر تشابكاً وتعانقاً ممّا هو عليه في الكتيبة العليا وأشباه ذلك.



١٤. القبّتان الداخليّة والخارجيّة للحضرة العلوية الشريفة

لقد بنيت فوق القبر الشريف قبّتان كبيرتان: قبّة خارجيّة بهيّة، بيضويّة الشكل إلى حدّ ما، ذات أفق رحب يبلغ سمك جدارها (٨٠ سم)، بينما يبلغ محيط قاعدتها (٥٠م)، وطول قطرها (١٦م)، وارتفاعها إلى عقدة البناء (٣٠م) وهي أعلى قباب ضرائح الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وتحت القبّة الخارجيّة قبّة داخلية مستديرة سمك جدارها (٦٠ سم)، وقطرها (١٢م)، وارتفاعها عن سطح الأرض (٣٥م)، ويرتفع رأس القبّة العليا عن رأس القبّة السفلى إلى أربعة أمتار، وهناك سلّم يربط بينهما ينتهي إلى أعلى القبّة

(١) معالم المرقد العلوي المطهر: ٩ - ١٠.

العليا يفضي إلى نافذة تغطيها باب نحاسية صغيرة ظاهرها مذهب^(١).

أمّا القبة الداخلية المترعة بالزخارف الزجاجية فتحيط بها خمس كتائب، أولها وأدناها إليك كتيبة عريضة من بلاطات القاشاني الجميل مكتوبة عليها سورة (الدهر) بحروف بيضاء كبيرة على أرضية زرقاء مشبعة الزرقة.

وثاني الكتائب الخمس كتيبة شذرية اللون مزرقّة توزعتها حقول مستطيلة صفراء متصلة ببعضها عبر حزام مطوي بأناقة، وقد زين كلّ حقل أصفر منها شطربيت من القصيدة العينية المشهورة للشاعر (ابن أبي الحديد المعتزلي) (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) في مدح الإمام علي عليه السلام مكتوب بلون مترع بالخضرة متوائماً أشدّ المواءمة مع أرضيته الصفراء ولون كتيبه الشذري المزرقّ.

أمّا ثالث كتائب القبة، أسفل عنقها، وتحت أبواب التهوية الاثنتي عشرة المصمّمة بقصد على عدد الأئمة الاثني عشر المعصومين عليه السلام، فقد تشرف بحمل سورة (النبأ) مكتوبة بخطّ الثلث الأبيض الكبير الحجم، الرائع الجمال، على أرضية زرقاء مشبعة باللون الأزرق الموحى، ومثورة بترف أخذ بزخارف صفراء زادت الخطّ والنقش والزرقة الصافية نضرة على نضرتها وبهاء على بهائها.

بينما زخرفت رابع كتائب القبة الداخلية حقول مستطيلة صفراء على أرضية شذرية مزرقّة يحمل كلّ حقل منها - كأختها الكتيبة الثانية - شطراً من قصيدة (ابن أبي الحديد) العينية المتقدّم ذكرها.

أمّا خامس الكتائب وأعلاها فقد تشرف بحمل سورة (الفجر) مكتوبة بخطّ الثلث الناصع البياض على أرضية زرقاء مشبعة بزرق سماوية باهرة، مطوّقة بحزام

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٤٤٨.

من الخطوط الشذريّة المخضّرة، محفوفة هنا وهناك بزخارف صفراء بدت في غاية الروعة والجمال^(١).

ومن حسن الحظّ أنّ كاتب السور القرآنيّة الكريمة في الحضرة العلويّة المطهّرة الخطّاط (مهر علي) قد وثّق كتابته لها فكتب بعد انتهائه من خطّ سورة الفجر أنّه كتبها في سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م)، وكتب بعد كتابته لسورة الدهر أنّه انتهى من كتابتها في سنة (١١٢١هـ / ١٧٠٩م)، وبذلك عرفنا أنّ كتابة سورة الدهر هي أقدم كتابة موجودة في الحرم العلوي المطهّر.

بقي لي أن أشير إلى جمال سقف القبة الداخليّة الدائري البديع، الذي يرفل بنقوش وزخارف صفراء مشبعة بصفرة جميلة، متعانقة مع بعضها وملتقّة عليه التفاف الساق بالساق والغصن المكتنز بالغصن، على أرضيّة زرقاء مشعة، مشبعة بزرقه سماء صافية محبة، وقد زاده جمالاً على جماله، وبهاء على بهائه، أن وضع مصمّمه المبدع في قلب السقف العلوي للقبة العلوية الداخليّة طرة بيضاء كبيرة مزدانة بتلاوين جميلة تكاد تضيء، وسط زرقه أرضيّة سماوية كأنها للونها وعلوّها وللجو الروحاني المحيط بها مفتوحة على الفضاء اللا نهائي الأزرق الجميل، ولم يكتف المصمم بذلك، بل زاد فوضع في قلب السقف الداخلي الأبيض للقبة الشريفة حلقات زرقاء من الطرر المزركشة بأحلى الرسوم والألوان عددها اثنتا عشرة طرة، تشرّفت كلّ طرة منها بحمل اسم إمام من الأئمّة الاثني عشر (عليهم أفضل الصلاة والسلام) بخطّ أبيض مشعّ وسط أرضيّة مشبعة بزرقه سماويّة صافية.

أمّا القبة الخارجيّة المشعّة ببريق ذهبي وهّاج فقد تبرّع به السلطان (نادر شاه

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٦١، وتاريخ النجف الأشرف. سابق:

الافشاري) (ت ١١٦٦هـ / ١٧٥٣م)، وذلك في سنة (١١٥٥هـ / ١٧٤٢م) أمراً بإكسائها بحلة من الذهب الخالص على شكل قطع من طابوق ذهبي متوهج اللمعان مربّع الشكل بلغ عدده (٨٧٨٧) ثمانية آلاف وسبعمائة وسبع وثمانين طابوقة ذهبيّة.

وقد وضعت في أعلى موضع في القبة الذهبيّة الخارجيّة للحضرة العلويّة المطهّرة رمانة ذهبيّة ملفتة في حجمها الكبير وإن كانت لا تبدو كذلك؛ نتيجة لارتفاعها وعلوّها، وقد تشرّفت الكرة الذهبيّة في السابق برفع كفّ ذهبي كبير كذلك كتبت في وسطه الآية القرآنيّة الكريمة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١)، وقد استبدلت هذه الكفّ قبل عقود من الزمن بـ (لفظ الجلالة) بحجم كبير مذهّب، وحزّمت القبة الذهبيّة من أسفلها ومن أوسعها قطراً بنطاق بديع بطول (٧٧، ٥١م)، وارتفاع (٤٦، ١م)، مكوّن من قطع نحاسيّة جميلة بارزة مطليّة بالذهب على أرضيّة من الميناء السماوي الأزرق عددها (٣٧٦) قطعة وبارتفاع (٤٩ سم) للقطعة الواحدة، التي تشرفت بحمل سورة الفتح المباركة بحروف نحاسيّة بارزة مطليّة بالذهب مكتوبة على أرضيّة سماوية من المينا الزرقاء الجميلة موقّعة في آخرها بجملة (كتبه مهر علي الأصفهاني سنة ١١٨٦) وفق التقويم الهجري القمري، الموافق (١٧٧٤) وفق التقويم الميلادي.

وزيادة في جماليّة النطاق أحاط المصمّم المبدع آيات السورة المباركة من أعلاها وأسفلها بشريط مكوّن من (٤١٧) قطعة نحاسيّة بعرض (٢٤ سم) للقطعة الواحدة كتب عليه شعر في مدح الإمام علي عليه السلام باللغتين الفارسيّة والتركيّة،

(١) سورة الفتح. آية: ١٠.

وقد ختم كاتبها كتابة النطاق باسمه وأرّخها فكان تاريخ كتابة النطاق في سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م).

ولمّا مضى على تذهيبها (٢٣٦ عاماً) تغيرت نظارتها؛ لاضمحلال الأجزاء الذهبية فتقدّم الحاج (محمد رشاد مرزة) ببذل الأموال الطائلة لإصلاح الطابوق وتذهيبها كما كانت وذلك في سنة (١٣٩١هـ / ١٩٧١م)^(١).

بيد أنّ ما يؤسف له أنّ نطاق القبة الذهبية الخارجي المتقدّم ذكره قد تمّ رفعه لأغراض طائفية أو عرقية أو سياسية أو لجمعها ما شئت فعبّر، وذلك في سنة (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) أيام النظام البائد كما سيأتي، وبوشر بتثبيت القطع على جسم حزام القبة مجدداً في (١٤ / ١٢ / ١٤٢٩هـ - ١٣ / ١٢ / ٢٠٠٨م) بعد إصلاح ما احتاج إلى إصلاح منها نتيجة لما تعرّضت له أثناء القلع العنيف ولعوادي الزمن، حتّى إذا أتمّ المهندسون المهرة تثبيت الناطق حيث كان، عاد النطاق ثانية إلى احتضان قبته الطاهرة بحلّة بهيئة رائعة.

وقد باشرت العتبة العلوية المقدسة بوضع "الحجر الأساس لمشروع إعادة تذهيب المرقد العلوي المطهر، وذلك صباح يوم الخميس (١٠ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ، الموافق ٢١ شباط ٢٠١٣م) ... وتم الاتفاق على أن يتولى فريق عمل متخصص من كوادر الدائرة الهندسية في العتبة العباسية المقدسة من ذوي الخبرة والمهارة المباشرة بالمرحلة الأولى من مشروع التذهيب، وذلك بإعادة تذهيب رقبة القبة، وبلغ عدد الصفائح الذهبية للرقبة (٢٥٢٥) صفيحة مرتبة بـ (١٨ صف حلقة دائرية) ... وقد اكتملت هذه المرحلة في عام (٢٠١٤م). أما المرحلة الثانية المتمثلة

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢ / ٣١٢ الهامش.

بتذهيب القسم العلوي للقبة... فكان عدد الصفائح الذهبية المعاد طلاؤها للقسم العلوي من القبة (فوق الحزام ٩٢١٧ صفيحة تشكل ٧٦ صفّاً أو حلقة مطوقة للقبة. وعند جمعها مع صفائح الرقبة أسفل الحزام البالغ عددها ٢٥٢٥ يكون المجموع الكلي لصفائح القبة هو ١١٧٤٢ صفيحة)^(١).

وقد جرت في يوم (١٧ ربيع الأول ١٤٣٨هـ / ١٧ كانون الأول ٢٠١٦م) احتفالية الانتهاء من أعمال صيانة القبة الذهبية لتعود كما كانت قبل عوادي الزمن مشرقة متوهّجة برّاقة يخطف ذهبها الأبصار.



١٥. الضريح العلوي الطاهر

يتوسّط الروضة الحيدريّة المقدّسة الضريح العلوي الطاهر، الذي يبلغ ارتفاعه من الأرض حتّى قمّة التاج الذهبي الرائع الجمال حوالي (٤ م)، بطول (٣٥، ٦م)، وعرض (١٠، ٥م).

وتعد هذه التحفة الفنّيّة النادرة التي استمرّت صناعتها وزخرفتها على أيدي أمهر الفنّانين الهنود مدّة خمس سنين متواصلة انتهت بسنة (١٣٦٠هـ / ١٩٤١م) ورفع الستار عنه في ١٣ من شهر رجب المرجّب من عام (١٣٦١هـ / ١٩٤٢م) أبهى التحف الفنّيّة الرائعة في العتبات المقدّسة، ليس في العراق فحسب، بل في العالم كلّه.

يتألّف الشبّاك الفضيّ من (١٨) نافذة مغلقة (إحداها تضمّ الباب) متكوّنة من كرات فضيّة منصودة مع بعضها بقضبان فضيّة يفصل بين كلّ نافذة وأختها

(١) الموقع الرسمي للعتبة العلوية المقدسة على الأنترنت. www.imamali.net.

أعمدة مزخرفة بالنقوش النباتية وعناقيد العنب البارزة، أمّا أعمدة الأركان فهي مطعمة بالذهب والياقوت الأحمر^(١).

لقد احتوت هذه التحفة البهية على (٥٥٢, ٠٠٠) (خمسمائة واثنين وخمسين ألف) غرام من الذهب الخالص، مركبة على (١٠, ٠٠٠, ٠٠٠) (عشرة ملايين غرام) من الفضّة الخالصة^(٢)، وبلغت تكاليفه ثمانين ألف دينار عراقي في وقت كان فيه الدينار العراقي قوياً غاية القوّة.



١٦. التيجان الذهبية للشبّاك الطاهر

لقد اختار المصمّم المبدع أن تتوّج الشبّاك الفريد تيجان ذهبية قلّ نظيرها في عالم الروعة والجمال سأمّر عليها مروراً سريعاً مستعرضاً إيّاها من التاج الأوّل الأقرب إلى الواقف مقابل الضريح الطاهر صاعداً بها إلى أعلاها وهو التاج العاشر معترفاً بأنّ ما ساقّده من وصف لا يقدّم إلا صورة بسيطة عمّا أبدعه الصنّاع المهرة للضريح الطاهر من فنّ قلّ نظيره في عالم الروعة والجمال.

سيجد الناظر وهو واقف أمام شبّاك إمام المتّقين مأخوذ بعظمة أمير المؤمنين عليه السلام وروعة التعبير عن ولايته ومحبّته في أوّل التيجان وأدناها إليه - وهو صاعد بنظره نحو أعلى الشبّاك البديع من صفحتي الوجه والرأس - أبياتاً من القصيدة العينية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام للشاعر الشيخ إبراهيم صادق العاملي النجفي (ت ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م)، ومن جهتي صفحتي الشبّاك الأخرتين أبياتاً

(١) ينظر: معالم المرقد العلوي المطهر: ٩-١٠.

(٢) مرقد وضريح أمير المؤمنين. سابق: ٣٤٨.

على نفس الوزن والقافية من القصيدة العينية المشهورة في مدح الإمام علي عليه السلام للشاعر والمؤرخ المعتزلي (ابن أبي الحديد) (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، وبين الأبيات من هذه القصيدة أو تلك أحاديث نبوية شريفة كتبت على شريط من الفضّة المزينة بالمينا الزرقاء البديعة المطرّزة بألوان منتقاة.

وقد برقع الحزام الفضّي هذا فأخفى حزاماً من الذهب الخالص كتبت عليه قبلاً قصيدة لإمام البهرة لا تصلح لاحتلال ما احتلته من موقع في شبّاك أمير المؤمنين وأبي الأئمة الاثني عشر الهداة المعصومين عليه السلام وإمام الفصاحة والبلاغة ومؤسّس نهجها الخالد عليه السلام.

وسيجد في ثاني التيجان الذهبيّة المطوّقة للشبّاك الطاهر سوراً قرآنيّة كريمة هي سور: الدهر والغاشية والانشراح والكوثر والإخلاص ثم آية الكرسي مكتوبة كلّها بخطّ جميل متداخل ذي حروف ذهبيّة مشعّة بارزة.

وسيشاهد في ثالث التيجان الذهبيّة عناقيد الكرم بأوراقه وعناقيد عنبه الذهبيّة البارزة تتدلّى فوق مزهريّة ذهبيّة ناهدة، مكتنّزة ورداتها بتلايف أوراقها المتموّجة ببريق الذهب اللّامع، منقوشة على أرضيّة ذهبيّة عريضة شبه مقعّرة تأخذ بتلابيب الناظر فتعجبه وتبهره.

وسيرى في رابع التيجان الذهبيّة البديعة -صعوداً نحو الأعلى باستمرار- مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة في حقّ الإمام العادل أمير المؤمنين عليه السلام، كتبت بحروف ذهبيّة بارزة، وهيئات متداخلة على أرضيّة ذهبيّة مستوية الشكل في غاية الجمال والأناقة.

وسيكتشف في خامس التيجان البرّاقة وردات ذهبيّة مجسّمة شدّ بعضها

أزر بعض، بلغ تعدادها (١٠٤) مائة وأربع وردات، نقش على كل وردة منها بخط بارز جميل اسم من أسماء الله الحسنى مرصعة بالأحجار الكريمة، وهذه الوردات موزعة على فراش من الذهب الخالص على الأضلاع الأربعة للشبّاك الطاهر.

أمّا سادس التيجان الذهبية فقد اتخذ شكل كتيبة ذهبية محدّبة بعض الشيء، عريضة الجبهة، ممتلئة القوام بالذهب، مزخرفة بنقوش نباتية بارزة بروزاً ملفتاً، مجسّمة بزخارفها البديعة عناقيد كرم ضخمة وأواني ذهبية برّاقة زادت جمالاً على جمالها وروعة على روعتها طرّة ذهبية كبيرة في وسط كل جهة من جهات الكتيبة الأربع المطوّقة للشبّاك كتب عليها بحروف ذهبية بارزة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله) تأسر -هي والأواني والعناقيد الذهبية المتدلّية المشدودة البنية، المترابطة الشكل- الناظر إليها أسراً، شادة عينيه شداً لا فكاك لها منه إلّا بالخروج من عالم الحسّ الجميل إلى عالم المعنى والحدس الأجل.

وسيجد في سابع التيجان الذهبية -صعوداً بنظرك نحو الأعلى كما أسلفت- سلسلة من أوراق نباتية متلاصقة ببعضها تحتضن الشبّاك المبارك شبيهة -أكثر ما تكون- بالأكفّ الضاربة المتوسّلة السائلة.

وسيكشف في ثامن التيجان الذهبية سلسلة من الأوراق النباتية المقعّرة المتألّئة تطوّق الشبّاك الطاهر بوهج الذهب الباذخ.

وسيقراً في تاسع التيجان الذهبية المتألّئة سورة الرحمن كاملة، تطوّق الشبّاك المقدّس، مكتوبة بحروف ذهبية بارزة متداخلة ساحرة على أرضية ذهبية لامعة.

أمّا عاشر التيجان الذهبية الدافق بأمواج الذهب البراق وأعلاها فقوامه سلسلة من القناديل الذهبية اللّماعة شادُّ بعضها بحزام بعض، مطوّقة حزماتها المتوهّجة الوضاءة بالجلال والجمال، الشّبّاك البديع الأسر بـ(٩٦) بستّة وتسعين قنديلاً متراصفاً جميلاً.

ولم يكتفِ الصانع المبدع بما صنع، بل زاد عليه جمالاً فوضع في كلّ ركن من أركان الضريح الأربعة الرائعة مزهرية ذهبية كبيرة متموّجة ببريق وهّاج يأخذ بتلابيب المتأمل الرائي فلا يدعه يرحها إلا وهو معجب مشدوه مذهول.

هذا ويتضمّن الضريح من الجهة الشرقيّة والغربيّة أربع نوافذ، ومن الجهة الشماليّة خمس نوافذ، أمّا من الجهة الجنوبيّة فهناك أربع نوافذ والخامسة جعلت باباً للدخول إلى داخل الضريح المقدّس.

وتفصل بين كلّ هذه النوافذ أعمدة مزخرفة رائعة، وهي مصنوعة من الفضة الخالصة أيضاً، وتزدان هذه النوافذ بخرز كبيرة الحجم نسبياً منضوداً بعضها إلى بعض، يفوق عددها في كلّ نافذة (٢٠٠ خرزة) تقريباً.

أمّا عند أركان الشباك الفضي فتوجد في كلّ ركن أربعة أعمدة فضيّة مطعّمة بالذهب مزخرفة بنقوش نباتية وعناقيد عنب بارزة في غاية الروعة والجمال^(١).

ولقد تمّت في نهاية الثلث الأوّل من عام (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م) المباشرة بتذهيب أعمدة أركان الضريح المقدّس القديمة المصنوعة من الفضة الخالصة مضافاً إلى ترصيعها بالياقوت الأحمر النفيس، فكانت كمّيّة الذهب المستخدمة في مجموع

(١) ينظر: الولاية. دورية تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدّسة. (العدد ٤٣ لسنة

الأعمدة الأربعة (١٥٤٥٣ غرام)، أمّا كمّيّة الفضّة المستعملة للأعمدة الأربعة فبلغت (٤٠٠٠ غرام)، وكمّيّة الياقوت الأحمر الذي رصّع الأعمدة (١٠٥ قيراطاً) وكمّيّة الألماس المستخدمة فيها بلغت (٦ قيراطات).

وقد زيّنت هذه الأعمدة بتيجان ذهبيّة بلغ مجموع الذهب المستخدم فيها (١٠٠٠٠ غرام)، وكمّيّة الفضّة المستخدمة فيها (٧٨٥٦ غراماً)، وكمّيّة الياقوت الأحمر الذي يزيّنهما (١٦٣ قيراطاً)^(١).

وقد كان أهدي الشبّاك الباهر الجمال إمام البهرة الهنود (السيد طاهر سيف الدين) كما هو مكتوب على الشباك من جهة رأس الإمام عليه السلام، ونصب الضريح الطاهر على قاعدة من المرمّر الإيطالي ارتفاعها (٣٠ سم) في سنة (١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)، وهو الشبّاك الخامس الذي تشرف بأن يوضع على مرقد الإمام علي عليه السلام.

ونظراً لتقدم الزمن على الشبّاك منذ صناعته في سنة (١٣٦٠هـ / ١٩٤١م) حسب الكتابة الموجودة على القبر الشريف، ولطرو بعض التغيرات على باب شبّاك الضريح المطهر، إضافة لتأثر الشباك بالعوامل البيئية المحيطة به، ناهيك عن شدّة احتكاك الزائرين المباشر به عموماً وبيابه بوجه خاص حيث تتعرّض الباب غالباً كما يتعرّض الشبّاك أحياناً لسكب الماء من قبل الزائرات كون الباب في جهة رواق النساء)، مضافاً إلى ربط الأقفال به وكثرة التردّد عليها.

لذلك كلّه ولغيره فقد تضرّر هيكل باب شبّاك الضريح والقطع الفضّيّة المغلّفة للخشب، بالإضافة إلى تضرّر الخشب نفسه بسبب وصول الرطوبة إليه من

(١) ينظر: العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي الأسدي: ١٧٣.

جرّاء سكب الماء عليه، ما أدّى إلى حصول عراقيل في ميكانيكيّة الفتح والغلق عند فتح الشباك لجمع الأموال من داخل الضريح الشريف.

فقد تمّ استبدال الباب القديمة بباب جديدة كتبت في قوسه العلوي الآية القرآنيّة الكريمة: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(١)، والآية الكريمة التالية: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدَا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَازِغِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

بينما كتبت في جهة الباب اليمنى الآية الشريفة التالية: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَيَعْمَعُونَ فِي الدَّارِ﴾^(٣).

وكذلك الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾^(٤).

أمّا فيما يخصّ الأحاديث النبويّة الشريفة الموجودة على الباب فهو قول الرسول الكريم ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، وقوله ﷺ: (أول من يدخل الجنة علي بن أبي طالب).

ومّا يحسن ذكره هنا أنّ باب الضريح تضمّنت عين ما تضمّنته الباب المستبدلة من نصوص قرآنيّة كريمة وأحاديث نبويّة شريفة، مع إضافة الآية القرآنيّة الكريمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ للنصوص فقط.

(١) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٣ والآية ٢٤.

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٥.

وتبلغ أبعاد باب الضريح التي تمّ نصبها في (١٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م) (٢ م) مترين ارتفاعاً، و (١٠ ، ١ م) متراً وعشرة سنتيمترات عرضاً، وبسمك بلغ (١٠ سم) تقريباً، وقد بلغ وزن الباب الإجمالي (٤٥٠ كيلو غرام) تقريباً.

أما وزن الذهب فقد كان بحدود (٤٣ كيلو غرام)، وهو يشمل الذهب المستخدم في النقوش والزخارف الذي كان من عيار (٧، ٢١) بينما الذهب المستخدم لكتابة الآيات القرآنية من عيار (٨، ١٨) وقد كانت كمّية الفضة المستخدمة بحدود (٢٢٠ كيلو غرام) من الفضة الخالصة.

أما البسمة التي كانت مطعّمة بالماس فقد بلغ وزنها بحدود (٤٠ قيراطاً)، أما الياقوت المستخدم في كلمة (يا علي) فقد كان بحدود (١٥٠٠ قيراط)، ويحتوي على زخارف نباتية بنفس تصاميم الباب القديمة.

لقد أعيدت صيانة وتذهيب شبّك الضريح الطاهر بتبرّع من طائفة البهرة سنة (١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م)^(١).



١٧. صندوق القبر الشريف (الخاتم)

يعلو القبر المقدّس صندوق خشبي يبلغ طوله (٨٣، ٤ م)، وعرضه (٣، ٠٣ م)، وارتفاعه (٨٣، ١ م) يصطلح عليه بـ (الصندوق الخاتم)، وهو مصنوع بعناية فائقة ودقّة ملفّقة للنظر من خشب الساج الهندي المنقوش بالعاج والصدف والأبنوس والصندل وأنواع أخرى من الخشب المتعدّد الألوان.

وزيادة في جماليته وتبرّكاً بذكر الله ﷻ وسور القرآن الكريم كتبت عليه في أعلاه

(١) معالم المرقد العلوي المطهر: ١٢.

من الجهة الجنوبيّة بطريقة الحفر المطعم بالعاج والمنبت بالذهب والفضّة سورة: الدهر كاملة بخطّ الثلث يليها كتابات بالخطّ الكوفي المزهر على أرضيّة مورقة أحاديث نبويّة في حقّ الإمام علي وأبنائه المعصومين عليه السلام، كما كتبت عليه سورتا القدر والأعلى.

بينما كتبت على الجهة الشماليّة منه في أعلاه سورة: الملك، وكتبت على الجهة الشرقيّة منه في الأعلى سورة: النبا وفي الأسفل سورة: العاديات، كما كتبت على جهة الرأس الشريف منه: خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجّة الوداع بغدير خمّ على وفق رواية الإمام الصادق عليه السلام إضافة لبعض الأحاديث النبويّة الشريفة الأخرى التي وردت في حقّ الإمام علي عليه السلام.

لقد استغرق العمل في إعداد هذه التحفة الفنيّة النادرة بأمر من الملك (محمد جعفر بن محمد صادق) أحد ملوك الزند أربع سنوات ابتداءً من عام (١١٩٨-١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م)، وتجد ذلك التوثيق مثبتاً على الجبهة الغربيّة السفلى للصندوق حيث كتب بالخطّ الفارسي والنسخ تعليق ما نصّه: (قد تشرف ووفق بإتمام هذا الصندوق الرفيع خالصاً لوجه الله تعالى وإخلاصاً لوليّه وأوليائه كلب عتبة علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام محمد جعفر بن محمد صادق الزند أدام الله تأييده في سنة (١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م)، ويشير هذا التاريخ إلى انجاز هذا الصندوق وانتهاء العمل به، وقد كتب بخطّ (محمد بن علاء الدين محمد الحسيني) سنة (١١٩٨هـ / ١٧٤٨م)، وهذا التاريخ يشير إلى ابتداء العمل به، فقد وثق ذلك في الجهة الجنوبيّة المعبر عنها بـ (الإصبعتين) حيث جاء فيها ما نصّه:

(كتبه محمد بن علاء الدين بن محمد الحسيني سنة (١١٩٨هـ / ١٧٤٨م) فيما كان صانعه نجار شيرازي يدعى (محمد حسين)، ووثقت صناعته كتابة على الصندوق النادر).

وحرصاً على سلامة ونقاء الصندوق النادر غلّف بسور زجاجي في عام (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م) بطول (١٤, ٥م)، وعرض (٣٥, ٣م)، فيما بلغ ارتفاعه (٢٠, ٢م)، ووضع حول الصندوق الخشبي الثمين وداخل السور الزجاجي العديد من التحف الأثرية النادرة والقلائد المرصعة بالماس والنفائس الذهبية المطعمة بالياقوت المشع.

ويلحظ المتأمل في الجهة الجنوبية لصندوق القبر الثمين قرب الرأس الشريف فتحة صغيرة تسمى (فتحة الإصبعين) لها قصّة مشهورة خارقة يتداولها الخلف عن السلف منذ قرون لا يسع المجال لذكرها هنا، ويبدو من شياعها وانتشارها قديماً وحديثاً أنّ السلطان (ناصر الدين شاه) زارها سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) خلال تشرفه بزيارة مرقد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)^(١)، ولا زالنا شاهد الزوّار الذين يفدون إلى زيارة المرقد المطهر عراقيين وغير عراقيين، عرباً وغير عرب يري بعضهم بعضاً مكان (فتحة الإصبعين) بإشارة من يده يراها الملتفت وغير الملتفت.

لقد أحيط الصندوق النادر بمجموعة من الأحجار الكريمة الثمينة والحلي الذهبية التي أهديت للعتبة المقدسة من قبل الملوك والسلاطين والرؤساء وغيرهم، وكتب على الإطار المحيط بمنطقة الإصبعين ضمن الصندوق الآية القرآنية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢).

وتشاهد على الصندوق الثمين وفي منتصف كلّ جهة من جهاته الأربع مزهريّة كبيرة مطلية بالذهب الخالص من (٢٤ قيراطاً)، موشاة ببعض الآيات القرآنية

(١) ينظر: الولاية. دورية تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة. العدد ٤١ لسنة

(١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م). ص: ١٥.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٠.

الكريمة، تمّ تعبئتها بعطر الورد المركز جداً، ووضعت داخلها عيدان خاصّة تعمل على سحب العطر وتوزيعه على مدى شهر كامل^(١)، ولقد حلّت المزهريّة الجنوبيّة منها منذ عهد قريب محلّ تاج ذهبي موشى ومرصّع بالجواهر الثمينة والأحجار الكريمة النادرة خصّ بهذا المكان منذ عقود، كما وضع منذ زمن ليس بالقصير أمام الصندوق الفريد من الجهة الجنوبيّة (نفسها قنديل ذهبي مرصّع بالماس والياقوت والزمرد وحبّات اللؤلؤ وأثمن الأحجار الكريمة النادرة لا زال محتفظاً بمكانه حتّى اليوم.

وتشاهد اليوم أيضاً على أركان الصندوق الخاتم الأربع مزهريّات ذهبيّة منقوشة برسوم نباتيّة جميلة بارزة وضعت فوق ستارة منسوجة بخيوط الذهب والحريز، مرصّعة بالجواهر والأحجار الكريمة، متّخذة تلك الجواهر شكل عناقيد كرم متدلّية بحبّاتها الكبيرة المختلفة الألوان باختلاف ألوان أحجارها الكريمة الباذخة.

وكما هو وضع إنسان العراق المضطهد وثوراته المبدّدة طيلة عقود حكم النظام البائد لم تسلم هذه التحفة الفنّيّة النادرة حالها حال كلّ ما في العتبة العلويّة الشريفة بل ومدينة النجف الأشرف من عبث أجهزة النظام الهمجية وهجمات قوّاته المسلّحة على مدنييه العزل، فقد قصف جلاوزته مدينة النجف الأشرف بصواريخ بعيدة المدى، ثمّ زحف عليها جيشه بآليّاته الثقيلة ومدرّعاته ودباباته المكتوب عليها عبارة (لا شيعة بعد اليوم) فاقتحم مدينة أمير المؤمنين عليه السلام واستباحها سنة (١٤١١هـ / ١٩٩١م) بعد الانتفاضة الشعبانيّة وأجرى سيل دماء المؤمنين الصابرين في الصحن العلوي والحضرة الشريفة، كما ضربت آليّاته بأسلحتها القبّة العلويّة

(١) ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٠٤.

فأحدثت فيها ثقباً كبيراً، وغير ذلك كثير لا مجال لذكره هنا، ولا زالت آثار هذا التعدي التخريبي على الحضرة العلوية باقية حتى اليوم بما في ذلك العبث بصندوق القبر المقدس حيث تضرر الصندوق ضرراً كبيراً.

لقد تم تجديد الزجاج المحيط بالصندوق الخاتم في ٢٣ من شهر ذي القعدة الحرام من سنة (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م).

هذا وقد كان يتدلّى من سقف القبة الداخلية فوق الضريح المطهر قنديل معلق بسلسلة من الذهب الخالص مرصّع بأثمن الأحجار الثمينة النادرة ومن جملتها ماسة كبيرة لا تقدر بثمن طالما بهرت عيون ناظرها وأسالت لعاب اللصوص وتجار الجواهر الثمينة فحاولوا سرقتها، غير أن الله ردّ كيدهم إلى نحورهم.

من ذلك مثلاً ما حدث في أوائل القرن العشرين قبل نشوء المملكة العراقية حين أغرى بعض التجار الأوربيين لصاً من لصوص بغداد الأذكاء بمبلغ كبير إن استطاع أن يستل هذه الماسة من موضعها ويأتيهم بها.

فرسم اللص خطته وكادت تنجح إلا أن الله سلّم، فألقي القبض على اللص في سطح الصحن الشريف ومعه الماسة النادرة، وفي التحقيق معه من قبل السلطات التركية في ذلك الوقت، اعترف السارق بمحاولته ومن وراءها وذكر أسماء بعض الوسطاء ممّن غرّروا به لكي يقدم على ارتكاب هذا الفعل الشنيع، ومنذ ذلك الوقت والسلسلة الذهبية هذه مربوطة بعدة سلاسل من وسط القبة تحوطاً لما قد يحدث مثلما حدث سابقاً.



١٨. نظام تهوية الحضرة العلوية الشريفة

أمّا تهوية الحضرة العلوية الشريفة فتقول عنها الدكتورّة المعمارية (سعاد ماهر محمد) بأنّها تُعدّ من أحدث ما وصل إليه الفنّ المعماري في تهوية القباب، فهي تشبه إلى حدّ كبير تهوية باطن السفن الحديثة، فقد عملت سراديب وممرّات وتجاويف فاصلة بين عقود سقف الضريح الأصلي وسقف السطح.

أمّا طريقة تهوية هذا الفراغ فتتمّ بواسطة (هوايات) مواسير من حديد قطرها (١٥ سم) تعلو على السطح بمقدار (٢٥ سم)، فيحول هذا العلو دون أن تدخلها مياه الأمطار، كما توجد عدّة فتحات للدخول منها للتفتيش على هذه السراديب والممرّات فوق السطح.

كذلك روعي في عمارة الضريح أن تتجمّع مياه الأمطار في مزاريب ومصارف موضوعة بعناية فنيّة وجمال، وذلك بوضع بلاطات قاشاني على سطح الضريح، وكذا تجدد في محيط القبة الخارجية ميل متّجه إلى المزاريب والمصارف ممّا حفظ مباني القبة من التأثير بمياه الأمطار^(١).

وقد أفاض سماحة الشيخ (محمد حسين حرز الدين)^(٢) بوصف التجاويف الداخلية للتهوية بعد أن وفّق فصعد إليها بنفسه لرؤيتها والكتابة عنها، وذلك في سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).



(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٦١.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٤٤٩.

١٩. رواق أبي طالب عليه السلام

لعلّ أضخم انجاز حققته العتبة العلوية المقدسة خلال عام (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، تزامنا مع ذكرى الولادة الميمونة لبطل الإسلام العظيم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، هو افتتاحها لرواق أبي طالب عليه السلام في صباح يوم الخميس المصادف ١٣ رجب الأصب ١٤٣٢هـ، المصادف ١٦ / ٦ / ٢٠١١م، بمساحة بلغت نحواً من (١٢٧١م^٢) (ألف ومائتين وواحد وسبعين متراً مربعاً)، وقد عقدت لهذا الافتتاح المبارك حفلاً بهيجاً في الرواق المطهر نفسه صباح (يوم الخميس ١٣ رجب ١٤٣٢هـ / ١٦ / ٦ / ٢٠١١م) حضره جمع كبير من علماء وطلبة الحوزة العلمية وعدد من السادة المسؤولين وكثير من الوجهاء وعدد غفير من المؤمنين.

وقد ضمّ رواق أبي طالب عليه السلام مسجد الرأس والسباط والتكية البكتاشية بعمارة جديدة أضيفت إلى رواق الحرم من جهة الرأس الشريف ليكتسب سعة كبيرة تمكّنه من استقبال أعداد كبيرة تزيد على ألفي مصلي من زوّار أبي الحسن عليه السلام للتهجد وتلاوة القرآن والدعاء والزيارة بحرّية أكثر وفسحة أكبر.

لقد اعتمد سقف الرواق على أربع وعشرين دعامة ذات أعمدة رخامية رباعية متوّجة بأسماء الله الحسنى، وتعلوه بعدد الأئمة المعصومين أربع عشرة قبة مزججة تحاكي فتحة السباط المزال وكل قبة تتألف من أربعة مقاطع يفصل بين جزء وآخر شبك عمودي فيما بقيت المحافظة على روحية وشكل فتحة السباط القديمة مع تعليم مساره، وتؤطر الرواق كتيبة من القاشاني المعرّق تتضمّن خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير.

وللرواق بابان ذهبيّان على جانبي التوسعة مصنوعان من خشب الساج،

ومغلّفان بالنحاس المطلي بالذهب والمينا، ويربط بين الرواق الغربي للحرم العلوي ورواق أبي طالب عليه السلام ثلاثة أبواب ومدخلان، وتتميّز الباب الذهبية الوسطى بالفخامة لتناظر الباب الذهبية الكبيرة من الجهة الشرقية من الحرم.

ويرتبط هذا الرواق بصحن فاطمة الزهراء عليه السلام -الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً- باثنتي عشرة باباً في إشارة إلى المعصومين الاثني عشر عليه السلام^(١).

وقد دخل في رواق أبي طالب عليه السلام مسجد الرأس الشريف الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً، وتكية البكتاشية المجاورة لمسجد الرأس، وهي بناية "عظيمة في غاية الإحكام والرصانة معقودة بالأحجار الكبيرة ويشبه بناؤها بناء الصحن الشريف وعلى طرزه بابها في الصحن الشريف... وهي محل المتصوفة من الأتراك أيام الحكومة التركية وفيها ضيافتهم ومنزلهم عند مجيئهم إلى النجف... ويزعم بعض النابهين أن هذه البنية في القديم كانت مخزناً لكتب الحضرة"^(٢).

أما عمارة تكية البكتاشية ف"تتكون من قسمين رئيسيين: القسم الأول خاص بالصلاة والدروس الجماعية، وهو عبارة عن مربع مكوّن من أربعة إيوانات متعامدة يشبه شكل المدارس ذات الإيوانات المتعامدة ويتوسطه صحن صغير مكشوف. أما القسم الثاني فخاص بسكن المتصوفين وهو مربع الشكل كذلك ويتكون من طابقين كل طابق به مجموعة من الغرف وما يلزمها من دورات المياه"^(٣).

وذكر المحقق الشيخ محمد حرز الدين أن "محمد بكتاش... هاجر من خراسان إلى النجف وأقام مدة في النجف الأشرف مجاوراً مرقد بطل الإسلام والمسلمين

(١) معالم المرقد العلوي المطهر. سابق: ٢٩ - ٣٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٩١ / ١.

(٣) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٥٨.

ومشيّد دعائمه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، اعتكف في إحدى حجر صحن مرقد الشريف بالنجف الأشرف، وبعد توسعة الصحن الغروي عمّر موضع معتكف بكتاش هذا تعميراً جيداً فخماً وجعلته البكتاشية من الأتراك تكية أي مقرّاً لهم في النجف الأشرف طوال سنين، وفي سنة (١٢٩٦هـ - / ١٨٧٩م-) كنا ندخل إلى التكية هذه بدعوة من علماء الأتراك وقضاتهم ومرشديهم، ونشاهد فيها شعارات الدروشة كالقؤوس الخاصة والكشاكيل الثمينة معلقة في الجدار القبلي من التكية" (١).

وقد أورد الشيخ جعفر محبوبة في الهامش عند ذكره تكية البكتاشية أن "البكتاشية نسبة إلى الشيخ العارف بالله السيد محمد الرضوي من أولاد الإمام الرضا عليه السلام وقيل من أولاد الكاظم عليه السلام من صلب إبراهيم الثاني جاء من بلاد خراسان إلى بلاد الروم، وهو المعروف بكتاشي الولي الصوفي المشهور وتنسب إليه هذه الطائفة... وكان الولي بكتاش المذكور من أصحاب الكرامات وأرباب الولايات وقبره ببلاد التركمان وعليه قبة عظيمة وله زاوية يتبرك بها. وقد اعتكف مدة من الزمن في النجف الأشرف ومكة المعظمة، توفي سنة (٧٣٨هـ - / ١٣٣٧م-) وقيل تاريخه (بكتاشيه) - تحفة العالم" (٢).

وتضيف د. سعاد ماهر محمد قائلة: "للحاج بكتاش كتاب عربي اسمه (مقالات) يبدو منه اتباع صاحبه لفكرة (الاثني عشرية، والتولي، والتبرئة) مصطلحات الشيعة... وقد صار السلطان أورخان (سنة ١٣٢٦ - ١٣٨٩م) مع فرقته الإنكشارية إلى الحاج بكتاش وطلب إليه أن يباركها فوضع الشيخ يده على

(١) مرآة المعارف. سابق: ١/ ١٩٦.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ٩١. هامش رقم واحد.

رأس جندي ودعا لهم قائلًا: (فليكن اسمهم إنكشارية)، ومن هنا سمي الإنكشارية أنفسهم بكتاشية... ومن المرجح أن تكون تكية البكتاشية الموجودة بالحرم العلوي قد بنيت في حياة بكتاش، أي في القرن الثامن الهجري^(١).

وفي عام (١٩٨٥ م الموافق لعام ١٤٠٥ هـ) ومن دون أدنى اهتمام بأهمية هذا الأثر التاريخي قامت إدارة الأوقاف في العهد البائد مع الأسف بهدم هذه البناية المهمة آثارياً وثقافياً وتقريباً بين المذاهب وسياسياً أيضاً، من أجل بناء دار للضيافة في مكانها.

ثم في عام (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، تم هدم القسم الجنوبي من دار الضيافة والذي تبلغ مساحته حوالي نصف مساحة دار الضيافة؛ لأنه يقع في منطقة توسيع الرواق المطهر^(٢).

كما دخل في توسيع الحرم المطهر أيضاً (السباط)، الممر الوحيد المسقوف من الصحن العلوي الشريف سابقاً، وهو مستطيل الشكل بفارق كبير بين طوله وعرضه. يقع في نهاية القسم الغربي من عمارة الصحن العلوي الشريف، ومن خلال هذا الممر كان يستطيع سالكه الدوران حول المرقد المطهر دوراناً كاملاً.

يقول السيد عبد المطلب الخرسان: "يتكون (السباط) من ثمانية أقواس متوازية تفصل بينها مسافات متساوية، ويربط بين أقواسه سقوف على شكل قباب صغيرة مبنية على الطراز الإسلامي، تتوسطها مساحة مربعة الشكل مكشوفة تقسمه إلى جناحين متساويين في الطول والمساحة، أحدهما شمالي، والآخر من طرفه الجنوبي.

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٥٧.

(٢) ينظر: مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة. سابق: ٣٧.

والضلع الشرقي للسباط يلاصق الرواق الشريف وتطل عليه شبابيك لخمس حجر من حجراته وهي تمام الحجر الغربية للرواق. وفيه حجرتان صغيرتان إحداهما عند مدخله الشمالي والثانية عند مدخله الجنوبي. وفي الضلع الغربي ست حجرات في جناحه الشمالي، ثلاث حجرات تفصل بينه وبين تكية البكتاشية، وفي جناحه الجنوبي ثلاث حجرات، تفصل اثنتان منها بينه وبين مسجد الرأس، يحد كل منهما من الشرق والغرب شباك كبيران أحدهما يطل على السباط وفيه مدخل الحجره والآخر يطل على الصحن".

ويضيف "وفي وسط الضلع الغربي إيوان يطل على الساحة الوسطية. في الضلع الشمالي لهذا الإيوان بابان متجاوران: إحداهما لسلم سطح الصحن الشريف والثاني لمدخل تكية البكتاشية. وفي ضلع الإيوان الجنوبي بابان: إحداهما لمدخل مسجد الرأس، والثانية لحجرة صغيرة... ويعلو كل جناح من السباط طابق ثانٍ فيه ثلاث حجرات بينها ممرٌ.

وفي عام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) تم تهديم السباط لغرض توسيع الرواق الشريف فأصبح جزءاً من منطقة التوسيع"^(١).



٢٠. صحن فاطمة عليها السلام

يعد صحن فاطمة عليها السلام بمساحة (٦٠ ألف متر مربع) ممتدة من الجدار الغربي للعتبة العلوية المقدسة إلى مرقد صافي صفا ومقام الإمام زين العابدين عليه السلام أضخم مشروع للعتبة العلوية المقدسة حتى الآن، وقد شيد بطراز معماري بديع مستوحى

(١) مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة. سابق: ٤٢ - ٤٣.

من عمارة الصحن العلوي الشريف وتفاصيل العمارة الإسلامية النجفية الرائعة، بمساحة تعادل حوالي ثلاثة أضعاف مساحة الصحن العلوي الشريف الحالي بآليات وتقنيات حديثة من بينها السلام المتحركة والمصاعد الكهربائية ووسائل التكييف الحديثة وأمثالها.

ويضم صحن فاطمة عليها السلام متحفاً للحرم العلوي الشريف متكوناً من ستة طوابق بمساحة أرضية تزيد على (٣ آلاف متر مربع) للطابق الواحد لأجل أن يتسع المتحف لجميع مقتنيات العتبة العلوية الثمينة كهدايا الملوك، والرؤساء والشخصيات البارزة والمؤمنين المقدمة للعتبة العلوية منذ مئات السنين، وقد عمد المصمم إلى طراز فني جعل فيه المتحف الكبير يقابل مكتبة حديثة ضخمة بمساحة مشابهة لمساحة المتحف متكونة هي الأخرى من خمسة طوابق مع ملحقاتها مصممة كي تتسع لمليون كتاب مع خزانة ومشفى خاص لمخطوطات العتبة. وقد ضم الصحن أيضاً بنايات عديدة لأقسام العتبة العلوية المقدسة الإدارية، وقاعات مخصصة لطلبة العلوم الدينية لإقامة حلقات الدروس الحوزوية.

أما الجزء الأهم من المشروع فهو الجزء الذي يمثل أماكن العبادة الذي يشكل حوالي (٥٠٪) من مساحة المشروع الضخم، حيث يتألف من أربعة طوابق تحتوي على قاعات مغلقة كبيرة لإيواء الزائرين الراغبين بأداء مراسم الزيارة والصلاة والتهجد وتلاوة القرآن مع جامع كبير وصحن ثانٍ بثلاثة طوابق مع توفير الخدمات اللازمة للزائرين مع مجاميع صحية كبيرة، ومساحات خضراء واسعة مع موقف مخصص للسيارات^(١).



(١) ينظر: صحن فاطمة الزهراء عليها السلام. كراس صادر عن العتبة العلوية المقدسة.

٢١. خزائن المرقد العلوي الشريف

يحتوي المرقد العلوي المطهر على خزائن لا تقدر بثمن، أهديت محتوياتها في فترات مختلفة عبر العصور وثبت مهديها عليها اسمه وتاريخ إهدائه غالباً، وجلهم من الملوك والرؤساء والسلاطين وكبار رجالات الدولة والوزراء والوجوه والتجار الكبار والمؤمنين بمختلف طبقاتهم، وهذه الخزائن لا تفتح إلا للخاصة من الناس وفي ظروف خاصة جداً.

ومن بعض هؤلاء الذين تشرّفوا فأهدوا هذه التحف النادرة كل من السلطان عضد الدولة البويهّي، والشاه إسماعيل الصفوي، والشاه طهماسب والشاه عباس الصفوي، وحفيده الشاه صفي، والزندية: وهم عبد الكريم الزند وإخوانه "محمود وأشرف الأفغانيان، والسلطان نادر -شاه الأفشاري- والقاجاريون كل هؤلاء خدموا النجف بالبذل والهدايا والنفائس والقناديل الذهبية والأحجار الكريمة والطنافس والسجاد والكتب الأثرية والقرائن الخطية وقد نشأ من ذلك وجود أربعة خزائن" (١).

وقد فتحت إحداها وهي خزانة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للسلطان ناصر الدين شاه في (السادس عشر من شهر رمضان ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م) وكان ناصر الدين شاه قد جلب بمعيّته خبيراً مشهوداً له بمعرفة الأحجار الكريمة والنوادر والتحف الأثرية، كما أحضر السلطان الإيراني معه السيّد علي آل بحر العلوم من علماء النجف الأشرف، ومعهم خازن المرقد العلوي الشريف.

ويتحدث السلطان ناصر الدين شاه خلال أدائه مراسيم الزيارة عن ما تشرّف

(١) الأحلام. سابق: ٧٦.

بإهدائه إلى الحرم العلوي المطهر فيقول: "أهديت إلى حرم أمير المؤمنين غطاء الرأس المشغول باللؤلؤ والألماس، وأمرنا أن يكسا الجدار الذي من جهة الرأس بالمرايا... وصدر الأمر اليوم بفتح خزانة الإمام علي عليه السلام وهي خزانة لم تفتح منذ حادثة الوهابي إلى اليوم أي منذ ما يقارب السبعين عاماً وكان الغرض من فتح الخزانة هو لتسجيل محتوياتها ومهرها بمهر الحكومتين الإيرانية والعثمانية لكي لا تتعرض للسرقة والعبث... أما الضريح الفضي فهو كما قلت في البداية مصنوع من العهد الصفوي واليوم قرأ أمين الملك ما مكتوب فوقه حيث يظهر اسم (منوجهر) معتمد الدولة"^(١).

ويستعرض السلطان ناصر الدين شاه متحدثاً بانبهار عن بعض ما شاهده في هذه الخزانة مبتدئاً بوصف مكانها فيقول: "يقع باب الخزانة في رواق يقابل ما بين الجنوب والشرق، وتمّ هدم موقع في الجدار فظهر باب خلفه فتحوها، وأمرنا الميرزا زكي وزير باب الحرم أن يسجل الموجودات، الستارة المصنوعة من الكلبدون والتي يعود تاريخها إلى عضد الدولة البويهي موجودة لحد الآن بدون أن يلحقها أي عيب أي: منذ ثمانمائة عام وهي محافظة على جدتها ونسيجها"^(٢).

ومن المعروف أن عضد الدولة البويهي زار الحضرة العلوية الشريفة سنة (٣٧١هـ/ ٩٨١م).

ويذكر في اليومين اللاحقين لفتح الخزانة فيقول: "جاء باشا بغداد ووزير الخارجية ومشير الدولة ومعهم صندوق من الجواهر النفيسة وهي أغلبها من إهداء نادر شاه أفشار وذلك بعد فتحه للهند، ومن هذه الجواهر ألماستين كبيرتين،

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. محمد الشيخ هادي الأسدي: ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه ١٧٤.

إحداهما (سيكاني) والأخرى (صقل الهند) منصوبتان على مرآة محكوكة من الأسفل، وهما ماستان ثميتان جداً وغاليتا الثمن ويبلغ ثمنهما خمسون ألف تومان، زمرد ياقوت غامق، لعل جيد، ياقوت، وهي كلها أشياء ثمينة جداً... رأيت ما يشبه القنديل الكبير مصنوعاً من الذهب وهو مزين بعدد كبير من الفيروز الكبير الحجم ومختلف المجوهرات لكنه لم يكن معمولاً بشكل جيد وهو من هدايا علي مراد خان الزندي، كما رأيت أربع قباب مرصعة بالجواهر لوضعها على الجهات الأربعة للضريح وهي من هدايا الشاه حسين الصفوي، ورأيت سيفاً مرصعاً بالجواهر وبعض المجوهرات وهي من هدايا نادر مراد، ورأيت قنديلاً مرصعاً وسلسلة ذهبية كبيرة مرصعة بالجواهر واللؤلؤ وهي من هدايا (زيني بيكم ابنة الشاه طهماسب) ورأيت من الحيف أن يبقى القنديل محبوساً في الخزانة فطلبت منهم أن يتم تعليقه في أعلى الضريح وقد ذهبت ورأيت معلقاً^(١).

وزار ناصر الدين شاه العتبة العلوية مرة أخرى خلال هذه الرحلة وذلك في (الثامن عشر من رمضان ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) فكتب عن زيارته هذه فيما يتعلق بالهدايا، يقول: "كانت الستارة التي أهدتها والدته الشاه موجودة فوق الضريح وهي من النوع الجيد جداً، كما أهدت عزة الدولة ستارة أخرى ورأيت بجانب فتحة الإصبعيتين في المرقد الشريف صفحة من الجواهر الثمينة كانت أهدتها المرحومة زوجة فتح علي شاه خازن الدولة^(٢) كما أهدى وزير الخارجية قطيفة من المخمل المطرز بالورود كما رأيت الهنود أهدوا إلى الضريح ستارة من القماش

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. سابق: ١٧٩ - ١٨١.

(٢) أجريت تصحيحاً للنص أعلاه اقتضاه السياق فقد كان النص في المصدر هو "... صفحة من الجواهر كانت أهدتها المرحومة خازن الدولة زوجة فتح علي شاه" (ص ١٨٠).

لتغطية جدران الحصرة العلوية، والعجيب أن هذه الستار كان فوق المقياس الدقيق وكأنهم أخذوا قياس الأبعاد من قبل^(١).

ويصف الشيخ (علي الشرقي) مشاهداته لبعض ما في الحرم الشريف من نفائس لا تقدر بثمن إثر السماح له استثناء بمشاهدة بعضها بمناسبة زيارة الشاه أحمد القاجاري في عهد الاحتلال البريطاني للعراق، فيقول:

"رأيت كسوة تاريخية للصندوق وهي ثوب من اللؤلؤ المنظوم بأسلاك ذهبية وفضية يقال إنه من عهد البويهين - وهي التي أكد صحة نسبتها إلى عضد الدولة البويهبي السلطان ناصر الدين شاه كما تقدم وبعض الخبراء المعاصرين كما سيأتي - وقد رأيت من النفائس سجّاداً بديعاً غاية في الإبداع قد نسج من الإبريسم ولباب الصوف يقيس في الطول أكثر من مترين تقريباً وأكثر من المتر بقليل في العرض، وقد وضع بشكل محراب للمصلّى وله إطار مكتوب نسجاً بآية الكرسي وبأحسن خطّ، وفي أعلاه نسجت صورة أسد يرمز بها إلى أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الجانبين نسجوا إحدى عشرة صورة يرمزون بها للأئمة من أولاده وأحفاده ونسجوا على ذلك السجاد سورتي الحمد والتوحيد والتسبيحات التي ترد في الصلاة والتشهد والتسليم، ورأيت أربع قطع من السجّاد النفيس المنسوج من الإبريسم وهو عمل بعض الأميرات الصفويات وقد نسجن تواقعهنّ وتواريخ النسج، ورأيت نسخة للقرآن الكريم بخطّ البرنس (إسماعيل الصفوي) وبتاريخ (٩٩١ هـ - / ١٥٨٣ م-) للهجرة وعليها غلاف أفرغ من ماء الذهب المذاب وقد نبت بالأحجار، ورأيت نسخة ثانية على كرسي من العاج المرصّع بالحجر الثمين وقد لفّ بثوب من الإستبرق

(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. سابق: ١٨٠ - ١٨١.

موشى بأسلاك الذهب في فنّ خارق وصناعة بارعة وغلاف ملوّن بالفسيفساء والميناء وهو غاية في جودة الخطّ بالقلم النسخي وليس فيه مادّة للتاريخ، ورأيت ثلاثة على كرسي مبرقع وهي بتلك النفاسة التي نوّهنا عنها، وعلى هذه النسخة تفسير بالفارسيّة وقد استخدم في كتابتها وتنقيحها كثير من الأصباغ ومحلول الذهب فكانت من أبدع الآثار الخطيّة".

وأضاف في موضع آخر من كتابه خلال حديثه عن هدايا المرقد الشريف قوله: إن "أكثرها من هدايا نادر شاه، منها خمسة قناديل مثبته بفصوص ثمينة، وسادس تلك القناديل معلق بسلسلة ذهبية فوق الضريح المقدس، وفي الخزانة مجمر من ذهب وضع فيه ستة أحجار من الياقوت الأحمر تشع وتلتهب كأنها الجمر، وفيها عقد كبير من الماس كتب عليه (نادر)، وفيها فصوص وأحجار ولآلئ".

ونوّه الشيخ الشرقي في مكان ثالث من مؤلفه إلى أهمية توثيق ما في الصحن وخزائنه من التواقيع المهمة بقوله: "وتوجد في الصحن والقبة والأروقة والإيوان الذهبي مجموعة من تواقيع الملوك والوزراء والعلماء والأمراء، منها المنقوش على الآثار والنفائس والتحف حتى أصبحت تلك التوقيعات من أهم آثار النجف التاريخية... منها المنقوش على الحجارة، ومنها المحيوك في البسط والسجاد، ومنها المحفور على الفصوص والأحجار، ومنها ما هو مذيّل في أخريات الكتب والمصاحف"^(١).

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى وجود أربع خزائن في الحرم العلوي الشريف تقاسمت نفائسه، منها خزانة تحت الأرض جنب المنارة الجنوبيّة، وثانية في الضريح

(١) الأحلام. سابق: ٧٦. و ٨٧ - ٨٨ و ٨٣ - ٨٤. على التوالي.

المقدس نفسه، وثالثة في بيت داخل الصحن الشريف خصّصت لحفظ الكتب، وخزانة رابعة في جدار الروضة الحيدرية الكائن في الرواق الجنوبي من الحرم العلوي المطهر.

ولعلّ أهمّ هذه الخزائن هي الخزانة الموضوعية جنب المنارة الجنوبية^(١)، وقد تحدثت آنفاً أنها فتحت للسلطان ناصر الدين شاه وفتحت مرّة أخرى من قبل متصرف لواء كربلاء السيّد صالح جبر سنة (١٣٥٥هـ / ١٩٣٥م) بحضور ممثل عن علماء النجف الأشرف وخير متخصص إضافة إلى الخازن كما فعل في المرّة السابقة، وبعد جرد محتوياتها وضعت الخزانة في صندوق حديدي مع سجل بمحتوياتها إلى جانب السجل الذي وقّع عليه السلطان ناصر الدين شاه في ختام زيارته التي تحدّثت عنها سابقاً^(٢). "وقد وجدت الخزانة مختومة بخواتيم كل من والي بغداد مدحت باشا وناظر الأوقاف وسادن الروضة الحيدرية السيد جواد الرفيعي"^(٣).

وقد فتحت كذلك للباحثة الدكتورة (سعاد ماهر محمد) من جمهورية مصر العربية سنة (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) بتكليف خاص، وهي الخزانة التي فتحت للسلطان ناصر الدين شاه فكتبت كتاباً عن كل ما شاهدته وصوّرت من هذه التحف والهدايا النادرة، مفردة في كتابها لكل نوع من التحف فصلاً خاصاً به، ملحقة به صورة أو تخطيطاً توضيحياً لكل صورة من صور محتويات تلك الخزانة

(١) ينظر: المصدر السابق: ٧٦.

(٢) خزانة الحرم الشريف وما بها من الهدايا والتحف. محمد هادي الأميني. منشورة في موسوعة النجف الأشرف: ٣/ ١٥٧.

(٣) المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ٢/ ١٥٠. نقلاً عن: في خزانة الروضة الحيدرية. عبد المحسن شلاش. جريدة الهاتف. العدد ٢٨٧. ص ٢.

الشمينة، مع وصف تفصيلي لها، وتحديد لمناشئها، وقياس لأبعادها وما إلى ذلك من خصوصياتها وهو أول مسعى علمي بهذا الخصوص، وقد أسمت الباحثة كتابها باسم (مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف).

وقد بدأت حديثها في الباب الرابع المعنون بـ(التحف والهدايا بمشهد الإمام) بقولها: "ليس من شك أن دراسة هذه التحف التي ينشر معظمها لأول مرة سيؤدي خدمة جليلة للفنون التشكيلية؛ ذلك أن معظم هذه التحف المهداة مؤرخ ومكتوب عليها اسم مهديها، وجلّ هؤلاء من الملوك والسلاطين أو من كبار رجال الدولة أو من رجال المال والأعمال ممن حفل التاريخ بذكرهم وبترجمة حياتهم ومن ثم تاريخ الفترة التي عاشوا فيها. وفي دراسة هذه التحف على اختلاف تنوعها من ذهبية وفضية ومعدنية وزجاجية وخشبية ما يضيف جديداً إلى تاريخ الفترة التي صنعت فيها من الناحيتين الاجتماعية والفنية. ذلك أن هذه الدراسة تعدّ في الواقع دراسة للحرف والصناعات والمواد الخام والفنون الزخرفية بوجه عام.

ويرجع تاريخ أقدم هذه الهدايا والمخلفات إلى القرن الرابع الهجري، أي من عهد البويهين، فقد أهدى عضد الدولة البويهبي سنة (٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م) -أي قبل أكثر من ألف عام- غطاء قبر آية من آيات فن النسيج والتطريز والزخرفة على السواء في القرن العشرين رغم التقدم الآلي"^(١).

ولقد بلغ تعداد محتويات ما أثبتته هذه الباحثة من الخزانة المبنية في جدار الروضة الحيدرية وفي الرواق الجنوبي من الحرم العلوي الشريف (٢٠٢٠) تحفة فنية رائعة، أغلبها ذات قيمة أثرية مهمة. لذلك فسأقتبس من كتابها خاصة بعض

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. د. سعاد ماهر محمد: ١٩٥.

ما دونته خلال مشاهدتها لتلك التحف مما تسمح به المساحة المخصصة لذلك. إضافة إلى غيرها من الباحثين الذي تناولوا بالدراسة تحف هذه الخزائن التي لا تقدر موجوداتها بثمن.

١. فمن المصاحف الأثرية المخطوطة هناك (٥٥٠) مصحفاً كريماً يرجع أقدمها إلى القرن الأول الهجري، وبعض هذه المخطوطات مكتوب على الرقّ والبعض الآخر على الكاغد وبأساليب وطرز مختلفة من الخطّ العربي، فبعضها كتب بالخطّ الصلب ذي الزوايا المعروف بـ(الخط الكوفي)، وبعضها بالخط اللين ذي الاستدارة المعروف بـ(الخط النسخي)، والبعض الآخر بخط النسخ، والبعض الآخر بخط النسخ تعليق أو الفارسي، وبعضها بخط الثلث المملوكي وبعضها بالخط الكوفي المربع، وبعضها بالخطّ الهمايوني العثماني، وبعضها بخطّ الرقعة^(١).

ويبدو لك من الوصف المذكور أنّ الباحث يستطيع من خلال هذه المصاحف أن يتبيّن تطوّر كتابة المصاحف عبر العصور، كما تستطيع أن تتبيّن قيمتها وما يمكن أن تمثله في نفوس المسلمين إذا علمت أنّ في الخزانة "قرآن كريم مكتوب بالخطّ الكوفي القديم مكتوب بحروف كبيرة منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كما يوجد قرآن بالخطّ الكوفي القديم مكتوب في آخره (كتبه علي بن أبي طالب) قد أيد خبراء الخطوط الذين قصدوا النجف الأشرف بالزيارة أنّ هذا الخطّ يمثل عهد الخلفاء الراشدين، الأمر الذي يستدلّ منه أنّه بخطّ الإمام علي عليه السلام. وقرآن كريم كتب بالخطّ الكوفي القديم على رقّ ناقص أوله وآخره يقال

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٢٠٤.

إنه بخط الإمام الحسن^(١)، وهناك قرآن كريم مزين ومذهب، وقف من قبل إسماعيل بن حيدر الحسيني سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) مرصع الجلد بالياقوت والزمرد^(٢). "ونسخة أخرى منه على كرسي من العاج المرصع بالحجر الثمين، وقد لف بثوب من الإستربق موشى بأسلاك الذهب في فن خارق وصناعة بارعة وغلاف ملون بالفسيفساء والميناء، وهي غاية في جودة الخط بالقلم النسخي... وهناك نسخة ثالثة على كرسي مبرقع وهي بتلك النفاسة التي نوهنا عنها وعلى هذه النسخة تفسير بالفارسية، وقد استخدم في كتابتها وتنقيحها كثير من الأصباغ ومحلول الذهب فكانت من أبدع الآثار المخطوطة"^(٣).

ويوجد في الخزانة العلوية أيضاً قرآن كريم "ورقه من الخشب وطوله (١٦ سم) وعرضه (١٠ سم)"^(٤)، وإذ لم يذكر الشيخ محمد هادي الأميني أبعاده إلا أنه وصف نوعية خشبه بقوله: إنه "من الخشب الرقيق"^(٥)، وقرآن كريم آخر "تعود كتابته إلى العصر العباسي وقد سقطت منه عدة أوراق وقام الدكتور محمد أغا أوغلو الأستاذ بجامعة مشيغن بتدقيقه إلا أنه لم يحدد تاريخ كتابته"^(٦).

٢. وتوجد في الخزانة العلوية الشريفة من "التحف المعدنية (٤٢٠) قطعة معدنية مكونة من الحلى الذهبي المرصع بالجواهر المتعددة الألوان كالزمرد، والياقوت،

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٤.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ٤٥٥.

(٤) المفصل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ١٥٤ نقلاً عن أضواء على معالم محافظة كربلاء للنويني: ٦.

(٥) خزانة الحرم الشريف وما بها من الهدايا والتحف. سابق: ١٦٠.

(٦) المفصل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ١٥٤. نقلاً عن جريدة الراعي. العدد ١٩ لسنة ١٩٣٤م.

والماس، واللؤلؤ، والфарوز، وما إليها. ومن قناديل من الذهب المكفت والمرصع بالأحجار الكريمة والمزخرف بالمينا، ومباخ، وطاسات، وأباريق لماء الورد، وشماعد - جمع شمعدان - وألواح زيارة، وتيجان، وقلائد، ومزهريات، وكشكول، ومن مجموعة كبيرة من الأسلحة ورؤوس أعلام ورؤوس أضرحة" (١).

"ومن القناديل الذهبية في خزائن الإمام علي عليه السلام هي أربعون قنديلاً ذهبياً، وأربعون شمعداناً مطعم بالذهب والفضة أهداها بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل، حيث نذر على نفسه كل سنة يعيش فيها وهو أمير الموصل يكون على نفسه للمشهد العلوي قنديل ذهبي من ألف دينار، ولم يزل على ذلك حتى مات سنة ٦٥٧ هـ (- / ١٢٥٩ م) فحكى أنه عد في المشهد من جهته أربعون قنديلاً وأربعون شمعداناً وعليها اسمه" (٢).

ومنها "تاج ذهبي داخل فانوس فضي، يحتوي التاج على اثنتي عشر وردة، في كل منها ستة أحجار من الماس، تحيط بحجرة كبيرة من الزمرد، وبه زمردتان كبيرتان في جهة واحدة من الأعلى والأسفل تحت الريشة، يعود لأحد الملوك. وتزين العمامة التي تعلو التاج الذهبي أحجار من اللؤلؤ مهداة من قبل الأميرة (تاج النساء بيكم) سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م" (٣).

ومن نفائس هذه المجموعة: "خمسة قناديل أهداها (نادر شاه)، مثبت فيها أحجار كريمة وفصوص ثمينة وضعت لفترة طويلة فوق الضريح المبارك بحيث

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٩٦.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٤٥٦.

(٣) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٢٠٣.

يستطيع زائر الإمام العادل عليه السلام مشاهدتها من خلال فصوص الشباك الفضي المحيط بصندوق القبر الطاهر.

ومنها: أربعة قناديل ذهبية يبلغ ارتفاع كل منها (٣٢سم) وقطر كل منها (٤٨سم) وقطر القاعدة (٣١سم) وقطر الرأس (٢٧سم)، فيه (ست طرر)، كل طرة تحتوي على (ثمانية) أحجار كريمة يتوسطها حجر من الزمرد، وتحف كل طرة زهرة من الميناء رصعت بزمرد كبيرة تحفها (اثنتا عشرة) حجرة من الياقوت، وتعلو كل طرة (ثلاث لؤلؤات) مع (اثنتي عشرة) حجرة من الزمرد الأخضر، وقد ملئ الرأس والقاعدة بالمجوهرات النادرة التي تسبي العقول، وقد أهديت من قبل السلطان (حسين)^(١).

ومنها كذلك: "قنديل كبير ارتفاعه (٦١ سم) ونصف تتصل به سلسلة للتعليق طولها (٧٠ سم)، وهي من الفضّة المطلية بالذهب، أمّا نفس القنديل فمصنوع من الذهب، ومنقوش بالمينا، شكله يحتوي على كرة يبلغ محيط وسطها (٧٣ سم)، وهي بيضية الشكل تقريباً، قطر طرفيها الأعلى والأسفل (٢٠ سم) تقريباً، وفي أسفل وأعلى هذه الكرة حلمان مخروطان، محيط وسطها (٤١ سم ونصف). وهذه الاشكال المجسّمة المتّصلة مع بعضها البعض تحتوي على مجموعة كبيرة من الأحجار الكريمة من ياقوت وماس ولؤلؤ وزمرد كبير، قسم منه منقوش، يعتبر من أثنى الموجودات ممّا لا يمكن تقدير ثمنه، قد أهدى من قبل (علي مراد الزند) ملك فارس سنة (١١٩٦ هـ / ١٧٨٢ م)، عليه اسم الواقف باللغة الفارسية (كلب هذه العتبة علي مراد)^(٢).

(١) ينظر: مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه. سابق: ٢٠٥.

ومنها: "تاج صغير مركّب على ثلاث ريش وأوراد من الفضّة المرصّعة بالأحجار الكريمة من الماس والياقوت مهدى من قبل الأميرة (مهد عليا) والدة ناصر الدين شاه سنة (١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م)"^(١).

ومنها: "إكليل ذهب مرصّع بأحجار من الماس مختلفة الحجم بصورة كاملة، ومن أحجار الزمرد الصغير، في أسفلها (١٤ لؤلؤة) مهدى من قبل (ناصر الدين شاه)، وهو موضوع داخل صندوق مذهب بالمينا في سنة (١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م)"^(٢).

ومنها: عقد ماس كبير كتب عليه اسم مهديه وهو الملك (ناصر الدين شاه). ومنها: قلادة ذهبية بشكل يشبه الوسام مزينة بالميناء الأخضر، وفيها ثلاثة أحجار كبيرة من الياقوت، تتوسطها ماسة كبيرة ذات ستة أضلاع، وفي أسفلها لوحة نصف دائرية من الميناء الأزرق كتب فيها (بنده شاه ولايت سلطان حسين سنة (١١١٢هـ - / ١٧٠٠م-) وفي الأسفل (بالله المحمود)"^(٣).

وهناك الكثير من التحف المعدنية المصنوعة في إيران في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي فصاعداً لا يسع المجال لذكرها، منها: "رمانة قبر من الذهب الخالص المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة مثل الماس والياقوت والزمرد كما زخرفت بعض أجزائها بالميناء الزرقاء موقوفة من قبل شاه قباد سلطان بن جوهة سلطان غفر الله لهما في سنة (٨٣٨هـ - / ١٤٣٥م-) "^(٤)، ومنها مبخرة من صناعة

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٢٠٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠١.

(٤) المصدر نفسه.

الهند في عصر الأمبراطور جهانجير سنة (١٠٢٥هـ / ١٦١٦م-). ومنها زهرية مهداة من (علي مراد الزند ملك فارس سنة ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م-) كتب بالفارسية (كلب هذه العتبة مراد).

ومنها "شدة لؤلؤ تحتوي على أربعة عشر فرعاً بكل فرع تسع لؤلؤات وزمردة وحجرتان واحدة من الماس والأخرى من الياقوت، -و- زهرة ذهبية موقوفة الحاج محمد بن دركاه سنة (١١٨٢هـ / ١٧٦٨م-)، مرصعة بباسة كبيرة مخروطة الشكل عليها ثلاث زمردات وثلاث ياقوتات، ومكتوب على ظهرها وزن الأحجار"^(١)، ويا ليت الباحثة المحترمة ثبتت أوزان الأحجار الثمينة.

ومنها أيضاً: "وردة رأس ذهبية مرصعة بأحجار وخرز لؤلؤ كتب خلفها (عز الدولة)"^(٢)، وغيرها من التحف النفيسة النادرة لما تحتويه من أحجار ثمينة نادرة من جهة، ولاسم مهديها التاريخي وموقعه سواء أكان سلطاناً أم ملكاً أم أمبراطوراً، أم غيرهم من أصحاب النفوذ من جهة ثانية، ولقدم تاريخها من جهة ثالثة، كثير لا يسع المجال لاستيعابها.

أما من الأسلحة فحدث ولا حرج، وغالبيتها مهداة من الملوك والسلطين والأمرء وكبار رجالات الدولة والمتنفذين والفرسان، أذكر منها خنجراً ثميناً "من الطراز الهندي علق في الشباك الطاهر وقد رصع بالأحجار الكريمة النادرة، وقيل: إن أحد أسلاف (أورنك زيب) إمبراطور المغول في الهند أهدها إلى المرقد الشريف للتبرك وأشار إليه الرحالة (نيبور) بأنه مزين بأحجار ثمينة لا تقدر بثمن"^(٣).

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٣.

(٣) المفصل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٦٢/٢ نقلا عن مشاهدات نيبور في رحلته: ٨٢.

٣. وتوجد في الخزانة العلوية من المنسوجات ما عدده "(٤٤٨) قطعة من النسيج. منها أغطية قبور، وستور (بردة)، وخيام، وملابس. وهذه القطع بعضها منسوج بطريقة القباطي، والبعض الآخر منسوج بطريقة الديباج والدمقس. وجزء كبير منها منسوجات وبرية (قطيفة)، ومنسوجات مطبوعة أو مطرزة. ويحتوي كثير من هذه المنسوجات على خيوط ذهبية وفضية، كما رصّع بعضها بالأحجار الكريمة واللؤلؤ"^(١).

ومن هذه المنسوجات التي لا تقدر بثمن: قطع أثرية منسوجة يرجع تاريخ بعضها إلى القرن الرابع الهجري، حيث أهدى عضد الدولة غطاء للقبر الشريف كما تقدم، ومنها أيضاً "ثوب عضد الدولة البويهبي: وهو من الحرير والدمقس الذي يعتبر من أهم الموجودات في الحرم الشريف، وهو آية من آيات فن التطريز، وكان يوضع على الصندوق القديم الذي أهداه الملك عضد الدولة البويهبي"^(٢)، خاصة إذا عرفنا أن عمر هذا الثوب الأثري النادر الوجود أكثر من ألف عام.

ومن جملة هذه التحف النادرة: "زوجان من الستائر الجوخ مطرزة بالكلبدون واللؤلؤ نقشت حواشيها الأربعة بأبيات من الشعر الفارسي وأهديت من قبل السلطان ناصر الدين شاه قاجار ووالدته. ورصعت ببعض الأحجار الملونة وفي أسفل كل منها شعار الدولة الإيرانية وكتب وسطها (لافتاً إلا على) ومزينة بالإضافة إلى ذلك بخيوط فضية وإن هذه الستائر تعتبر آية من آيات الفن خاصة وأنها صنعت باليد لا بالماكينة" (كذا).

ومنها: "زوج ستائر من قماش القطيفة المورّد مطرزة بالكلبدون واللؤلؤ

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٥

والأحجار الملونة، وضع في وسط كل واحدة في أعلاها قطعة قماش أطلس أخضر اللون نقش عليه شكل طاووس، وقد أهديتا من قبل السيدة (كوهر) زوجة شهاب الدين أحد أمراء الهند سنة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م) وهما - كما تقول الدكتورة سعاد ماهر - نادرتان جداً، وبريقهما يخطف الأبصار، وتعتبران آية من آيات الفن والتطريز^(١).

ومنها: قطعة حريرية من الديباج الهندي منسوجة بطريقة الديباج، والأرضية منسوجة بطريقة الأطلس، أما الزخارف فبطريقة المبرد. تتكون زخارفها من رسوم نباتية قوامها زهرة الأقحوان والزنبق وهي منتظمة في صفوف عرضية، والرسوم قريبة من الطبيعة إلى حد كبير، وهي ملونة باللون الأحمر والأزرق والأخضر والأسود على أرضية ذهبية. مقياس القطعة (١,٧١، عرضاً. و ١,٥٥ طولاً) يعود تاريخ صنعها في عهد السلطان أورنجزيب أي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. ويرجح أن تكون صنعتها في مدينة أورنجباد^(٢).

إضافة إلى أغطية وستور وملابس منسوج بعضها بخيوط من الذهب أو الفضة ومرصع بالأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والفيروز والماس واللؤلؤ وغيرها. ٤. ومن السجاد " (٣٢٥) سجادة، وتعتبر مجموعة السجاد الموجود بالمشهد نادرة ولا مثيل لها في العالم من الناحيتين الفنية والمادية. إذ يوجد بين هذه المجموعة سجادة معقودة من الوجهين، وبكل وجه زخارف وألوان مختلفة كل الاختلاف عنها في الوجه الآخر^(٣).

(١) ينظر: مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٢٠٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٥.

(٣) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٩٦.

إنَّ معظم هذا السجّاد مؤرّخ بتاريخ صنع الصانع لسجّادته، ممّا يضيف عليها قيمة تاريخيّة إلى جانب قيمتها الفنّية، منها على سبيل المثال: سجّادة نسجت في عهد الشاه (عبّاس الصفوي) (٩٤-١٠٣٧هـ / ١٥٨٦-١٦٢٨م)، وقد سمّي نفسه بها أثبتته كتابة على هديّته من أنّه -وهو الملك- كلب علي بن أبي طالب اعتزازاً وافتخاراً بأمر المؤمنين عليه السلام، وهي طريقة للتعظيم متّبعة تلك الآونة، ومثلها سجّادة طولها (٣م) و(٩٠سم)، وعرضها (١م) و(٨١سم) صفراء اللون، وأرضيّتها فضيّة، عملت في إيران، ذات ثلاثة مربّعات، نقش فيها ثلاثة محارب كتب عليها: (الواقف كلب هذه العتبة عبّاس)، وأربع جهاتها مشجّرة، ومهداة من قبل الشاه (عباس الصفوي الكبير).

هذا وتقول الدكتورة (سعاد ماهر محمد): إنّ سجّاد شاه عبّاس أثمن سجّاد في العالم. منها "سجّادة ضيقة من الصوف الوبري المعقود نسجت زخارفها بطريقة الديباج بخيوط من الذهب والفضة زخارفها متعددة الألوان. مقاسها (٩١, ٠ متر عرضاً. و٣٢, ٦ أمتار طول). تحتوي السجّادة على بحر مستطيل به كتابة فارسية نصّها (وقف نمود كلب أين أستان عباس) وترجمتها (وقف كلب العتبات المقدسة عباس) فمن المرجح أن تكون القطعة من صناعة بلاط الشاه عباس الأول في أصفهان في المدة ما بين سنة (١٥٨٧ و١٦٢٨م). ويوجد بمخازن الضريح ثنائي قطع من السجاد الإيراني الفاخر أوصافها لا تختلف عن السجّادة التي كتب عليها اسم الشاه عباس الأول. والقطع جميعها مهداة من الشاه عباس الصفوي أيضاً... من صناعة أصفهان في القرن السابع عشر الميلادي.

ومنها "سجّادة صغيرة بحجم سجّاجيد الصلاة. أرضية السجّادة البيضاء وكذا جميع الزخارف المتعددة الألوان كلها منسوجة بطريقة الوبرة المعقودة بالعقدة

التركية... من المرجح أن تكون هذه السجادة من صناعة الأناضول" (١).

٥. وتوجد في خزائن العتبة العلوية الشريفة تحف زجاجية تبلغ "(١٢١) قطعة من الزجاج، المختلف الأشكال، بعضها مشكاوات مموّه بالمينا، والبعض ثريات من البلور النادر، والبعض قناديل تضاء بالشمع، وكرات زجاجية مما يطلق عليه الأوروبيون اسم (بيضة الشرق) ويوجد بينها مجموعة كبيرة من نرجيلة للتدخين" (٢).

منها: قنديل مشبك مسدس الشكل مرصع بالأحجار الكريمة مهدي من قبل السلطان حسين سنة (١١١٢هـ / ١٧٠٠م-) -و- أربعة قناديل ذهبية يبلغ (ارتفاع كل منها ٣٢ سم، وقطر كل منها ٤٨، وقطر القاعدة ٣١ سم، وقطر الرأس ٢٧ سم) به ستّ طغر (جمع طغراء) المتعارفة بالطرّة، وكل طغراء تحتوي على ثمانية أحجار كريمة يتوسطها حجر من الزمرد، وتحف كل طغراء زهرة من الميناء رصعت بزمردة كبيرة تحفّها اثنتا عشرة حجرة من الياقوت، وتعلو كل طغراء ثلاث لؤلؤات مع اثنتي عشرة حجرة من الزمرد الأخضر. وقد ملئت الرأس والقاعدة بالمجوهرات النادرة التي تسبي العقول، وقد أهديت من قبل السلطان حسين"، -و- قناديل ذهبية مرصعة بأحجار كريمة متنوعة الأحجام مهدي (كذا) من قبل (زينب بيكم بنت الملك شاه طهماز (كذا) الصفوي) سنة (١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م-)... وقد بلغ وزنه (١٤٣٢ مثقال). -و- مبخرة ذهبية مهداة من قبل نادر شاه سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م-) مثمّنة الشكل ذات غطاء كروي مشبك ومرصع بالأحجار الكريمة، وأما مربعات المبخرة فلكل منها إطار من عشرة أحجار ماسية، وأربعة أحجار

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ٣١٨-٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٧.

زمردية وحجر واحد كبير من الياقوت تحيط به مجموعة من أحجار الماس. وتعتبر آية من آيات الفن يبلغ وزنها (٥, ١٤٦٩) مثقالاً^(١).

٦. ومن التحف الخشبية " (١٥٦) قطعة، ومعظم التحف الخشبية عبارة عن كشكول من خشب الساج الهندي البديع الصنع والزخرفة. كما يوجد بها عدد من كراسي المصحف وألواح حفر عليها قصائد مدح في الإمام علي تعرف باسم ألواح زيارة^(٢).

وفي خزانة العتبة العلوية أيضاً: "مجموعة كبيرة من الكشاكيل (جمع كشكول) تربو على الألف علبه، وهي عبارة عن علب يجمع فيها المتصوفون ما يحصلون عليه فينفقون النزر اليسير منه على أنفسهم ويرسلون الباقي بعد مماتهم إلى عتبات الأئمة عليهم السلام^(٣).

كما يوجد في الخزانة العلوية - كما زعم - شعرة من شعرات النبي الكريم ﷺ: فقيل: "أهدى السلطان العثماني عبد الحميد عام (١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م) للروضة الشريفة شعرة للنبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وكان هذا السلطان قد أهدى شعرات أخرى للجوامع المشهورة في العالم الإسلامي"^(٤)، وهذه دعوى تحتاج إلى دليل على أنها فعلاً للنبي الكريم ﷺ.

وهناك في الخزائن ممّا لا يوصف؛ لجماله وروعته الكثير الكثير، وهو ما فتح شهية اللصوص الطامعين والمعتدين والمسؤولين الفاسدين.

(١) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. سابق: ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٦ و ٣٥٤.

(٤) المفضل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٥٧ / ٢. نقلاً عن: لمحات اجتماعية. للوردي: ٢٥ / ٣.

لذلك ولغيره ولأسباب أخرى طائفية مقبلة تعرّضت خزائن الروضة الحيدرية إلى محاولات عدّة للاستيلاء عليها من الإرهابيين التكفيريين أو من الحكّام الظلمة أو من المسؤولين - غير المسؤولين - بحجج مختلفة وأعداء شتى، نجح بعضها للأسف وفشل البعض الآخر، فمن ذلك مثلاً ما استولى عليه "من مال الحائر الحسيني في كربلاء ومن النجف وقال: إن القبر لا يحتاج إلى خزانة وأنفق على العسكر، فلم تمضِ السنة حتى قُتل" (١).

ومن ذلك أيضاً محاولات قام بها بعض الغزاة الوهابيين كما فعلوا بكربلاء المقدّسة يوم قتلوا مئات ممّن قتلوا ونهبوا جميع ما في الروضة الحسينية من التحف والهدايا الثمينة والجواهر النادرة، ولم يكتفوا بالسرقة بل زادوا على ذلك فأحرقوا صندوق الضريح الطاهر ثم توجهوا إلى النجف الأشرف ليعملوا فيها ما عملوا بكربلاء.

وحين عرف مراجع النجف الأشرف وعلى رأسهم المرجع الأعلى الشيخ جعفر كاشف الغطاء ما أقدمت عليه عصابات الجريمة المنظّمة من الوهابيين من سرقة وقتل وأفعال منكّرة بحقّ الأضرحة المقدّسة في كربلاء وما عزمت عليه من التوجّه إلى النجف الأشرف للقيام بجرائم مثيلة؛ استعدت استعدادها اللازم بقيادة مرجعها الشيخ جعفر كاشف الغطاء، حيث "لبس السلاح هو وأولاده وجميع تلاميذه من طلبة العلم وألزم كل قادر على حمل السلاح من أهل البلد المدافعة، وكان للبلد سور ضعيف وأبواب واهية فاستحكمها بنضد الصخور والمضاريس وراءها واستعدوا للدفاع والمصاع وبذل الأرواح دون ذلك البلد المقدس، فلما

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٤٠/٢. نقلاً عن مناقب آل أبي طالب: ١٧١/٢. وينظر: الفصل في تاريخ

أشرف المهاجمون على البلد أصلتهم تلك الحامية ناراً حامية وحسوا بها في السويدا رجالاً بل أسوداً فباتوا ليلتهم وانهزموا مع الليل ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، ولكنهم استعدوا في السنة القابلة وشنوا الغارة مرة ثانية، ولم يحصلوا من الغنيمة إلا على الهزيمة... ومن حرص ذلك الزعيم الإلهي الشيخ الأكبر على حفظ الودائع حين رأى أن الوهابيين لا يزالون يوالون غاراتهم... لذلك صمم العزيمة على نقل تلك الخزانة وحمل تلك الأمانة إلى بغداد... فحمل بنفسه في شوال سنة الثامنة عشر بعد الألف والمائتين من طريق الحلة مع جماعة من رجاله البواسل وأوصلها إلى والي سعيد باشا وسلمها إليه مختومة في صناديقها وأخذ منه قبضاً والتزاماً بردها إلى النجف متى ما أراد الشيخ أو أحد أولاده... وبعد أن تكامل السور في حدود منتصف العقد الثالث من القرن الثالث عشر للهجرة استرجع الشيخ تلك الودائع ووضعها في حجرة من حجر الرواق المطهر^(١).

ويحدد الشيخ علي الشرقي مدة بقائها في الكاظمية المقدسة وكيفية حملها من النجف الأشرف إليها بقوله: "نقلت هذه النفائس من النجف إلى الكاظمية في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة خوفاً عليها من الوهابيين الذين استفحل أمرهم واستطار شرهم في جزيرة العرب وطفوف الجزيرة في العقد الثاني من القرن الثالث عشر، وبقيت في الكاظمية أربع سنوات يقوم عليها الحرس وقد حملتها أربع طوابير من الجنود العثمانية ولعلمهم أول جنود للعثمانيين دخلوا النجف، ثم أعيدت تلك الذخائر إلى محلها"^(٢).

(١) تاريخ الخزانة العلوية المطهرة. الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء. مجلة تراث النجف. عدد ٢ لسنة

١٤٣٣ هجرية. ص: ١٧١ - ١٧٢. وينظر: ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٣٢٦ - ٣٢٩.

(٢) الأحلام. سابق: ٧٦.

وإذ نشبت الفتنة العمياء بين الشمرت والزكرت في النجف الأشرف وكان المرجع الأعلى حينها الشيخ موسى كاشف الغطاء فخاف على الخزانة العلوية من السرقة والنهب أثناء هجمات الوهابيين، فبادر "بأن سجل جميع ما في الخزانة من أحجار ثمينة بل عديمة النظير مع الذهب والعقود والدرة اليتيمة وضبطها بخطه في دفتر وختمها بختمه"^(١).

كما جمع "وجوه العلماء والأشراف والأعيان وفاوضهم في تلك المعضلة وما يلزم لها من التدبير فقرروا نقل الخزانة إلى بغداد ثانية... فأرسلها الشيخ في صناديق مختومة بخاتمه مع من يعتمد عليه من الفرسان الأشداء يحملون كتاباً منه إلى الوالي وهو يومئذ داود باشا الشهير، فاستلمها وأعطاهم قبضاً بها... ولما مضت سنتان أو ثلاث على سكوتهم وخمود جهرتهم ورأى أن البلد قد تحصنت بالسور والثكنات والعساكر النظامية، فقد حان وقت استرجاع تلك النفائس إلى محلها... فأرسل جماعة لاسترجاعها فتعلل وماطل... فأمتعض الشيخ من ذلك وعزم على السفر إلى بغداد بنفسه واستاء عموم العلماء والأعيان والأخيار"^(٢). وكان أن وصل الخبر إلى حاكم كرمانشاه وهو يومئذ محمد علي مرزا ابن سلطان إيران فتح علي شاه وكان بينه وبين العثمانيين مشاكل وخلافات فجمع جيشه وشن حربه الشعواء على العثمانيين في العراق فانتصر عليهم وأسر الكثير من كبار قادتهم وجيوشهم فاستنجد والي بغداد يومها مدحت باشا بالمرجع الأعلى الشيخ موسى كاشف الغطاء فسافر بنفسه للتوسط بينهما، وإذ نجحت وساطته في الصلح بينهما سمي بالمصلح بين الدولتين ولم يعد إلا ومعه خزانة العتبة العلوية المقدسة.

(١) معارف الرجال. سابق: ٢٨/٣.

(٢) تاريخ الخزانة العلوية المطهرة. سابق: ١٧٥.

يقول الشيخ محمد حرز الدين: إن المرجع الشيخ موسى "سافر إلى بغداد بنفسه سنة (١٢٣٩ هـ - ١٨٢٤ م-) وأرجعها إلى النجف في خزانة الأولى وذلك في عهد خازن الحرم العلوي الملا محمد طاهر بن ملا محمود... وفي عصر نازار السلطان ناصر الدين شاه النجف في سنة (١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م-) وطلب من حكومة الترك أن يفتحوا له الخزانة... لكي يشرف عليها ويتفقدوها، ففتحوا له الخزانة وأشرف عليها ونظر في دفاتها فإذا هي كاملة ونظر إلى ختم المترجم له -المرجع الشيخ موسى كاشف الغطاء- في آخر الدفتر وأثنى عليه وترحم له. حدثنا من حضر لجنة الإشراف على الخزانة مع الشاه الأعظم" (١).

ومن محاولات الاستيلاء على خزائن المرقد العلوي المقدس ما أورده المؤرخون من أن والي بغداد العثماني (مدحت باشا) الذي عين والياً على بغداد في (١٢٨٦ هـ/ الثلاثين من شهر نيسان من عام ١٨٦٩ م) "لم يكن قادراً على تحقيق مشروع كان عزيزاً عليه وهو بيع خزائن النجف وإنفاق مبالغها على الأشغال العامة" (٢).

ويبدو أن (مدحت باشا) كان يضم لخزائن المرقد العلوي الشريف ما يضم من نوايا سيئة، غير أن الله ردّ كيد هذا الوالي إلى نحره ولم يمكنه من تنفيذ مشروعه، بيد أن أمر بيع كنوز الروضة الحيدرية وباقي العتبات المقدسة الأخرى لم يقتصر على هذا الوالي العثماني وحده، بل ظلّ حلماً يراود مخيلة العثمانيين من غيره أيضاً، فقد ورد في تقرير رسمي أن الأتراك كانوا قد قرروا مصادرة محتويات الخزائن الموجودة في العتبة المقدسة للإنفاق على شؤون الجهاد بعد واقعة الشعيبة التي خسر فيها الأتراك المعركة أمام الإنكليز بعد احتلالهم للعراق.

(١) معارف الرجال. سابق: ٢٨/٣ - ٢٩.

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. لونكريك: ٣٥٩.

ويذكر المؤرخ الفرنسي بيرار "إلى أن الخليفة في إسطنبول يتجرأ في بعض الأحيان على التصرف بثروات الطائفة الشيعية. وفي عام (١٨٧٣م) حيث فتحت خزائن الأئمة وفتحت السرايب بأمر من السلطان عبد العزيز وأخرج منها (٧٧) طناً من المجوهرات والنفائس التي حولت إلى نقود وأرسلت إلى إسطنبول... وقديماً كانت هذه المراقد الشيعية تمتلك من بين ما تمتلك أراضي واسعة كانت بتصرف علماء وفقهاء الطائفة، وضع الخليفة -العثماني- هذه الأملاك تحت تصرف الإدارة الإمبراطورية (الأوقاف)... وقد رجع الفرس إلى القناصل البريطانيين مثلما حدث عام (١٩٠٦م) عندما تجاوزت السرقات التركية كل الحدود"^(١).

أما اليوم -وقد بات المرقد الطاهر بعد زوال الأنظمة الفاسدة برعاية أهله الحريصين عليه من رجالات الوقف الشيعي وإشراف العلماء الأعلام- فأرجو أن يسرع القائمون على العتبة الشريفة بفتح المتحف الذي قرر له أن يكون وفق أحدث المواصفات العالمية كي يضم كل تلك التحف الأثرية المهمة التي لا تقدر بثمن عارضاً وشارحاً وموثقاً وما إلى ذلك وبلغات عدة؛ ذلك أن التباطؤ في فتح مثل هذا المتحف لم يعد مقبولاً ولا مبرراً.

يذكر أن الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي قد أشار في كتابه (قبر الإمام علي وضريحه) نقلاً عن معنيين "أنه في أثناء عمليات الهدم القائمة حالياً لعمارة الضريح وتوسعته اكتشفت خزانة جديدة"^(٢)، وضع صورة لها في كتابه المذكور.



(١) المرقد العلوي في نظر الرحالة والمستشرقين. رسول كاظم عبد السادة. مجلة آفاق نجفية. العدد ٣٧ لسنة

٢٠١٥م: ٢٧١. وينظر: مدينة النجف بعقريّة المعاني وقدسيتها المكان. سابق: ١٦١.

(٢) قبر الإمام علي وضريحه. سابق: ٢٩١.

٢٢. مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة

توجد في العتبة العلوية المطهرة مكتبة ثمينة سميت بأسماء مختلفة عبر التاريخ، منها (الخزانة الغروية) - وهو الاسم الأكثر شهرة وشيوعاً وتداولاً بين الناس - و(الخزانة العلوية)، و(خزانة الصحن)، و(خزانة أمير المؤمنين)، و(مكتبة الصحن العلوي)، و(المكتبة العلوية)، و(المكتبة الحيدرية) و(مكتبة الروضة الحيدرية)، غير أن أكثر أسمائها قدماً وشيوعاً وانتشاراً هو (الخزانة الغروية).

ويرجح المؤرخون أن عضد الدولة البويهبي (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م) هو أول من عني بالخزانة ووقف لها الكتب وأغناها بالنفائس، إضافة إلى غير واحد من السلاطين والأمراء والوزراء وذوي اليسار^(١). غير أنها تعرضت إلى حريق التهمها فأتى على نفائسها إلا ما ندر، فأعاد صدر الدين الآوي - أحد علماء القرن الثامن الهجري - تأسيسها، لذلك فيعد هو مؤسس المكتبة الرئيس حافظاً ما بقي منها بعد الحريق، ومشترياً لها من الأعلام النفسية النادرة الكثير فرفد بذلك خزانها بآلاف المخطوطات من النجف الأشرف وبغداد وأطلق عليها اسم الخزانة العلوية^(٢)، وزيادة من العالم الآوي في الصون لها والاهتمام بها "أوصى ابن أخيه بشراء الكتب وجعلها وقفاً في طلاب النجف وسمحت له الفرصة بالإكثار من شراء الكتب"^(٣) ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وهكذا استمرت الخزانة العلوية تنمو وتطرد على توالي السنين والأعوام حتى عدت من أهم المكتبات الخزينة بالمخطوطات الثمينة النادرة ليست في وقتها

(١) ينظر: خزائن الكتب القديمة في العراق. كوركيس عواد: ١٣١.

(٢) ينظر: موسوعة العتبات المقدسة. الشيخ جعفر الدجيلي: ٢٢٦/٧.

(٣) الأحلام. سابق: ٧٨.

فحسب بل في أزمان لاحقة عديدة، حتى ورد في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) أن "مكتبة صغيرة كمكتبة في النجف في العراق كانت تحوي في القرن العاشر أربعين ألف مجلد، بينما لم تحوِ أديرة الغرب سوى اثني عشر كتاباً ربطت بسلاسل خشية ضياعها"^(١). ولا غرو فقد ضمّ مخزنها "من الكتب الثمينة النادرة الوجود ما لم يوجد في غيره، وأغلبها بخطّ مصنّفها أو عليها خطوطهم ولم يوجد فيها ما هو مخطوط في القرن العاشر، بل كلّها ما قبله، فهي من النفائس التي لا يوجد لها نظير، وفيه مصاحف ثمينة لأشهر الخطّاطين محلاة بالذهب، وهي من هدايا سلاطين الشيعة ووزرائهم في مختلف العصور مختلفة الخطّ، ففيها الكوفي والأندلسي واليمني وبينها قطعة من مصحف بقطع سفينة مكتوب على رق بخط كوفي وفي آخره (تم سنة أربعين من الهجرة كتبه علي بن أبي طالب) وبحسب بعض أعلام الخبيرين أنه خط الأمير علي بن أبي طالب وأكثر ما في هذا المخزن اليوم مصاحف، ففيه ما يقرب من أربعمئة مصحف وفيها خط أربعمئة من الهجرة، وبالجملة فهي من الأعلّاق التي لا تقدر بثمن"^(٢).

وقد تحدث عنها المجتهد المؤرخ السيد محسن الأمين خلال تشرفه بزيارتها بقوله عنها: إنها "أقدم مكتبات النجف وأهمها، كان فيها من نفائس المخطوطات عدد لا يحصى، وجاء ذكرها في كثير من المؤلفات، واستفاد الناس منها في أعصار متطاولة"^(٣).

(١) مكتبة الروضة الحيدرية على شبكة الأنترنت التابعة للعتبة العلوية المقدسة، نقلاً عن شمس العرب تسطع على الغرب: ٣٨٦.

(٢) ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة: ١/ ١٤٨.

(٣) خزانة الحرم الشريف وما بها من الهدايا والتحف. سابق: ١٥٩ نقلاً عن السيد الأمين من رحلته العراقية الإيرانية: ٦٢.

كما تحدث عنها مؤرخون عديدون فوصفوا عدد نسخها بأنها نافت على عشرات الآلاف من النسخ تجمعت بين إهداءات من سلاطين وأمراء وعلماء ومفكرين ومحبين ومؤلفين وكتّاب، بل وطلاب علم وفقه وعلوم إسلامية؛ ذلك "أن الجاليات والرواد الهابطين على المدرسة النجفية من بلاد إيران والهند وأذربيجان وما وراء النهر والقوقاز وعاملة والخليج وبعض نواحي اليمن الذين كانوا يفدون على النجف بثرواتهم المادية والأدبية وأهمها أمهات الكتب المخطوطة من كتب الفلسفة والرياضيات والأدب والفلك والفقه والتاريخ والمسالك والممالك، وقد كان رواد العلم وطلابه يسكنون على الأغلب المدرسة العلوية الكبرى (الصحن) ومنهم المقيم في غيرها من المدارس والدور الخاصة وكان لهم نقيب ينظم شؤونهم. وكانت في المدرسة العلوية خزانة نفيسة تجمعت مما يحملها المهاجرون، وكانوا بعدما يتزودون ب زاد العلم ويعتزمون العودة إلى بلادهم وأوطانهم يتركون ما حملوه من نفائس الكتب وما ألفوه من رسائل وأطروحات في خزانة المدرسة العلوية محبسة على طلابها"^(١).

ولقد كان تعاقب على إدارة هذه المكتبة الغنية قديماً عدد من كبار العلماء والمحققين كان لهم دور في إثرائها فضلاً عن المحافظة عليها من عوادي الزمن منهم: (يحيى بن عليار)، وهو من محدّثي القرن السابع الهجري المعروفين، و(محمد بن أحمد بن شهریار) المعروف بالخازن لخزانة أمير المؤمنين، من محدّثي القرن السابع الهجري أيضاً، و(علي بن إبراهيم الغطاوي) من علماء القرن العاشر الهجري، والعالم (محمد حسين الكتّابدار) من علماء القرن الحادي عشر، و(عبد الرزاق)

(١) الأحلام. سابق: ٧٨. وينظر: خزانة الحرم الشريف. وما بها من الهدايا والتحف. الشيخ محمد هادي الأميني.

كتابتدار الروضة الحيدريّة من كتاب القرن الثاني عشر الهجري، و(علي بن الشيخ جعفر خضر) الكتاتبار من رجال القرن الثالث عشر الهجري وغيرهم. فاستمرت تغذّي الباحثين والمؤلّفين بفنون المعرفة المختلفة، فمن ذلك ما وصفها به "الشيخ محمد علي حزين اللاهيجي (ت ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م) عندما جاء إلى النجف ومكث فيها ما يقارب ثلاث سنوات... فقال عنها: إنه (اجتمع فيها من كتب الأوائل والأواخر في كل فنّ ما لا أتمكن من عدّه)"^(١).

ونقل الشيخ جعفر محبوبية عن كتاب (تحفة العالم) للسيد عبد اللطيف الشوشتری الذي يمم النجف الأشرف في حدود سنة (١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦ م) واجتمع بمراجعها والكلیدار الملا محمود بن الملا صالح قوله: إنه " (أطلعني على كتب الأمير عليه السلام وفيها من نفائس العلوم المختلفة التي لم توجد في خزائن السلاطين)، وهذا السيد من أهل الخبرة بالكتب ومخازنها فإنه زار الهند ورأى خزائن ملوكها... فكلامه شاهد عدل على نفاسة هذا المخزن"^(٢).

وكان قبل ذلك قد شب حريق كبير في الروضة العلويّة المطهّرة في سنة (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م) أتى على أغلب كتب وتحف ونفائس الروضة المقدّسة، ومنها مصحف بثلاثة مجلدات بخط الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام مع عدد كبير من مخطوطات الروضة المقدّسة النادرة.

وقد تحدث عن هذا المصحف الكريم الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبّة (ت ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م) صاحب كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)، فقال: "كان بالمشهد الشريف الغروي مصحف في ثلاث

(١) مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد. سابق: ٦١ - ٦٢.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ١٥٠ - ١٥١.

مجلدات بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام احترق حين احترق المشهد سنة خمس وخمسين وسبعمائة يقال إنه كان في آخره "وكتب علي بن أبو طالب" ولكن حدثني السيّد النقيب السعيد تاج الدين أبو عبد الله محمد بن القاسم بن معيّة الحسني النسابة وجدّي لأمي المولى الشيخ العلامة فخر الدين أبو جعفر محمد بن الحسين بن حديد الأسدي رحمه الله: أنّ الذي كان في آخر ذلك المصحف (علي بن أبي طالب)، ولكنّ الياء مشتبهة بالواو في الخطّ الكوفي الذي كان يكتبه علي عليه السلام.

وقد رأيت أنا مصحفاً بالمزار في مشهد (عبيد الله بن علي) بخطّ أمير المؤمنين عليه السلام في مجلد واحد في آخره بعد تمام كتابة القرآن المجيد: "بسم الله الرحمن الرحيم كتبه علي بن أبي طالب"، ولكنّ الواو تشبهه بالياء في ذلك الخطّ كما حكيه لي عن المصحف بالمشهد الغروي، واتّصل بي بعد ذلك أنّ مشهد عبيد الله احترق واحترق المصحف الذي فيه^(١).

ويعلق محمد حسين كتّابدار العتبة العلوية الشريفة (١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م) على النصّ المتقدّم بقوله: "وهذا المصحف الذي ذكره السيّد النقيب أنّه خطّ أمير المؤمنين عليه السلام وهو في المشهد الغروي، وهو المصحف الموجود في هذا الوقت في الخزانة الشريفة، وقد احترق الكثير منه ولم يبقَ إلا مجلداً واحداً وهذا المجلد حواشيه كلّها محروقة ولم يذهب من المتن إلا قليلاً، والله أعلم"^(٢).

وقد كنت سمعت من الباحث أحمد علي الحلي الذي تشرف بوضع فهرس لمخطوطات الخزانة العلوية المقدسة في عدة مجلدات أنه رأى هذه النسخة وعليها

(١) تعليقات محمد حسين كتّابدار على كتاب عمدة الطالب. د. علي خضير الحجّي. مجلّة خطوطنا. ١/ ١٢٥ -

أثر الاحتراق، بل سواده، قبل أن يزال لاحقاً من قبل بعض الخبراء الفنيين الذي اشتغلوا على إزالته في مشفى الكتب بالعتبة العلوية المقدسة.

هذا وقد حالفني الحظ فتشّرت برؤية النسخة الخطيّة الموجودة في الخزانة الغروية بعد أن عرضتها العتبة العلوية المقدّسة في معرض لها أقامته مؤخراً ضمّ المخطوطات الثمينة في خزانها، وكانت "النسخة مكتوبة بالخطّ الكوفي، عدد أسطرها: ١٦، ولون ورقها: أصفر. تبدأ النسخة الشريفة بسورة الفاتحة، وتنتهي بسورة الناس، ما عدا أربع سور، هي: الكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد، وعدد صفحاتها: ٦١٢ صفحة" (١).

وفي الخزانة أيضاً قرآن آخر ناقص الأوّل والآخر مكتوب بالخطّ الكوفي القديم على رقّ منسوب إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام كما تقدّم. وقد تشرفت برؤيته أيضاً بعد أن تمّ عرضه في المعرض المتقدّم ذكره.

وقد وضعت النسختان النادرتان المتقدّم ذكرهما؛ لنفستهما داخل المرقد العلوي المطهر.

وفي مخزن المكتبة كذلك مصاحف ثمينة لأشهر الخطّاطين المسلمين محلاة بالذهب، وفيها ما كتب على ورق رقيق من الخشب يقول من شاهده في السنين المتأخّرة: إنّ ناقص الآخر. كما تقدم.

وهناك في خزانة المخطوطات بعض كتب منسوبة إلى بعض أئمة أهل البيت عليه السلام إضافة إلى العديد من المخطوطات النادرة المكتوبة بخطوط مؤلّفيها الذين آثروا إهداءها إلى خزانة الإمام عليه السلام.

(١) فهرست مخطوطات خزانة الروضة الحيدريّة في النجف الأشرف. السيّد أحمد الحسيني: ١٥. وينظر: المصدر

ويكفي أن نذكر نماذج من هذه المخطوطات النادرة الوجود من قبيل ما نقله الشيخ محمد حسين حرز الدين عن السيد عبد الكريم بن طاووس عن يحيى بن عليان في القرن السابع الهجري قال: "حدثنا يحيى بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه وجد بخط أبي عبد الله بن محمد بن السري المعروف بابن البرسي رحمته الله بمشهد الغري سلام الله على صاحبه، على ظهر كتاب بخطه قال: كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الأولى في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة" (١).

ومن قبيل ما ذكره الشيخ (جعفر محبوبة) عما شاهده في هذه المكتبة القيّمة من نفائس المخطوطات بقوله: "يوجد في المكتبة اليوم بعض الكتب النفيسة في سائر الفنون والذي وقفت عليه: (المسائل الشيرازيّة) تأليف الشيخ أبي علي الحسن بن عبد الغفار نقلت على نسخة المصنف وعليه إجازة بخط المصنف. صورتها: (قرأ علي أبو غالب أحمد بن سابور هذا الكتاب وكتب الحسن بن أحمد الفارسي سنة ٣٦٣هـ) و(شرح الدرديّة) لابن خالويه قرئت عليه وعليه صورة قراءته نصّها: (بلغت قراءة علي أبي عبد الله محمد بن عبيد الله العجمي حرسه الله وفرغت منها ليلة السبت لخمس بقين من شعبان سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) وكتب: سلامة بن محمد بن حرب وحسبنا الله وحده، و(شرح ديوان المتنبّي) لابن العتايقي (ت في حدود الثمانمائة) وقفت على الجزء الثاني منه وهو بخطه، وفي هذا المخزن من مؤلفات هذا الشيخ المتنوّعة في سائر الفنون ما يقرب من ثلاثين مؤلفاً، وقد فرغ من بعضها سنة (٧٨٧هـ / ١٣٨٥م)، و(الجزء الثاني من التبيان) كتب في تاسع عشر شعبان سنة (٥٧٦هـ / ١١٨٠م) و(نهاية الإقدام في علم الكلام) لفخر الدين

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ٤٥٧. نقلا عن فرحة الغري: ١٥٤.

الرازي كتبت في حدود (السبعائة)... وهناك كتب لابن كمونة اليهودي البغدادي بخطّه، كتبت في حدود (الستمائة والسبعين)، و(كتاب الملتقط) للزخشي في اللغة بخطّ قديم، وهو مختار من كتابه (المحكم) و(كتاب تقريب المقرّب) في النحو لابن عصفور، و(التقريب) لأبي حيّان وهو بخطّه الأندلسي. وهناك كتب كثيرة في الطب وغيره وبعضها مقطوعة الأوّل والآخر لم تعرف، و(كتاب المباحثات) للشيخ الرئيس كتبت النسخة سنة (٧١٨هـ / ١٣١٨م) ^(١).

وحين فهرس المحقق أحمد علي الحلي مخطوطات مكتبة الروضة الحيدرية وجد من كتب ابن كمونة سعد بن منصور بن الحسن بن هبة الله اليهودي توفي في الحلة سنة (٦٧٦ أو ٦٣٨ هجرية) تلك الكتب التي أشار إلى وجودها الشيخ جعفر محبوبة كما في أعلاه وهي كما قال الحلي: "أربعة بعضها كتب في حياته، وبعضها قريب العهد من وفاته، وهي (الجديد في الحكمة بغير خط المؤلف كتبت في سنة ٧١٣ هجرية، والرسالة الكلامية بخط المؤلف، وزبدة النقض ولباب الكشف بخط المؤلف، وشرح التلويحات في حياة المؤلف سنة ٦٦٩ هجرية".

وأضاف "ووجدت معلومة مهمة للغاية وهي في ثبت لنفائس الحضرة الغروية تاريخ تحريره سنة ١٢٦٥هـ/ جاء فيه أن محتويات الخزانة بهذا التاريخ (٧٥٦ مصحفاً و(١٧٦) كتاباً و(٢٦) رحلة و(٤٤٥) جزءاً والموجود اليوم قريب جداً من هذا العدد المذكور" ^(٢).

كان الدكتور (حسين عليّ محفوظ)، "قد زار الخزانة في سنة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) ساعات قليلة، وسجّل بعض المعلومات عن مخطوطاتها، ثمّ نشر فهرساً

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) الخزانة الغروية. ملخص محاضرة له بعثها الي المحقق.

يضمّ (٨٢) كتاباً في مجلّة معهد المخطوطات المجلّد الخامس الجزء الأوّل ص ٢٣-٣٠ بتاريخ شهر ذي القعدة (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

كما أحصيت كتب هذه الخزانة في سنة (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) على يد (السيد أحمد الحسيني) بإشراف قائم مقام النجف الأشرف يومها السيد عبد الرزاق الحبوبى وقاضٍ من قضاة النجف الأشرف هو الشيخ حسن الشميساوي، فكان مجموع الموجود فيها من الكتب هو (٧٥٢ كتاباً) من الكتب المخطوطة، والكتب المطبوعة القديمة وعددها (٦٠٠ كتاباً)^(١).

وبعد سقوط النظام البائد تمّ افتتاح مكتبة الروضة الحيدريّة المطهّرة وإعادة تأسيسها في يوم الأربعاء (٢٠ جمادي الثاني ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م) بعد أن اختير لها مكان عند التقاء الضلع الشمالي بالضلع الغربي للصور الطابوقي من العتبة المقدّسة، حيث توجد بناية واسعة ذات ثلاثة طوابق احتلّت المكتبة منها الطابقين الأوّل والثاني، وتمّ بذلك دخول المكتبة في طور جديد من النشاط الملحوظ حيث بلغ عدد كتبها بعد حدود خمس سنوات من افتتاحها (٦٠,٠٠٠) ستين ألف كتاب كامل ومفهرس ومعدّ للمطالعة، وذلك حسب إحصائيّة أجريت لها في نهاية سنة (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، أمّا في نهاية سنة (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) فقد تزايد عدد كتبها حتّى بلغ (١٠٠,٠٠٠) المائة ألف كتاب، وهي في تطوّر مستمرّ يمكن قياس سرعته بدراسة الفرق بين العددين السابقين خلال الفترة الزمنيّة المحصورة بينهما، هذا بالإضافة إلى نشاطات أخرى ملحوظة^(٢).

وقد بوشر بنقل كتب المكتبة العلوية وخزائنها الثرية إلى الموقع الجديد

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ٤٥٨.

(٢) ستبقى حوزة النجف رائدة حوزات العالم. المرجع الشيخ بشير النجفي: ١٤-١٦.

المخصص لها في صحن فاطمة عليها السلام، وهو ما أخبرني به موظفوها خلال زيارتي لها في شهر رجب من عام ١٤٤٣هـ / شباط ٢٠٢٢م.

وسياتي الحديث عن تعديات وإحراق وسرقات وإهمال عرض نفائس للتلف، وتجاوزات تعرضت لها العتبة العلوية المقدسة لاحقاً، ومنها ما لحقت ببعض هذه النفائس -مخطوطات أو تحف- مما يدمي القلب.



٢٣. تعديات وتجاوزات وقعت على العتبة العلوية المقدسة منها:

« أولاً: ظلامنة إخفاء القبر الشريف للإمام عليه السلام خشية من الضرر ومحاولات التعدي عليه بعد ظهوره.

إنّ المتصفح لتاريخ المرقد الشريف يفاجأ بكثرة التعديات والظلامات التي أحاطت به منذ أن تتبع الظلمة الجسد الطاهر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بين مخفٍ ومظهر له، ونابش وهادم لعمارتة.

فما إن توفي الإمام بعد تلك الحادثة الأليمة حتّى دفن ليلاً، وعُمّي موضع قبره الشريف ليكون ثاني قبر يخفى بعد قبر الزهراء عليها السلام في تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وكانت وصيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام في إخفاء قبره الشريف ينمّ عن حكمة عظيمة، لعلمه عليه السلام بمقدار بغض آل أمية له وأثمّهم لا يتوانون عن إحداث حدث في قبره بعدما عجزوا عن النيل منه في حياته، فتوالى الاحداث والظلامات زمن الامويين والتي ابتدأت بتحريض مروان بن الحكم لمعاوية على ذلك، فاستشار معاوية في نبش قبر علي عليه السلام عبد الله بن عامر

بن كريز، فقال: ما أحب أن تعلم مكان قبره، ولا أن تسأل عنه، ولا أحب أن تكون هذه العقوبة بيننا وبين قومنا، فقبل معاوية من عبد الله ما أشار به عليه، وأعرض عن رأي مروان.

وما إن جاء الحجاج حتى سعى سعيًا حثيثًا للوصول إلى القبر الشريف للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهدمه لكن دون جدوى، فقد أشارت المصادر التاريخية أنه أمر بنش ثلاثة آلاف قبر من قبور النجف الأشرف في محاولة منه لطلب جثة الإمام علي عليه السلام فلم يظفر بذلك.

وبتسليم العباسيين ناصية الخلافة سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠م) رافعين شعار مظلومية أهل البيت عليهم السلام للوصول إلى سدة الخلافة وإزاحة خصومهم الأمويين عنها، ابتدأت مرحلة جديدة من سلسلة ظلمات القبر الطاهر.

وإذ ولي المتوكل العباسي حرب عمارة النجف (المرقد المطهر) كما حرب عمارة الحسين عليه السلام، ولم يقتصر الأمر على ما فعله الأمويون والعباسيون، فقد قصد الخارجي (مرة بن قيس الدمشقي) القبر الشريف لنشه بعد أن حرب ما فيه من بنیان.

أمّا ما فعله أحد الغلاة المدعو (علي بن محمد بن فلاح المشعشي) فهو صورة أخرى للذين استباحوا الحرم الطاهر يوم قصد في سنة (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) مدينة النجف الأشرف واستباحها، "ونجا ناس قلائل كان قد سبقوا ودخلوا المشهد وحاصر السادة في حطيم المشهد فأرسلوا يتضرعون إليه فطلب منهم القناديل والسيوف وكانت خزائن السيوف من سبعمائة سنة يجتمع فيها السيوف. جميع سيوف الصحابة والسلاطين وكلما مات سلطان أو خليفة بالعراق يحمل سيفه إليها فأرسلوا إليه مائة وخمسين سيفاً... ورحل من الحلة يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة

إلى المشهد الغروي والحائري ففتحو له الأبواب ودخل فأخذ ما تبقى من القناديل والسيوف وروثق المشاهد جميعها من الطوس والأعتاب الفضة والستور والزوالي وغير ذلك^(١).

كما تعرّضت مدينة النجف الأشرف ومنذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) إلى عدّة هجمات من الغزاة الوهابيين قادمين من جزيرة العرب للنيل من أهلها ورموزها ومقدّساتها مستغلّين حالة الضعف والتدهور التي كانت تمرّ بها المدن العراقية وهي تنّ تحت وطأة الاحتلال العثماني، وكان لسور النجف ومناعة أبراجه وشجاعة أهلها الدور الأكبر في منع اقتحامها في مرّات عديدة.

ثم وفي الثامن من شهر (رجب عام ١٣٣٣هـ/ ٢٤ مايس ١٩١٥م)، دخل الجيش التركي للنجف الأشرف وأطلق النيران خلال تعقبه للشباب نتيجة تخلفهم عن أداء خدمته العسكرية فلاقى مقاومة شديدة من سكانها النجفيين المسلحين الثائرين، غير أن نيران الأتراك المحتلين أصابت إحدى مآذن الحرم العلوي المقدس فأعطبتها قبل استسلام القوة الغازية للثوار النجفيين دون قيد أو شرط.

وفي مرحلة معاصرة من تاريخ المرقد الشريف مثلت سنين حكم النظام الصدامي البائد أشدّ السنين وطأة ومرارة على المرقد العلوي الشريف، حيث صدّع الإهمال الكثير من أساساته وشقّق سقوفه وجدرانه، وأصبح الكثير من أجزائه مهدّداً بالسقوط مع انتشار الحشرات المختلفة كالآرضة التي عاثت بشكل كبير في أبنية الصحن العلوي وقطعها الأثرية الثمينة، فضلاً عن استخدام بعض حجر

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤. نقلا عن تاريخ الغياثي: ٣٠٨ - ٣١٠.

العتبة المقدسة الأخرى استخداماً سيئاً بعيداً كل البعد عن أبسط القيم والمبادئ والأخلاق.

وكلما مرّت السنون كانت الممارسات التعسفية تزداد وتتنوع لتطال معلماً جديداً مهماً من معالم العتبة المقدسة، ومن ذلك القبة الشريفة عندما رفع حزامها عام (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، حيث امتدّت أيادٍ تدفعها الجراءة والتطاول على حرم أمير المؤمنين عليه السلام برفع حزام قبة المرقد الطاهر وتخريبه بأشع الصور بعد قلع القطع من مكانها ومحاولة رفع الذهب من الكتابة بطريقة خرّبت بشكل قاسٍ معالمها وأتلفت مادة المينا الموجودة في أرضية الكتابة كما تقدّم.

وفي آذار سنة (١٤١١هـ / ١٩٩١م) وبعد أن سيطر النجفيّون على مدينة النجف الأشرف في الانتفاضة الشعبانية المباركة، قام جيش النظام الصدامي البائد -ومن أجل إعادة السيطرة على المدينة المقدسة المنتفضة- بقصفها بالصواريخ والمدفعية الثقيلة ما أدى إلى سقوط العديد من المدنيين العزل فضلاً عن إلحاق أضرار كبيرة في أبنية العتبة العلوية المقدسة، ومنها مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وقبته الشريفة التي أصيبت إصابات بالغة من الجهة الشمالية (باب الطوسي)، كما تضرر الإيوان الذهبي والباب الذهبية الكبيرة بفعل الرصاص وشظايا القذائف.

وكان النظام البائد "في بداية الثمانينات من القرن الماضي قد قلع حزام القبة وأنزل إكليلها الذهبي، فضلاً عن خلع الأشرطة والصفائح الذهبية التي نقش عليها القصائد الشعرية بحق أمير المؤمنين عليه السلام بدافع طائفي وعنصري؛ لأن هذه المدونات قد كتبت باللغات الفارسية والتركية. وأبدلت المدونات الأصلية بصفائح صقيلة سببت تشويهاً واضحاً في منظر الإيوان الذهبي الذي يعدّ السمة الأجل في عمارة المرقد العلوي المقدس.

أما الإكليل الذهبي الأصلي فقد تم تغييبه وإبداله فيما بعد بإكليل آخر يحمل لفظة الجلالة (الله) في حين ظلت القبة عارية من حزامها^(١).

هذا وقد جمعتني لقاء مع أحد وجهاء المؤمنين النجفيين المهاجرين إلى إيران وقد كان باشر بنفسه الوقوف على إعادة إعمار الحرم العلوي الشريف ودون ما وقف على حزام القبة بنفسه نفى فيه أن تكون على الحزام الذهبي أية كتابة باللغة الفارسية خلافاً لما تقدم آنفاً. بل كانت الكتابة باللغة التركية.

كما أحرق جيش النظام الباغي المعتدي باب الطوسي والباب الشرقية - باب علي بن موسى الرضا عليه السلام - وتضررت جدرانها في عام (١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) عند دخوله إلى المدينة المقدسة، وقد رأينا كيف دخلت الدبابات عبر السوق الكبير المقابل للباب الكبيرة وبدأت بقصف الصحن الشريف بالمدفعية^(٢).

« ثانياً: جريمة الاستيلاء على أوقاف العتبة العلوية المقدسة ظلماً

تعرضت العتبة العلوية المقدسة ومعها العتبة الحسينية المقدسة والعتبة العباسية المقدسة كذلك، إلى ظلامة كبيرة أخرى، مستمرة ألا وهي الاستيلاء على الأوقاف الكبيرة التابعة للعتبات المقدسة ثلاثتها. غير أن نطاق بحثي لا يتسع إلا للحديث عن سلب الأوقاف التابعة للعتبة العلوية المقدسة.

لقد نص الدفتر الخاص بالأوقاف المرقم (٣٨٦) الصادر في عهد السلطان سليمان القانوني، والمتناول تسجيل الأوقاف في العراق، الوارد ضمن تصنيف

(١) موقع العتبة العلوية على الأنترنت www.imamali.net.

(٢) ينظر: وتبعوه ديناً. فائق عبد الحسين الشمري. العتبة العلوية المقدسة. ٢٠٠٩ م.

الباب الآصفي المسمى (الدفترخانة- أميري دفترخان)، أموراً عديدة، ومن بينها الأوقاف التابعة للعتبات المقدسة في النجف وكربلاء تحت عنوان (أوقاف حضرت علي و حضرت إمام حسين و حضرت إمام عباس رضي الله عنهم المشهور بعتبات عاليات)، وقد تخطى عدد الصفحات الخاصة بالأوقاف التابعة للعتبات المقدسة في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة أكثر من ثمانين صفحة من الدفترخان الذي هو جزء مهم من إرشيف الوثائق العثمانية الخاصة بالعتبات المقدسة الموجود في استامبول ضمن (إرشيف رئاسة الوزراء العثماني)^(١).

يقول الباحث د. ياسين شهاب "إن أهمية هذه الوثائق العثمانية تكمن في قيمتها العلمية التاريخية من حيث إنها تمثل أقدم الوثائق الرسمية التي وصلت إلينا عن العتبات الدينية خلال القرن السادس عشر الميلادي... كونها مستندات رسمية قانونية يتم الاستناد إليها في البحث والتقصي عن الأملاك والأوقاف الخاصة بها والتي تم فقدانها وتغيير ملكيتها إلى جهات وأفراد بسبب تقادم الزمن وتغير الأنظمة والحكومات والإدارات التابعة لها"^(٢).

وقد شملت الأوقاف الخاصة بالعتبة العلوية المقدسة في النجف الأشرف: "مقاطعة الأصباغ (بوية خانة وحمامين)، وحمامين: أحدهما قديم، والآخر جديد، ومعصرة... وكذلك كانت هناك بيوت خانة تابعة للمرقد وعددها (٢٥) بيتاً". وهناك أوقاف للمرقد العلوي في داخل مدينة الحلة "وتضم عدداً من البيوت والدكاكين وعقر الأراضي في محلتَي الجامعين والأكراد"^(٣).

(١) ينظر: العتبات الدينية في النجف وكربلاء في الوثائق العثمانية خلال القرن السادس عشر الميلادي. د. ياسين

شهاب شكري. مجلة آفاق نجفية. العدد ٥٢ لسنة ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م. ص ١٢-١٣.

(٢) المصدر السابق: ١٤.

(٣) المصدر السابق: ١٦ و ٢٣ على التوالي.

أما الأوقاف المشتركة للعتبات المقدسة الثلاث العلوية والحسينية والعباسية فهي كثيرة شمل بعضها قرى كاملة، وشمل بعضها الآخر مناطق زراعية من جملتها ما يلي: "الأراضي والقرى الزراعية في نهر النجف: وهي الأوقاف من الأراضي والمناطق الزراعية، والتي تم تثبيتها من قبل الشاه إسماعيل الصفوي وابنه الشاه طهماسب عندما أمرا بحفر نهر من الفرات غرب الحلة لإيصال المياه إلى النجف، وكذلك ما أوقفه السلطان العثماني سليمان القانوني من الأراضي الزراعية لصالح العتبات في النجف وكربلاء... وقد ضم نهر النجف العشرات من القرى الزراعية والأراضي الواقعة على الضفتين تمت الإشارة إلى البعض منها كأوقاف تابعة للعتبات بعنوان (أوقاف عتبات عاليات)"^(١).

وهذه القرى والأراضي الزراعية هي: "قرية كفل العليا، قرية كفل السفلى، قرية سور سلطان، قرية كلما الشرقي، المرتضوية شرق النهر، قرية الإمامية، قرية المهديّة، قرية شهيد، جهينة طوايد، قرية أويس العليا، قرية أويس، قرية جوبيه، قرية الحيدرية، قرية الجهبانية القديمة، قرية الخاتونية، قرية المحمودية، قرية الأميرية، قرية جوبة السلطانية، قرية الإبراهيمية القديمة"^(٢).

« ثالثاً: ظلامة تعريض نفائس الحرم العلوي للتلف بسبب إهمالها الفظيع.

لقد توالى على إدارة ورعاية العتبة العلوية المطهرة عدة سدنة منذ القدم إلى العصر الحاضر بينهم من أحسن القيام بواجباته وبين من أساء. وقد اتخذت إساءات

(١) المصدر السابق: ٢١.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٢٢.

المسيئين من سدنتها وخدمتها إشكالاً متعددة، منها التصرف بنفائس أوقاف العتبة العلوية المطهرة عن طريق إهدائها دون وجه حق إلى الغير، أو إهمام حفظ كنوزها الأثرية النادرة وهو ما عرض الكثير منها للتلف.

ومن أجل الوقوف على نماذج من هذه الظلامات أنقل نصوصاً عن كتاب وثقوا بعض تلك الظلامات رغم طول بعضها من أجل إلقاء ضوء كاشف عن بعض هذه الظلامات.

وسأبدأ أول هذه الظلامات بما أثبتته عنها المجتهد المؤرخ السيد محسن الأمين، ثم ما دونه عنها المؤرخ الشيخ جعفر محبوبة، ثم ما سطره عنها الشاعر المؤرخ الشيخ علي الشرقي، ثم ما كتبه عنها بحرقة الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، ثم أختتمها بما حرره عنها الخبير محمد مصطفى الماحي المصري الجنسية.

وما استعراضي لهذه الظلامات والإطالة فيها بذكر الشواهد عليها من باحثين ومؤرخين شفيقين إلّا لألفت النظر لأهمية إيلاء حفظ هذا التراث العلمي المكتنز بالمعرفة والمحبة والتاريخ والتراث والأثر أقصى ما يمكن بذله من جهد بل جهاد.

لقد كتب السيد محسن الأمين عن مكتبة الحضرة العلوية قائلاً: "كان فيها من نفائس المخطوطات عدد لا يحصى... ثم اضمحلت بسبب الإهمال وعدم العناية بجعلها في غرفة تحت إشراف المسؤولين وإحصاء كتبها في دفاتره وجعل قيم لها براتب كما يفعل بسائر مكاتب الدنيا الذي يراد بقاؤها لاتنفاع الناس بها ولكنها بقيت في غرفة مقفلة عرضة للأرضة وغيرها"^(١).

(١) خزانة الحرم الشريف وما بها من الهدايا والتحف. سابق: ١٥٩ نقلا عن السيد محسن الأمين في رحلته العراقية الإيرانية: ٦٢.

وأما الشيخ محبوبة فكتب عنها يقول: نظراً "لتطاول الأيام وإهمال القائمين بهذا المخزن وخلوّهم عن العلم تلف بعضها وأكلت الأرضة الباقي منها بعدما عاثت بها أيدي السراق والمستعيرين الذين يأخذون هذه الكتب ولا يرجعونها. وتوجد اليوم في بعض البيوت في النجف وخارجه من هذه الكتب وعليها صورة وقف الحضرة العلوية فإننا لله وإنا إليه راجعون"^(١).

وأما الشيخ علي الشرقي فتناولها بقوله: "إن بغداد أصيبت بغلاء وقحط فباع خزائن الكتب للغلة وأكثر البيع كان على النجفيين، وقد ذكر الواعون من النجفيين أنه كان على رفوف المكتبة العلوية عشرات ألوف من الكتب بما فيها نسخ القرآن الأثرية وكتب الأدعية والأوراد، وقد فرقت يد الأحداث تلك النفائس ولم يبق اليوم إلا ما يقارب الأربعمئة نسخة، وقد وقفت بنفسي على كتاب في علم المنطق كان في بيت أحد الفضلاء من النجفيين كتب على ظهره ما نصه (هذا كتاب من كتب الخزانة العلوية)"^(٢)، وأضاف الشيخ محمد هادي الأميني على النص السابق بعد أن نقله قوله: "وتوزعت النسخ على البيوت... وقد بيعت الكتب بأسعار زهيدة وانتقلت ولم يعرف مصيرها ومسیرها"^(٣).

ويضيف الشيخ محمد هادي الأميني إلى ذلك قوله: "وأذكر جيداً حديث الدكتور حسين علي محفوظ في النجف سنة (١٣٧٢ هـ / ١٩٥٨ م)، وكنا نتحدث عن مصير المخطوطات العراقية سيّما النجفية منها فقال: قبل فترة قدم العراق وفد ثقافي من القاهرة للوقوف على سير الحركة العلمية، وبعد الإقامة في بغداد توجه

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١٥١-١٥٢.

(٢) الأحلام. سابق: الأحلام. سابق: الأحلام. سابق:

(٣) خزانة الحرم الشريف. الشيخ محمد هادي الأميني. موسوعة النجف الأشرف. جعفر الدجيلي: ١٥٨/٣.

الوفد ذات يوم إلى النجف وكنت أصحابهم، وأمضينا ساعات فيها، زرنا الروضة الشريفة (الحرم)، وتوجَّهنا إلى مشاهدة المكتبة العلوية أو خزانة مكتبة الإمام علي عليه السلام فدخلناها، وكانت غرفة كبيرة واسعة مكتظة بالكتب والرسائل الخطية ومبعثرة في الرفوف والزوايا، ومفروشة على الأرض من غير حساب، وكان من العسير مطالعة أو قراءة مخطوطة لكثرة التراب المتجمع عليها، فقدّم سادن الروضة في حينه عدّة رسائل إلى أعضاء الوفد، ولمعرفته بي شخصياً قال لي: خذ حصتك منها، فأخذت حفنة من الرسائل التي كانت مبعثرة على الأرض وجعلتها في حقيتي وصحبتها معي، إلى أن عاد الوفد إلى بغداد وذهبت إلى داري في الكاظمية فأخرجت الرسائل ونفضت التراب عنها وهذبتها، فوجدتها خمس رسائل قيّمة قديمة في علوم شتى فدفعتها إلى التجليد، ولم تبرح في مكتبتي الخاصّة وعليها عبارة (من موقوفات مكتبة الروضة الحيدرية)".

ويذكر الشيخ الأميني أيضاً: "وأذكر جيداً أن الحاج عبد الهادي الجلبي بمناسبة وفاة الملكة عالية أقام في الصحن الكاظمي مجلس فاتحة دعا إليه من القاهرة أربعة قراء للقرآن على حسابه الخاص من بينهم المقرئ عبد الباسط عبد الصمد... وقبل مغادرة القراء العراق طلب الجلبي... من سادن الروضة الحيدرية آنذاك... ثلاث (كوفيات) ليمنحها للقراء كهدية... فأعطاه السادن من الخزانة ثلاثة كوفيات وبعث بهن إلى الجلبي وكانت ثمينات ونفيسات ومن المنسوجات المزركشة والموشاة بخيوط الذهب والفضّة... وقد بقي في هذه المكتبة الشريفة عدد صالح من المخطوطات فسعى الفاضل الشيخ محمد السماوي النجفي... في نقلها إلى حجرة من حجر الصحن الشريف وكانت فيها أوراق مبعثرة فجمع منها عدة كتب ورتبها... وقد زرنا هذه المكتبة الشريفة ورأينا ما بقي منها أهمها المصاحف الشريفة بعضها

مكتوب على الرق (الجلد) ومنسوب إلى خطوط الأئمة عليهم السلام وبعضها مكتوب على ورق الخشب الرقيق، ومنها مصحف منسوب إلى خط مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وتاريخ كتابته سنة (٤٠) رأيناه فيها في هذا السفر سنة ١٣٥٢ هـ...".

ويضيف أيضاً إلى ذلك قوله: "وحدثني أحد أولاد المرحوم الحاج مجيد الشكري العبايجي... في النجف وكان ضابطاً عسكرياً، قال: في سنة (١٩٥٨ م) وفي صبيحة ١٤ تموز، كنت مع الفريق الذي داهم قصر عبد الإله... ونور (كذا) فحين سيطرنا على قصر عبد الإله وأخذ الجيش ما أخذ من الغنائم، شاهدت كتاباً على الأرض فرفعته ووضعته في جيبي، وبعد أن عدت إلى البيت تصفحته فوجدته الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين عليه السلام... وقد كتب على رق الغزال، والسطور والخطوط مزدانة بماء الذهب، والنسخة نفيسة وقيمة وعليها عبارة (وقف خزانة الروضة الحيدرية) وتاريخها قديم جداً، أهديت للروضة من قبل أحد سلاطين إيران والآن لم تزل بمكتبتي أحتفظ بها وأعتز، وبعد توجهنّا إلى بيت نوري السعيد... ونهب الناس ما وجدوا فيه شاهدت في غرفة الاستقبال زولية كبيرة مصنوعة من الصوف ومطرزة ومزخرفة بالزخارف المتعددة الألوان من عناصر نباتية قوامها شجرة مرسومة بأسلوب طبيعي إلى حدّ كبير، وقد نشر حول الشجرة زخارف مكونة من أوراق وزهور وغصون تملأ الأرضية كلها وتشمل على اللون الذهبي والأحمر والأرجواني والأسود والأخضر وفي أسفل الشجرة مكتوب (هدية آستان قدس علوي) وما تمكن أحد من حملها وأخذها، وتمزقت تحت الأقدام وأتلفت. إلى غيره من القضايا والحكايات التي أحتفظ بها عن خزانة المرقد الشريف"^(١).

(١) خزانة الحرم الشريف وما بها من الهدايا والتحف. الشيخ محمد هادي الأميني. منشور ضمن موسوعة

وقيل أيضاً: بأن سبحة نادرة قدّمت من خزانة الروضة الحيدريّة عام (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) إلى (صدام حسين) تتكوّن من مائة وحدة من الأحجار الكريمة، وقد كتب عليها المصحف الشريف كاملاً.

ويحدد السيد هاشم الميلاني -خازن مكتبتها السابق والمفهرس لكتبها- التاريخ الذي تعرضت فيه الخزانة العلوية الشريفة لظلامه إهمالها الفظيع بعد أن بقيت "تؤدي دورها الثقافي بما تحويه من كتب في مختلف العلوم إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري. وبعدها تعرضت للإهمال وسوء التنظيم ما أدى إلى تلف معظم هذه المخطوطات بفعل التغيرات في العوامل الجوية كدرجة الحرارة والرطوبة فضلاً عن الغبار وعبث حشرة الأرضة"^(١).

كما قيل والعهد على القائل: إنّ بعض سدنة الروضة الحيدريّة في ظروف خاصّة أقدموا على بيع محتويات خزانة الكتب التي كانت تضمّ الآلاف من الكتب أثناء موسم الغلاء الذي عمّ البلاد ناهيك عن الإهمال الكبير في حفظ وإدامة نفائس الحرم العلوي الشريف التي لا تقدر بثمن، والله العالم.

وتعد "من الظلامات الكبيرة التي ارتكبت بحق الخزانة العلوية -كما نقل عن بعض العلماء الثقة- قيام بعض المسؤولين في زمن النظام البائد برمي أكياس كبيرة مملوءة بأوراق المخطوطات في شط الكوفة فوصل الحال بهذه المكتبة العريقة بتاريجها إلى حد التلاشي"^(٢).

ومن أجل الاطلاع على نماذج وأمثلة لهذا الإهمال الموجه للقلب والعقل

(١) مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد. سابق: ٦١-٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦١-٦٢.

والروح والضمير، أنقل أدناه نص ما كتبه الخبير المصري السيد محمد مصطفى الماحي في تقريره عن هدايا العتبات المقدسة حين دعت الحكومة العراقية لزيارة العراق سنة (١٩٣٧ م) بعد طلب من متصرف كربلاء، فمجلس الأمة العراقي، فرئيس الوزراء منذ عام (١٩٢٤ م) واستمر الطلب يدور في دوائر الدولة لأكثر من عقد حتى تمت دعوة الخبير المصري سنة (١٩٣٧ م) وذلك كي يصلح نظام الأوقاف العراقي. ورغم طول التقرير الذي قدمه عن مشاهداته المؤسفة لما وجدته من إهمال لخزائن العتبة العلوية الشريفة، فإني سأنقل أكثره لخطورته كما نشرته مجلة (الموسم) في عددها الخامس لستتها الثانية عام (١٩٩٠ م)، ونقلته عنها (موسوعة النجف الأشرف) في (الجزء الثالث) تحت عنوان (هدايا العتبات المقدسة) من دون أن أنقل مقدمات تقرير الخبير الطويلة وإشاراته إلى الكتب الرسمية باستدعائه من مصر، تجنباً للإطالة.

يقول الخبير في تقريره الفني: "أرى من واجبي أن أشير إلى الفرصة التي أتحت لي بزيارة العتبات المقدسة، وأخص منها بالذكر الروضة الحيدرية، فقد أبدت رغبتى الشديدة في أن أرى الآثار والهدايا غير الموضوعة في الخزانة الكبيرة المسدودة طبعاً، فرأيت في الضريح الطاهر قناديل عديدة من الذهب الخالص معلقة، كما رأيت قنديلاً ثميناً مرصعاً بالحجارة الكريمة معلقاً في أعلى الروضة، وتاجاً مرصعاً داخل المقصورة، وفي إمكان كل يد الوصول إلى هذه الأشياء لو شاءت العبث والتغيير، ورغبتُ في مشاهدة الأنواع التالية من الهدايا:

الأول: ما في الصندوق الذي بالروضة داخل المقصورة، وبه على ما علمت كثير من الماس والحجارة الكريمة في مصوغات مرصعة. وهذا الصندوق مفتاحه مع السادن، ولا رقيب عليه، ولا حسيب.

الثاني: قطع السجاجيد الأثرية الثمينة المخزونة.

الثالث: الكتب المحفوظة.

فأما الأول فرغم إلحاحي على السادن أكثر من مرة، ووعده المتكرر لي بتمكيني من ذلك، لم يف بوعده، وتهرب من تمكيني من رؤية ما في الصندوق، مع وجود فرص تسمح بذلك، ومع تكرار وعده لي، ومع علمه بمهمتي الرسمية التي بينها وضع نظم حفظ هذه الأموال العظيمة.

وأما الثاني فقد مكّنت من رؤيته، ولست أستطيع أن أصور مقدار ألمي وأسفي على ما وجدته من آثار الإهمال، وعدم تقدير ما لهذه الهدايا من القيمة العظيمة، فإن هذه القطع من السجاد المنسوجة من الخزّ والديباج نسجاً يعنى بمثله أهل هذا الزمان، وقطع الستائر المرصعة باللؤلؤ المنضود، وغير ذلك من المنسوجات التي يتنافس في مثلها الملوك وأصحاب الملايين، ملقاة في غرفة لا يزيد حجمها على ثلاثة أمتار في مثلها، لا تدخلها الشمس مطلقاً، وليس لها إلا نافذة صغيرة جداً مسدودة لا يدخلها الهواء، وهذه المنسوجات الثمينة مطوية وموضوعة في مكان رطب، يأكلها العث، ويعبث بها البلى والتلف، ولقد أمسكت بيدي بعض هذه السجاجيد الحريرية الجميلة فوجدت بها خروفاً من أثر أكل العث لها، ونفذت أصابعي من هذه الخروق، فشعرت بالحسرة على تلك الثروة الموكولة إلى من لا يقدرها، ولا يعنى بها.

وكذلك شأن الكتب، فإن بينها من المصاحف النفيسة التي مضت عليها عدة قرون ما هو جدير بأعظم الصون وأكبر التقدير، ولكن ذلك كله متروك في حجرة قام بتنظيمها أحد العلماء احتساباً لوجه الله، وليس هناك نظام يقضي بتدويرها،

وحصر المسؤولية عما يفقد منها، فضلاً عن أنها متروكة لرؤية ولمس كل وارد من الزائرين، مما يعرضها إلى التلف في أقرب وقت.

ولقد رأيت من بينها كتباً أخذت أوراقها تتناثر في يد من يلمسها مع أهميتها وقدمها ونفاستها، وليس من يقدرها حق قدرها... إلخ... تلك صورة مصغرة لما شاهدته... إلخ.

« وسائل الإصلاح

١. إعداد سجلات لقيد الأثاث الموجود... طبقاً للنموذج الذي وضعته.
٢. إنشاء سجلات لحصر الأثاث والهدايا الموجودة بالعتبات المقدسة، كل واحدة على حدة، بموجب التحرير الذي عمل بمعرفة اللجان المختصة بذلك.
٣. إعداد دفاتر للأصناف التي توجد بالمخازن... يكون من صحيفتين للوارد والصادر، على مثال دفتر الاستمارات، ليكون القيد والصرف بموجبه.
٤. أما مسألة الأثاث والهدايا في العتبات المقدسة، فإني أرجو بعدما وصفته من حالتها اتخاذ تدبير عاجل... بالعمل على حفظ هذا التراث والاستفادة منه... أقترح أن يقام بناء خاص بجوار الحضرة الحيدرية... يكون له منفذ خارجي غير متصل بالحضرة، وينشأ البناء على طراز حديث، تراعى فيه المتانة والقوة، ويعين له حراس أشداء مسلحون، وتوضع به هذه الآثار الثمينة بطريقة فنية تصونها وتحفظها، على أن يعهد في ترتيبها والإشراف الدائم عليها إلى لجنة خاصة يشترك فيها واحد أو أكثر من كبار علماء النجف، وأكبر موظف في السلطة الإدارية بها، وموظف الأوقاف فيها، والسادن وتعرض لأنظار المشاهدين

برسم خاص... على أن يصرف ما يجمع من ذلك في شؤون الحضرة... وفي إعانة طلاب العلم الديني... إلخ" (١).

هذا ما كان من وضعها المؤسف حتى (حزيران ١٩٣٧ م) تاريخ كتابة التقرير أعلاه. أما ما جرى في السنين اللاحقة حتى سقوط النظام البائد سنة (٢٠٠٣ م) فحدث عنه ولا حرج.

إن إخلال بعض السدنة بواجباتهم المناطة بهم في خدمة العتبات المقدسة وخزائنها وآثارها وتراثها القيم، تأتي في مقدمة الأسباب التي أدت إلى سعي المرجعية العليا لاستصدار قانون العتبات المقدسة والمزارات الشريفة لسنة (١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م) من قبل (الجمعية الوطنية العراقية) بعد سقوط النظام البائد، ذلك القانون النافذ ليوم الناس هذا. علماً بأنني كنت عضواً في الجمعية الوطنية العراقية المنتخبة من الشعب، ومن الساعين حينها بنشاط ودأب لتشريع هذا القانون الذي يرى الجميع آثاره الإيجابية الكثيرة وخاصة ما قامت وتقوم به العتبات المقدسة: العتبة العلوية في النجف الأشرف، والعتبتان الحسينية والعباسية المقدستان في كربلاء، والعتبة الكاظمية المقدسة في الكاظمية، والعتبة العسكرية المقدسة في سامراء، وما تنجزه غير العتبات الطاهرة من المساجد المقدسة ومراقد الأئمة الأطهار وأولادهم وإدامة الحسينيات المنتشرة في عموم العراق كثير.

(١) هدايا العتبات المقدسة. الخبير محمد مصطفى الماحي المصري. موسوعة النجف الأشرف: ٤٤٩-٤٥٥.

علماً بأنني حذفت ثلاث نقاط خاصة بشعبة الحسابات مما ذكره لعدم جدواها حالياً خشية الإطالة.

« خسارة علمية من نوع مختلف تعرضت لها العتبة العلوية المقدسة وأصابته علم الآثار - سواء في النجف الأشرف أم العراق - إصابة بالغة، تلك هي عدم التنقيب الأثري خلال عمليات التعمير أو التعديل أو التوسعة أو الصيانة أو التأهيل في المرقد العلوي المطهر بسبب عدم الاحتفاظ بالتراث العماري لكل ما أزيل من الحضرة العلوية الشريفة والصحن العلوي الطاهر، ولكل ما ألحق بهما لترميم أو للتوسعة أو للتحديث أو لغيرها، قديمة كانت أو حادثة.

فمن القديم ما أورده صاحب كتاب (معارف الرجال) من نبش وهدم الجهلة الطائفيين بقرار من حكام العراق العثمانيين قبوراً ملكية شيدت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي في باحة الصحن العلوي الشريف، رغم رفض المرجعية، مزدانة تلك القبور والمدافن التراثية بالكاشي الفاخر الأزرق كالفسيساء وبألوان ناصعة وطرز حسن، وجدران مصفحة بالكاشي المنبت بالأوراد والأشجار، وسرداب واسع جداً، بابه ودرجه من حجر أبيض شفاف ثمين مصقح، كما سيأتي ذكره خلال الحديث عن مدافن السلاطين الإيليخانيين^(١).

ومنه الخسارة التراثية الجسيمة فيما رواه الشيخ حرز الدين أيضاً بقوله: إن "الذي وقفنا عليه والمعروف أيضاً أن قبر عضد الدولة في أقصى الدهليز تحت الباب الثانية مما يلي مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، ويمتد الدهليز من الباب الأولى حتى تحت عتبي الباين اللذين منهما مدخل الروضة المطهرة زادها الله شرفاً وقداًسة، وفي جنبتي الدهليز يمناً الداخل ويسراه من الباب الأولى الشرقية ستة عشر دهليزاً تمتد على خط القبلة ثمانية ثمانية، وباب هذا السرداب الأولي (كذا) من زاوية إيوان

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

الذهب جهة القبلة، وكانت له باب مأثورة تفتح عند الحاجة وتبنى، ثم طرأت تغيرات كثيرة على هذه الآثار في الدور العثماني في العراق بحيث لا يوجد لأكثرها أثر ولا عين^(١). وسيأتي الحديث عن قبر السلطان عضد الدولة البويهى وما على جدته لاحقاً.

ومنه ما رواه الشيخ جعفر محبوبة بقوله: "كانت الحضرة المطهرة مبنية بالحجر القاشاني ولم توجد فيها هذه المرايا الملونة والنجارة البديعة وكلها حدثت بعد عصر الشاه صفي، وبها انطمس أكثر التاريخ القديم لعمارة الحضرة المعظمة، وأقدم أثر موجود بها أدركته ما هو مؤرخ سنة (١١٢١هـ / ١٧٠٩م-). ولما قلعوا الكتابات المحيطة بالروضة المقدسة من داخلها، العليا والوسطى والسفلى، ذهب هذا التاريخ ولم يعد. هذه الكتيبات الثلاث كانت من الحصص مصبوغة بألوان الصبغ الزائل فأبدلت بالحجر القاشي الثمين الجيد... سنة (١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م-)...".

ويضيف قائلاً: "الحضرة سقفها مزان بالفسيفساء وجدرانها بالزجاج الملون ذي الأشكال الهندسية المختلفة، وأعلى الجدران ملون بألوان مختلفة ومكتوب فيه السور القرآنية الصغيرة والأحاديث الشريفة، ولم يعلم البازل لها غير أن بعضها يرجع تاريخه إلى زمن (النادر) - نادر شاه سلطان إيران - ويوجد في الحرم من جهة الرأس الشريف في الدعامة التي تكون مقابلة للقبلة بيت تأريخ يوافق سنة (١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م-)... وهو تاريخ لوضع المرايا الموجودة عند الرأس الشريف، قلع مع الزجاج ولم يعد"^(٢).

ومن تلك الخسائر التراثية الفادحة أيضاً ما نقله الشيخ جعفر محبوبة متحدثاً

(١) معارف الرجال. سابق: ٢٣٨ - ٢٣٩. هامش رقم ٢.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٧٠ / ١ - ٧١.

عن جدران الصحن الشريف بقوله: "وقد طرأت تبديلات كثيرة على الحجر الكاشي بعد زمن النادر^(١) ضاع أكثر تاريخها بالعمارة الموجودة اليوم الواقعة سنة (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م-) ولم يبق منها إلا القليل. منه ما هو موجود في إيوان العلماء يرجع تاريخه إلى سنة (١١٦٠هـ / ١٧٤٧م-) وهو قصيدة مع أبيات عربية واسم الناظم والكاتب... ومنه ما يوجد في الإيوان الكبير المواجه للقبلة تحت الميزاب الذهبي وهي قصيدة موقّعة باسم كاتبها كمال الدين حسين كلستانه ومؤرخة سنة (١١٥٧هـ / ١٧٤٤م-) المتفق مع زمن النادر مع أبيات آخر... ومنه ما يوجد في الإيوان الكبير القبلي الذي دفن فيه العلامة المجاهد السيد محمد سعيد جبوبي مع جملة من العلماء... وقد كتب بالحجر القاشي في هذا الإيوان ما نصه: (قد تم بالملك الأقدس الأمجد بنظر عبد من عبيد تلك الحضرة أحمد^(٢) سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م-) "^(٣).

ومن الخسائر الفادحة المعاصرة، بل "من المفارقات فإن مشروع التوسعة - خلال إضافة الصرح المعماري الكبير لتوسعة الصحن العلوي الشريف من أجل استيعاب زائريه وراحتهم وهو بحق مما تفخر به العتبة - قد تم على أرض مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة المجمع الحالي، كانت لحي العمارة الذي كان موجوداً إلى النصف الثاني من القرن الماضي، فتم حفر أساساته على كامل المساحة الجديدة أي (٣٤٠م طول و ١٣٠م عرض وبعمق بين ١٠-١٥م)، أي تم إزالة تربة بحجم

(١) النادر هو سلطان إيران نادر شاه وزمن تعميره هو سنة ١١٥٦ هجرية. كما تقدم.

(٢) أحمد هو أحمد النواب "الذي جاء إلى النجف وبذل أموالاً طائلة لصنع الحجر القاشي في الصحن الشريف يوجد بعضه اليوم في هذا الإيوان وبعضه على دعامة الطاق للصحن الشريف على يسار الداخل منه من

الباب الشرقي" (ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٨٦).

(٣) المصدر السابق نفسه: ١ / ٨٤ - ٨٦.

يتراوح بين (٤٤٢٠٠٠ إلى ٦٦٣٠٠٠ متر مكعب) دون أي مهمة تنقيب أثرية^(١)، هذا إضافة إلى عدم الاحتفاظ بالتراث المعماري لكل ما تمّ هدمه أو إعادة إعمارهِ أو صيانته أو تأهيله في الصحن العلوي الشريف، وما ألحق به من أجل توسعته، ولم يحتفظ بترائهُ المعماري السابق، وكلاهما خسارة لا تعوّض.

وباختصار فخلال "جميع مشاريع التأهيل والصيانة تم أغلب الأحيان استخدام أسلوب معين بصورة متكررة، ألا وهو إزالة العنصر أو المبنى الذي تتم صيانته واستبداله بمبنى جديد. إن فكرة الحفاظ على مبنى معين والعمل عليه بإصلاحه أو استبدال أجزاء معينة منه بدون هدمه بصورة كاملة غير موجودة في عدة حالات... للأسف بقايا التكية قد اختفت اليوم والتي وفقاً لسعاد ماهر فقد تم بناؤها في القرن الرابع عشر -الميلادي- وتم استيعابه وتطويره لأسلوب العمارة الصفوية خلال مشاريع التأهيل المتتالية. بجانب هذه الخسارة حدث شيء مشابه لبناية المدرسة الغروية حيث تم إعادة بنائها من جديد. إن طريقة العمل بهذا الأسلوب من إعادة التأهيل هو تماماً عكس ما يجب أن يحدث للحفاظ على المباني القائمة... كما وانبثقت مشكلة أخرى ألا وهي عدم وجود أي عملية تنقيب أثرية متزامنة مع تلك المشاريع... ما حدث هو ليس فقدان جزء من هوية الضريح فقط، بل جزء من تاريخه الذي قد اختفى إلى الأبد".

ويضيف الباحث المعماري: "إذا أخذنا الناحية الأثرية يمكن توقع وجود أربع أو خمس طبقات أثرية على الأقل لا نعرف عنها أي شيء تقريباً لكون أوصاف المراحل المعمارية السابقة مبنية على مصدرين الأول هو الرحالة... أما المصدر الثاني

(١) التطور العمراني للمرقد الشريف. تراث جميل للهِوف: بحث منشور ضمن بحوث كتاب: النجف تاريخ

فهو رجال الدين الذين كتبوا وصفاً لمناسبة معينة يذكر اسم الشخصية الذي أمر بعمل مشروع ما وتاريخه، ولكن هذا الشعر عادة ما يكتب على الكاشي أو مواد أخرى، وبالتالي بتتابع مشاريع الصيانة والتأهيل نفقد أثر تلك الكتابات بإبدال الكاشي أو تكسيه عبر الزمن لذلك... وبعد مرور فترة من الزمن نصل إلى مرحلة نمتلك فيها أبياتاً عديدة مكتوبة في الكتب، وذات موقع تقريبي في الضريح^(١) مع الأسف الشديد.



(١) التطور العمراني للمرقد الشريف. سابق: ٧٩ - ٨١.



الفصل الرابع

بركات الحضرة العلوية الشريفة
وفيوضاتها الملهمة



يلاحظ المتتبع لتراجم الكتاب والمؤلفين من أتباع أهل البيت عليه السلام على اختلاف تخصصاتهم، بل والشعبة عموماً من سبق منهم ومن لحق، حبهم وولعهم بالتوجه إلى زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وشغفهم بحطّ عصا الترحال عنده، وولعهم بمجاورته وحرصهم على ارتشاف العلم بحضرته، والتزوّد من معين قربه، والتولّيه بلذيد مناجاته، فتستقرّ بذلك أرواحهم، وتهدأ قلوبهم، وتصفو وتنقى نفوسهم، وتسكن هواجسهم، متنعمّة بسلام دافئ، مغمورة بنعمى الوصال، آمنة هائلة مطمئنة.

لذا نجد أتباع أهل البيت عليه السلام يتباهون فيما بينهم بزيارة المرقد العلوي، فكيف إذا حطّوا قاطنين بجواره الشريف للتزوّد من بهائه وارتشاف مناهل العلم والعرفان الحقيقي من لذيد قربه، متمثّلين الطريقة المثلّي التي خطّها بعلمه وعمله، مقتدين بسيرته وسنته متولّين بخالص عبادته ولذيد مناجاته التي كان لها الخطوة عند العلماء والعارفين، أولئك الذين وقفوا عند أعتابه متوسّلين إلى الله تعالى أن يمنحهم منه (جلّ وعلا) القبول والرضا واستجابة الدعاء وتحقيق المطالب في هذه البقعة الطاهرة.

لقد أخبرني سماحة المرجع الشيخ (بشير النجفي) دام ظلّه^(١) أحد مراجع التقليد في حوزة النجف الأشرف الحاليّة أنّه أشار إلى شرافة حوزة النجف الأشرف في كتاب له حيث قال: إنّ تلك الشرافة ترجع إلى كونها تزدهر في رحاب وأحضان ولي الله الأعظم عليه السلام، يستنشق أربابها الهواء المتفاعل بقبة باب مدينة العلم،

(١) بحار الأنوار. المجلسي: ٤٠ / باب ٩٤ من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام.

ويتسلّمون ضريحه المقدّس وهم يعبون عبر العلم من سيّد الأوصياء وأبي الأئمّة النجباء وخير الخلائق بعد النبي ﷺ، ومعلوم أنّ الهواء الذي يتفاعل بقبّة سيّد الأوصياء، ويمرّ من خلال شبّاك ضريح أبي الأئمّة وباب مدينة العلم لا يوجد مثله في أيّ منطقة من العالم، والغبار الذي يتكوّن ويثار في أزقة النجف التي احتضنت أجساد الآلاف بل الملايين من شيعة أهل البيت ﷺ، والجمع الغفير من علماء الفقه الجعفري، لا يوجد نظيره في العالم، فالذرة من هذا الغبار الذي نتشرّف بوقوعه على أجسادنا وعلى وجوهنا وتكتحل به عيوننا ما يدرينا لعلّه جزء من صدر عالم أو رأس مفكّر، أو قلب عابد متولّه بحبّ الله وأمثال ذلك.

ويستدلّ المرجع على فريدة حوزة النجف الأشرف المجاورة لباب مدينة علم الرسول ﷺ وتميّزها عن غيرها بقوله: ولقد ثبت أنّه ﷺ والأئمّة ﷺ يعرفون من يزورهم ويردّون على من يسلم عليهم، وإنما حجت أسماعنا عن أن نحسّ وندرّك ردّ سلامهم علينا.

وعلى هذا الأساس قول رسول الله ﷺ في حقّ علي بن أبي طالب ﷺ «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»^(١)، وفي لفظ آخر: «أنا خزانة العلم وعليّ مفتاحه فمن أراد الخزانة فليأت المفتاح»، وفي ثالث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليقتبس من عليّ».

وقال ﷺ في علي ﷺ: (خازن علمي) وتارة (عينة علمي)^(٢)، فيما أنّ فيوض أمير المؤمنين ﷺ لا تختصّ بحياته الظاهرية، فحكم النبي المذكور في هذا الحديث

(١) ستبقى حوزة النجف رائدة حوزات العالم. سابق: ٣٤-٣٦.

(٢) القصص العرفانية. رضا محمد حدرج: ٢٦٥.

يَعْمَ ما بعد شهادته عليه السلام، فعليه ليس هناك طريق أقرب وأمن وأضمن للوصول إلى علم الدين من اللجوء إلى أمير المؤمنين عليه السلام والاحتفاء بقبره، والانتفاء إلى الحوزة النجفية الشريفة المحتمية بجواره المقدس^(١).

ويدلّل غيره من العلماء على ذلك بكثرة المجتهدين والمحصلين الذين تخرّجوا من هذه التربة على مدى القرون فحازوا قصب السبق في العلم والفضيلة وتميّزوا عن العديد من أقرانهم في حوزات علمية أخرى، وهو ما لا يتناسب مع حجم النجف الأشرف وحوزتها العلمية من جهة، وشدة الضغوط السياسية عليها على مدى قرون وقرون لتحجيمها والقضاء عليها وإطفاء وهجها العلمي من جهة أخرى.

كما يدلّلون على ذلك بتفرّدها العالي في علومها وبحوثها دقة وعمقاً وأصالة على مدى قرون وقرون، رغم وحدة المناهج الدراسية المقررة فيها وفي غيرها من الحوزات العلمية الأخرى المنتشرة في شرق الأرض وغربها.

ولقد اعتاد العلماء وطلّاب الحوزة منذ قرون وقرون أن يدرّسوا أو يدرّسوا في الصحن العلوي الشريف لأسباب عديدة منها: طمعهم بما يضيفه المكان وجوّه الخاص من روحانية وشفافية تعين على تفتح الروح والقلب من جهة، والعقل والذهن من جهة أخرى لتقبل الفيوضات الروحية والعلمية كليهما والاستزادة منهما، وهناك العديد من الشواهد على أثر القرب المكاني في تفتح العقل والقلب، من ذلك ما ورد من أنّ المرجع الشهيد السيّد محمد باقر الصدر رحمته الله قال^(٢): التزمت

(١) من أمثال: رسالة في آداب المجاورة (مجاورة مشاهد الأئمة عليهم السلام) للميرزا حسين الطبرسي. ترجمة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

(٢) مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد السيّد هاشم الميلاني: ٣٣.

بداية دراستي في الحوزة العلميّة أن أقدم كلّ ليلة بمراجعة دروسي والتفكير في المسائل العلميّة عند ضريح الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، نظراً إلى الجوّ الروحي هناك، حيث يساعد على فهم العلم، ويلهمني حلول المسائل الصعبة فيه.

كما نقل عن المرجع الشهيد الشيخ عليّ الغرويّ رحمته الله قوله: "إنّ مجاورة أمير المؤمنين عليه السلام لها بركاتٌ وآثارٌ معنويّةٌ جليّة، إنّ تلامذة سقراط بعد وفاته كانوا إذا أشكّلت عليهم مسألةٌ يتذكرونها عند قبره فتتحلّ لهم.

وإذا صحّ ذلك في حقّ سقراط فما بالك بباب مدينة العلم الإلهي مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)؟!

إنّنا لا نتوقع أن يكون حالنا كحال السيّد المرتضى علم الهدى رحمته الله، حيث كان يُلقى المسألة إلى جدّه أمير المؤمنين فيسمع الجواب من داخل المرقد الطاهر، ولكنّنا نعتقد (عن تجربة) أنّ مُعضلات المسائل العلميّة تنحلّ بسهولة عند ضريحه المقدّس".

ولا زلت أشاهد بين الفينة والأخرى خلال تشرّفي بزيارة الحرم العلوي المطهر سابقاً ولاحقاً وجود من يجلس من الأساتذة أو الطلبة ليقراً أو لباحث أو ليكتب أو ليدوّن أو ليحاضر أو ليستمع كان آخرها في منتصف شهر رمضان الماضي من ستتنا الحاليّة.

فقد قصدت الحضرة العلويّة الشريفة في سحر ذلك اليوم كعادي، وكانت الحضرة هي الأخرى كعادتها مكتظة بالزوّار والمتهجّدين والمتعبّدين والمستغفرين بالأسحار، وما إن حشرت نفسي بينهم حتّى لفت نظري أحد المشايخ من طلبة العلم أمامي يحمل بيده كتاباً فقهياً يقرأ فيه المسائل الشرعيّة خلافاً لكلّ الآخرين الذين يقرؤون القرآن أو الدعاء أو الزيارة، فلم أعر لها شأده منه التفاتاً، وإذ

تكرّر ذلك منّي ومنه تطفّلت فسألته عن سبب قراءته للكتاب الفقهي في هذا المكان المخصّص للذكر والصلاة وقراءة القرآن الكريم وكتب الأدعية والمناجاة، فأجابني الشيخ بثقة بأنّي إذا صعبت عليّ مسألة معقّدة أو غمض عليّ مطلب علمي قصدت الحضرة العلوية الشريفة حاملاً معي ما تعقّد عليّ فهمه، فأزور أولاً وأدعو وأقرأ وأتأمل في المشكل الذي جئت لحله فيفتح أمامي رتاج ما أغلق عليّ فهمه من صعوبة المسألة قبلاً، وتنقشع عني سحب غموضها فأستريح وأسرّ.

وإذ وجد العلماء والطلّاب ذلك، وجد العارفون في المكوث والمجاورة والسكنى بالنجف الأشرف معاني روحانيّة تسمو بها ذات الإنسان في درجات عالية من الوله والنسك والذكر وكمال التعبّد والدله بقدر ما يتوصّلون إليه من فيوضات وبركة باب مدينة العلم والحكمة الإلهيّة والإلهام الروحي والعرفاني.

ومن أجل ذلك فقد اهتمّ روّاد المعرفة والسلوك بالورود وإغناء مسيرتهم في التهذيب والمراقبة بالمجاورة منذ القدم، مثلما اهتمّ غيرهم من العلماء والكتّاب والمؤلّفين بنعيم مجاورة الحضرة العلوية المطهّرة فكتبوا وألّفوا ونظموا قربها وأشاروا إلى ذلك في مؤلّفاتهم وكتبهم ودواوينهم، معتزّين بذلك الأثر، ذاكرين فضله، منوّهين موضحين شارحين مبينين، بل أنّ بعضهم ألّف رسالة في آداب المجاورة^(١) وما تقتضيه للمجاور من منهج عمل وبرنامج إعداد وتهيئة، يعينه سعة إنائه وقدر طاقته على الاعتراف من بركاتها وفيوضاتها، كلّ بحسبه.

ولا يسعني استيعاب ذكر من جمع بين التنعم بالمجاورة والتأليف كليهما معاً في آن واحد مع تصرّحه بذلك في كتاباته وأحاديثه، كما لا يسعني إبداء رأي فيمن

(١) مكتبة الروضة الحيدريّة جهود وجهاد. السيّد هاشم الميلاني: ٣٣.

كتب عن أثر المجاورة على مجاورته أو تأليفه لكتبه؛ لأن ذلك خارج عن نطاق عملي كواصف لما وجد من إشارات لذلك عندهم، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه.

إذا تمّ لي ذلك فإنّ بحثي الوصفي عن المجاورين المدوّنين لأثر المجاورة عليهم قد انتهت بي إلى وجود أنماط متعدّدة منها يمكنني تصنيفها إلى ستّة أنماط متدرّجة هي:

أولاً: أن يشير المؤلّف أو الباحث إلى كتابة مؤلّفه أو الإجازة برواية الكتاب أو الكتب جوار الحضرة العلويّة المطهّرة تبرّكاً وتيمّناً واعتزازاً بذلك.

ثانياً: أن يحمل الكاتب مؤلّفه قاصداً الحضرة العلويّة المطهّرة ليتلوّه هناك تشرفاً وتيمّناً بها.

ثالثاً: أن يشير المؤلّف إلى شمول كتابه ببركات مجاورة الحضرة العلويّة وفيوضاتها عليه متى ما كان الكتاب مرضياً؛ لأنّ كتابته تمتّ إلى جوار باب مدينة علم الرسول ﷺ.

رابعاً: أن يشير الكاتب إلى شمول كتابته ببركات المجاورة مطلقاً.

خامساً: أن يشير المجاور إلى فيوضات الحضرة العلويّة عليه وإلهامها له خلال مجاورته، ولولا فيض المجاورة لما اهتدى إلى ما اهتدى إليه من إشراقات وانقذاحات، ولما انشرح قلبه بنور الحقيقة إذ انشرح.

سادساً: أن يسترشد الكاتب أو المجاور أو الزائر أو ما شاكل فيوضات الإمام علي عليه السلام حاضراً ومستقبلاً.

وسأسوق لكلّ منها شاهداً أو أكثر على ما أقول، آملاً أن تتاح لي أو لغيري فرصة بحث أوسع، واستقصاء وقراءة وتحليل أشمل.

النمط الأول: أمّا الشواهد على هذا النمط فكثيرة وذلك لأنّ المؤلفين والمجيزين كانوا يقصدون الأماكن المقدّسة للابتداء بالتأليف أو الانتهاء ممّا كتبوا وألّفوا ولو راجعنا كتب الرجال والتراجم والبليوغرافيات لرأينا كثرة الكتب والإجازات التي تمّ تأليفها أو نسخها أو روايتها في الروضة العلوية المطهّرة تبرّكاً وتيمناً بالمجاورة^(١).

وفيما يلي بعض من هذه الكتب التي تمّ تأليفها أو نسخها أو قراءتها أو إجازة روايتها في الروضة المطهّرة.

فمن نماذج ما كان منها في القرن الرابع الهجري ما قاله النجاشي في ترجمة الحسين بن أحمد البوشنجي من أنّ أبا عبد الله بن الخمري الشيخ الصالح أجازه رواية كتاب (عمل السلطان) للبوشنجي في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في سنة أربعمائة^(٢).

ومن نماذج ما كان منها في القرن الخامس الهجري: ما أملاه الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) من كتابه الأمالي.

ومن نماذجها كتاب (التيان) في تفسير القرآن للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، فقد استنسخه هبة الدين عليّ بن محمّد الموصوف بـ(المالكي)، وفرغ منه في (العشر الأخير من رجب ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) في مشهد الغري^(٣).

ومنها كذلك: كتاب (التازي) لمحمد بن علي العلوي فقد جاء في أسانيده:

(١) ينظر: رجال النجاشي: ٦٨.

(٢) طبقات أعلام الشيعة (النابس في القرن الخامس): ٣٢.

(٣) خاتمة مستدرك الوسائل ١: ٣٧١.

(أخبرني الشيخ الجليل العفيف أبو العباس أحمد بن الحسين. قال: حدّثنا الشيخ الأجلّ الأمير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن قال: حدّثنا الشريف النقيب أبو الحسين زيد بن الناصر الحسيني في شوال من سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام)^(١).

ومن نماذج ما كان منها في القرن السادس الهجري ما جاء في أسانيد كتاب (بشارة المصطفى) قال: أخبرني بقراءتي عليه في المحرم سنة ست عشرة وخمسمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام)^(٢).

وورد في أسانيد (كتاب سليم بن قيس الهلالي): (حدّثني الشيخ الأمين العالم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن طحال المقدادي المجاور، قراءة عليه بمشهد مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه سنة عشرين وخمسمائة)^(٣).

وجاء في كتاب (المزار): أخبرنا الشيخ الفقيه العالم، عماد الدين محمد ابن أبي القاسم الطبري قراءة عليه وأنا أسمع في شهور سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه)^(٤).

ومن نماذج ما كان منها في القرن السابع الهجري كتاب (شرح شافية ابن الحاجب): لرضي الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي فقد جاء في آخر النسخة: (وفق الله لإتمام تصنيفه في ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالحضرة الشريفة المقدّسة الغروية على مشرفها أفضل التحية والسلام)^(٥).

(١) خاتمة مستدرک الوسائل ٣: ١٦.

(٢) البحار ١: ٧٦.

(٣) خاتمة مستدرک الوسائل ٣: ٣١.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٣٣٤.

(٥) شرح نهج البلاغة. سابق: ١: ٢٢ مقدّمة المحقّق.

وكتاب (نهج البلاغة) فقد ذكر محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، أنه اعتمد في تحقيق نصّ كتاب نهج البلاغة على نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة طلعت بدار الكتب المصريّة برقم (٤٨٤٠ أدب)، وهي نسخة خزائيّة نفيسة، جاء في آخرها: (تمّ الكتاب بالحضرة الشريفة المقدّسة النجفيّة بمشهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أخي رسول الله. وكتبه وذهبه الحسين بن محمد الحسني في شهر سنة اثنتين وثمانين وستمائة)^(١).

ومنها كذلك ما أورده (ابن عنبه) من أنّه قرأ على الشيخ مجد الدين محمد ابن النقيب علم الدين علي بن ناصر طرفاً من كتاب (الكافية الحاجبيّة) حينما كان قيماً على المشهد الغروي ونقيباً له، علماً بأنّ النقيب مجد الدين محمد قد توفّي وهو نقيب سنة (٦٤١هـ / ١٢٣٣م) وهو الذي تلا الزيارة للخليفة العبّاسي المستعصم عندما جاء إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام زائراً ومودّعاً والدته في ذهابها إلى حجّ بيت الله الحرام سنة (٦٤١هـ / ١٢٣٣م)^(٢).

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف: ٢ / ١٧٦.

(٢) من أمثال كتاب خلاصة الأقوال تأليف العلامة الحليّ، كتب منه نسخة عليّ بن محمد ابن عليّ الحافظ الطبري في المشهد المقدّس الغروي، وفرغ منها (أوائل ذي القعدة سنة ٧٤٧هـ). وكتاب الألفين تأليف العلامة الحليّ، استنسخه فخر الدين محمد ابن المؤلّف، وفرغ منه (١٧ ربيع الأوّل سنة ٧٥٤هـ) بالحضرة الشريفة الغرويّة، عن نسخة أبيه المصنّف، ومؤلّفات المولى ركن الدين كتب السيّد حيدر الأملي بخطّه بعض تصانيف المولى ركن الدين محمد بن عليّ بن محمد الجرجاني الذي فرغ من تصنيفه (٧٢٠هـ)، وفرغ السيّد حيدر الأملي من استنساخها (٧٦٢هـ) في الغري في المدرسة المرتضويّة، والتصريح في شرح التلويح إلى أسرار التنقيح تأليف ابن العتائقي الحليّ، ذكر أنّه فرغ منه في المشهد الغروي سرار شعبان سنة أربع وسبعين وسبعائة. (ينظر: مكتبة الروضة الحيدريّة جهود وجهاد. سابق: ٣٦ وما بعدها).

ومن نماذج ما كان منها في القرن الثامن الهجري وهي كثيرة^(١) منها: كتاب (الأبحاث في تقويم الأحداث) في ردّ الزيدية وإثبات إمامة الأئمة الاثني عشر، وإثبات الغيبة وردّ شبهاتها) للمولى ركن الدين محمد بن عليّ الجرجاني الغروي ألفه بالغري وفرغ منه بالحضرة العلوية في يوم الجمعة الثالث من جمادى الثانية سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٨م)^(٢)، وكتاب (تحصيل النجاة) في أصول الدين لفخر المحققين ابن العلامة الحلّي ألفه باسم تلميذه ناصر الدين حمزة بن حمزة بن محمد العلوي الحسيني، وفرغ منه في الحضرة الغروية في (آخر نهار السبت ٢٤ رجب ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)^(٣).

وكتاب (منية اللبيب في شرح التهذيب) للعلامة الحلّي والشرح لعبد الله ابن محمد بن عليّ بن الأعرج الحسيني، فرغ من تأليفه (١٥ رجب سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) بالحضرة الشريفة الغروية^(٤).

ومن نماذج ما كان منها في القرن التاسع الهجري كتاب (معالم الدين في فقه آل ياسين) تأليف شمس الدين محمد بن شجاع القطان الأنصاري الحلّي نسخة منه بخط أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم ابن^(٥) عليّ بن متّوج، كتبها عن خطّ المؤلّف في حياته وفرغ منه (١٠ شعبان ٨٣٢هـ / ١٣٣٥م) في الحضرة الغروية^(٦).

(١) الذريعة. سابق: ١: ٦٣.

(٢) الحقائق الراهنة: ٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ٦٥.

(٤) أعيان الشيعة ٨: ٦٩.

(٥) هكذا وردت في النصّ، والصحيح (بن).

(٦) الذريعة ٨: ١٩٩.

وكتاب (المجلي مرآة المنجي) وهو شرح مسالك الأفهام في علم الكلام لمحمد بن علي بن أبي جمهور الاحسائي، شرح فيه رسالته المسالك، وذكر حاشيتها النور المنجي، وفرغ من تسويده في (أواخر شهر جمادى الأخرى^(١)) سنة خمس وتسعين وثمانمائة) بالمشهد العلوي الغروي^(٢).

ومن نماذج ما كان منها في القرن العاشر الهجري وهي كثيرة^(٣) منها: كتاب (حاشية الكركي على القواعد) قال الشيخ أغا بزرك في ترجمة محمد الأسترآبادي تلميذ المحقق الكركي: وقد كتبه بخطه مجداً من حاشية الكركي على القواعد للحلي في الحرم المقدس المرتضوي، وفرغ منه (أواسط شوال ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)، وقد كتبها عن نسخة خط المصنف نسخة الأصل^(٤).

ومنها: (الاثنا عشرية) في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام للسيّد فضل الله بن محمد الحسيني، ألفه باسم الملك نظام الدين وقال في آخره: رسم أحقر عباد الله الغني فضل الله بن محمد الحسيني، هذه الأحاديث العظام في أواسط شهر رجب الحرام بمشهد مولانا علي عليه السلام لسنة خمس وأربعين وتسعمائة^(٥).

ومنها كذلك: (حاشية على تهذيب المنطق للعلامة التفتازاني)، المعروفة اليوم بحاشية ملا عبد الله، فرغ منها مؤلفها الملا عبد الله اليزدي سادن المرقد العلوي الشريف: في (أواخر شهر ذي القعدة سنة ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م) في المشهد الغروي المقدس^(٦).

(١) هكذا وردت في النص، والصحيح (الآخرة).

(٢) كشف الحجب والأستار: ٤٨٨، الذريعة ٢٠: ١٣.

(٣) ينظر كتاب: مكتبة الروضة الحيدرية. سابق: ٣٨-٣٩.

(٤) طبقات أعلام الشيعة (إحياء الدائر): ٢٠٦.

(٥) الذريعة ١: ١١٨.

(٦) معارف الرجال. سابق: ٧ / ٢.

واستمرّ الحال على هذا المنوال، بل ازداد في القرون اللاحقة حتّى قرننا الحالي، فلا زال العديد من المؤلّفين المعاصرين المتشرّفين بالمجاورة يشيرون في كتبهم ومؤلّفاتهم إلى كتابتها بجوار الحضرة العلويّة المطهّرة تبرّكاً وتيمّناً.

فمن نماذج ما كان منها في القرن الحادي عشر الهجري: (إجازة المحقّق الثاني علي بن عبد العالي الكركي لأحمد بن محمد بن خاتون العاملي ولولديه) في سنة (١٠٣١هـ / ١٦٢٢م) وقد كتبها في المشهد الغروي^(١).

ومن نماذج ما كان منها في القرن الثاني عشر الهجري: كتاب (الرسالة الرضاعيّة) للشيخ أبي الحسن بن محمّد طاهر بن عبد الحميد ابن^(٢) (بن) موسى الفتوني النباطي الأصفهاني ذكر فيها أنّه ألّفها وفرغ منها في مشهد الغري (أواخر محرّم من سنة ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م)^(٣).

ومن نماذج ما كان منها في القرن الثالث عشر: كتاب (اليقين) للسيد ابن طاووس، استنسخه المحدث النوري لنفسه، جاء في الصفحة الأولى من الكتاب: (وأنا المذنب المسيء حسين بن محمّد تقي ابن^(٤) (بن) عليّ محمّد بن تقي النوري الطبرسي في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)^(٥).

ومن نماذج ما كان منها في القرن الرابع عشر الهجري ما اختتم به المرجع الأعلى في وقته السيّد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) مباحث (أحكام الأموات)

(١) تكملة أمل الآمل. السيّد حسن الصدر: ١٠٠.

(٢) هكذا وردت في النصّ، والصحيح (بن).

(٣) الذريعة ١١: ١٨٩.

(٤) هكذا ورد في النصّ، والصحيح (بن).

(٥) اليقين: ٢٣، مقدّمة المحقّق.

من موسوعته الفقهيّة (مستمسك العروة الوثقى) بقوله: إلى هنا انتهى الكلام في مباحث أحكام الأموات في النجف الأشرف بجوار الحضرة المقدّسة العلوية على مشرّفها أفضل الصلاة والسلام، في (أواخر السنة الخمسين بعد الألف والثلاثمائة هـ)^(١).

ومن نماذج ما كان منها في قرننا الحالي: ما اختتم به مؤلّف كتاب (مكتبة الروضة الحيدريّة جهود وجهاد) كتابه بقوله: (تمّ في صباح يوم الأربعاء ٢٦ جمادى الثانية عام ١٤٢٨ هـ، المصادف ١٢ / ٧ / ٢٠٠٧ م، وأنا بجوار أمير المؤمنين في مكتبة الروضة الحيدريّة)^(٢).

هذا ما كان من شواهد على النمط الأوّل، تآليف وإجازات، وهي أكثر الأنماط شيوعاً وامتداداً على مساحة الزمن، لذلك فقد أفردت لهذا النمط مساحة واسعة متبّعاً إياها قرناً هجريّاً فقرناً.

النمط الثاني: أمّا الشواهد على النمط الثاني المتعلّق بحمل الكاتب لكتابه وتلاوته في الحضرة العلوية المطهّرة تيمناً وتبرّكاً رجاء القبول والمثوبة، فسأكتفي بسوق مثال أثبتّه ابن داود الحلّي من أنّ السيّد جمال الدين ابن طاووس مع تلميذه تقي الدين ابن داود الحلّي قصداً في (شهر رجب من سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) مشهد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف لعرض كتابه المسمّى (بناء المقالة العلوية) الذي ألّفه ابن طاووس وكتبه ابن داود الحلّي وفرغ من كتابته في شوال سنة (٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م)، وكان ابن داود قد قرأه على أستاذه ابن طاووس.

(١) مستمسك العروة الوثقى. سابق: مباحث أحكام الأموات.

(٢) السيّد هاشم الميلاني: ٢٤٨.

وقد كتب ابن داود في آخر النسخة التي هي بخطّه ما هذا نصّه: وممّا سطره - (ابن طاووس) - أجل الله به أوليائه عند قراءتنا هذا الكتاب لدى الضريح المقدّس عند الرأس الشريف عليه السلام لما قصدنا مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إبان الزيارة الرجبيّة عرضنا عليه هذا الكتاب، قارئين له بخدمته، لائذين بحرم رافته مستهطلين سحاب إغاثته، في خلوة من الجماعات المتكاثرات الشاغلّات حاثّين عزائمه على مبرّاتنا، وإجابة دعواتنا، ولجأنا إليه التجاء الجذب الدائر إلى السحاب، والمسافر المبتعد إلى الاقتراب ومن فعل ذلك من بعض أتباع مولانا صلوات الله عليه خليق باقتطاف ثمرات البغية من دوح يديه^(١) وهو نمط قليل الورد فيما اطلعت عليه من كتب وتأليف.

النمط الثالث: أمّا الشواهد على النمط الثالث المتعلّق بإفاضة بركات الحضرة العلويّة على الكاتب خلال تأليفه لكتابه إن كانت كتابته مرضيّة دون ما سواها، فسأكتفي بعرض ما كتبه الشيخ الرضي الاستربادي في شرحه للكافية حيث قال في مستهلّ حديثه - بعد الحمد والسلام -:

(وبعد فقد طلب إليّ بعض من اعتنى بصلاح حاله، وأسعفه بما تسعه قدرتي من مقترحات آماله، تعليق ما يجري مجرى الشرح على مقدّمة ابن الحاجب عند قراءتها عليّ، فانتدبت له مع عوز ما يحتاج إليه الغائص في هذا اللجّ، والسالك لمثل هذا الفجّ، من الفطنة الوقادة، والبصيرة النفاذة، بذلاً لمسؤوله، وتحقيقاً لمأموله، ثم اقتضى الحال بعد الشروع، التجاوز عن الاصول إلى الفروع، فإن جاء مرضياً، فببركات الجناب المقدّس الغروي، صلوات الله على مشرّفه، لاتّفاقه فيه،

(١) المصدر السابق نفسه: ٤٤٨.

وإلا فمن قصور مؤلفه فيما ينتحيه والله تعالى المؤمل لإرشاد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل^(١).

النمط الرابع: أمّا الشاهد على النمط الرابع المتعلق بإفاضة بركات الحضرة العلوية على المجاور خلال تأليفه لكتابه زمن تأليفه له: ما أثبتته المحدث الشيخ يوسف البحراني صاحب كتاب (الحقائق) المعروف، في مقدّمته لكتابه الموسوم (الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية) الذي كتبه أثناء إقامته في النجف الأشرف بقوله: "وحيث كانت درر تلك المسائل الشريفة وفرائد هاتيك الدلائل المنيفة خارجة من باب مدينة العلوم النبوية ومشكاة الأنوار الإلهية، حسن نسبة تلك الدرر إلى واديه الأقدس، وإضافتها إلى ناديه المقدّس، فلذا سمّيته بالدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، وألحقته إلى تلك الحضرة السامية العلية، والحضرة المقدّسة العلوية، راجياً من عواطف كرمه الفوز بالقبول، والإمداد بإنجاح المأمول، والمعذرة إليه صلوات الله عليه ظاهرة لا أبديةا فإن الهدايا على مقدار مهديها"^(٢).

وعبارة الشيخ البحراني رحمته الله المتقدمة والإمداد بإنجاح المأمول واضحة الدلالة على ما أريد إثباته من سوقها.

ومن هذه الأمثلة أيضاً ما أورده الشيخ عباس بن محمد رضا القمي من تملكه إجازة سنة (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) ذكر في تملكه لها أنّه نالها ببركة الحضرة العلوية^(٣).

(١) شرح الكافية في النحو. الشيخ للرضي الاستريادي: ١ / ١٧.

(٢) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية: ١ / ٦٢.

(٣) ينظر: فوائد تحقيقية. لأحمد علي مجيد الحلي. مجلة مخطوطاتنا. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة العلوية

المقدّسة. العدد: ٢. لسنة (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م). ص: ٥٠٧.

ومثاله أيضاً ما اعتاد أن يثبته المرجع السيّد محمد سعيد الحكيم رحمته الله في ختام كتاباته وتأليفه الكثيرة، ومنها ما ورد في الجزء السادس من كتابه (التنقيح) تعليقة موسعة على فرائد الأصول للشيخ الأنصاري حيث قال في ختامه ما نصّه: (وكان الفراغ منه بيد مؤلفه الفقير (محمد سعيد) - عفي عنه - نجل العلامة الحجة السيّد محمد علي الطباطبائي الحكيم دامت بركاته أوّل ليلة الأحد ليلة الثلاثين من شهر ربيع الأوّل سنة ألف وثلاثمائة واثنين وتسعين للهجرة النبويّة على صاحبها وآله أفضل الصلوات وأزكى التحيّات، وكان ذلك في النجف الأشرف ببركة صاحب الحرم المشرف عليه أفضل الصلاة والسلام الذي نسأل الله سبحانه أن لا يحرمنا من بركات مجاورة مشهده، وأن يوفقنا لأداء حقوق مجاورته)^(١).

ومثله أيضاً ما ختم به رحمته الله الجزء التاسع من كتابه (مصباح المنهاج) شرحاً لكتاب منهاج الصالحين من تأليف جدّه - المرجع الأعلى في وقته - السيّد محسن الحكيم رحمته الله بقوله: (وكان ذلك ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شهر ذي القعدة الحرام عام ألف وأربعمائة وثمانية عشر للهجرة النبويّة على صاحبها وآله أفضل الصلوات وأزكى التحيّات ببركة الحرم المشرف على مشرفه أفضل الصلاة والسلام)^(٢). وهكذا في بقيّة تأليفه وكتبه.

ومثل الختامين السابقين لكتابي المرجع رحمته الله ما جاء في خاتمة كتاب: (السيّد التقى الحكيم رائد البحث الأصولي المقارن على صعيد الإسلام) للسيّد محمد جعفر الحكيم أستاذ البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف العلميّة بقوله:

(١) التنقيح تعليقة موسعة على فرائد الأصول للشيخ الأنصاري. السيّد محمد سعيد الحكيم: ٦ / ٤٨١.

(٢) مصباح المنهاج. كتاب الطهارة. السيّد محمد سعيد الحكيم: ٩ / ٤٣٢-٤٣٣.

(قد وقع الفراغ منه في النجف الأشرف ببركة صاحب المشهد، باب مدينة علم النبي ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام^(١)).

النمط الخامس: وأمّا الشواهد على النمط الخامس المتعلق بإشارة المجاور إلى فيوضات الحضرة العلوية عليه وإلهامها له، ولولا فيض المجاورة لما اهتدى إلى ما اهتدى إليه من إشراقات، ولما انشرح قلبه بنور الحقيقة إذ انشرح، فيتجلى شاهده فيما كتبه السيّد حيدر الآملي (كان حياً سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٣م) سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) في كتابه (تفسير المحيط الأعظم) قائلاً:

سكنت المشهد المقدّس الغروي سلام الله على مشرّفه، واشتغلت بالرياضة والخلوة والطاعة والعبادة، وطلب العلوم الحقيقيّة اللدنيّة الإرثيّة دون الكسبيّة التعليميّة، ولم يكن هناك أحد يعرف هذا القسم، وكان هناك شخص عارف كامل خامل الذكر بين الناس، وليّ من أولياء الله - اسمه عبد الرحمن القدسي - فقرأت عليه أولاً كتاب (منازل السائرین) مع شرحه، ثم كتاب (فصوص الحكم) مع شرحه، ثم رسائل أخر، ومضى على هذا الزمان وكشف لي ببركة هذا وبركة المجاورة، والتوجّه إلى حضرة الحقّ وحضرة الأئمة عليهم السلام أكثر كُتب التصوّف من المطولات والمختصرات، وكتبت عليها مفصّلاً، وصنفت بعد ذلك الكتب المذكورة في الفهرست وهي قريبة إلى عشرين أو أربعة وعشرين كتاباً، وذلك في مدّة أربع وعشرين سنة، وكان آخر تلك الكتب هذا التأويل، أي: (تفسير المحيط الأعظم)^(٢).

(١) السيّد التقي الحكيم رائد البحث الأصولي المقارن على صعيد الإسلام. السيّد محمد جعفر الحكيم: ١٣٧.

(٢) المصدر السابق: ٥٣١.

ولم يكتفِ السيّد الآملي بـ(كشف المجاورة) متقدّم الذكر، بل أضحي (المشهد المقدّس الغروي الذي هو مشهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، موجب الفتح للفتوحات الغيبية على قلبي إجمالاً، ثم تفصيلاً ففاض على قلبي من الله تعالى ومن حضراته الغيبية في هذه المدة - غير ما قلته من (تأويل القرآن) و(شرح الفصوص) - من المعاني والمعارف والحقائق والدقائق التي لا يمكن تفصيلها بوجه من الوجوه، لأنّها من كلمات الله غير القابلة للحصر والعدّ والانتها والانقطاع^(١)، ومكث السيّد الآملي في النجف الأشرف مجاوراً للمشهد المقدّس ما يزيد على ثلاثين سنة، كما أشار لذلك في شرحه لـ(فصوص الحكم) قائلاً: "فشرعت في شرحه وهذا كان بعد مجاورتي بالمشهد المقدّس ثلاثين سنة على الوجه المذكور، وكان ابتدائي فيه سنة إحدى وثمانين وسبعائة من الهجرة، والانتها منه سنة اثنين وثمانين وسبعائة"^(٢).

النمط السادس: أن يسترفد طالب الفيض، كاتباً، أو مجاوراً، أو زائراً، أو ما شاكل فيوضات الإمام علي عليه السلام حاضراً ومستقبلاً، فسأسوق له شواهد ثلاثة:

أولها: وفيه شواهد عدّة وردت في نصّ أثبتته ابن داود خلال توجّهه مع أحمد بن موسى بن طاووس إلى إمامهما الإمام علي عليه السلام كي يتلو ابن طاووس مصنّف كتاب (بناء المقالة الفاطمية) - كتابه المتقدّم ذكره - لدى الضريح المقدّس عند الرأس الشريف بقوله: قال مولانا المصنف - يقصد ابن طاووس - عند عزمه

(١) المصدر السابق: ٥٣٤ و ٥٣٦.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٥٣٧.

على التوجّه إلى مشهد أمير المؤمنين صلوات الله عليه لعرض الكتاب الميمون عليه
مستجدياً سيب يديه:

أتينا تباري الريح منّا عزائمه
إلى ملك يستثمر الغوث آمله
كريم المحيّا ما أظّل سحابه
فأقشع حتّى يعقب الخصب هاطله
إذا أمل أشفت على الموت روحه
أعادت عليه الروح فاتت شمائله
من الغرر الصيد الأماجد سنخه
نجوم إذا ما الجو غابت أوافله
إذا استنجدوا للحادث الضخم سدّوا
سهامهم حتّى تصاب مقاتله
وها نحن من ذاك الفريق يهزّنا
رجاء تهزّ الأريحي وسائله
وأنت الكمي الأريحي فتى الورى
فروّ سحابا تنعش الجذب هامله
وإلا فمن يجلو الحوادث شمسّه
وتكفي به من كلّ خطب نوازله^(١)

ثم حين تأخر وصول الباخرة التي أقلته إلى البصرة ليتوجّه منها إلى الحضرة العلوية هاج بابن طاووس شوقه ووجده فأنشأ يقول:

لئن عاقني عن قصد ربّك عائق
فوجدني لأنفاسي إليك طريق
تصاحب أرواح الشمال إذا سرت
فلا عائق إذ ذاك عنك يعوق
ولو سكنت ريح الشمال حرّكت
سواكنها نفس إليك تشوق
إذا نهضت روح الغرام وخلفت
جسوماً يحيل الوامقين وميق
وليس سواء جوهر متأيد
له نسب في الغابرين عريق
وجسم تباريه الحوادث ناحل
ببحر الختوف الفاتكات غريق
أسير بكفّ الروح يجري بحكمها
وليس سواء موثق وطلق^(١)

ثمّ بعد ذلك ما أثبتته ابن داود^(٢) من أن ابن طاووس: سطر - رفع الله درجته -

(١) المصدر السابق: ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

رقعة في أوّل كتابه إلى مولانا علي صلوات الله عليه صورتها: (العبد المملوك أحمد بن طاووس يستعرض أهداف المراحم بجملة مخالسته الرضيّة، ويستعرض إسعاف المكارم العلّية، ويسترفد منال المواهب العلوية).

ففي النصّ المتقدّم لابن طاووس وردت جملة: (مستجدياً سيب يديه) وهي واضحة الدلالة على ما أريد قوله، كما وردت إشارات واضحة على طلب الرشد في مضامين مقطوعتي شعر ابن طاووس الأولى والثانية.

إضافة إلى ما سطره في رقعته المتقدّمة التي أوردها في أوّل كتابه، فهي في غاية الدلالة على المقصود.

ثانيها: ما أشار إليه شيخ الطائفة في وقته المعروف بـ(المحقّق الثاني) الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الكركي رحمته في جوابه عن مسائل وردته من علماء النجف الأشرف (السادة الأجلّاء الأخلاء الفضلاء الأتقياء العلماء من المؤيدين باستفاضة الكمال عند عتبة باب مدينة العلم عليه صلوات الله ما دارت الخضراء على الغبراء)^(١). ويتجلّى من النصّ أن التشرف بمجاورة الحضرة العلوية المطهّرة يجعل المجاورين مؤيدين باستفاضة الكمال عليهم.

وربما هناك أنماط آخر أقلّ وروداً ممّا سبق لا مجال لذكرها هنا عسى أن تنهياً لها فرصة بحث أخرى مستقبلاً.

ولعلّ ما تقدّم هو ما أثار عجب الباحثين السيّد حميد رضا الحسيني ومهدي علي بور^(٢)، وقد زارا النجف الأشرف مبعوثين من مركز البحوث العلميّة بقم

(١) ينظر: رسائل المحقّق الكركي: ٣ / ١٢.

(٢) حوزة النجف القابليّات والضرورات. السيّد حميد رضا الحسيني ومهدي علي بور. مجلّة التحقيق

المقدّسة لدراسة الوضع العام لحوزة النجف الأشرف في (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)
فكتبنا يقولان:

إنّ مدينة النجف الأشرف بما تملكه من تأثير في العالم الإسلامي أضحت مهداً
للحضارة الشيعيّة وازدهار العلوم الإسلاميّة فيها ومحلّ استقطاب الكثيرين، وإنه
لا ينقضي العجب من أمر هذه البقعة المهيبة، فإنّها على تواضعها في الإمكانيات،
وعدم تجهيز مراكزها العلميّة، وعدم وجود نظام متكامل ومنسجم فيها، نجد
أنّ عطاءها، وما أنجبته من علماء، ومجتهدين، وتأليفات، وموسوعات علميّة
عملاقة، كان بفضل هذه البنيات القديمة، وربما الخبرة، وهذه الأزقة الصغيرة
الملتفة والمتداخلة والمظلمة كانت بفضل العناية العلويّة طوال الألفيّة
من عمرها المبارك.





الفصل الخامس

المساجد والمراقد والمقامات
في النجف الأشرف



بعد أن تشرّفت بقعة النجف الأشرف باحتضان مرقد أمير المؤمنين الإمام العادل الشهيد علي بن أبي طالب عليه السلام ومن قبله ما ورد من احتضان واديها وادي السلام لمرقد الأنبياء آدم ونوح عليهما السلام وهود وصالح عليهما السلام، باتت مدينة النجف مثوى للعدد الغفير من الأئمة والصحابة والتابعين، ولك أن تعرف حجم الكثرة الكاثرة من الصحابة الذين دفنوا في النجف الأشرف والكوفة ممّا رواه المحدث النرسي وصاحب كتاب (فرحة الغري) حين ذكر أنّه توفي بالكوفة ثلاثمائة وثلاثة عشر من الصحابة لا يُدرى قبر أحد منهم إلا قبر الإمام علي عليه السلام.

وفي النجف الأشرف اليوم العديد من المراقد المقدّسة والمقامات الطاهرة والأماكن الشريفة الأخرى.

فمن المراقد المقدّسة: مرقد النبيّ آدم أبي البشر، ونوح، ومرقد النبيّين هود وصالح عليهما السلام.

ومن المقامات: مقام الإمام علي عليه السلام، ومقام الإمام زين العابدين عليه السلام، ومقام الإمام المهدي عليه السلام.

ومن المساجد الشريفة: مسجد عمران بن شاهين ومسجد الخضراء ومسجد الحنّانة.

ومن الأماكن والمراقد الشريفة: وادي السلام، ومرقد الصحابي الجليل كميل بن زياد النخعي، وغيرها، وفيما يأتي ذكر أهمّها في مباحث عدّة هي:

الأول

مرقد النبيين آدم ونوح عليهما السلام

وردت بعض الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نصّت على أن أمير المؤمنين عليه السلام دفن إلى جنب مدفني النبيين آدم ونوح عليهما السلام كما وردت في زيارة الإمام علي عليه السلام يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المروية عن الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس وغيرهما حيث جاء فيها: أن الإمام الصادق عليه السلام زار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في اليوم السابع عشر من ربيع الأول، بهذه الزيارة، وعلمها الثقة الجليل محمد بن مسلم الثقفي رحمته الله فقال: (إذا أتيت مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فاغتسل للزيارة والبس أنظف ثيابك واستعمل شيئاً من الطيب وسرّ عليك السكينة، فإذا وصلت إلى باب السلام أي: باب الحرم الطاهر، فاستقبل القبلة وقل الله أكبر ثلاث مرّات، ثم قل السلام على رسول الله، ثم ادن من القبر وقل السلام عليك يا وصي الأوصياء، والسلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح) (١).

وورد أيضاً في زيارته عليه السلام (السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك آدم ونوح عليهما السلام ورحمة الله وبركاته) (٢).

وأخرج ابن قولويه بإسناده عن المفضل بن عمر قال: "دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إني أشتاق إلى الغري، قال: فما شوقك إليه؟ قلت له:

(١) مفاتيح الجنان. الشيخ عباس القمي: ٣٧٤-٣٧٨.

(٢) إقبال الأعمال. ابن طاووس: ٣ / ١٣٥.

أحبّ أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام قال: فهل تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا يا ابن رسول الله فعرفني ذلك، قال: إذا أردت زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنك زائر عظام آدم وبدن نوح عليه السلام وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام^(١).

وقريب جداً منه ما ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "إذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم عليه السلام وبدن نوح عليه السلام وجسد علي بن أبي طالب عليه السلام"^(٢).

وحين زار الرحالة ابن بطّوطة النجف الأشرف بعد تشرفه بأداء فريضة الحجّ سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) أشار إلى مشاهدته قبوراً ثلاثة؛ هي لآدم ونوح وعلي عليه السلام، وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب^(٣).

ثمّ حين قصد العراق الرحالة المؤرّخ رئيس قبطان مصر سيدي علي سنة (٩٦١هـ / ١٥٥٣م) لغرض تنفيذ الأمر الصادر له من السلطان العثماني سليمان بتسلّم السفن الحربيّة الموجودة في البصرة والعودة بها إلى مصر وصل إلى الغري (النجف) وزار آدم ونوحاً والإمام علي المرتضى عليه السلام^(٤)، هذا ولم يبقَ لقبري آدم ونوح عليه السلام أثر ظاهر اليوم.



(١) المصدر السابق.

(٢) مفاتيح الجنان. سابق: ٣٧٩.

(٣) رحلة ابن بطّوطة: ١٩٨ وما بعدها.

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين. عبّاس العزاوي: ٧٣ / ٤.

الثاني

مسجد الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام المعروف بمسجد الرأس

مسجد الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام المعروف بمسجد الرأس "مسجد واسع الساحة ضخم الدعائم كثير الأسطوانات متقن البناء، بابه في الصحن الشريف... مقابل الرواق من جهة الرأس الشريف ويتصل بتكية البكتاشية، وهو قديم، ويظهر من جدرانه المنضدة بالأحجار الكبيرة أنه بني مع الحرم العلوي، وينسبه البراقي إلى الشاه عباس الأول كما هو شائع عند النجفيين... وفي أيام السلطان عبد الحميد الثاني طليت جدرانه بأنواع الأصباغ ونصب فيه منبر من رخام أبيض... صلى فيه العلامة الكبير النائيني رحمه الله" (١).

ويصف الشيخ محمد حسين حرز الدين محراب مسجد الرأس فيقول: "يتكون محراب المسجد من بلاطتين مستطيلتين من القاشاني تبلغ مساحتهما (٥٩ سم عرضاً و١٣٩ سم طولاً)، وتتكون زخارف المحراب من نقوش نباتية وكتابة بارزة على أرضية من الطابق المعدني، ويتدلى من العقد الذي يعلوه رسم قنديل بارز، ويحيط بالمحراب إطاران من الكتابة بالخط النسخي البارز.

يتكون نص الإطار الداخلي من قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُفُ

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١٠٣/١-١٠٤.

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴿١﴾، وفي وسط المحراب داخل ساحة العقد توجد تكملة الآية الشريفة: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن تَنَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

أما الإطار الخارجي فيحتوي على أجزاء غير متصلة من الآيات المرقمة (١٨٨، ١٩١، ١٩٢) من سورة آل عمران، أما الدائرة التي تعلو عقد المحراب فتحثوي على (السميع العليم) (٢).

ويقول المؤرخ المجتهد الشيخ محمد حرز الدين عن مسجد الرأس "إنه شيد -كما قيل- قبل تجديد بناء الضريح المطهر نفسه، أو معه، ثم جدّدت عمارته سنة (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م)، مع تذهيب القبة والمئذنتين، ويقال إنه شيد ثانية في أيام العلامة السيّد محمد مهدي بحر العلوم عليه السلام وبأمره، وأنه كان يقول لبعض خواصّه: إنه موضع رأس الحسين عليه السلام، وإنّ المسجد بني عليه ولأجله" (٣).

ولم يقتصر الرأي المتقدم على المرجع الأعلى السيد بحر العلوم فحسب، بل هناك غيره ممن ذهب الى ذلك أيضا من أمثال العلم العارف ساحة السيد علي القاضي عليه السلام الذي كان يرى ذلك أيضاً، فقد نقل لي ساحة السيد محمد تقي نجل ساحة آية الله السيد محمد علي الحكيم عن أبيه عليه السلام أن السيد علياً القاضي الكبير كان إذا أراد دخول (مسجد الرأس) من باب الساباط خلع نعليه ومشى حافياً

(١) سورة البقرة: ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) معارف الرجال. سابق: ٣/ ٢٤١-٢٤٢.

تبجيلاً وتعظيماً لموضع أو قبر رأس الإمام الحسين (عليه السلام) الموضوع أو المدفون في هذا المكان المقدس.

كما أن المرجع الكبير سماحة السيد محمد سعيد الحكيم كان هو الآخر يذهب إلى ذلك أيضاً مستنداً على روايات عدّها صحيحة وفق مبناه الفقهي واردة في كتاب (كامل الزيارات) كما ستأتي لاحقاً.

ولذلك ارتأى سماحته -بعد الانتهاء من هدم مسجد الرأس، والسباط، والتكية، وإلحاقها بالحرم المقدس للإمام علي (عليه السلام) لغرض التوسعة- أن تسمى التوسعة الجديدة بتسمية يذكر فيها (الرأس الشريف للإمام الحسين (عليه السلام))، قال ذلك لوفد زاره من العتبة العلوية المقدسة وسأله عن أي الخيارات أفضل لتسمية التوسعة الجديدة للحرم العلوي المطهر، فأجابهم بما تقدم. غير أن الأمور سارت على غير ذلك، فسميت التوسعة باسم (رواق أبي طالب (عليه السلام)).

لقد وردت أكثر من رواية في الكتاب المعبر (كامل الزيارات) لابن قولويه (ت ٣٦٨ أو ٣٦٩ هـ/ ٩٨٠-٩٨١ م)^(١). منها ما ورد عن أبان بن تغلب قال: "كنت مع أبي عبد الله (عليه السلام) فمرّ بظهر الكوفة فنزل وصلى ركعتين، ثم تقدم قليلاً فصلى ركعتين، ثم سار قليلاً فنزل فصلى ركعتين. ثم قال: هذا موضع قبر أمير المؤمنين (عليه السلام). قلت: جعلت فداك فما الموضعين اللذين صليت فيهما؟

(١) كتاب كامل الزيارات لابن قولويه القمي: "كتاب مشهور ومعروف بين الأصحاب ومن أهم المصادر المعتمد عليها، أخذ منه الشيخ -الطوسي- في (التهذيب) وغيره من المحدثين كالحر العاملي ونقل عنه جلّ من ألف منهم في الحديث والزيارة وغيرهما، وهو جامع الزيارات وما روي في ذلك من الفضل عن الأئمة (عليهم السلام) وفيه أجلاء المشائخ المشهورين بالعلم والحديث الذين وثّقهم وزكاهم -عموماً- مؤلفه الجليل، وفيه فائدة عظيمة في المباحث الفقهية والرجالية" (مقدمة كامل الزيارات لابن قولويه. تحقيق نشر الفقاهة: ١).

قال: موضع رأس الحسين عليه السلام، وموضع منبر القائم عليه السلام^(١).

ووردت رواية أخرى في كتاب (فرحة الغري) لابن طاووس (ت ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م) "عن أبي الفرج السندي قال: كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد حين قدم إلى الحيرة فقال ليلة: أسرجوا لي البغل، فركب وأنا معه حتى انتهينا إلى (الظهر)، فنزل فصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين. فقلت: جعلت فداك إني رأيتك صليت في ثلاث مواضع. فقال: أما الأولى فموضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والثاني موضع رأس الحسين، والثالث موضع منبر القائم عليه السلام^(٢)، وفي هامش رقم ٣ من الصفحة نفسها ما يلي: "حكاه أيضاً المجلسي في (البحار ١٠٠ / ٢٤٦ حديث ٣٢)، و(النوري في مستدرک الوسائل ١٠ / ٢٢٥ حديث ١١٩٠٣).

وورد كذلك في رواية أخرى مسندة عن أبان بن تغلب مثله مع اختلاف يسير في النص^(٣). وفي هامش رقم ٢ من صفحة الكتاب نفسها ما نصه: "رواه (الشيخ في الكافي: ٤ / ٥٧١ حديث ٢)، ورواه (ابن قولويه في كامل الزيارات الحديث ٥)، وحكاه (الحر العاملي في وسائل الشيعة ١٤ / ٤٠٠ - ٤٠١ حديث ٤) عن (الكافي) و(الكامل)". وهناك روايات غير ما تقدم لا يسع المجال لذكرها^(٤).

وإذا كانت الروايات المتقدمة قد وردت في بعضها أن (الموضع) الذي صلى فيه الإمام الصادق عليه السلام جنب قبر أمير المؤمنين في النجف الأشرف هو "موضع رأس

(١) كامل الزيارات. ابن قولويه: ٨٣ - ٨٤.

(٢) فرحة الغري لابن طاووس. تحقيق الشيخ محمد مهدي نجف: ١٦٢ - ١٦٥. ١٦٦.

(٣) ينظر: كامل الزيارات. سابق: ٨٣ - ٨٤، وينظر: المصدر السابق وهامشه: ١٦٣.

(٤) فرحة الغري. سابق: ١٧٧ - ١٧٨.

الحسين عليه السلام "فإن أكثر من رواية أخرى ذكرت أنه "قبر رأس الحسين بن علي عليه السلام" من قبيل ما ورد في كتاب (كامل الزيارات) في رواية طويلة: عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام أيام مقدمه على أبي جعفر المنصور بالحيرة حيث خرج الإمام عليه السلام من الحيرة ليلاً لزيارة قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام ويونس بن ظبيان معه. قال يونس بن ظبيان: "ولما خرجنا من الحيرة، قال: تقدم يا يونس، قال: فأقبل يقول: تيامن، تياسر، فلما انتهينا إلى الذكوات الحمر، قال: هو المكان، قلت: نعم، فتيامن، ثم قصد إلى موضع فيه ماء وعين فتوضأ، ثم دنا من أكمة، فصلى عندها، ثم مال عليها وبكى، ثم مال إلى أكمة دونها، ففعل مثل ذلك، ثم قال: يا يونس افعل مثل ما فعلت، ففعلت ذلك، فلما تفرغت قال لي: يا يونس تعرف هذا المكان؟ فقلت: لا، فقال: الموضع الذي صلّيت عنده أولاً هو قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والأكمة الأخرى رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. إنّ الملعون عبيد الله ابن زياد لعنه الله لمّا بعث برأس الحسين عليه السلام إلى الشام ردّ إلى الكوفة، فقال: أخرجوه عنها لا يفتن به أهلها، فصيّره الله عند أمير المؤمنين عليه السلام..." (١).

وفي رواية أخرى وردت في كتاب (كامل الزيارات) أيضاً عن علي ابن أسباط رفعه: "قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنك إذا أتيت الغري رأيت قبرين، قبراً كبيراً، وقبراً صغيراً، فأما الكبير فقبر أمير المؤمنين، وأما الصغير فرأس الحسين بن علي عليه السلام" (٢).

(١) كامل الزيارات. سابق: ٨٦/١ - ٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ٨٤. وورد أيضاً في (فرحة الغري): ١٦٧. وينظر من رواها كذلك في هامش رقم ٨ من الصفحة نفسها من كتاب (فرحة الغري).

وجاء في رواية ثالثة مسندة في (كامل الزيارات) أيضاً عن يزيد بن عمر بن طلحة قال: "قال أبو عبد الله عليه السلام - وهو بالحيرة -: أما تريد ما وعدتك؟ قال: قلت: بلى - يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام - قال: فركب وركب إسماعيل ابنه معه، وركبت معهم، حتى إذا جاز الثوية، وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض، نزل، ونزل إسماعيل ونزلت معهم، فصلى وصلى إسماعيل وصليت، فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدك الحسين بن علي عليه السلام، فقلت: جعلت فداك: أليس الحسين عليه السلام بكرباء، فقال: نعم، ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجانب أمير المؤمنين عليه السلام" (١).

وهناك غير ما تقدم من الروايات الدالة على ذلك لا يسع المجال لذكرها. وهو ما قد يفسر مراد الروايات المتقدمة الواردة فيها عبارة "موضع رأس الحسين" فأبانت هذه الروايات بكون المقصود فيها هو: (موضع دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام).

وقد يؤيد ذلك ما ورد في (زيارة عاشوراء) عن "محمد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمال، وعندنا جماعة من أصحابنا إلى الغري، بعدما خرج أبو عبد الله عليه السلام، فسرنا من الحيرة إلى المدينة، فلما فرغنا من الزيارة - أي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام - صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقال لنا: تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان، من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام، من ها هنا أو ما إليه أبو عبد الله الصادق عليه السلام وأنا معه.

قال - سيف بن عميرة -: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في يوم عاشوراء، ثم صلى ركعتين عند رأس

(١) كامل الزيارات. سابق: ٨٣.

أمير المؤمنين عليه السلام، وودّع في دبرها^(١) أمير المؤمنين عليه السلام وأوماً إلى الحسين -صلوات الله عليه- بالسلام منصرفاً بوجهه نحوه، وودّع^(٢).

أقول: لعل ما قد يؤيد مدفن رأس الإمام الحسين عليه السلام جنب قبر أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، هو ما ورد في زيارة الإمام الصادق عليه السلام لجدّه الإمام الحسين عليه السلام من النجف الأشرف، وليس من كربلاء المقدسة، كما في نص الرواية المتقدمة من قول صفوان حاكياً فعل الإمام الصادق عليه السلام بقوله: "تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان، من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام، من ها هنا أوماً إليه الصادق عليه السلام وأنا معه. قال سيف بن عميرة: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن الباقر عليه السلام في يوم عاشوراء". أي (زيارة عاشوراء).

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الدعاء المعروف بـ(دعاء علقمة) الذي يُتلى بعد زيارة عاشوراء، قد تضمّن عبارات صريحة بالسلام على أمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام معاً، ما قد يفهم منه أنها في مكان واحد، ويبدو أنّ هذا الدعاء هو الذي ودّع به صفوان أمير المؤمنين عليه السلام بعد صلاته الركعتين عند رأسه عليه السلام، ذلك الوداع الذي تشير إليه العبارة "وودّع في دبرها أمير المؤمنين عليه السلام"، ثم قال الراوي -سيف بن عميرة- مُتمّاً روايته، متحدثاً عن صفوان: "وكان فيما دعا في دبرها: يا الله يا الله يا الله يا محبب دعوة المضطرين..."^(٣) إلى آخر الدعاء.

ومن عباراته الواضحة في ذلك قوله: "يا أمير المؤمنين، ويا أبا عبد الله، عليكم

(١) (في دبرهما) في نسخة أخرى وفي مفاتيح الجنان (طبعة دار الأضواء).

(٢) مصباح المتجهد. الشيخ الطوسي: ٥٣٩-٥٤٠ (طبعة مؤسسة الأعلمي)، ومفاتيح الجنان. الشيخ عباس القمي: ٦٨٠ (طبعة دار الأضواء) باختلاف يسير في بعض الألفاظ عن مصباح المتجهد.

(٣) مصباح المتجهد. الشيخ الطوسي: ٥٤٠.

مني سلام الله أبداً ما بقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد من زيارتكم، ولا فرق بيني وبينكم" (١)، وقوله أيضاً: "يا أمير المؤمنين، ويا أبا عبد الله، أتيتكما زائراً، ومتوسلاً إلى الله ربي وربكم، ومتوجهاً إليه بكم، ومستشفعاً بكم إلى الله تعالى في حاجتي هذه، فاشفعالي، فإن لكما عند الله المقام المحمود، والجاه الوجيه، والمنزل الرفيع، والوسيلة. إني أنقلب منكم منتظراً لَتَنْجِزِ الحاجة وقضاءها ونجاحها من الله بشفاعتكم لي إلى الله في ذلك" (٢).

وقوله في الدعاء كذلك: "أستودعكما الله، ولا جعله الله آخر العهد مني إليكما. انصرفت يا سيدي يا أمير المؤمنين ومولاي، وأنت يا أبا عبد الله يا سيدي، وسلامي عليكم متصل ما اتصل الليل والنهار، واصل ذلك إليكما، غير محبوب عنكم سلامي إن شاء الله، وأسأله بحقكم أن يشاء ذلك ويفعل، فإنه حميد مجيد. انقلبت يا سيدي عنكم تائباً حامداً لله شاكراً راجياً للإجابة غير آيس ولا قانط آيأً عائداً راجعاً إلى زيارتكم، غير راغب عنكم، ولا عن زيارتكم، بل راجع عائداً إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا سادتي: رغبت إليكما وإلى زيارتكم بعد أن زهد فيكما وفي زيارتكم أهل الدنيا، فلا خيبني الله ما رجوت وما أمّلت في زيارتكم إنه قريب مجيب" (٣).

هذا، ولمصنف كتاب (كامل الزيارات) الشيخ ابن قولويه القمي الذي أورد الروايات المتقدمة الدالة على دفن الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام جنب قبر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام منزلة كبيرة عند المحدثين والفقهاء والمؤرخين، "وكفى في

(١) المصدر السابق: ٥٤١.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٥٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ٥٤٢.

علوّ مقامه أن الشيخ المفيد على جلالته اقتبس من أنوار علمه إلى أن دفن معه مما يلي رجلي الجوادين عليه السلام ^(١)، وإذا كان لي أن أنقل بإيجاز شديد بعض ما وصفه به أجلاء العلماء وكبار المؤرخين والرجاليين فسأكتفي من القدماء بما نقله الشيخ النجاشي عنه بأن "كل ما يوصف الناس به من فقه، ودين، فهو - ابن قولويه - فوق ذلك" ^(٢)، وزاد الصفدي على النجاشي بقوله في (الوافي بالوفيات) بما نقله عن الشيخ المفيد في حق أستاذه ما نصّه: "كل ما يوصف الناس به من فقه، ودين، وثقة، فهو فوق ذلك" ^(٣).

كما سأكتفي من المحدثين بما قاله في حقه سماحة المجتهد الرجالي الثبت الشيخ عبد الله المامقاني بأن "وثاقته - ابن قولويه - من المسلّمات" ^(٤).

ومثلما كانت لابن قولويه تلك المنزلة المتقدمة من الفقه والدين والوثاقة، فإن لروايات كتابه (كامل الزيارات) كلها - ومنها الروايات التي نصت على أن مدفن رأس الإمام الحسين عليه السلام هو جنب قبر أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها مما ورد في الكتاب المعتبر - أهمية كبرى عند المحدثين والفقهاء، وخاصة من ذهب منهم إلى أن مقدمة الشيخ ابن قولويه لكتابه (كامل الزيارات) تدل على صحة رواياته نتيجة لوثاقة رجال كتابه كلهم، من أمثال المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم من متأخري المتأخرين، وغيره ممن ذهب الى مثل مذهبه في ذلك، سواء من تقدم منهم

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة. آقا بزرك الطهراني: ٣١٢/٢.

(٢) ينظر: فهرست أسماء مصنفى الشيعة. النجاشي: ١٢٣.

(٣) تنقيح المقال في علم الرجال. الشيخ عبد الله المامقاني: ٣٣٦/١٥. هامش رقم ١. (طبعة مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث).

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة. سابق: ٣١٢/٢، وتنقيح المقال في علم الرجال. سابق: ٣٣٦/١٥.

عن زمان المرجع الكبير السيد الحكيم أم من عاصره أم من سيلحقه^(١).

ومما قد يؤيد ذلك ما أورده المؤرخ المجتهد الشيخ (محمد حرز الدين) في كتابه (معارف الرجال) خلال ترجمته للميرزا هادي الخراساني (ت ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م) عن سادن الروضة الحيدرية حينها السيد (داود الرفيعي) قوله في رواية مسندة "عن أبيه عن آبائه الذين وفدوا من مازندران أنّ في المسجد الغربي المتّصل بالسباط إيوان صغير مربّع، في الجدار القبلي، بين محراب المسجد والسباط، فيه قبر، وعليه شبّاك فولاذ ثمين، وله باب صغيرة، وفيها قفل، هو قبر موضع رأس الحسين بن علي أمير المؤمنين عليه السلام كما عليه روايات، ثمّ إنّ السيّد -الخازن- أوقف الميرزا هادي عليه، وكانت عليه أيضاً قطعة ستار خضراء، وإلى جانب هذا الإيوان صخرة مربّعة، بخطّ كوفي، ومنها أنّ هذا المسجد عرف بـ (مسجد الرأس) بناه (غازان بن هولكو خان)، أقام لبنائه سنة كاملة ضارباً خيامه بين النجف ومسجد الحنّانة في الثوبة حتّى أكمله"^(٢).

ويشير المؤرخ الثبت الشيخ محمد حرز الدين أيضاً إلى أنّ "الإسماعيلية الهنود كانت تزور هذا الموضع، بل ترى زيارته كاللازمة عندهم، فعلى إثر هذا التكاثر فتحت إدارة الأوقاف باباً للمسجد من تكية البكتاشية، وسدّت بابه الأولى من السباط، وصار الهنود وغيرهم من الزائرين يدخلون من التكية، ثمّ سدّوا هذا الباب، وبقي المسجد مغلقاً سنين عديدة حتّى احتلال العراق، وتشكيل حكومة عربيّة في العراق. وفي هذا الدور صار الكشف الثاني للقبور وبدأ التعمير سنة

(١) ينظر تفصيل رأي ساحته في كتابه: مصباح المنهاج. السيد محمد سعيد الحكيم. كتاب التجارة: ١/ ٤٦١ -

٤٦٤. هامش رقم ١.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٣/ ٢٤١ - ٢٤٣.

(١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م-) ودخلت المسجد من بابه الأولى يوم (٢٣ من ذي الحجة من تلك السنة) فنظرنا إلى رسم القبر فلم نجد شيئاً سوى صخرة على الجدار القبلي طولها أكثر من ذراع وعرضها ذراع مكتوب عليها مستديراً آيات من القرآن الكريم منها قوله: ﴿وَأَمَّا الرَّسُولُ فَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾^(١) وفي وسطها سطر كوفي^(٢). ولعل إزالة رسم القبر الشريف تعود الى سبب طائفي مقيت عودتنا عليه الحكومات الطائفية البائدة.

وقد كان تحدث السيد عبد المطلب الخرسان عن الكتابة التي على الصخرة بقوله: "هذه الصخرة عليها كتابة بخط كوفي كانت موجودة في المكان الذي ذكره الشيخ حرز الدين، وكانت صخرة أخرى على هيئة محراب مثبتة في محراب المسجد، ولهذين الصخرتين قيمة أثرية، ففي عام (١٩٦٥ م) جاءت بعثة من الآثار وقد جلبوا معهم كاميرات حديثة لتصوير بعض الآثار، وسألوني عن هاتين الصخرتين، فدللتهم عليهما، وسألتهما عنهما، فأخبروني أن إدارة الآثار صوّرت هاتين الصخرتين عام (١٩٣٧ م) وأن هاتين الصخرتين من الحجر المعروف بالحديد الصيني، وهما من نوع نادر منه حيث إنهما ملونتين، والحديد الصيني يكون عادة أسوداً، وعند هدم المسجد تم نقل الصخرتين إلى المخزن لحفظهما من التصدع"^(٣).

ونظراً لما تقدم فإن أهمية قراءة ما على الصخرتين كبيرة؛ لذلك أدعو الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة إلى استدعاء المختصين بالخط الكوفي لقراءتهما ما دامت في مخزن العتبة العلوية المقدسة.

(١) سورة البقرة: آية: ٢٥٨.

(٢) معارف الرجال. ساق: ٣ / ٢٤١. هامش رقم ١.

(٣) مساجد ومعالم في الروضة الخيدرية المطهرة. سابق: ٢٤.

وينوّه الشيخ محمد حسين حرز الدين -وهو يتحدث عن المسجد المبارك- إلى ما تمّ من تجاوز على جزء آخر منه بقوله: "في سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م-) اقتطع من الطرف الغربي للمسجد حدود سبعة أو ثمانية أمتار وأضيف إلى الشارع العام المحيط بالصحن الشريف"^(١).

ورغم الأهمية الدينية الكبيرة لهذا المكان المقدس فقد أزيل جامع الرأس الشريف، وأزيل معه -من دون وجع قلب وحرقة فؤاد، وربما لأسباب طائفية زمن النظام المقبور- (مرقد الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام)، وتمّ بناء مسجد الرأس من جديد في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، ولم يبق النظام البائد فيه غير صخرة المحراب، وهي مهمّة جدّاً؛ لأنّها تدلّ على العمارة الأثرية لهذا المسجد التاريخي المهمّ.

ثمّ قدر لمسجد الرأس الشريف أن يدخل ضمن مشروع كبير لتوسيع الرواق الطاهر للحرم العلوي الشريف، سنة (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، من دون أي معلّم يشير إلى مكان الموضع أو المدفن الطاهر للرأس الشريف لأسباب مجهولة مع الأسف الشديد.

وهناك نيّة لدى الأمانة العامة للعتبة العلوية الشريفة بوضع معلّم يشير إلى (مدفن الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام) في مكانه من المسجد، بموجب ما تقدم آنفاً، وهو ما حدّثني به الأمين العام للعتبة العلوية، سنة (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) بعد أن طلبتُ منه ذلك.

غير أنّ هذه النيّة، وهي أقلّ المفروض -رغم يسرها وسهولتها، ورغم الخسارة

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٨٧.

النوعية الكبيرة لما جرى نتيجة التوسعة - لم تتحوّل إلى فعل حتّى انتهت مدة الأمين العام السابق، فمدة الأمين العام الذي خلفه، فالأمين العام الذي خلفه، حتّى تولى الأمين العام الحالي منصبه، والحال هو الحال والتقصير هو التقصير، وسأتابع تحديد طلبتي بتحديد معالم موضع أو مدفن الرأس الشريف للإمام الحسين (عليه السلام) من أمينها العام الجديد إن شاء الله تعالى.

ويحسن بي وأنا في خاتمة حديثي عن مسجد الرأس الشريف أن أشير إلى وجود اختلاف بين المؤرخين في موضع مدفن الرأس الشريف للإمام الحسين (عليه السلام)، إضافة للرأي المتقدم ودليله.

فالمشهور عند علمائنا أن الرأس الشريف أعيد إلى كربلاء، ودفن مع الجسد الطاهر.

قال العلامة المجلسي: "والذي عليه المعول من الأقوال أنه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد، ودفن معه.

وقال السيد -ابن طاووس-: فأما رأس الحسين فروي أنه أعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف صلوات الله عليه، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه^(١).

وبذلك قال كبار علمائنا كالسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، والشهيد الشيخ الفتال النيسابوري، والسيد ابن طاووس، والشيخ ابن نما الحلي، والشيخ ابن شهر آشوب، والشيخ الطبرسي، والشيخ المجلسي، وغيرهم كثير، لا مجال لاستعراض أسمائهم وأقوالهم في هذا الموضوع.

(١) بحار الأنوار. العلامة المجلسي: ١٤٤/٤٥ (طبعة بيروت).

هذا وقد ذهب قسم معتدّ به من علماء السنة ومؤرخيهم أيضا الى أن الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام قد دفن مع الجسد الشريف بكر بلاء المقدسة من أمثال: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وابن حجر الهيثمي، والمناوي، والقزويني، والشبراوي، والبيروني، ورجّحه القرطبي، بل هو المشهور بين الفريقين.

ومع ذلك فقد ذهب آخرون إلى أن الرأس الشريف دفن بدمشق. إما في المسجد الأموي، وسمي المكان باسم (رأس الحسين)، وله مزار معروف يزار فيه هناك. أو في باب الفرايس، وسمي مكان دفنه بـ(مسجد الرأس) مثلما سمي به (مسجد الرأس) في النجف الأشرف كما تقدم..

وذهب قائلون الى أنه دفن في بعض الدور بالرقعة على الفرات، ثم دخلت الدار بالمسجد الجامع، وهو الى جانب سوره هناك.

وذهب مؤرخون الى أنه بعد أن طيف به في البلاد حتى وصل الى عسقلان فدفنه أميرها هناك، وبقي بها حتى استولى عليها الإفرنج خلال الحروب الصليبية، فبذل لهم وزير الفاطميين بمصر الصالح طلائع بن زريك على أن ينقله الى القاهرة، فتمّ له ما أراد. وكان ذلك في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وأن الوزير بن زريك خرج هو وعسكره حفاة الى الصالحية، فتلقى الرأس الشريف، ووضع في كيس من الحرير الأخضر، على كرسي من الأبنوس، وفرش تحته المسك والعنبر والطيب، ودفن في المشهد الحسيني بالقاهرة، وموضعه مشهور ويزار كثيرا.

وذهب بعض آخر إلى أن الرأس الشريف أرسل إلى والي يزيد على المدينة المنورة، فدفنه بالبقيع عند قبر أمه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وما دمت أنقل ما ورد عند أهل السنة في مكان دفن الرأس الشريف للإمام

الحسين عليه السلام، فإنه ليحسن بي أن أختتم حديثي عنه بما ختم به أحد كبار علمائهم حديثه عن مدفن الرأس الشريف.

قال: السبط ابن الجوزي: "وفي الجملة ففي أي مكان كان...فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الأسرار والخواطر، أنشدنا بعض أشياخنا في هذا المعنى:

لا تطلبوا رأس الحسين	بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا	نحوي فمشهد بقلبي" ^(١)



(١) تذكرة الخواص. سبط ابن الجوزي: ١٥١ (الطبعة الحجرية) لسنة ١٢٧٨ هجرية.

الثالث

مرقد النبيين هود وصالح عليهما السلام

يقع مرقد النبيين عليهما السلام في مقبرة النجف الأشرف الكبرى في حرم واحد خلف سور المدينة القديم من جهة وادي السلام ويقصده الزوّار للدعاء والتبرّك والزيارة، وأوّل من وضع على قبريهما صندوقاً من الخشب هو المرجع السيّد محمد مهدي بحر العلوم رحمته الله^(١)، ثمّ بني عليه قبة من آجر صغيرة ولما دفن الفقيه الأصولي سلطان العلماء خارج مرقديهما بنيت فوقها القبة العليا وهي قبة متوسطة الارتفاع والحجم مغطاة بالقاشاني الأزرق ولما جاءت سر كالة الهنود زائرة رمّمت قبري هود وصالح عليهما السلام.

يقول المؤرّخ الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م): (وكان على هذا المرقد صخرة حمراء قديمة طولها ذراع يد وأصابع وعرضها شبر كتبت بالخطّ الكوفي تصرّح بأنّ هذا المرقد هو مرقد هود وصالح وقد بنيت هذه الصخرة في واجهة الأسطوانة الغربيّة في نصفها في عمق ذراع يد في البناء لئلاّ تسرق. إنّ السيّد بحر العلوم الطباطبائي أوصاني بها وأعلمني أنّه إذا انهدم بناء القبر وعمّر أنت دلّ الناس على موضعها).

وفي سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) وما بعدها بسنوات صار للصخور القديمة والخزف والآجر المكتوبة بخطّ قديم كوفي وما قبله من الأزمنة السابقة سوق رائج إذ أنّ الإنكليز وعمّاهم في العراق أخذوا يشترون الآثار القديمة ومنها الصخور

(١) ينظر: مراقد المعارف. الشيخ محمد حرز الدين: ٢ / ٣٦٤.

التي على القبور القديمة في صدر الإسلام، ولما حاصر الإنكليز الأرجاس مدينة النجف الأشرف أربعين يوماً سنة (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) وهو الحصار الكبير هدموا قبري هود وصالح عليهما السلام، بل وكثير من البقاع المشرفة عبثوا بها، وعندما ارتفع حصار النجف خرجنا إلى قبريهما فوجدناهما ربوة من آجر وأنقاضاً والصخرة المزبورة مفقودة^(١).

ولما كان النبي هود عليه السلام قد بعث لقوم عاد وهم عرب يسكنون الأحقاف بين عمان وحضرموت مطلة على البحر، وكذلك النبي صالح عليه السلام أرسله الله إلى قوم ثمود بعد هلاك عاد وهم يسكنون الحِجر بين الحجاز وتبوك، فإن مسألة وجود قبريهما في مقبرة وادي السلام بالنجف لا بد أن تحمل على فرضية نقل رفاتيهما من تلك الأفاصي البعيدة إلى النجف الأشرف لما لهذه الأرض من القدسية والمكانة السامية منذ قديم الزمان، وقد جاء في زيارة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح، وعلى جاريك هود وصالح^(٢).

ومما يدعم هذا التوجيه أن سكان تلك الأصقاع كانوا على علم بأهمية الدفن في بقعة النجف الأشرف بل كانوا يوصون بنقل رفاتهم إليها، بقرينة نقل رفات العبد الصالح أئيب اليماني زمن خلافة الإمام علي عليه السلام من اليمن إلى النجف الأشرف كي تحظى بشرف الدفن في هذه البقعة المباركة كما سيأتي في المبحث اللاحق.



(١) المصدر السابق: ٢ / ٣٦٥-٣٦٦.

(٢) دليل العتبات والمزارات والمشاهد الدينية في العراق. سابق: ٢١. وينظر في قضية الصخرة الأثرية الحمراء وفقدانها: مراقد المعارف. الشيخ محمد حرز الدين: ٢ / ٣٦٣-٣٦٦.

الرابع

مقام الإمام علي عليه السلام، وقبر العبد الصالح اليماني أو (مقبرة الصفا)

في النجف الأشرف مقام ينسب للإمام علي عليه السلام ومرقد لليماني، وقد أثبت هذه النسبة بعض المؤرخين الثقة من أمثال المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين خلال ترجمته للشيخ إسماعيل الدراويش (ت ١١٦٤هـ / ١٧٥١م) في كتابه (مراقد المعارف)^(١)، كما نصّ على ذلك العالم المؤرخ الشيخ هادي كاشف الغطاء في الجزء الخامس من كتابه (الحصون المنيعه)^(٢)، بل لقد نصّت قصيدتان قديمتان مثبتتان في (صافي صفا) على أنّه مقام للإمام علي عليه السلام وهو ما رآه رأي العين وأثبتته الشيخ محمد حرز الدين في هامش ص ١٠٤ من الجزء الأول من كتابه (مراقد المعارف).

غير أنّ هذا الموضع لم يشتهر بكونه مقاماً لأمر المؤمنين عليه السلام، بل اشتهر قديماً وليوم الناس هذا بأنّه (قبر اليماني) تارةً، ومقبرة (الصفا) أخرى. ولعلّ سبب تسمية المقبرة بالصفا نابع من أنّ الصفا لغة: هو الصخر أي: مقبرة الصخر، حيث أنها تقع على رأس الوادي وصخوره البارزة.

(١) مراقد المعارف سابق: ١ / ٩٩ ما بعدها. وتنظر هوامش الصفحات أيضاً.

(٢) ينظر: هامش مراقد المعارف: ١ / ١٠٠ نقلاً عن الحصون المنيعه وهي موسوعة كبيرة يجري تحقيقها الآن من قبل لجنة من المحققين في (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث في النجف الأشرف) على أمل أن تصدر بعض أجزائها قريباً إن شاء الله.

يقول المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين^(١): أدركنا بقيّة رأس الوادي وبعض صخوره الظاهرة، ومنه مجرى مياه الأمطار التي تسيل من رأس الوادي قرب الصحن الغروي الأقدس في أواخر القرن الثالث عشر الهجري. ويضيف: اشتهر هذا الموضع بمقبرة (الصفاء)، ويبدو أنّ هذا الاشتهار كان في حدود القرن السادس للهجرة وإلى زماننا.

لقد أثبت لنا المؤرخون^(٢) وجود لوحين من الحجر الأبيض منقوش عليهما قصيدتان شعريّتان تصرّحان بأنّه مقام الإمام علي عليه السلام الأولى مؤرّخة في سنة (١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م) والثانية مؤرّخة في سنة (١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م).

يقول المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين^(٣) (ت ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م): في قبر اليماني آثار تاريخيّة مثل الصخور القديمة المثبتة في الجدران، ولم تزل ولا تزال باقية لمن يرغب الاطلاع عليها، وفيها شعر عربي وفارسي، وتاريخ بعضها يعود إلى القرن الثامن الهجري، فمنها صخرة على باب مدخل قبر اليماني ومقام الإمام علي عليه السلام، وهذا نصّ ما كتب عليها (أجهد نفسه وسعى في إنشاء هذه القبّة الشريفة على مشرفها السلام السيّد المعظم علاء الدين بن مير مجيد بن محمد المدني المدّاح بمساعدة ملك الحاج المحتشم الفيحاني «أو الفهماني أو القهستاني تقرأ بهذه الوجوه لكسور في الصخرة» في سنة تسع وخمسين وسبع مائة للهجرة النبويّة).

ويضيف: هذه الصخرة هي الصخرة الرابعة في هذه البقعة، وقد بنيت هذه الصخرة في أعلى باب الصفة التي عليها القبّة من الدهليز على يسار الداخل إلى

(١) مرآة المعارف: الشيخ محمد حرز الدين: ٢ / ٣٨٢-٣٨٣ هامش رقم: ١.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٣٨-٣٣٩.

(٣) مرآة المعارف. سابق: ٢ / ٣٨٤-٣٨٥.

المقام بارتفاع قامتي إنسان، صعدنا إليها وكتبناها، بعد إزالة الغبار والجص حيث كانت بعض كتابتها مطموسة بالبناء.

وأنشئ مقام الإمام علي عليه السلام ومقبرة الصفا وجامعها الذي تزيد مساحته اليوم على خمسة آلاف متر مربع في رحبة مطلّة على بحر النجف يسمّيه الناس اليوم بـ(صافي صفا)، كما تقدّم وتسمّى المنطقة قديماً بـ(المسيل)، وعرفت بعد ذلك بـ(طرف العمارة)، وقد هدّ النظام المقبور محلّة العمارة التاريخية بمساجدها ومدارسها الدينية وبيوت علمائها الكبار ومراجعتها وآثارها ومكتباتها الثمينة ومساجدها الكثيرة، ماحياً كلّ ذلك الثراء العلمي والتاريخي والآثاري والمعماري بدم بارد.

ويجري الآن تعمير هذا المكان الطاهر وإعادة تأهيله بما يستحقّه من عمارة وتأهيل وتحتضن مقبرة الصفا مثوى لمؤمن صالح من أهل اليمن كان جثمانه قد قُطعت به الفياfi والقفار عملاً بوصيته كي يدفن في هذه البقعة المباركة.

فقد روى المؤرّخون عدّة روايات في ذلك^(١) منها ما أورده الديلمي قال: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان إذا أراد الخلوة بنفسه أتى إلى طرف الغربي فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف، وإذا برجل قد أقبل من البريّة راكباً على ناقة وقدامه جنازة، فحين رأى علياً عليه السلام قصده حتّى وصل إليه وسلّم عليه.

فردّ علي عليه السلام وقال له: من أين؟

قال: من اليمن. قال: وما هذه الجنازة التي معك؟

قال: جنازة أبي أتيت لأدّفنها في هذه الأرض.

فقال له علي عليه السلام: لم لا دفنته في أرضكم؟

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٧٢. ودليل العتبات المقدّسة. سابق: ٢٣.

قال: أوصى إليّ بذلك وقال: إنه يُدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر.

فقال له عليّ عليه السلام: أتعرف ذلك الرجل؟ قال: لا.

فقال عليه السلام: أنا والله ذلك الرجل، أنا والله ذلك الرجل، قم فادفن أباك، فقام فدفن أباه^(١).

ويقع قبر العبد الصالح اليماني في غرفة داخل السرداب مربّعة الشكل مساحتها (٢٢٥م^٢) خمسة وعشرون متراً مربّعاً مبنيةً بأحجار كبيرة قويّة صخريّة تعرف بـ(الجدم)، والقبر ذو بابين على شكل فتحات يتوسّطها صندوق كبير مغطّى بالحزير^(٢).

ثمّ دفن بعد ذلك في المكان نفسه سادات أجلاء ووجهاء من أسرة آل شنون. ويحيط بالمقام الشريف المطلّ على منخفض بحر النجف مسجدٌ قديم يعود تاريخ بنائه إلى القرن السابع للهجرة النبويّة الشريفة، وقيل للثامن، وهو اليوم بناء واسع يلحظه الناظر عن بعد، ترتفع فوقه قُبّةٌ مزينة بأبهى النقوش والكتابات والزخارف الإسلاميّة، وإلى جواره يقع مقام الإمام زين العابدين عليه السلام.

وتعلو قبر اليماني قُبّةٌ مغلّفة بالكاشي الأخضر شيّدت عام (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) يبلغ ارتفاعها حوالي (٢٠م)، مقامة على قاعدة ترتفع عن سطح الأرض ستّة أمتار وقد حدّد عبد علي خان (أديب الملك) المسافة بين بحر النجف وصافي صفا وقد وقف عليها سنة (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م) بألف وخمسمائة قدم، وفي المكان بساتين

(١) إرشاد القلوب: ٢ / ٣٠٦.

(٢) موسوعة علي بن أبي طالب والنجف. مخطوط. ضياء الشيخ صالح كاشف الغطاء: ١ / ١٦٤.

عددها حوالي الخمسين إلى الستين بستاناً وفواكه البساتين لا مثيل لها في كل مكان^(١).

وقد تقدّم الحديث عن اتّخاذ العلماء والأدباء سطح قبة اليماني المطلّة على بحر النجف متدي جلساتهم العلميّة والأدبيّة نظراً لجمال المناظر الطبيعيّة الموحية فيه^(٢).



(١) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. سابق: ٦١.

(٢) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢ / ٢٩١.

الخامس

مقام الإمام زين العابدين عليه السلام

خطّ هذا المقام الشريف لسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مكان صلاته عليه السلام أثناء زيارته لقبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شيّد على مكان صلاته مسجد كبير يشهد بناءه الرائي عن بعد، ويقع مقام الإمام زين العابدين قرب مقبرة صافي صفا في محلة العمارة رابع أربع محلات مشهورة في النجف القديمة هي: الحويش، والبراق، والمشرق، والعمارة كانت النجف القديمة تتوزّعها، حيث تبوأ مقام الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام طرف محلة العمارة خارج سور النجف القديم في قلب المنطقة التي يسمّيها النجفيون اليوم بـ(الثلمة).

وكما تقدّم انتقم النظام البائد من محلة العمارة حيث دور العلماء المجاهدين والمساجد والمدارس الدينيّة وقبور مراجع الدين وآثارهم بعد الانتفاضة الشعبانيّة عام (١٤١١هـ / ١٩٩١م).

ونقل الشيخ المؤرّخ الشيخ محمد حسين حرز الدين عن جدّه المؤرّخ الشيخ محمد حرز الدين قوله: حدّث علماؤنا الأعلام عن مشايخ الغري الأقدس، عن مشايخهم: أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان عندما يأتي من الحجاز لزيارة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام ينزل في هذا المكان ليوهم الرائي له أنه جاء حاجاً إلى بيت الله الحرام من هذا الطريق العام ببادية العراق، وأنه يريد الوضوء من قلب قديم.

قال: ويحكى أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا أراد أن يزور جده أمير المؤمنين عليه السلام في العراق، يأتي في طريقه إلى هذا المكان قرب القلب فيربط ناقته فيه، ثم يذهب حافي القدمين فيزور القبر الشريف ثم يرجع ويبيت في هذا المكان حتى إذا أسفر الصبح قفل راجعاً من حيث أتى.

"وقد عقد عليه الصفويون بنية... طراً عليها إصلاح في آخر أيام الحكومة التركية... وفي محرابه صخرة جميلة الشكل بديعة الصنعة منقوش عليها أحرف مقطعة لم يعرف معناها... واشتهر للإمام زين العابدين عليه السلام مقام آخر، ويعين موضعه بعض المطلعين، وهو ملاصق للصحن الشريف من الجهة الغربية، واتخذ عليه مسجد وقد أدى الصلاة فيه كثير من أهل الفضل...، ولكن لما فتح الباب الغربي للصحن الشريف ضاعت آثار المسجد"^(١) مع الأسف!

والمقام تزوره الناس وتنذر له النذور. وقد اتخذ منه العلماء والأدباء - نظراً لموقعه الجميل المشرف على بحر النجف - مكاناً لحواراتهم ومساجلاتهم ومجالسهم العلمية والأدبية^(٢).



(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٩٤ / ١ - ٩٥.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٤٣ - ٣٤٤ نقلاً عن كتاب النوادر للشيخ محمد حرز الدين (مخطوط)

السادس

مقام الإمام المهدي المنتظر عليه السلام أو موضع منبر الإمام

في الجانب الغربي من النجف الأشرف مقام ينسبه الناس للإمام المهدي المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام ويرى بعض الباحثين أنه موضع منبر الإمام عليه السلام (١) مستشفاً ذلك من بعض الروايات، ويقع في مقبرة النجف الأشرف الكبرى مقبرة وادي السلام.

وكان ممن أشاد في موضع منبر القائم عليه السلام عمارة كبيرة وأقام عليها قبة من الجص والحجارة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري المرجع الربّاني السيّد محمد مهدي بحر العلوم رحمته الله.

وفي سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م) جدّدها السلطان الهندي السيّد محمد خان، وهي العمارة القائمة اليوم، وقد كسيت جدرانها والقبة بالقاشاني الأزرق، كما طرأت عليه إصلاحات وترميمات متواصلة إلى يومنا هذا، وفي هذا الموضع يوجد لوح حجر نقش عليه زيارة الإمام الثاني عشر الحجة القائم عليه السلام (٢) مؤرّخة في (٩ شهر شعبان ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م). "وفيه مانصه: (حرره الآثم الجاني قاسم بن المرحوم السيّد أحمد الفحام الحسيني في ٩ شهر شعبان سنة ١٢٠٠ هجرية) ولا شك أن هذه الكتابة مع عمارة العلامة السيّد بحر العلوم رحمته الله هي من الأمارات القوية التي يصلح للمؤرخ أن يركن إليها ويعتمد عليها... وفي داخل المقام هذا

(١) المصدر السابق: ٣٤٨/١.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٣٤٩/١.

مقام يعرف بمقام الإمام الصادق عليه السلام ولم تكن له تلك الشهرة" (١).

ويتوافد الناس على هذا المقام زرافات ووحداً للدعاء والصلاة، وقد تعقد فيه الاجتماعات الكبيرة، من ذلك مثلاً: ما نقله الشيخ محمد حسين حرز الدين (٢) في كتابه (تاريخ النجف الأشرف) من أحداث سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) يوم دعا المرجع الأعلى في وقته السيّد محمد كاظم اليزدي رحمه الله سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) من اجتماع حاشد لحدّ الناس على مقاومة الغزاة والدعاء، ففي يوم الغدير ثامن عشر ذي الحجة نُودي بخروج السيّد اليزدي للدعاء، وحملت الأفرشة والبسط من المشهد إلى مقام المهدي عليه السلام، وهرع الناس أفواجاً على اختلاف طبقاتهم، وحضر أكثر العلماء والطلّاب، وخرج الناس بعشرات الألوف، فعند ذلك أمّ السيّد اليزدي الناس وصلى ركعتين، ثم رقى المنبر ودعا، وخطب على إثره الشيخ جواد الجواهري، فالشيخ زين العابدين، فالمتصرّف، فجماعة سواهم، وانفضّ الجمع.



(١) ماضي النجف وحاضرها ز سابق: ١ / ٩٥-٩٦.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٤٣-٣٤٤: ٣ / ١٦٦. نقلاً عن مذكرات الشيخ محمد رضا الشيباني.

السابع

مسجد الحنّانة

في النجف الأشرف مسجد قديم معروف يسمّيه النجفيون بـ(مسجد الحنّانة) ويقع في (الثوبية) أو قربها، وهي مقبرة قديمة لوجوه الكوفيّين من الصحابة والتابعين والعلماء والولاة، و(الحنّانة) مسجد كبير شيد في موضع يقول الناس: إنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام بات فيه ليلته الأولى خلال تسييره إلى الكوفة بعد شهادته في واقعة كربلاء في العاشر من محرم الحرام من سنة (٦١١هـ / ٦٨٠م).

فقد روى المؤرّخون أنّ الرأس الشريف لسيد شباب أهل الجنة حمل بعد أن فصل عن جسده المطهر إلى عبيد الله بن زياد والي يزيد بن معاوية على الكوفة والبصرة، بعد أن جيء به من كربلاء المقدّسة إلى حيث قصر الإمارة في الكوفة بعد واقعة الطف المأساوية الشهيرة ومصرع الإمام الشهيد بل سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ويقول آخرون: إنّ منزل سبايا أهل البيت عليه السلام قبل إدخالهم على والي يزيد بن معاوية في الكوفة لكي يأخذ الوالي عبيد الله بن زياد الحيلة لنفسه من الكوفيّين ويستعدّ بشرطته خوف النهوض عليه أجلاً حتّى يطوفوا بعيال الحسين عليه السلام سبايا في سكك الكوفة وشوارعها، ويعلم الناس صنعه بآل النبي ﷺ (١).

ومسجد الحنّانة أيضاً هو "أحد الأماكن الثلاثة التي صلّى فيها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام" (٢).

(١) مراقد المعارف. سابق: ٢ / ٢١٩. هامش رقم ٢.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ١٠٠.

ويقع على يسار الذهاب من النجف الأشرف إلى الكوفة بالقرب من مقبرة
الثوية التاريخية مدفن الكثير من أصحاب الإمام علي عليه السلام وخاصته، وقد عمّر
المسجد لاحقاً، وجدّد بناؤه أخيراً، ويتوافد على زيارته والصلاة فيه المؤمنون
من أنحاء العراق والعالم.



الثامن

مسجد عمران بن شاهين

وهو من أقدم المساجد الشريفة في النجف الأشرف، ويقع في الجهة الشماليّة من الصحن العلوي الشريف على يمين الداخل من باب الطوسي، وكان هذا المسجد أوّل أمره رواقاً من جملة أروقة الصحن العلوي الشريف.

وكان قد أشاد هذا الرواق عمران بن شاهين (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩م) في أواسط القرن الرابع الهجري، ويروي المؤرّخون في سبب بنائه لهذا الرواق أنّ عمران بن شاهين خرج على سلطان عصره السلطان عضد الدولة البويهبي، فناجزه السلطان، فانتصر عليه، فنذر إن عفا عضد الدولة عنه يبني رواقاً في النجف الأشرف^(١).

وإذ توجه عضد الدولة لزيارة النجف الأشرف، استثمر عمران بن شاهين هذه الفرصة السانحة فرمى بنفسه عليه، طالباً العفو منه، فعفا عنه، فوفى بنذره ببناء الرواق الذي اندرست آثاره تماماً.

غير أنّ بعض المؤرّخين ينفون لقاء عمران بن شاهين بعضد الدولة في النجف الأشرف واعتذاره منه، ومن هؤلاء المؤرّخ الشيخ محمد رضا الشيببي الذي يقول وهو يتحدّث عن عمران بن شاهين:

"أمّا أنّه عمّر في المشهد فنعم، وأمّا أنّه لقي عضد الدولة فلا يكون ذلك؛

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ١٠١

لأنَّ عضد الدولة زارها مرّةً واحدة سنة (٣٧١هـ / ٩٨١م)، وعمران مات قبل ذلك سنة (٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، فعمارته وزيارته سابقة، وأكثر ما خرج عمران في العراق على عضد الدولة^(١).

ثم حين شيّد الشاه عباس الصفوي العمارة الصفويّة المتقدّم ذكرها، أمر بهدم الجزء الأكبر من رواق عمران بن شاهين من أجل تربيعة الصحن العلوي الشريف سنة (١٠٢٣هـ / ١٦١٤م)، حتّى لم تبقَ من مساحة الرواق سوى (١٤١ م^٢). وقد قامت الأمانة العامّة للعتبة العلويّة المقدّسة بإعادة ترميم المسجد سنة (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

ويلحظ الداخل للصحن العلوي الشريف من باب الطوسي على يمينه صخرة على جدار المسجد مؤرّخة في شهر صفر من عام (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) يبدو أنّها كانت شاهد قبر، كما أنّ هناك قبوراً ثلاثة أحدها قبر الأمير نجيب الدين أحمد. ويظهر أنّ الصخرة التي أشار إليها الشيخ علي الشرقي وهو يتحدث عن باب مسجد عمران، هي نفس الصخرة التي تقدم ذكرها أعلاه، رغم أنّ الشرقي ذكر تاريخاً مختلفاً لها بقوله: "توجد على ذاك الباب كتابة قديمة على حجارة مؤرّخة (٧٧٠ هجرية)... فيلوح أنّ هذه الكتابة كانت فوق مقبرة بمكان هذا الباب. فقد روي وجود مقبرة هناك تحتوي على ثلاثة قبور؛ أحدها للأمير نجيب الدين أحمد، والثاني قبر ابنه محمود المهابادي، وإلى عهدنا يذكر محمود المهابادي هناك، والثالث قبر زوجة محمود (سعيدة). عائلة ملكية فارسية من ملوك الطوائف في عهد المغول، عاصمتها (مهاباد)، أي: عمارة القمر".

(١) كتاب النجف. سابق. مجلة آفاق نجفية: ١ / ٢٠٠٦ ص: ٢٩٢. هامش ١.

ويستطرد الشيخ الشرقي فيقول: "روى المرحوم السيد جعفر السيد محمد الباقر من آل بحر العلوم... أنه يوجد تصوير نفيس بديع آية للروعة محفوظ في الروضة الحيدرية، وهو من أغرب ما خطته يد إنسان، أفرغ في إطار من الخشب، وفيه زجاجتان أفرغ بينهما الزئبق بصورة بديعة. وتحت الإطار ثلاث أبيات من الشعر الفارسي بتوقيع محمود المهابادي"^(١).



(١) الأحلام. سابق: ٧٣.

التاسع

مسجد الخضره

وهو من المساجد القديمة المعروفة ويقع في الجهة الشرقيّة على يمين الداخل من باب الساعة قريباً من الجهة الشماليّة من الصحن العلوي الشريف. غير أنه لم يعرف متى أنشئ ومن أنشأه، وإن كان من القريب أنه "كان موجوداً في القرن العاشر"^(١).

بيد أن "الخضره صنعها درويش هندي في الساحة المتصلة بالمسجد فيما يقارب عصر الملالي"^(٢).

لمسجد الخضره بابان: إحداهما تؤدّي إلى خارج الصحن، وهي الباب التي اعتاد الأساتذة والطلّاب والمؤمنون الدخول منها إلى باحة المسجد للصلاة والدرس، ولطالما كنت أشاهد المرجع الأعلى للطائفة السيّد الخوئي عليه السلام والطلّاب يدخلون منها للدراسة والصلاة، وتؤدّي الباب الأخرى من الجامع إلى داخل الصحن الشريف.

وقد هدمت الحكومة ثلثاً من هذا المسجد سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) لتوسعة الطريق "وقد أتلّف كثيراً من الدور وبعض المساجد والمقابر والخوانيت، كما ذهب حمامان كبيران وهما من أقدم حمامات النجف وأوسعها وأتقنها، يعرفان بحمام الخضره لقربهما من الصحن الشريف. موقعهما في جهة الغرب إلى جهة القبلة"^(٣).

(١) مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة. سابق: ٢٧.

(٢) معارف الرجال. سابق: ١ / ١٦٥. هامش رقم ١.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١٠٢. هامش رقم ١.

ثمّ هدم المسجد بالكامل في العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجري وأعيد بناؤه بأمر من المرجع الأعلى السيّد الخوئي رحمته الله على مساحة بلغت (١٦٦م^٢) ملحقاً به مقبرة بجوار المسجد دفن فيها ساحة المرجع الأعلى في وقته السيّد الخوئي رحمته الله سنة (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) وولده السيّد محمد تقي والسيّد عبد المجيد.

ونظراً لأنّ المسجد البعيد العهد كان مقراً لتدريس الطلاب، ومقاماً لصلاة المرجعين العامّين كلّ من ساحة السيّد الخوئي رحمته الله، والسيّد السيستاني (دام ظله) فقد أغلق النظام البائد هذا المسجد، بحجّة الترميم.

وحين سقط النظام البائد أمر ساحة المرجع الأعلى السيّد السيستاني (دام ظله) بإعادة ترميمه فافتتح بحلّته الجديدة سنة (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).



العاشر

مسجد الهندي

يعتبر مسجد الهندي من أشهر المساجد الكريمة المعروفة في النجف الأشرف التي طالما عمر بـ "مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ" (١).

يقول الشيخ جعفر محبوبة: "أسس هذا الجامع في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في عصر الشيخ حسين نجف الكبير، وهو من المساجد الجليلة في النجف، فخم البناء، واسع المساحة، كثير الاصطوانات، عام النفع، كثير الفائدة، وهو جامع البلد، لم يفرغ من العبادة ليلاً ونهاراً... وهو معتكف النجفيين ومحل عبادتهم، وهو أجل مكان عندهم بعد الحرم العلوي... تقام فيه المآتم الحسينية وسائر وفيات الأئمة عليه السلام مع مآتم المشاهير من العلماء، وهو محل للدرس والتدريس يجتمع فيه أكثر أهل العلم" (٢) يتدارسون القرآن الكريم والسنة الشريفة وعلوم أهل البيت عليه السلام، حلقات جنب حلقات، فتراهم بين معلّم ومتعلم، وفقهه ومتفقه، لهم دوي كدوي النحل يضج به المكان وجواره.

"وكانت ساحة المسجد قبلاً نصف ساحته اليوم وبابه في مكان الباب الموجود الآن في الشارع ثم ألحقت به الساحة المكشوفة مع ما يساهمتها من الإسطوانات فصار كله مسجداً واحداً... وفي يوم ١٥ شوال سنة ١٣٧٥هـ/ ٢٦ مايس ١٩٥٦م)

(١) سورة التوبة: آية ١٨.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ١١٨.

اشترى الحجة السيد محسن الحكيم الدارين المتصلين بهذا المسجد صفقة واحدة بسبعة آلاف دينار بداعي توسيع المسجد وتسوية القسم المكشوف منه مع المسقوف، وبعد أن هدمتا وألحقنا بالمسجد... وقفهما مسجداً واستثنى منها الساحة الشرقية المسقوفة... كما أنه استثنى القطعة الشمالية الخارجة عن سمت المسجد المكشوف فوقف فيها مقبرة يقبر فيها هو وأولاده الصليبين الذكور والإناث وزوجاته، وللولي أن يأذن في دفن أهل العلم من السادة آل الحكيم إذا كانوا أحياء زمان الإنشاء وماتوا وهم من أهل العلم"^(١)، كما وقف طابقين لإنشاء مكتبة عامة سنة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) بتصميم "يسع لربع مليون كتاب ذات طوابق ثلاثة عدا المخازن الجوفية تحت الأرض، وهي الآن تحوي المخطوطات القديمة النفيسة"^(٢)، وفي مسعى من سماحته للوقوف بوجه سياسة التجهيل لشيعة العراق -وهي سياسة اتبعتها سلطات الأنظمة البائدة عثمانية، فملكية بتوجيه من ساطع الحصري، فبعثية وخاصة في وسط وجنوب العراق- فقد بادرت مكتبة الإمام الحكيم العامة بفتح فروع لها في المدن والأقضية والنواحي المعاقبة بالحرمان، فبلغت (٧٦) ستة وسبعين فرعاً لها في العراق، فنشطت الثقافة وازدهرت سوق العلم وازداد الوعي السياسي زيادة كان لها مخرجاتها على صعيد الوطن العزيز.

ومن نافلة القول أن جميع هذه الفروع أغلقت وصودرت أبان حكم النظام البائد، واعتقل أو سجن أو أعدم القائمون عليها.

وبعد سقوط النظام البائد (سنة ٢٠٠٣م) أعيد فتح معظم الفروع السابقة، كما افتتحت فروع جديدة بلغت حتى كتابة هذه السطور (١٢٤) مائة وأربعة

(١) المصدر السابق: ١١٩-١٢١.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٣/ ١٢٥. هامش الصفحة.

وعشرين فرعاً من أقصى شمال العراق (تلعفر) إلى أقصى جنوبه (الفاو).
ونظراً لأن باب المقبرة تفتح على باحة مسجد الهندي فقد عمرت مثلما عمر
بالعبادة والدرس والتدريس.

وقد وفقني الله ﷻ لدراسة المقدمات في هذا الجامع الشريف ولتلقي محاضرات
البحث الخارج في أصول الفقه لسيدي الوالد ﷺ لاحقاً في مقبرة الأسرة أيضاً.
والحمد لله رب العالمين.



الحادي عشر

مرقد الصحابي كميل بن زياد النخعي رضي الله عنه

في النجف الأشرف أيضاً مرقد لكميل بن زياد النخعي الصحابي الجليل العابد المتشبه الذي لا تفتر شفثاه عن تلاوة القرآن الكريم وذكر الله العظيم، أدرك من حياة رسول الله (١٨ سنة)، وهو صاحب الإمام علي عليه السلام وواليه على مدينة هيت وما والاها من الأطراف والأماكن وكان من رؤساء الشيعة في وقته، وكميل بن زياد هو راوي دعائه القيم الشهير بـ(دعاء كميل)، شهد كميل مع الإمام علي عليه السلام معركة صفين، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن طلبه فلم يقدر عليه فأمر بتحريم العطاء عن قومه وعشيرته، وكان كميل نافذاً في قومه، فقال كميل: لا ينبغي أن أكون سبياً في حرمان قومي: فأتى الحجاج سنة ٨٢ وقيل ٨٨ هو ابن ٨٩ سنة وقيل ابن ٧٠ سنة قائلاً له: لا تصرف عليّ أنيابك، ولا تبرق، ولا ترعد، فوالله ما بقي من عمري إلا مثل هذا الغبار، فاقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله، وبعد القتل الحساب، ولقد أخبرني أمير المؤمنين أنك قاتلي فأمر الحجاج بقتله فقتل.

ويقع مرقد كميل في منطقة قديمة كانت تسمى بـ(الثوية)، وقد اختصت قديماً بمقابر قريش، وفيها دفن العديد من الصحابة ورجالات المسلمين وأبطالهم كما تقدم.

قال المحدث الكوفي أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي، المعروف بـ(أبي) ت سنة (٥١٠هـ / ١١١٦م):

(توفي بالكوفة ثلاثمائة وثلاثة عشر من الصحابة لا يتبين قبر أحد منهم إلا قبر علي عليه السلام).

وقال: "جاء جعفر بن محمد ومحمد بن علي بن الحسين فزارا الموضع من قبر أمير المؤمنين، ولم يكن إذ ذاك القبر، وما كان إلا الأرض، حتى جاء محمد بن زيد الداعي وأظهر القبر"^(١).

هذا ما كان سابقاً، أمّا اليوم فقبر كميل بن زياد معروف مشهود مقصود.

ونقل المؤرخ المعتزلي ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) في شرحه لنهج البلاغة مرفوعاً إلى أبي الغنائم - المحدث المتقدم ذكره - قوله: وقياساً بالقبائل العربية التي نزلت الكوفة في بدء تمصيرها فإنّ هذا العدد لا يشكل إلا النزر القليل من الصحابة الذين دفنتهم أرض الثوية، فإذا أضفنا إليهم تابعيهم وصل العدد - كما أحصي أحصاء أولياً - إلى ما ناف على ألف صحابي وتابعي احتضنتهم هذه البقعة الشريفة.

ويبدو أنّ العديد من قبور مقبرة قريش تمتد بعد موقع مرقد كميل بن زياد متّجهة صوب النجف الأشرف على مسافة قدّرت بحدود (١٠٠م) عن مرقد كميل بن زياد، فقد روى الشيخ محمد حرز الدين عن داود الحجّار أوائل القرن الرابع عشر للهجرة، وكان معاصراً قوله: "كنت أنقب عن الحجارة الدفينة في ظهر الكوفة كي أبيعها، فعثرت على موضع قرب الطريق العام القديم بين النجف والكوفة على بعد مائة خطوة من قبر الصحابي الجليل كميل بن زياد، فيه حجارة دفينة، وصخرة كبيرة، مكتوبة بالخط الكوفي، فقلعتها، وجئت بها إلى النجف الأشرف، وأريتها

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ابن الجوزي: ٩ / ١٨٩.

العالم الزاهد الشيخ ملا علي الخليلي النجفي، وحكيت له قصّة وجدانها، فوضعها الشيخ بمكانها، وسوّى عليها التراب بيده، وأمرني أن لا أنبش في هذا الموضع، وقال: إنّها الثويّة مقبرة وجوه المسلمين الكوفيّين، وأمّا هذه الصخرة رسم قبر المغيرة بن شعبه كما يحكيه نصّ ما كتب عليها ثمّ قال لي: إنّ في وضع هذه الصخرة بمكانها فوائد سيظهرها التاريخ والأثر بعد زمان^(١).

وهو ما يدحض -إضافة إلى العديد من الأدلّة الأخرى- ما ورد في تاريخ بغداد من أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يقول: "لو علمت الرافضة قبر من هذا لرجمته بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبه"^(٢). ولعلّ ما قصده العالم الشيخ الخليلي رحمته الله حين أوصى بإعادة شاهدة قبر المغيرة بن شعبه إلى مكانها الذي كانت فيه هو دحض أمثال هذه الدعاوى الباطلة.

هذا وقد سنحت لي فرصة زيارة وتصوير العديد من المراقد المقدّسة وما ضمّته حناياها من كنوز وآثار كما سنحت لي الفرصة أيضاً لزيارة العديد من المواقع الأثريّة والتاريخيّة، وأماكن الأديرة سواء ما كان منها في مدينة النجف الأشرف وتوابعها أم في كربلاء المقدّسة وتوابعها، أم في الكوفة والحيرة اليوم وتوابعها، أم في غير ذلك ممّا يعتني به المؤرّخ والسائح، من مراقد مقدّسة، ومساجد مهمّة، ومواقع أثريّة، وديارات قديمة، ومزارات، وأسواق، ودور علم، وأماكن عبادة، ومكتبات،

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٣٤-٣٣٥، نقلاً عن كتاب النوادر للشيخ محمد حرز الدين: ٥ / ٦٥ (مخطوط)، وينظر: معارف الرجال له أيضاً: ٣ / ١٦٠. ومراقد المعارف: ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) تاريخ بغداد: ١ / ١٤٨. وقد مال إلى هذا الزعم ابن تيمية ودعّمه بدليل أنّه لم يكن أحد يذكر أنّ هذا قبر علي، ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعه وغيرهم (كتب ورّسائل وفتاوى ابن تيمية: ٤ / ٥٠٢٩)، وكأنّه لم يتّلع على الروايات الواردة عن زيارة الأئمة عليهم السلام لقبر جدّهم عليه السلام؛ كونهم أدري به من غيرهم، ولا قرأ ما ألّف وكتب ونقل في هذا الشأن.

ومقابر وغيرها، أثناء كتابتنا أنا والعديد من إخواني وأصدقائي من الباحثين الأفاضل كتاباً سعيينا مجتمعين متعاونين لتأليفه كدليل مصوّر عن محافظة كربلاء المقدّسة أيّام كانت تضمّ أقضية ونواحي النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة والكوفة والحيرة وغيرها من القصبات والنواحي الأخرى التابعة لها، وقد طبعت الكتاب محافظة كربلاء طبعة أولى قبل أكثر من ربع قرن ولم يطبع بعدئذ.



الثاني عشر

وادي السلام

تعدّ مقبرة وادي السلام من أكبر المقابر الإسلاميّة في العالم اليوم، وقد اختيرت هذه المقبرة التاريخيّة العالميّة لتدرج في قائمة أهمّ أماكن التراث الإنساني العالمي، وتقع في الشمال والشمال الغربي لمدينة النجف القديمة، وتقدر مساحتها بأكثر من سبعة آلاف وسبعمائة هكتار، وقد ورد عن بعض الأئمة عليهم السلام روايات حول فضل الدفن فيه، وعلى ذلك شواهد جليّة في السنّة المأثورة.

وقد وصف الشاعر النجفي الشهير (محمد مهدي الجواهري) مقبرة الوادي الكبير الذي تتزاحم بين جنبه ما لا يقلّ عن عشرة أجيال من البشر بقوله: (إنّها أكبر غابة للأموات في العالم، وقد ضمت رملة وادي السلام رفات ما لا يحصى من المؤمنين قديماً وحديثاً، ولا زالت تربة وادي السلام حتّى يوم الناس هذا محطّ أنظار المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، يتمنّون أن يكون هذا الوادي مثوى أجسادهم كلما مرّ ذكر الموت في مخيلتهم أو راودتهم طيوفه، وخاصّة ساعة النزع الأخير.

وتمتاز أرض النجف بارتفاعها المحصّن لها من الغرق حيث يبلغ الفرق بين منسوب ارتفاعها ومستوى منسوب نهر الفرات من جهة الشرق حوالي (٧٥م)، وبينها وبين مستوى أرض بحر النجف من جهة الغرب حوالي (٩٠م).

والتاريخ الذي وثّق فيضانات الفرات لم يخبرنا بأيّة موجة لفيضانات الفرات تقرّبت لمنطقة النجف أو لأطرافها، وبذلك اكتسبت مقبرة النجف خاصيّة مهمّة

طوبغرافية الطابع تعتبر ركناً أساسياً من مقومات المقبرة المثالية التي لا تتعرض فيها رفات الموتى إلى الغرق أو الانجراف بواسطة مياه الفيضانات أو السيول، كما أنّ طبيعة الصخور في موقع المقبرة غير ملائمة للاحتفاظ بالمياه النافذة إليها من الأمطار والسيول بسبب طبيعتها الرملية ذات المسامية والنفاذية العالية، وعدم قدرة الصخور في موقع المقبرة ضمن مستويات الدفن على الاحتفاظ بمياه السيول والأمطار بسبب خصائصها الفيزيائية وهو ما يعتبر من الخصائص المثالية للتربة الصالحة للدفن، ويبرز هنا دور طار النجف ليضيف بعداً مثالياً آخر لصلاحية مقبرة النجف للدفن، حيث يعتبر الطار متنفساً مائياً لسطح الهضبة ولطبقاتها العلوية على وجه الخصوص إضافة إلى طبيعة الصخور الموصوفة بالصلابة المتوسطة إلى الهشة بسبب ضعف تماسك مادتها الرابطة مما يساعد على عمليات حفر تلك الصخور لأغراض الدفن بالوسائل اليدوية البسيطة وبفترة زمنية منطقية تلائم متطلبات الأغراض الاجتماعية لمراسيم الدفن كما أنّ الصلابة الهشة والمتوسطة للصخور متوازنة مع الحد الأدنى لمتطلبات مقاومة الانهيار أثناء حفر القبر بأبعاده المعروفة دون الحاجة إلى تدعيم^(١).

ونتيجة لقدسية المكان وللطبيعة الجيولوجية المثالية للأرض غدت مقبرة وادي السلام من أقدس المقابر وأكبرها في العالم، ينقل إليها الموتى المؤمنون من شرق الأرض وغربها كي يحظوا بشرف الدفن في هذا الوادي المقدس.

وتشير المصادر التاريخية إلى أنّ الدفن في أرض النجف كان معروفاً أيام البابليين، ذلك أنّ كثيراً من موتى البابليين دفنوا في موضع النجف في أرض قوية رملية، مياها الجوفية عميقة لا تفيض مهما كان الفيضان الذي

(١) ينظر: أرض النجف. سابق: ٨٣-٨٨ (بتصرف).

كان يطغى على بابل وكلّ الفرات الأوسط والجنوبي^(١).

كما انتشر الدفن حول الحيرة وشمالها وامتدّ حتّى وصل إلى ما يدعى بـ(ظهر الكوفة). أي: النجف.

وتذكر مديرية مفتشيّة آثار النجف أنّ التنقيبات عثرت على أكبر مقبرة مسيحيّة في العراق، إذ أنّ أرض النجف ضمّت قبوراً فرثيّة ومسيحيّة وإسلاميّة تعود إلى آلاف السنين، وأنّ مساحة المقبرة المسيحيّة تبلغ (١٤١٦) دونماً ويسمّى موضعها بـ(أم خشيم) وهي تبدأ من النجف إلى المناذرة، كما أنّ منطقة بحر النجف تحوي أكثر من مقبرة.

كما أنّ شهداء معركة القادسيّة التي حدثت بين الفرس والمسلمين أثناء الفتح الإسلامي للعراق دفنوا دون حافة الطار من أرض النجف.

ثم أصبحت منطقة (الثوية) ما بين الكوفة والنجف جبانة الكوفة العامّة، ومن الملفت للنظر أنه خلال حفر أسس عميقة للبناء في منطقة السهلة عثر على رفات بشر عمالقة لا يعرف بالضبط قدم رفات هؤلاء العمالقة.

وقد ضمّت الثوية رفات المئات من صحابة النبي ﷺ وأصحاب الإمام علي عليه السلام، وعدد من القضاة والعلماء المبرزين من أهل الكوفة وأموات قبيلة ثقيف، إضافة إلى مرقد الصحابي الجليل كميل بن زياد النخعي المتوفّى (ت ٨٣هـ / ٧٠٤م)^(٢) ومرقده معروف.

(١) مدينة النجف عبقرية المعاني وقديسة المكان. د. محسن عبد الصاحب المظفر. وزارة الثقافة العراقية. مديرية الشؤون الثقافية، بغداد، (١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م): ١٨-١٩.

(٢) ينظر: تاريخ الدفن في أرض النجف وظهور مقبرة وادي السلام. د. محسن عبد الصاحب المظفر. النجف تاريخ وتطور المدينة المقدسة. سابق: ٩٢-٩٧.

كما أنّ الحمدانيّين كانوا ينقلون موتاهم من الشام وحلب وديار بكر والموصل وفارس وعراق العجم إلى النجف الأشرف^(١)، وكذلك الإيليخانيّين والصفويّين الذين دفنوا في تربتها موتاهم لأزمة طويلة^(٢)، وغير من تقدّم ذكرهم كثير.

وهو ما دعا العقيد ميهاي فضل الله الحدّاد عقيد الجيش الإمبراطوري الملكي أن يصف في كتابه المترجم وهو يغذ السير نحو النجف الأشرف ما شاهده في طريقه بقوله: "ضجّ الطريق بالحركة التقينا بقافلة تلو الأخرى، وغذت جميعها السير نحو المدينة المقدّسة للاحتفال بالمناسبة الكبيرة. ضمّت كلّ شعوب الأرض: الفرس والهنود والصينيّين، وكاد طريقنا كلّه يمرّ عبر مقبرة مترامية الأطراف، ورأينا إلى جانب قافلتنا الكثير من البغال التي تحمل الجنائز، حتّى أوضح أبعاد عمليّة نقل الموتى من أقاصي الأرض إلى هنا وإلى كربلاء، فقد صادفنا جثماناً واحداً على الأقلّ مقابل كلّ خمسين زائراً، لقد سرنا لساعتين ولم نر حولنا سوى قبور بعد قبور، وتبدو مملكة الموتى دونها نهاية على امتداد عشرة كيلومترات، قبور تلتها قبور، سيطرت على أرواحنا سطوة فكرة الموت عند رؤيتها ووددنا لو اجتزناها بسرعة لكنّا كنّا في بدايتها فحسب"^(٣).

ونتيجة لشرف الدفن في النجف الأشرف ومقبرته الكبيرة وادي السلام فقد بلغ عدد الجنائز المنقولة إليه وإليها بحسب الإحصاءات التي قامت بها إدارة الصّحة التركيّة العامّة سنة (١٣٣١-١٣٣٢هـ / ١٩١٢-١٩١٣م) (٧٥٥٨) جنازة^(٤).

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٢٤٢.

(٢) ينظر: الأديان والمذاهب بالعراق. رشيد الخيون: ٣٢٢-٣٢٣ مع الهوامش.

(٣) رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب ص: ٦٠.

(٤) ينظر: مدينة النجف عبقرية المعاني وقديسيّة المكان. سابق: ٤٧٤.

وقد ارتفع هذا العدد أواخر العهد العثماني فقد أثبتت إحصائية لاحقة أنّ عدد الجنائز المحمولة إلى النجف الأشرف للدفن من داخل مدن العراق وخارجه تصل إلى حدود (٢٠ ألف) جنازة سنوياً، وأنّ قرّاء القرآن المكلفين بقراءة القرآن على قبور الموتى قد أحصوا سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) فبلغوا وقتها (٢٠٠٠) قارئ جلّهم من طلاب الحوزة العلميّة النجفيّة.

كما أنّ متوسط معدّل نقل الجنائز إلى النجف طيلة سنوات الحكم الملكي قد قدّر بحوالي (١٧٥٠٠) جنازة سنوياً^(١).

وبزيادة عدد السكان وتقدّم وسائل النقل ازداد عدد المنقولين من الأموات إلى المدينة حتّى بلغ المعدّل السنوي سنة (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) (٢٧ ألف) جنازة. وبالاعتماد على حساب المتوسطات الحسابيّة للمنقولين للفترات من سنة (٣٩٣-١١٧٩هـ / ١٠٠٢-١٧٦٥م) ثمّ من سنة (١١٨٠-١٣٣١هـ / ١٧٦٦-١٩١٢م)، ومن سنة (١٣٣٢-١٣٩٣هـ / ١٩١٣-١٩٧٣م) مع إضافة أموات المدينة لنفس الفترات فقد بلغ عدد المدفونين في المقبرة العامّة وحدها حوالي (٤) أربعة ملايين مدفوناً^(٢).

ولو ضربنا مثلاً على مدى زيادة "عدد الجنائز الواردة إلى النجف الأشرف في الربع الأخير من القرن الماضي لتبيّن لنا من خلال إحصائية أثبتها مكتب استعلامات الدفن في النجف الأشرف أنّ عدد الجنائز التي أمّت النجف الأشرف من خارجها خلال عام (ابتداء من الأوّل من تشرين الأوّل عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)

(١) ينظر: دليل النجف. الشيخ عبد الهادي الفضلي: ١١٠.

(٢) ينظر: مدينة النجف عبقرية المعاني وقدسيتها المكان. سابق: ٤٧٤. وشيعة العراق. إسحاق النقاش:

حتى الثلاثين من أيلول عام (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) - رغم تضيق النظام البائد على دخول الجنائز إلى العراق من خارجه لأسباب طائفية معروفة - بلغت (٢٨١٧١) ألف جنازة، بينها (١٥٦٤٤) ألف جنازة للذكور و(١٢٥٢٧) ألف جنازة للإناث) موزعة على أشهر السنة كالآتي:

(٢٠٦٠) جنازة في شهر تشرين الأول، و(٢١٣٠) جنازة في تشرين الثاني، و(٢٦٠١) جنازة في كانون الأول، و(٢٩٢٦) جنازة في كانون الثاني، و(٢٣٦٠) جنازة في شباط، و(٢٧٥٣) في آذار، و(٢٦٩١) جنازة في نيسان، و(٢٤٠٢) جنازة في مايس، و(٢٠٦٠) جنازة في حزيران، و(٢١٧٨) جنازة في تمّوز، و(٢٠٣٣) جنازة في آب، و(١٩٧٧) جنازة في أيلول.

كما تبين إحصائية عام (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) المتقدّم ذكرها أنّ العديد من هذه الجنائز قد قدمت إلى النجف الأشرف من خارج العراق، من دول عربية، وإسلامية، وغربية يقطنها مسلمون، وهذه الدول هي: دولة الكويت، والجمهورية العربية السورية، والمملكة العربية السعودية، وإيران، وفلسطين، والجمهورية اللبنانية، والمملكة المتحدة، وعمان، والجمهورية الفرنسية، والجمهورية الباكستانية، والبحرين، والجمهورية الأسبانية، والاتّحاد السوفيتي.

وبعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) استقبلت مقبرة وادي السلام أعداداً كبيرة من الجثث قدرت بأكثر من (٢٠٠) جنازة يومياً^(١).

(١) مقبرة وادي السلام بين الأهمية الوظيفية وضغط استعمالات الأرض في مدينة النجف الكبرى. بحث. أ. د. رضا عبد الجبار الشمري. وم. م. حيدر عبود كزار. النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية وكنز المعارف والعلوم. مركز دراسات الكوفة. جامعة الكوفة. (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م): ١١٣ / ٢.

وتكشف إحصائيات استقيتها مباشرة من مكتب استعلامات الدفن التابع لبلدية النجف الأشرف في بداية القرن الحالي أنّ معدّل أعداد الجناز التي أمت مدينة النجف الأشرف في عام (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) -أي: قبل سقوط النظام البائد في (١٤٢٤هـ - ٩ / ٤ / ٢٠٠٣م) - كانت بمعدّل (٧٠) جنازة يومياً من مختلف محافظات العراق، بينما انعدمت أو تكاد تنعدم الجناز الواردة من خارج العراق؛ بسبب المنع الحكومي المفروض عليها، فقد كان يتطلّب السماح بدخول جنازة عراقي توفّي خارج العراق إلى موافقة خاصّة من وزارة الخارجية العراقية التي يتطلّب استحصالها أياماً، ثمّ ينتهي الأمر بالرفض عادة إلا ما ندر وبشكل استثنائي وخلال تلك الفترة الحرجة المؤلمة الحزينة على أهله وأحبابه، كونهم ينتظرون بحدود أسبوعين موافقة الخارجية العراقية على نقل جنازة العراقي الغريب، وتبقى الجنازة مطروحة بانتظار الموافقة التي لا تأتي غالباً، ممّا يضطر الأهل إن وجدوا، أو الجيران، أو الأحباب، أو الأصدقاء، أو المشفقين الغرباء الأجانب إلى دفن الجنازة في بلاد الغرب؛ ولذلك فقد انتشرت على مدى عقدين من الزمان مقابر العراقيين في أرجاء المعمورة، وخاصّة مقابر المعارضين منهم، الذين قدّر الله لهم أن يلتحقوا ببارئهم خارج عراقهم الحبيب، بمن فيهم العديد من رموز العراق الوطنيّة والثقافيّة والعلميّة.

وكأنّ الله قدّر لهم أن يعيشوا الغربه مرتين، مرّة قبل الممات وأخرى بعده، رغم وصايا غالبيتهم الملحّة بأن يدفنوا في تربة بلدهم، بل وفي النجف الأشرف خاصّة.

ولقد زرت بعض هذه المقابر الكثيرة في لندن، وطرابلس الغرب بليبيا، ودمشق، وطهران، وقمّ، وغيرها حيث دفن لي فيها أهل وأقارب وأحباب

لقراءة سورة الفاتحة على أرواحهم وأرواح ساكنيها من جيرانهم الغرباء، فوجدتها موحشة غريبة كغربتهم، مؤلمة كآلامهم ومعاناتهم، متشوقة للمسة حبّ وحنان كشوقهم لأهلهم ووطنهم زمن الغربة القسريّة الموحجة.

أمّا معدّلات أعداد الجنائز التي أمّت النجف الأشرف بعد سقوط النظام البائد أي: في أعوام (١٤٢٤-١٤٣١هـ / ٢٠٠٣م-٢٠١٠م) فقد قاربت معدّلاتها بحسب أقوال المعنّين في مكتب استعلامات الدفن وغيره من أهل الخبرة حدود المائة جنازة يومياً، تنقص عنها وتزيد حسب الظروف والأيام والفصول.

أمّا في سنوات وأيام اشتداد تفجيرات الإرهابيين التكفيريين ضدّ المدنيين المسالمين من أتباع أهل البيت (عليه السلام) خلال الفترة المتقدّمة، وبالأخصّ في شهري محرّم الحرام وصفر، بل وفي جميع أيّام المناسبات الدينيّة التي يتوجّه فيها المسلمون الشيعة لزيارة العتبات المقدّسة في كربلاء والنجف الأشرف والكاظميّة وسامراء، فقد تصل حدود الجنائز إلى (٢٠٠) جنازة يومياً، كثير منها من مجهولي الهوية ممّن وجد مقطوع الرأس مثلاً وغيره، ممّا اضطرّ المؤمنين من أهل الخير والإحسان إلى استحداث مقبرة خاصّة بهم تحمل قبورها أرقاماً خاصّة، لكلّ رقم منها ملف خاصّ يحتوي على صورة للقتيل متى تيسر ذلك مضافاً إليها كلّ ما يمكن أن يدلّ على صاحب القبر من أشيائه الخاصّة ومقتنياته متى وجدت معه عسى أن يتمّ التعرف بواسطتها على ساكن القبر الغريب المجهول بطريقة ما مستقبلاً.

وقد لاحظ موظفو مكتب استعلامات الدفن والمتبّعون أنّ أعداد الجنائز تزداد بشكل ملحوظ أيّام محاكمة صدام حسين وأعوانه، وهي ظاهرة تستدعي الوقوف عندها طويلاً.

كما أنّ مقبرة النجف الأشرف باتت مثوى للآلاف من شهداء حرب تحرير عدد من محافظات العراق من احتلال داعش التكفيرية الإرهابية سنة (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) وما بعدها.

ومن الواضح أنّ بيانات مكتب استعلامات الدفن لم تثبت إلا من وصلت جنازته إلى النجف وسجّلت في مكتب استعلامات الدفن، أمّا أعداد الذين لم يعثر لهم على أثر نتيجة تطاير أجسادهم في الهواء، أو تبعثر لحومهم وعظامهم نتيجة شدة التفجيرات فلم تعرف، كما لم تتناول هذه البيانات من لم يطرق باب مكتب استعلامات الدفن، لأسباب شتى، يأتي في مقدّمها أنّ التسجيل في مكتب الدفن ليس إلزامياً، بل يخضع لرغبة أو حاجة ذويه لمساعدة المكتب على دفن، أمّا من لم يرغب منهم باستحصال المعونة، فيبقى خارج نطاق التسجيل في المكتب وخارج أرقامه ضمناً، ويأتي من جملة أسباب عدم تسجيل الوفاة في المكتب أن العديد من ذويه له متعهّد خاص يتولّى دفن موتى أسرته أو قبيلته أو مدينته أو ما شاكل، ممّا يكفيه مؤنة خدمات مكتب الدفن، فلا يحتاجه، إضافة إلى رغبة أعداد غير قليلة باتت تدفن موتاهم خارج تربة وادي السلام في النجف الأشرف لأسباب شتى، منها صعوبة النقل في الظروف الاستثنائية، ومنها الوضع الاقتصادي، ومنها وجود مدافن خاصّة لأسر معيّنة، ومنها الرغبة، وغيرها، ففي كربلاء المقدّسة، والبصرة، وبغداد، مقابر كبيرة بدأت تتسع بالطّراد، وفي الكثير من القصبات والأقضية والنواحي ومراكز المدن مقابر كبيرة ومتوسّطة وصغيرة بحسب المنطقة والقدم وما إلى ذلك.

ومما يلفت النظر حقّاً بعد الارتفاع الكبير في أعداد ضحايا التفجيرات الطائفية الإرهابية، تصاعدت نسب الوفيات بسبب مرض السكر والسرطانات المنتشرة

بكثرة في هذه الأعوام، وهو ما يستدعي من المهتمين بالشؤون الصحيّة وخاصة وزارة الصحة معالجته سريعاً والتركيز عليه.

ويذهب الدكتور محسن عبد الصاحب المظفر إلى أن مساحة مقبرة وادي السلام حتّى عام (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) وصلت إلى (٩٨٠ هكتاراً).

ويضيف: هكذا تضاعفت مساحة المقبرة مرّتين عام (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) عمّا كانت عليه عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) وخلال (٣٠ سنة)، وتضاعفت مساحتها (ثلاث مرات) عام (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) عمّا كانت عليه عام (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) خلال (عشر سنوات).

ويؤكد أيضاً بحسب إحصائيّته وعلى عهده بأنّ المقبرة تضمّ بين أرجائها منذ ظهورها فلاحقاً حتى تاريخه: (٦,٩٥٢,٠٠٠) ستّة ملايين وتسع مائة واثنان وخمسون ألف مدفون^(١).

ويعلم الله كم ستبلغ مساحة المقبرة، وكم سيبلغ عدد دفنائها عام (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م) بعد عشر سنوات من تاريخ الإحصائيّة أعلاه وكم سيبلغ العدد.



(١) يراجع: تاريخ الدفن في أرض النجف وظهور مقبرة وادي السلام. سابق: ١١٣ - ١١٤.

الخاتمة

يلقي هذا البحث الضوء على مدينة النجف الأشرف التي احتضنت منذ ألف عام حوزة علمية عريقة استطاعت عبر تاريخها الطويل - عدا أزمان محدّدة فتر فيها نشاطها العلمي - أن تكون الحوزة الأمّ لحوزات فقه آل البيت عليه السلام في العالم الإسلامي كلّ، وهو أمر تكاد تجمع عليه المصادر التاريخية، ويتفق عليه الباحثون الذين تناولوا تاريخ الحوزات العلمية لفقه أهل البيت عليه السلام بالبيان والتوثيق.

غير أنّ الأمر الملفت للنظر حقّاً أنّ البحث في موضوع سرّ تميّز حوزة النجف الأشرف عن غيرها من الحوزات العلمية الأخرى المنتشرة في شرقها وغربها، بل وتفردّها فيما تفردت به من حيث تولّيها صدارة الحوزات العلمية لشيعة أهل البيت عليه السلام خلال ألف عام باستثناء سني فتورها، موضوع غير مبحوث عنه بدقّة ووضوح وشمول بحسب اطلاعي.

وهذا بالضبط هو ما حاول هذان الكتابان: (الأوّل)، فد(الثاني) الذي يليه البحث فيه والإجابة عنه، منتهياً من ذلك كلّ إلى تشخيص عوامل وأسباب محدّدة أدّت بمجموعها لأن تكون حوزة النجف الأشرف أمّ الحوزات المشابهة لها لقرون، ولعلّ في تأريخ وجغرافية المكان وقداسته وكونه مدفن الأنبياء: آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام - على بعض الروايات -، ومسرى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ومرسى سفينة نوح عليه السلام - على روايات دعمتها نظريّات بعض من كبار الباحثين الجيولوجيين المعاصرين -، ومقام وموضع زيارات العديد من الأئمّة المعصومين عليهم السلام أثر في ذلك.

بيد أن وجود الحضرة العلوية للإمام العادل ووصي رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وما يفيض وجود مرقده المبارك على المكان وأهله هو السبب الأساس الفاعل، ولولاه لما كان للنجف الأشرف ما كان، إضافة إلى خصوصيات أخرى سيستعرضها الكتاب الثاني أدّت هذه بمجموعها إلى أن تحظى هذه الحوزة الشريفة بهذا التفرد المشهود له بين حوزات فقه أهل البيت الأخرى، وهو ما أهلها تبعاً لذلك لأن تكون مقراً للمرجعية الدينية العليا لأتباع أهل البيت عليهم السلام في العالم أجمع لأزمان عديدة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلّم تسليماً كثيراً.

عبد الهادي السيد محمد نقي الحلي
النجف الأشرف

٢٧ رجب الأصب ١٤٤٤ هـ

١٩ شباط ٢٠٢٣ م



الملحق



الملحق الأول

آلية نشوء هضبة النجف الأشرف والإعجاز الإلهي

الملحق الثاني

جملة من دفناء مدينة النجف الأشرف الكبرى

الملحق الثالث

صور من العتبة العلوية المقدسة

الملحق الرابع

صور للمعالم الشريفة في محافظة النجف الأشرف

الملحق الأول

آلية نشوء هضبة النجف الأشرف والإعجاز الإلهي

بقلم الشهيد المرحوم الدكتور موسى جعفر العطية

حول عنوان هذه الفقرة لا بدّ لي من وقفة قصيرة تمهّد لمضمونه ودوافع اختياري له، التي استندت على معطيات التحليل المنطقي والعلمي لآلية نشوء هضبة النجف بالاستناد على واقع خصائصها الجيولوجية.

وقد تأملت في تلك المعطيات والمعالجات التحليلية التي أتناولها في هذا المبحث، وقد قادني تأملي إلى استحضار جرأتي لأطرح في هذا الكتاب ما توصّلت إليه من رأي حول آلية نشوء هضبة النجف، والذي قد يراه البعض مثيراً أو جريئاً أو ربما غير ذلك في استنتاجاته.

وقد أثرت أن أطرحه للنقاش قبل توثيقه في هذا الكتاب مع عدد من ذوي الكفاءات الجيولوجية، من بينهم ذوي خبرة في جيولوجية منطقة النجف وأقليمها، ولا أخفي أن عدم التوصل إلى إجابات منطقية للمحاكات الاستفهامية التي طرحتها عليهم حول تناقض آلية الوضع الجيولوجي لهضبة النجف وواقع خصائصها شجعني على التمسك بما توصّلت إليه من رؤية ترتكز على الإعجاز الإلهي في تفسير نشوء هذه الهضبة.

ولا أرى في ذلك حيوداً عن التمسك بالإيمان بالعلم وقوانينه التي أحكم الله سبحانه وتعالى بها خلق هذا العالم، وأرى أن ذلك يندرج ضمن الإعجاز الإلهي

الذي اكتنف رسالات أنبيائه واتخذ صوراً متعددة أوردتها القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى كان من بينها الطوفان الذي أغرق الله بواسطته غير المؤمنين من قوم نوح عليه السلام ونجا المؤمنون بالفلك الذي أمره الله بصنعها حتى استوت سفينته على الجودي، وهو هضبة النجف التي شاءت الإرادة الإلهية أن تكون من إعجاز الطوفان، وفق ما توصل إليه بحثي الذي أوجز مرتكزاته ومعطياته فيما يلي:

الوضع الجيولوجي لهضبة النجف في جوانبه الرسوبية والتركيبية في الجيومورفولوجية يبدو للوهلة الأولى تقليدياً يندرج ضمن أنشطة الفعاليات الجيولوجية الاعتيادية المعروفة، غير أن الباحث في موضوع آلية نشوء هذه الهضبة يواجه بما نسميه بتناقض النظريات أو تقاطع الشواهد والدلائل، بما يؤدي إلى إحراج قوانين المعرفة العلمية أمام التحليل المنطقي لمعطيات الوضع الجيولوجي للهضبة، وفي ذلك تعتبر آلية نشوء هضبة النجف من المعضلات الجيولوجية التي لم تزل قائمة، ولا يتوافر حالياً نموذج (MODEL) منطقي يفسر كيفية نشوئها، بالرغم من أنها خضعت إلى بعض الدراسات الجيولوجية، وهناك من يعتبر أن هضبة النجف عبارة عن مروحة غرينية كبيرة تكوّنت في العصر الجيولوجي الحديث بالاستناد إلى شواهد رسوبية و جيومورفولوجية^(١).

لكي نتلمس مشكلة الإخفاق في التوصل إلى نموذج (MODEL) منطقي يستند على قوانين المعرفة الجيولوجية يفسر آلية نشوء هضبة النجف، لا بدّ من الإشارة أولاً إلى الحقائق بالإطار الجيولوجي لهضبة النجف وهي:

(١) الخطيب، أزهار علي غالب (١٩٨٨م) دراسة جيومورفولوجية لهضبة النجف، رسالة ماجستير، كلية العلوم، جامعة بغداد.

١. شكل هضبة النجف مثلث يندرج ضمن الهيئة المروحية لرسوبيات نهريّة معروفة بـ(الدلتا)، وإن شكل هذا المثلث من صنف متساوي الضلعين كما هو موضّح في الشكل رقم (٨).
٢. الهضبة مرتفعة حالياً عن مستوى سطح البحر بمقدار يصل إلى (١٧٦ م) في إحدى المواقع على سطحها، كما عن مستوى السهل الرسوبي في منطقة نهر الفرات بمقدار (٢٥ م) تقريباً.
٣. الهضبة مطّلة من طرفيها الغربي والجنوبي على منخفض بحر النجف، وهذه الإطلالة حادة شكّلت جرفاً (طاراً) صخرياً متميزاً امتدّاً على طول ضليعيها بما يعرف بـ(طار السيّد) و(طار النجف)، ويبلغ ارتفاع إطلاله طار النجف على بحر النجف حوالي (٤٠ م) كما في الشكل رقم (٩).
٤. يغطّي سطح هضبة النجف تكوين الدبدبة من حقبة البلايوسين من أواخر العصر الثلاثي وبدايات العصر الرباعي، وتتكوّن رسوبيات التكوين من صخور رملية مترسّبة في بيئة نهريّة فيضية.
٥. من الناحية التركيبية فإن مجموعة الفوالق السائدة في إقليم المنطقة هي مجموعة فوالق هيت - أبو الجير التي تمرّ في مناطق هضبة النجف وجوارها، وتعتبر التفسير التركيبية لتلك الفوالق، وكما هو موضّح في الخارطة البنيويّة للمنطقة (شكل رقم ١٠) بأنّ مناطق هضبة النجف هي مناطق هابطة في حين مناطق بحر النجف هي مناطق صاعدة، كما أنّ أنماط مضارب الفوالق الطوليّة والمستعرضة وتقاطعاتها لا تنسجم مع اتجاهات وامتدادات طاري النجف والسيّد.

٦. تنتهي بصورة حادة (مقطوعة) على امتدادات مشارف الهضبة على منخفض

بحر النجف أي بامتداد طاري النجف والسيد.

٧. لم ترصد كذلك أية شواهد لوجود امتدادات لرسوبيات تكوين الدبدة في

مناطق بحر النجف الذي تطلّ عليه هضبة النجف من جهة طار النجف

اطلالة حادة، ولم ترصد أية شواهد لوجود تكوين الدبدة في المناطق التي

تطلّ عليها هضبة النجف من جهة طار السيد اطلالة حادة أيضاً.

إنّ هذه الوقائع والملاحظات عن طبيعة الوضع الجيولوجي لهضبة النجف

لا بد ان يتركّز عليها أو يتناول تفسيرها أيّ نموذج (موديل) يوضع حول آلية

نشوء هضبة النجف.

للاستمرار في التمهيد لمحاكاة الآلية المطروحة (آلية النشوء التركيبي

والبنوي والتقليدي التي يذهب إليها الجيولوجيون تلقائياً لتفسير مظاهر

التهضّب) أو أية آلية أخرى ضمن مفاهيم وقوانين علم الأرض، لا بدّ من طرح

بعض التساؤلات:

« متى حدث الفيض الدلتاوي الذي أدّى إلى نشوء المروحة الغرينيّة وترسيب

تكوين الدبدة في منطقة هضبة النجف؟

« هل حدث ذلك (الفيض) قبل نهوض الهضبة أو بعده؟

« ثم كيف حدث نهوض هذه الهضبة؟

« هل حدث بفعل حركات بنيويّة إزاحيّة بالاتجاهين العمودي والأفقي أدت

إلى تصدّع الطبقات الصخرية؟

نحاول الآن الإجابة على تلك التساؤلات بطرح كافة الاحتمالات ونتبّع التحليل المنطقي بالاستناد على وقائع الخصائص الجيولوجية للمنطقة.

وفي هذا الخصوص يمكن ان يكون أحد الأجوبة: أن ترسيب تكوين الدببة قد حدث قبل النهوض، وبعد ذلك أصبح جزءاً من هضبة النجف بعد نهوضها بفعل الحركات البنيوية التي سادت المنطقة والمرصودة اتّجاهاتها وخصائصها من المعطيات الجيوفيزيائية كما هو موضح في الشكل رقم (١٠).

إذا قبلنا هذه الإجابة دون الخوض بإشكاليات اتّجاهات الفوالق الذي نتناوله لاحقاً يبرز تساؤل منطقي آخر.

كيف تمت المحافظة على تناسق الشكل المروحي للدلتا خلال عملية نهوض الهضبة بفعل الآليات التركيبية وبهذا الشكل الانتقالي والحادّ لكي ينتهي في حدود طار النجف وطار السيد؟

إذا كان الأمر كذلك لا بدّ من حدوث قطع وتشويه للشكل المروحي للدلتا بعد النهوض بفعل تأثيرات الحركات البنيوية (تصدّع وحركة) على الطبقات الصخرية ومنها طبقات تكوين الدببة، سيما وأنّ هذا النهوض ترتّب عليه نشوء جرف صخري حادّ بامتدادات طويلة (طار السيد وطار النجف).

وعليه لا بدّ من رصد امتدادات لرسوبيات المروحة الغرينية (تكوين الدببة) في مناطق الجوانب الأخرى للطار في اتّجاهات منخفض النجف أو في اتّجاه المناطق التي يطلّ عليها طار السيد، وهو ما لم تثبته الدراسات الجيولوجية والمسوحات المعدنية التي خضعت لها تلك المناطق، فضلاً عن معطيات عمليات الحفر الواسعة التي انجزت في مساحات كبيرة من بحر النجف خلال عمليات الاستكشاف

عن اليورانيوم في تلك المناطق، والتي أشرف عليها المؤلف، واستمرت لعدة سنوات، ولم يلاحظ أي وجود لرسوبيات تكوين الدبدة في مناطق الجوانب الأخرى لطاري النجف والسيد، وهو ما يثير تساؤلات جدية حول تفسير هذه الظاهرة، ولاسيما أن هضبة النجف يمر بها عدد من الفوالق الطولية والمستعرضة كما هو موضح في الشكل رقم (١٠).

أما الاحتمال الآخر لجواب السؤال الذي طرحناه: حول توالي ترسيب تكوين الدبدة ونهوض الهضبة، بأن تكون المروحة الغرينية قد نشأت بعد النهوض ونشوء الجرف الصخري ومنخفض بحر النجف، فإن هذا الاحتمال غير منطقي أيضاً، وهو من الأمور التي يصعب أو يستحيل تصوّرُها بأن تقف حمولة السيول الفيضية عند شرفات جرف صخري طويل، ولا تقذف بحمولتها عبر حدوده في المناطق المنخفضة والتي تشكّل بحر النجف، ناهيك عن صعوبة تصوّر اندفاع السيول الفيضية باتجاه المناطق المرتفعة؟

نعود مرة أخرى لتناول محاكاة الآلية البنيوية والتركيبية لتفسير آلية نشوء هضبة النجف لأهميتها عند الجيولوجيين في تفسير مثل هذه الظواهر.

ونطرح تساؤلات أخرى:

« عندما نشير إلى نهوض هضبة النجف نتساءل: كم مرة نهضت المنطقة؟
« وأي نهوض (مرحلة نهوض) أدّى إلى نشوء هضبة النجف في وضعها الحالي؟
وفق المعطيات الجيوفيزيائية وكذلك الجيولوجية المتوافرة فإن منطقة هضبة النجف تقع ضمن امتدادات مجموعة فوالق هيت - أبو الجير، وأن عمر هذه المجموعة عن الفوالق قديم، ويمتد تأثيره إلى صخور القاعدة، وهناك عدة

فوالق مثبتة الاتجاهات والامتدادات والإزاحات في منطقة النجف وهضبتها، وأنَّ اتجاهات تلك الفوالق لا تنسجم مع اتجاهات مضارب حدود هضبة النجف، وخاصّة الاتجاهات الجنوبيّة (مضرب طار النجف) والغربيّة (مضرب طار السيّد)، فضلاً عن وجود بعض الفوالق تمرّ مضاربها من وسط هضبة النجف كما في الشكل (١٠).

إنَّ الإزاحة العموديّة للفوالق في منطقة النجف تشير وفق المعطيات الجيوفيزيائيّة والجيولوجيّة إلى أنَّ مناطق هضبة النجف هي النطاق الهابط (المنخفض)، ومنطقة بحر النجف هي النطاق الصاعد (المرتفع)، وهذا ما يناقض الواقع الحالي لجيومورفولوجيّة هضبة النجف وبحر النجف، وأنَّ أيّ تفسير للإزاحات المركّبة والمتعاقبة للفوالق التي سادت المنطقة دون التأثير على انتظام الشكل المروحيّ لرسوبيّات تكوين الدبّدة أو تشويهه على الأقلّ لا يمكن قبول افتراضه في غياب أيّ مؤشّر أو دليل على تأثير رسوبيّات تكوين الدبّدة التي افترشت سطح هضبة النجف بالنشاط البنيوي والتركيبّي الذي ساد المنطقة وأقليمها، كما أنَّ المعطيات الجيوفيزيائيّة المغناطيسيّة لا تشير إلى أيّة فعاليّات صهر يمكن أن ينشأ عنها تهضّب منطقة النجف.

على ضوء ما أوردناه من ملاحظات ومؤشّرات فإنَّ البحث في آليّة نشوء هضبة النجف تتطلّب التأمّل لتزاحم التناقضات التي أوردناها حول واقع خصائص جيومورفولوجيّة هضبة النجف والآليّات التقليديّة المعروفة بـ(حمم الأرض) لنشوء هذا النوع من التهضّب وفي ذلك توصّلت في بحثي حول هذه المعضلة بأنَّ آليّة نشوء هضبة النجف تبدو لي صورة من صور الإعجاز الإلهي، وهي خارجة عن قوانين المعرفة الجيولوجيّة التي يمتلكها الإنسان.

ولا أريد الخوض في مجال رسالة الحكمة الإلهية للإنسان في ذلك، ولكنني أجد فيها شاهداً آخر للإعجاز الإلهي الذي اقترن برسله كالنبي عيسى وهو يحيي الموتى ويبرئ المرضى، وكذلك النبي محمد ﷺ في قرآنه، وكذلك النبي نوح عليه السلام في طوفان أرض قومه، ونجاة من آمن منهم بالفلك، ورسوؤها على أرض هُيئت بأمر الله لتكمل ملحمة الطوفان وأغراضها ضمن أمدتها المحدد.

وهكذا تتبلور خصوصية وقدسية أرض اكتنفتها القدرة الإلهية لتكون مسرحاً لمشيئتها وإعجازها، وأرى أنّ ذلك ينسجم مع الأخبار المروية عن النبي محمد ﷺ وآل بيته حول قدسية أرض النجف التي اختارها الله مرسى لفلك النبي نوح عليه السلام ومثوى لأنبيائه آدم ونوح عليه السلام وهود وصالح عليه السلام، وقبراً لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما أخبره بذلك النبي الأكرم ﷺ في الرواية المشهورة عن ابن عباس رضي الله عنهما التي ذكرناها في مبحثنا عن مقبرة النجف والذي سيرد ذكرها لاحقاً في هذا الفصل.

استكمالاً لهذا البحث حول خصوصية هضبة النجف باعتبارها شاهداً للإعجاز الإلهي نتناول بشيء من الإيجاز طوفان نوح عليه السلام ورسو فلكه على هضبة النجف.

النبي نوح عليه السلام والطوفان الذي اقترن باسمه عذاب الله سبحانه وتعالى على قومه، وسفينته التي أمره الله بصنعها لينجو بها ومن آمن معه من الغرق تحتزنه ذاكرة البشرية التي دونته في تراثها الحضاري، كما تناولت ذكره والإشارة إليه الكتب السماوية لما في ذلك كله من عبر باعتباره مصداقاً للقدر الإلهي وإعجازها المقرون برسالاته ورسله جل شأنه إلى البشرية وما تكتنفها من رحمة وغضب تقتضيها الحكمة الإلهية.

لقد أجمعت البشرية على مختلف أجناسها ودياناتها على حقيقة قصة الطوفان وان اختلفت رواياتها حول تفاصيل أحداثها وفصولها وهكذا وردت أخبار الطوفان في التوراة كما وردت في الروايات السومرية البابلية في ملحمة كلكامش، ولكن إذا ما أردنا قراءة فصول هذه الملحمة الإلهية ونتعمق في مضامينها ونتعرف على حوادثها وفصولها لابد أن نتأمل ما ورد عنها في القرآن الكريم وفي مواضع عديدة من سوره وآياته ونختار منها ما ورد في سورة هود (الآية ٣٦-٤٤):

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ٣٧ ﴿وَيَصْنَعِ الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ٣٨ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٣٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ٤٠ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِلُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٤١ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ

نُوحٌ أَبَتْهُ وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ يَبْتِئُ أَزْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأُ قَلْبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ (١).

وفي إشارة أخرى وردت في سورة المؤمنون (الآية ٢٧-٣٠) يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ إِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ انْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (٢).

مما تقدم من العرض الإلهي لقصة النبي نوح عليه السلام مع قومه وعذاب الله الذي أنزله بهم معانٍ ومضامين غزيرة ولأغراض المبحث الذي نحن بصدده نستخلص ثلاث صور من التدبير الإلهي في موضوع الطوفان وهي:

الصورة الأولى: فيضان الأرض المفاجئ ليغرق من عليها من قوم نوح عليه السلام إلا من آمن منهم وركب السفينة التي أمره الله تعالى بصنعها.

الصورة الثانية: رسو سفينة نوح عليه السلام على أرض يابسة لم تغرق بالطوفان لتستقر عليها وينجو من الطوفان من ركبها وهي أرض مباركة باسم الله كما ورد في القرآن الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا﴾.

(١) سورة هود. الآيات (٣٦ - ٤٤).

(٢) سورة المؤمنون. الآيات (٢٧ - ٣٠).

الصورة الثالثة: تصريف مياه الطوفان بعد تنفيذ الحكم الإلهي بعذاب قوم نوح عليه السلام لتستمر الحياة.

إن الإيقاع الزمني لتسلسل الفصول الثلاثة لقصة الطوفان لابد أنه كان سريعاً ليتحقق الغرض الإلهي في إنزال العذاب على قوم نوح عليه السلام الفاسقين وعدم منحهم أية فرصة للنجاة بل منح رحمته لنوح عليه السلام والمؤمنين من قومه وانقاذهم بالفلك، وهنا يبرز السؤال الأول كيف فاضت الأرض بسرعة لم تمهل الكافرين خلاصاً من العذاب؟ وهذه المعجزة الأولى في التدبير الإلهي.

ثم كيف أمنت لسفينة نوح عليه السلام مرساة تستقر عليها بسرعة وتجنبها مخاطر الأمواج وتمنع من كان عليها من قوم نوح عليه السلام المؤمنين الطمأنينة بالنجاة من الغرق وهم فوق اليابسة يشاهدون من جحدوا بالإيمان غرقى قد جرفهم الطوفان تحقيقاً لوعد الله سبحانه التي أشارت إليه الآية الكريمة؟ وهذه المعجزة الثانية في التدبير الإلهي.

ثم بعد أن وقع عذاب الله وتحققت أغراضه لابد أن ينحسر الماء عن الأرض لتظهر اليابسة من جديد تعيش عليها أمة مؤمنة فكيف انحسرت مياه الطوفان بسرعة أيضاً؟ وهذه هي المعجزة الثالثة في التدبير الإلهي.

ما يتعلق في مبحثنا هذا هو الأمر المتعلق بالمكان الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام والذي اختاره سبحانه وتعالى بدلالة قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرُدَهَا وَمُرْسَتْهَا﴾ إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ، وهو مكان باركه الله سبحانه وتعالى عندما استجاب لدعوة نبيه نوح عليه السلام عندما دعا ربه ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ فأين هذا المكان المبارك الذي اختاره الله مرساة لسفينة نوح عليه السلام؟

لنعد مرةً أخرى إلى المكان الذي رست عليه سفينة نوح، ولكن قبل ذلك لتتوقف وقفة قصيرة نستذكر فيها حدثاً كبيراً شهده العالم بالذهول يتعلّق بالأمرين الأوّل والثالث حول فيضان الأرض بسرعة، بشكل مفاجئ، لكل من عليها، ثمّ تصريف مياه الطوفان بعد تنفيذ الحكم الإلهي في قوم نوح عليه السلام فإنّ ما شهده العالم في يوم التاسع والعشرين من شهر كانون الأوّل من عام (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) من طوفان مناطق شاسعة من سواحل وجزر المحيط الهندي بسبب زلزال سومطرة في أندونيسيا، وما ترتّب عليه من تقدّم موجات هائلة من مياه البحر نحو الأراضي اليابسة، وهو ما عرف بظاهرة التسونامي (Tsunami) (أمواج الموانئ) والتي شاهد العالم عنفوانها وهي تدمّر وبسرعة فائقة كلّ شيء أمامها من بنايات تحتيّة ومبان وسيّارات وقطارات لم يعرف عددها لحدّ الآن وغيرها من مشاهد وفّرت هذه الحادثة للإنسان إشكاليّات الخيال والتصوّر لمشهد أو مشاهد دراميّة مسرحها سطح الأرض تتحرّك عليه وبعنفوان عناصر طبيعيّة وبمقياس طوفان نوح عليه السلام.

ففي دقائق دمر كلّ شيء في موقع الحدث في مناطق شمال جزيرة سومطرة وبعد ساعات قليلة امتدّت تأثيرات الحدث (وبقوّة تدميريّة أيضاً) إلى مناطق في تايلند التي تبعد مئات الكيلومترات من موقع الحدث، وبعد عدد آخر من الساعات وصلت القوة التدميرية إلى سواحل من افريقيا التي تبعد آلاف الكيلومترات عن موقع الحدث.

إنّ ما شاهده العالم في (اليوم التاسع والعشرين من شهر كانون الأوّل ٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ) كان حضوراً لمشهد تقدّم وقائعه الإجابة على التساؤلات التي تراود الإنسان وهو يستعرض فصول قصّة طوفان نوح التي عرضها علينا

القرآن الكريم في الآيات التي أشرنا إليها، وبذلك يمكن اعتبار ما ترتّب على زلزال جزيرة سومطرة من أمواج طوفانيّة بالرغم من مأساتها الإنسانيّة درساً إيمانياً في القدرة الإلهية وإعجازها التي سارع العلماء للاجتهاد في تفسيرها ووضع قوانين لها.

لنعد مرةً أخرى إلى المكان الذي رست عليه سفينة نوح ﷺ.

لقد أجمع معظم من تناولوا البحث عن أرض الطوفان أنّ أرض وادي الرافدين كانت موطن قوم نوح الذي أنزل الله عليهم عذاب الغرق، وفي هذا الخصوص نشير إلى مقالة لأحد العلماء المشهورين في مجال تاريخ حضارات وادي الرافدين وهو السير (وليم وليكوكس) الذي قال: يجب أن نتذكر ونحن في دلتا دجلة والفرات أنّنا في بلاد الطوفان.

فإذا كان وادي الرافدين موطن قوم نوح ﷺ وأغرقوا بالطوفان فأين رست سفينة نوح ﷺ؟ وأين الجودي الذي استوت عليه؟ وأين يقع الجبل الذي أراد ابن نوح ﷺ أن يعتصم به من الغرق؟ اللذان أخبر عنهما القرآن الكريم؟ وأين جبل النسر أو جبل نصير الذي ورد في نصوص ملحمة كلكامش بأنّ السفينة رست عليه؟

لكي نقدّم الإجابة حول هذه التساؤلات لا بد أن نبحث عن موطن قوم نوح ﷺ الذين أنزل الله عليهم عذابه؟

لقد اهتمّ علماء التاريخ والآثار بالطوفان موطناً وزماناً؟ وطرحوا بعض الإجابات والأفكار، ولكن لم يقدّم دليل مادّي قاطع حول موطن قوم نوح ﷺ، ولكنّ هنالك دلائل تستند على التحليل المنطقي لما يتوافر من شواهد ماديّة

وتأريخية وعقائدية قد تكون وافية لإجابة راجحة على التساؤلات المطروحة، وفي هذا الخصوص ينبغي أن نعرف:

أولاً: هل طغى الطوفان على كامل يابسة سطح الأرض، أو أنه كان محدوداً في منطقة معينة؟

فاذا كان الطوفان قد شمل سطح الكرة الأرضية كله فإن التساؤل يبقى وارداً: أين استوطن قوم نوح عليه السلام على سطح الأرض؟

أمّا إذا كان الطوفان قد شمل منطقة محدّدة فإن تلك المنطقة هي موطن قوم نوح عليه السلام.

هناك رأيان مطروحيان في هذا الخصوص:

الأول: إن الطوفان كان عاماً شمل كلّ الأرض، واستند أصحاب هذا الرأي إلى ما ورد في العهد القديم (التوراة) بأن الطوفان غطّى سطح الأرض من جبال حتّى أهلك جميع الأحياء واستقرّت سفينة نوح على جبل (أرارات)، وتبنّى هذا الرأي بعض العلماء في القرن السابع عشر بدليل انتشار قصص الطوفان لدى أهل المكسيك والصين وأقوام أخرى ممّا يدلّ أنّ الطوفان شمل كلّ سطح الأرض أو بأسانيد تخيلية كما ذهب إليها البعض بكون سطح الأرض كان مستوياً قبل الطوفان بلا تلال أو جبال وأنّ مياه الطوفان في اندفاعها هي التي كوّنّت تضاريس سطح الكرة الأرضية.

مهما يكن من ضعف أسانيد هذا الرأي فإنّ الكثير من العلماء يعتقدون أنّ نظرية استقرار الفلك على جبل أرارات في أرمينيا جاءت بالتواتر على أساس اعتقاد قديم ثمّ قبلته الكنائس الشرقية وأشيع بين الناس.

الثاني: يذهب الرأي الثاني إلى ان الطوفان طغى على منطقة محدّدة من العالم لأنه كان مختصاً بقوم نوح عليه السلام وإلى شعبه فقط، وليس إلى العالم كما ورد في سورة الأعراف: ﴿وَعَجَبْتَ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٦﴾ * وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (١).

إذا ما أردنا أن ندعم هذا الرأي بمصدر غير قرآني فإنّ ما ورد في الألواح السومريّة عن أخبار الطوفان من وجود أسماء مدن عراقية في سهل وادي الرافدين وملوك حكموا مناطق وادي الرافدين القديمة مثل: (السير ولیم وبلوكوس) و(السير ليونارد وولي) يعتقدون بأنّ أرض الطوفان هي أراضي دلتا الفرات ودجلة شمال أور الكلدانيين ويدعم ذلك اكتشاف الخبير الآثاري (ليونارد وولي) آثار الطوفان في تنقيباته في (أور) حيث عثر على طبقة من الأتبان النقيّة يبلغ سمكها (١٨) قدماً في منطقة أور وأرشد ذلك في إعلان البعثة الآثاريّة لجامعة أكسفورد عن اكتشاف مماثل لآثار الطوفان في منطقة كيش وأنّ هذه الدلائل الآثاريّة وبالرغم من كونها مثيرة للجدل بين علماء الآثار (٢) يمكن اعتبارها مقدّمة لدلائل مادّية يمكن تطويرها لتحديد تاريخ الطوفان على اعتبار أنّ منطقة دلتا وادي الرافدين كانت موطن قوم نوح الذين جرفهم الطوفان.

بعد هذه المقدمة عن ما هو متوافر من نظريّات ومعطيات عن موطن قوم نوح والتي تفيد بأرجحية الرأي القائل بأنّ أرض وادي الرافدين كانت أرض

(١) سورة الأعراف. الآيات (٦٣-٦٥).

(٢) المصدر رقم (١٥) و(٢١).

الطوفان نعود للتساؤل الذي طرحناه في البداية أين رست سفينة نوح ﷺ؟

المعروف عن أرض وادي الرافدين بأنها سهل رسوبي منبسط وخلال تاريخها الجيولوجي لفترة حقبة البلايستوسين من العصر الرباعي وهي الحقبة التي لا يتعدّاها تاريخ ظهور الإنسان على سطح الأرض لم تبرز في هذا السهل أية مظاهر جيومورفولوجية شاخصة كالجبال والتلال الكبيرة في جزئيه الأوسط والجنوبي سوى هضبة النجف التي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر عند حافات طاراتها حوالي مائة متر ويصل في بعض أجزائها الجنوبية الغربية إلى (١٧٦م) في الوقت الذي يرتفع مستوى قاعدة هذه الهضبة عن سطح البحر من الشمال بمقدار (٢٥م) حيث يحدها نهر الفرات ومن الجنوب بحوالي عشرة أمتار حيث بحر النجف كما في الشكل رقم (٩) وبذلك فهي مرتفع من الأرض معزول تبلغ مساحة سطحه (١٧٥٠ كم^٢) لا يوجد نظير لها في منطقة وادي الرافدين وأنّ هذا المظهر الجيومورفولوجي يبقى شاخصاً لا يناله الغرق عندما تغرق أرض الرافدين حوله وحتى عندما يبلغ مستوى الطوفان إلى عشرة أو عشرين متراً عن مستوى سطح الأرض وصولاً إلى (١٠٠م)، وهو افتراض يصل بنا إلى عمق الكثير من البحار المتلاطمة الأمواج كالخليج العربي مثلاً.

فإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار موقع وخصائص هضبة النجف على مشارف السهل الرسوبي لمناطق وسط وجنوب العراق وهي المناطق الأكثر احتمالاً لموطن قوم نوح كما أسلفنا فإن التشخيص يكون منطقياً بأن هضبة النجف كانت مرساة سفينة نوح اختارها الله أرضاً مباركة ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَهَا﴾ استجابة منه لدعوة نبيه نوح ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ولا يمكن

أن يكون سواها، لانبساط مناطق السهل الرسوبي الشاسعة التي تبرز فيها جزيرة شاخصة عندما يغرق الطوفان مناطق ذلك السهل الرسوبي الشاسعة وما حولها من مناطق، وهنا نضيف إلى ذلك ملاحظة مهمة حول ملائمة هضبة النجف كمرساة تلجأ إليها سفينة تخوض غمار الطوفان بأمواجه المتلاطمة من اضطراب جريان المياه الذي يكون أشده في مسار (التلوك) لنهري دجلة والفرات وأن الطاقة العالية لتلك الأمواج تتلاشى في الاتجاهات البعيدة عن مجرى النهرين وحوضهما، سيما أن موقع هضبة النجف تبعد حوالي (١٠٠ كم) عن مجرى نهر الفرات في زمن الطوفان، وهو الطور الثاني لتطور مجرى نهر الفرات كما أسلفنا في مبحثنا حول بحر النجف، والتي قامت على ضفاف النهر مدن سومرية وبابلية عديدة مثل: (سبار) و(كوثي) و(نفر) وغيرها (شكل رقم ٦)، وعليه فإن الأمواج تكون هادئة نسبياً باتجاه مقتربات هضبة النجف مما يؤمن رسوها فوقها سيما أنها تتميز بالانحدار التدريجي من جهاتها الشرقية.

وهنا نعود إلى ما تناولناه في الجزء الأول من مبحثنا حول آلية نشوء هضبة النجف وما توصلنا فيه حول تناقض واقع الإطار الجيولوجي والجيومورفولوجي لهضبة النجف مع المعطيات الجيوفيزيائية والتركيبية، وهو ما يدفعنا للاعتقاد بأن آلية نشوء هضبة النجف صورة من صور الإعجاز الإلهي الذي ينسجم مع الأركان الثلاثة التي أشرنا إليها للتدبير الإلهي في قصة الطوفان.

مما يدعم أطروحتنا في هذا الشأن نرفد ما تقدّم من استنتاجات بالأخبار المروية عن طريق آل البيت عليه السلام بخصوص موطن قوم نوح عليه السلام ومرساة سفينته وهي كثيرة نذكر بعضها وفي مقدّمها ما ورد في دعاء الزيارة لقبر أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام والمأثور عن الإمام زين العابدين عليه السلام وكذلك بقيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام: (السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك آدم ونوح وعلى جاريك هود وصالح عليهم السلام).

وفي الروايات المتواترة أيضاً أنّ بيت نوح عليه السلام كان في موقع مسجد الكوفة وأنّه دفن في النجف في نفس الموقع الذي دفن فيه عظام آدم عليه السلام التي حملها معه في السفينة، وفي الروايات الأخرى أنّ الإمام علي عليه السلام عندما أوصى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بمكان دفنه أشار إلى أنّ الموقع الذي أرشداهم إليه هو قبر النبيّين آدم ونوح عليهما السلام.

في هذا الإطار أيضاً نشير إلى رواية صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام حيث ذكر بأنّه كان في صحبة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو في طريقه من المدينة إلى العراق فلما وصلا القادسيّة شاهد من بعيد هضبة النجف وقال هذا الجبل الذي أراد ابن جدّي نوح أن يعتصم به عندما قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء، وهنالك الكثير من الأحاديث والروايات عن قدسيّة أرض النجف لكونها مقاماً ومثوى للأنبياء والأوصياء يمكن الرجوع إليها في مصادرها^(١).

وخلاصة هذا المبحث الذي تناولت فيه هضبة النجف بين واقع الإطار الجيولوجي وتناقض قوانين المعرفة الجيولوجية في تفسير هذا الواقع على بعض الزملاء الجيولوجيين والذي اعتبروه طرحاً غريباً وجريئاً عندما طرحته عليهم لأوّل وهلة، ولكن عندما دعوتهم للتأمل وتقديم إجابات أو تفسيرات

(١) المصدر رقم (١٥) ورقم (٢١) ورقم (٢٢).

للإشكاليات التي أثمرتها وعرضتها في سياق هذا المبحث أثروا التأمل بعد عجزهم عن التوصل إلى تقديم إجابات علمية أو منطقية للتساؤلات المطروحة.

وهنا لا بد من القول بأن من يتأمل ولا يجد في قوانين المعرفة التي توصل إليها الإنسان ملاذاً يحرره من قيود حريته لا بد أن يلجأ إلى القوة الإلهية واعجازها، سيما وأننا نتناول أرضاً قدسيّتها تمتد من آدم المدفون فيها ونوح عليه السلام وفلكه التي سارت ورسّت باسم الله على هذه الأرض التي دفن فيها، ومن بعده دفن هود عليه السلام وصالح عليه السلام فيها، فهي مباركة اختارها الله لنبيه نوح بعد أن رجاه أن ينزله منزلاً مباركاً.

ثم اكتملت تلك القدسيّة عندما شرفت هذه الأرض بقبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلا بد للبركة الإلهية من أن يقترن بها إعجاز إلهي، وهي شأن من شؤونه جلّ شأنه في خلقه ومخلوقاته.

مستلّ من كتاب (أرض النجف التاريخ والتراث
الجيولوجي) للشهيد الدكتور موسى العطية

دكتوراه في الجيولوجيا الاقتصادية من جامعة ويلز
في بريطانيا، ورئيس الهيئة العراقية للسيطرة على
المصادر المشعّة / بغداد.

الملحق الثاني

جملة من دفناء مدينة النجف الأشرف الكبرى

يصعب على الباحث أن يلم بأشهر المدفونين في مدينة النجف الأشرف لكثرتهم الكاثرة؛ لذلك فسأكتفي بذكر جملة من الصحابة وتابعيهم وعدد من العلماء الأعلام والفقهاء وبعض من الملوك والأمراء والزعماء على سبيل الإجمال.

فقد روى المؤرخون أن أعداداً كبيرة من صحابة رسول الله ﷺ أوصلها بعض الباحثين^(١) من عشر عليه منهم إلى خمسة وثمانين صحابياً عدا تابعيهم الكثير، وقادة جيوش المسلمين ورجالاتهم، قد دفنوا في أرض النجف الأشرف -كما تقدّم- وقد ورد من جملة هؤلاء الصحابة:

« خباب بن الأرت (ت ٣٧هـ أو ٣٩هـ / ٦٥٧م أو ٦٥٩م) من صحابة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو أول من دفن في الثويّة.

« سهل بن حنيف (ت ٣٨هـ / ٦٥٨م) من صحابة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومن أهل بدر، استخلفه الإمام (عليه السلام) على البصرة بعد واقعة الجمل، وشهد صفين، توفّي بالكوفة، وصلى عليه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ودفن في الثويّة.

(١) الشيخ الدكتور محمد هادي الأميني. من دفن في النجف من صحابة الرسول الأكرم. موسوعة النجف الأشرف: ٢ / ٢٣٨-٢٦٣.

« قرظة بن كعب بن ثعلبة الأنصاري (توفي في زمن الإمام علي عليه السلام وهو يصلي) شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، ولآله الإمام علي عليه السلام الكوفة لما سار إلى حرب الجمل، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام وشهد معه مشاهدته كلها.

« أبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدة الخزر جي الأنصاري (ت ٤٠هـ / ٦٦٠م) من فرسان رسول الله ﷺ، شهد مع الإمام علي عليه السلام مشاهدته كلها، روى عن النبي ﷺ وعن الإمام علي عليه السلام وغيرهما. مات في الكوفة وصلى عليه الإمام علي عليه السلام.

« عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري (ت ٤٠هـ / ٦٦٠م) شهد العقبة وبدراً وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام.

« خريم بن الأخرم (ت ٤١هـ / ٦٦١م).

« ميثم التمار الأسدي (استشهد ٦٠هـ / ٦٨٠م) اشتراه الإمام علي عليه السلام من امرأة من بني أسد وأعتقه، وهو الذي قال له علي عليه السلام ذات يوم: إِنَّكَ تَوَخِذُ بَعْدِي فَتَصْلُبُ وَتَطْعَنُ بِحَرْبَةٍ، فَإِذَا جَاءَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ ابْتَدِرْ مِنْخِرَاكَ وَفُوكَ دُمًّا فَتَخْضِبْ لِحْيَتَكَ وَتَصْلُبُ عَلَى بَابِ عَمْرٍو بْنِ حَرْيْثٍ عَاشِرَ عَشْرَةٍ، وَأَنْتَ أَقْصَرُهُمْ خَشْبَةً، وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ الْمَطْهَرَةِ، وَامْضِ حَتَّى أُرِيكَ النَخْلَةَ الَّتِي تَصْلُبُ عَلَى جَذْعِهَا، فَأَرَاهُ أَيَّاهَا، وَكَانَ مِثْمٌ يَأْتِيهَا فَيَصْلِي عَنْدهَا، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَى الْخَشْبَةِ عِنْدَ بَابِ عَمْرٍو بْنِ حَرْيْثٍ، قَالَ عَمْرٍو بْنُ حَرْيْثٍ: قَدْ كَانَ وَاللَّهِ يَقُولُ لِي: إِنِّي مَجَاوِرُكَ، صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

« هاني بن عروة المرادي (استشهد ٦٠هـ / ٦٨٠م)، صحابي جليل كآبيه عروة، شهد وأبوه مع الإمام علي عليه السلام حروبه كلها، نصر الإمام الحسين عليه السلام بنصره

سفير الحسين الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام، قتله عبيد الله بن زياد مع مسلم ابن عقيل عليه السلام ثم جراً في الأسواق.

« عبد الله بن يقطر الحميري (استشهد ٦١هـ / ٦٨١م)، سرّحه الإمام الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقيل عليه السلام، فكشف أمره واعتقل، ثم أُلقي من فوق قصر الإمارة فتكسّرت عظامه ثم نحر.

« الأحنف بن قيس (ت حدود ٦٧هـ / ٦٨٧م)، شهد صفّين مع الإمام علي عليه السلام وكان من أمراء جيشه، وقد دفن قرب قبر كميل بن زياد النخعي.

« المختار بن أبي عبيدة الثقفي (استشهد ٦٧هـ / ٦٨٧م) في شهر رمضان عن عمر ناهز ٦٧ سنة، كان من الفرسان الأشداء، خرج يطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام فقتل فترحّم عليه الإمام السجاد عليه السلام.

« زيد بن الأرقم (ت حدود ٦٨هـ / ٦٨٨م) من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام، غزا مع النبي صلى الله عليه وآله سبع عشرة غزوة، وشهد صفّين.

« عدي بن حاتم الطائي (ت حدود ٦٨هـ / ٦٨٨م) من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام. أسلم سنة (٩هـ / ٦٣٠م)، وشهد مع الإمام علي عليه السلام صفّين وقد أسنّ، ومات عن مائة وعشرين سنة.

« صعصعة بن صوحان العبدي (توفي بالكوفة زمن معاوية وقيل: بعدها) شهد صفّين مع الإمام علي عليه السلام، وكان خطيباً مفوّهاً، له مع معاوية مواقف مشهودة.

« أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث (تفي إمارة مصعب بن الزبير وقيل

سنة ٧٢هـ / ٦٩٢م) غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة وسافر مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفراً، شهد مع الإمام علي عليه السلام الجمل وصفين وقتال الخوارج.

« عبد الله بن يزيد بن زيد الأنصاري (تضمن ابن الزبير)، شهد مع الإمام علي مشاهدته كلها.

« جابر بن سمرة (ت ٧٤هـ / ٦٩٤م).

« أبو عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني (ت كما قيل ٧٨هـ / ٦٩٧م) شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وكان معه لواء جهينة يوم الفتح.

« أبو سليمان زيد بن وهب الجهني الكوفي (ت ٨٠هـ / ٦٩٩م) شهد مع الإمام علي عليه السلام صفين، وسار معه يوم سار إلى الخوارج، وكان أول من تولى تدوين خطب أمير المؤمنين عليه السلام.

« سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي (ت ٨٠ أو ٨٢هـ / ٧٠١م) صلى مع رسول الله ﷺ وصحبه، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام.

« عبد الله بن أوفى (ت ٨١هـ / ٧٠٠م).

« كميل بن زياد النخعي (ت ٨٢هـ على الأرجح / ٧٠١م) وقد تقدّم الحديث عنه سابقاً.

« صعصعة بن صوحان العبدي أسلم في عهد رسول الله ﷺ ولم يره، وصاحب أمير المؤمنين عليه السلام وقد توفي أيام معاوية.

ومن جملة مراجع التقليد والمحدثين والفقهاء والمجتهدين وأساتذة الحوزة العلمية الكبار الذين تنعموا بالرقاد في ثرى النجف الأشرف، وهم كثر:

منهم: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م)، السيّد رضي الدين علي بن طاووس (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م)، جمال الدين بن طاووس (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) العلامة حسن بن يوسف الحلّي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، الشيخ علي الكركي (ت ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م) المقدّس أحمد الأردبيلي (ت ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م)، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م، وقيل ١٠٨٧هـ)، السيّد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م)، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م)، الشيخ أحمد النراقي (ت ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م)، الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م)، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)، السيّد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م)، الشيخ حبيب الله الرشتي (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م)، الشيخ محمد طه نجف (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، الميرزا حسين الخليلي (ت ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)، الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م)، الشيخ عبد الله المازندراني (ت ١٣٣٠هـ / ١٩١١م)، السيّد محمد سعيد الحبوبي (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م)، السيّد علي الداماد (ت ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م)، السيّد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م)، شيخ الشريعة الأصفهاني (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م)، الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م)، والشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)، الشيخ محمد حسين الأصفهاني، والشيخ أغا ضياء العراقي (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)، السيّد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م)، السيّد أفا حسين القمي (ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م)، السيّد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م)، السيّد عبد الهادي الشيرازي (ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م)،

الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، السيّد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، السيّد محمود الشاهرودي (ت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م)، الشيخ حسين الحلي (ت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م)، السيّد ميرزا حسن البجنوردي (ت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م)، الشيخ مرتضى آل ياسين (ت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م)، السيّد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م)، السيّد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، السيّد يوسف الحكيم (ت ١٤١١هـ / ١٩٩١م)، السيّد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، والسيّد محمد تقي الحكيم (ت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، السيّد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) وغيرهم كثير، لا يسع المجال لذكرهم.

كما ضمّ تراجمها المطهر رفات عشرات الآلاف من الشعراء والأدباء والعبّاد والزهاد والفلاسفة والمتكلمين، والمفسرين والمحدثين والشهداء والمُصْحِحِينَ في سبيل المبدأ الحقّ ممّا يصعب حصرهم ويضيق المجال عن تعدادهم، بل ومن المشقة بمكان اختيار بعضهم دون البعض الآخر لعلو طبقاتهم وتقارب خصائص بعضهم من بعض. ودفن في ثرى النجف الأشرف كذلك العديد من الملوك والأمراء: حمدانيين وفاطميين، والسلاطين: بويهيين وصفويين وقاجاريين، وملوك مهاباد، والإليخانيين وملوك مصر، ودفن في ثرى النجف الأشرف كذلك العديد من الأشراف، وأمراء الهند، وملوك إيران، لعل أقدمهم السلطان عضد الدولة البويهبي (ت ٣٧٣هـ / ٩٨٣م). الذي يقع مثواه تحت الباب الشرقية الثانية لاستئذان الدخول إلى الحرم الأقدس في سرداب أنشأه هو لنفسه عند عمارته للحرم العلوي المطهر حيث أوصى بأن يدفن في أقصاه قرب رجلي الإمام علي عليه السلام^(١).

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٤٢٤.

وينقل المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين عن الميرزا هادي الخراساني، وكان "ثقة عدلاً بحاته"، له "ولع في تنقيب بعض الآثار القديمة خصوصاً ما يتعلق بأرض الغري النجف الأشرف وحرَم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن أقبر في هذه التربة الطاهرة، أن قبر عضد الدولة... البويهى في الرواق في سرداب دفن في أقصاه مما يلي الباب الأولى الشرقية لحرم أمير المؤمنين عليه السلام من مدخل إيوان الذهب... وقد حصل له من يدلّه على هذا المدخل ليلاً وبيده ضياء ومعه بعض الخواص".

ويضيف الشيخ حرز الدين عن الميرزا الخراساني قوله: "وقفنا على جدثه في محلّه، وعلى قبره لوح حجر نفيس مكتوب عليه: (هذا قبر السلطان بن السلطان عضد الدولة بن ركن الدولة سلطان الدولة البويهية، أمر أن يدفن عند رجلي أمير المؤمنين عليه السلام لتكون رجلاه على رأسي وأكتافي عند المزلقة)، وباقي مشاهير آل بويه في الصحن عند باب التكية وفيهم بهاء الدولة، وقد أوصى عضد الدولة بأن تجعل في رقبته سلسلة من فضة وتدخل إلى قريب من قبر أمير المؤمنين عليه السلام تحت الأرض وتربط بوتد من فضة، وأن توضع على وجهه رقعة مكتوب عليها قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيَّهِ يَأْوِصِيهِ﴾^(١) (٢).

ويقول السيّد محمد علي هبة الدين الشهرستاني، وقد ظهر للعيان قبره في زماننا حوالي سنة (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) وعليه صخرة منقوش عليها آية ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيَّهِ يَأْوِصِيهِ﴾، ومرسوم عليه بعد ذلك اسم فناخسرو -عضد الدولة- والتصريح بمدفنه، ومن حواليه قبور بني بويه^(٣).

(١) سورة الكهف: ١٨.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٢٣٨ / ٣ - ٢٣٩.

(٣) مجلة الاعتدال: ٥ / ٢٥٠.

ودفن من غير البويهيين جوار أبي الحسن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الكثير منهم: بدر الدين حسنويه بن الحسين أبو النجم الكردي من أهل الجبل والي الجبل وهمذان والدنبور وبروجورد ونهاوند وأسداآباد وغيرها (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)، وفخر الملك أبو غالب وزير الدولة (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م)، ووزير شرف الدولة البويهى المغربي أبو القاسم حسين بن علي بن حسين (ت ٤١٨هـ / ١٠٢٩م) والملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) والي البصرة وواسط.

ومن الحمدانيين عدد منهم، فقد كانوا ينقلون موتاهم من الشام وحلب وديار بكر والموصل وفارس.

ومن الإيلخانيين الأمير الشيخ حسن الكبير (ت في بغداد ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) وقد حكم العراق سبع عشرة سنة، وكانت عاصمة ملكه بغداد، وقد نقل جثمانه إلى النجف الأشرف ليدفن فيه.

ومنهم: السلطان الشيخ أويس بن الأمير الشيخ حسن الكبير وقد تولى حكم بغداد بعد أبيه تسع عشر سنة (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيه.

وقد صرح برؤيته قبريهما كما تقدم الميرزا هادي الخراساني^(١) وبرؤيته قبوراً أخرى لا مجال لذكرها هنا^(٢).

ومن الإيلخانيين أيضاً الأمير قاسم أخو السلطان أويس (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ودفن جوار والده الشيخ الأمير حسن وغيرهم.

(١) مجلة الاعتدال: ٣ / ٢٤٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٣ / ٢٤٠-٢٤١.

ولما قلعت الصخور من ساحة الصحن الشريف ظهرت مقابر وسراديب وقد شاهدها كثير من النجفيين.

ومن دفن من ملوك الصفويين: الشاه عباس الأول الصفوي، ووزيره السيّد علاء الدين حسين ابن الصدر الكبير (ت ١٠٦٤هـ / ١٦٥٤م) وغيرهما.

ومن القاجاريين السلطان محمد القاجاري (ت ١٢١١هـ / ١٧٩٦م) وغيره.

ومن سلاطين الهند، وملوك مصر، ووزرائهم الفاطميين، والأشراف من بني علي الحسينين والحسينيين، وأمراء الهند، وملوك إيران فقد دفن الكثير الكثير^(١).

وينقل الشيخ محمد حرز الدين^(٢) في موضع آخر من كتابه (معارف الرجال) عن الشيخ الميرزا هادي الخراساني قوله: إنه رأى قبر الميرداماد (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، والنفدرسكي، ومير عماد الخطاط رحمته الله في الرواق عن يمين الداخل ويساره من الباب الأولى من إيوان الذهب، وأنه وجد على أحد هذه القبور الجليلة قطعة من الفسيفساء كبيرة ذات نقوش فنيّة وثمن غير يسير، حملت إلى بغداد ولم يعلم حالها، وقيل أرجعت بعد، وقيل بعض منها وبنيت في أعلى جدار مسجد ورواق عمران بن شاهين الخفاجي لحفظها.

ويقول الشيخ محمد حرز الدين^(٣) أيضاً: إنه في شهر ربيع الثاني من سنة (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) كانت الفعلة تنبش الصحن الغروي في النجف الأقدس بأمر السلطان عبد الحميد خان لنقض السرايب الغامرة لإعادتها عامرة تحت الأرض، وقد هتك حرمة الموتى بها لا يوصف، وكان ذلك على يد علاء الدين أفندي وكيل

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١ / ٢٣٤ وما بعدها وتلاحظ مصادره التي أثبتتها لما نقل.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٢٤٠-٢٤١.

(٣) معارف الرجال. سابق: ٣ / ٢٤٤-٢٤٥.

الأوقاف في النجف، وقد ظهرت قبور بارزة عظيمة في الربع الشرقي الشمالي على سرداب متصل بهذه القبور إلى باب المسجد المعروف بـ(مسجد الخضراء)، وخرج أيضاً قريباً من الكيشوانية قبران عظيمان تحت بلاط الصحن عند التاريخ، ويوشك أن يكونا على أرض وادي الغري، وهما مبنيان بالكاشي الفاخر الأزرق كالفسيفساء بألوان ناصعة، وطرز حسن، ودورة القبرين من الجدران المصفحة بالكاشي المنبت بالأوراد والأشجار، وتحتها سرداب واسع جداً، وبابه من حجر أبيض شفاف ثمين مصفح، ودرج السرداب أيضاً من هذا الحجر الأبيض، وكتب في حجر أحدهما توفي الشاه الأعظم السلطان معز الدين عبد الواسع في جمادى الأولى سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م)، وكتب على الحجر الثاني ١١ محرم يوم الأربعاء سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٨م)، واسم صاحب القبر لا يقرأ.

وخرج قبر آخر إلى جنب هذه القبور وكتب على حجره: هذا قبر المرحومة شاهزادة سلطان بايزيد طاب ثراه، جمادى الآخرة سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠١م)، وقبر آخر كتب في حجره: هذا الطفل من سلالة السلطان شيخ أويس، ولعله الممدوح في ديوان خواجه حافظ الفارسي بقوله: «الحمد لله على معدلة السلطان أحمد شيخ أويس حسن أيلخاني، وقد نقض الفعل هذه الآثار بأمر مجلس الأوقاف في بغداد، فلم يوفوهم حقهم من الاحترام، على أنهم من سلاطين المسلمين المؤمنين، جرى الله رئيس السدنة والفعله ووكيل الأوقاف بما يستحقونه من جزاء، والله الأمر من قبل ومن بعد».

وقد وقف على هذا الهدم الشيخ علي الشرقي فكتب: "عند تبليط الصحن في عصرنا ظهرت بعض البيوت وبعض القبور القديمة، منها بيت يقع في الجهة الشرقية للصحن وتحت التبليط القديم وقفت عليه وأنا صبي فكان مبلطاً بالقاشان الأزرق

ومؤزره جدرانه بالقاشاني، وفيه ثلاث دكاك رُقش على أحدها هذا قبر (أويس)، ويظهر أنه من أولاد هولاء يقولون إنه قتل ونقل ودفن في النجف، وعلى القبر الثاني رُقش اسم امرأة (ريانده)، أما القبر الثالث فيظهر أنه قبر طفل^(١).

وينقل الشيخ محمد حسين حرز الدين^(٢) عن الجزء الثاني المخطوط من كتاب (النوادر) للشيخ محمد حرز الدين، تعليقاً على أمر مجلس الأوقاف ببغداد المتقدّم ذكره، أنّه لما صدر الأمر من قبل والي بغداد بأن يبلّط الصحن بالرخام، منعهم السيّد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م) وأمر أن لا تغلق القبور البارزة، وتبقى كما هي، وتقام فيما بينها. أساطين، وتسقف، ويبلّط سقفها، وأفتى السيّد بجوازه فوق القبور على السقف.

أقول: غير أنّ القضاء جرى بما جرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذا وهناك العديد غير من تقدّم ذكرهم من مشاهير المدفونين في النجف الأشرف ليس هنا مجال لاستعراض أسمائهم^(٣) وتواريخ وفياتهم وأماكن دفنهم، ثاوين جنباً إلى جنب مع الملايين من أحباب الله الذين ينطبق عليهم قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَلِيلَ وَالْقَلِيلَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

(١) الأحلام. سابق: ٧٢.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٣ / ٢٣٩. هامش ٢.

(٣) ينظر: أسماء وتواريخ وفيات وصور الكثير منهم في دليل العتبة العلوية المقدسة. سابق: ٣٣ - ٣٨. والدليل المصوّر لأعلام دفناء العتبة العلوية المقدسة. وفي كتاب مقبرة النجف الكبرى دراسة تحليلية زمانية - مكانية لظاهرة الدفن في المدينة. د. محسن عبد الصاحب المظفر: أسماء وتواريخ وفيات وأشهر مؤلفات (٥٥٧) عالماً دفن في مقبرة النجف الأشرف. ص: ٢١٥ - ٢٨٣.

وَالَّذِكْرَتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

وباختصار فقد بلغ عدد مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف (٥١٤) دينياً كما أحصاهم الباحث كاظم عبود الفتلاوي، فذكر أسماءهم ومكان دفنهم، سواء أكانوا دفنوا قرب أمير المؤمنين عليه السلام في الرواق المطهر مثلاً، أم في الصحن الشريف، أم في إحدى حجراته، أم في أحد أواوينه، أم في ساباطه ^(١).

وبلغ عدد المدفونين في الثوية (٧٨١) كما أحصاهم الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي ^(٢).

وقد تقدم أن الدكتور محسن عبد الصاحب المظفر قد ذكر بحسب إحصائيته وعلى عهده أنه بأن المقبرة تضم بين أرجائها منذ ظهورها فلاحقاً حتى تاريخه: (٦, ٩٥٢, ٠٠٠) ستة ملايين وتسع مائة واثنان وخمسون ألف مدفون ^(٣). ويعلم الله كم ارتفع العدد لاحقاً.

فهنيئاً لهم يوم يلقونه، وهنيئاً لنا ولمن ينال حظهم. رحمننا الله وإياهم يوم نلقاه، وكتب لنا كما كتب لهم المقام والمثوى جنب أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام والشفيع يوم الدين عسى أن ننال شفاعته ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٥﴾ و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٦).

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٥.

(٢) ينظر: مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف. كاظم عبود الفتلاوي.

(٣) الثوية بقبع الكوفة. صلاح مهدي الفرطوسي.

(٤) يراجع: تاريخ الدفن في أرض النجف وظهور مقبرة وادي السلام. سابق: ١١٣ - ١١٤.

(٥) سورة الشعراء: آية ٨٨-٨٩.

(٦) سورة الحمد: آية: ٢.

الملحق الثالث

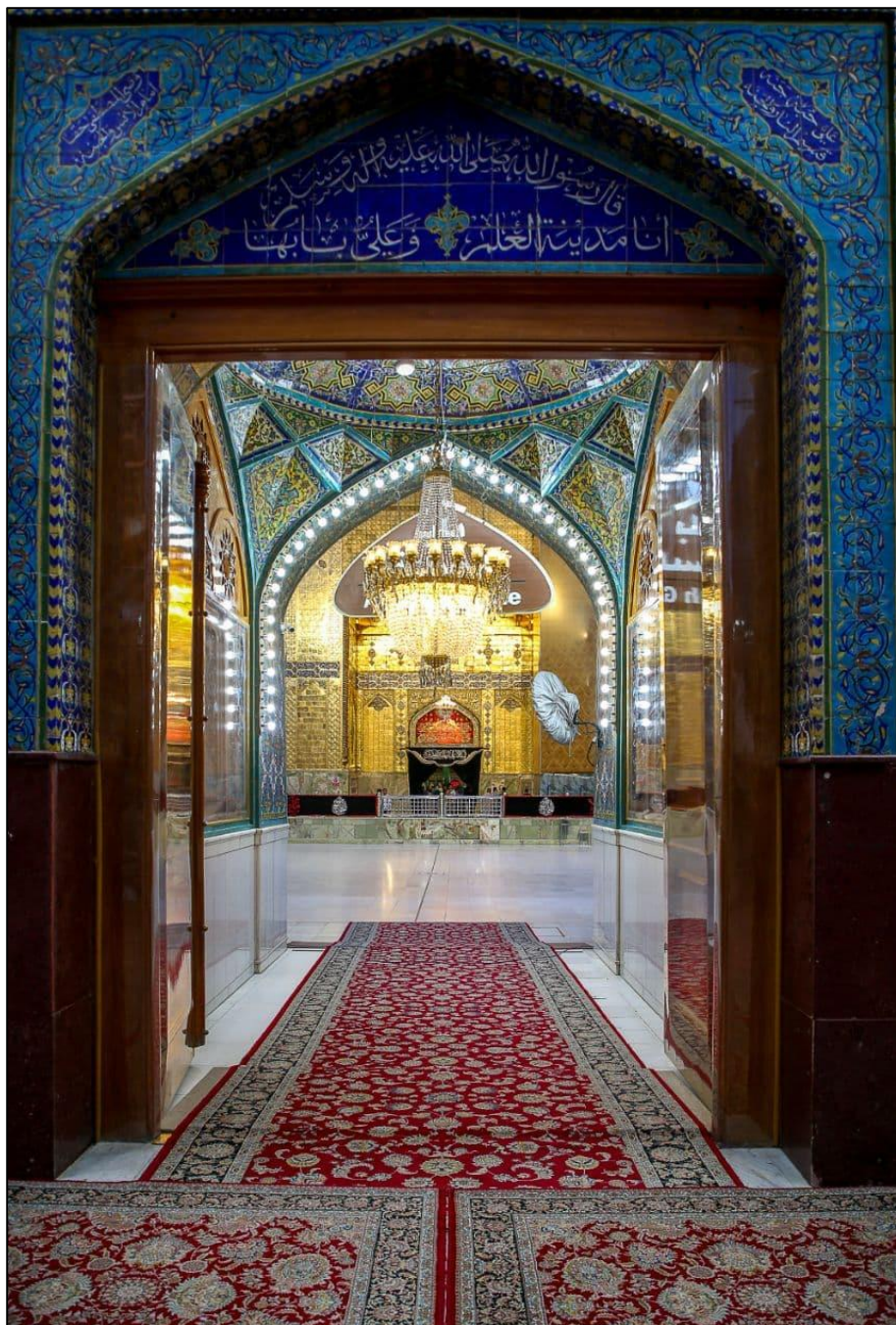
صور من العتبة العلوية المطهرة



القبة المشرفة لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام



الإيوان الذهبي كما يبدو للداخل من الباب الشرقيّة الكبيرة (باب الساعة)



الباب الشرقيّة الكبيرة (باب الساعة)



الساعة وبابها من داخل الصحن العلوي المطهر



المنارة الجنوبيّة (المجاورة لقبر المقدّس الأردبيليّ) بعد إعادة تذهيبها



الميزاب الذهبيّ (صورة من سطح الحرم العلويّ المطهر)



الإكليل الذهبي للقبّة العلوية المقدّسة



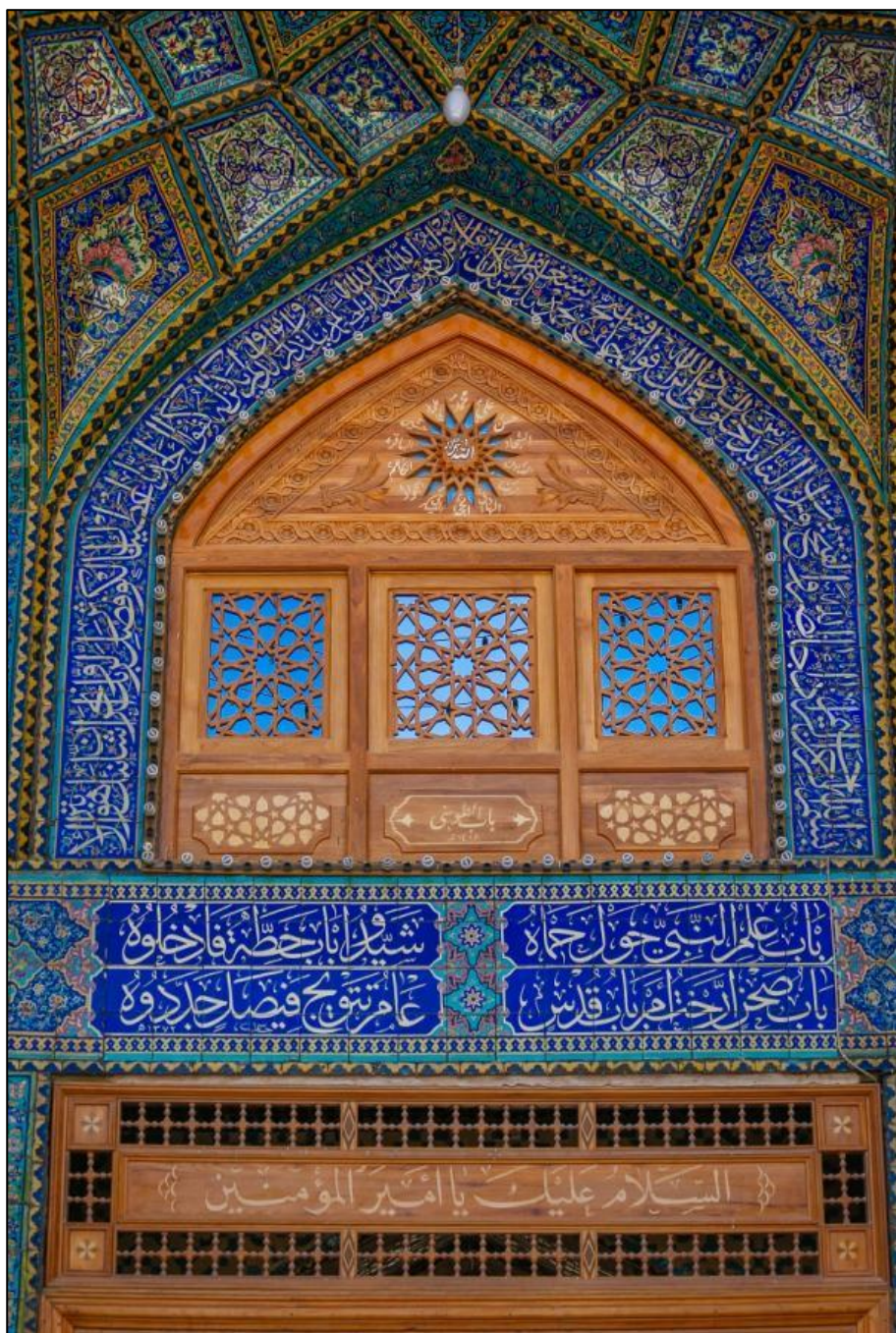
صورة للضريح العلويّ المطهر، يبدو فيها الشبّاك الفضّي المتوّج بالذهب، وجزء من القبة الداخليّة، وكتائب الآيات القرآنيّة، والجدران والأرضيّة المكسوّة بالمرمر



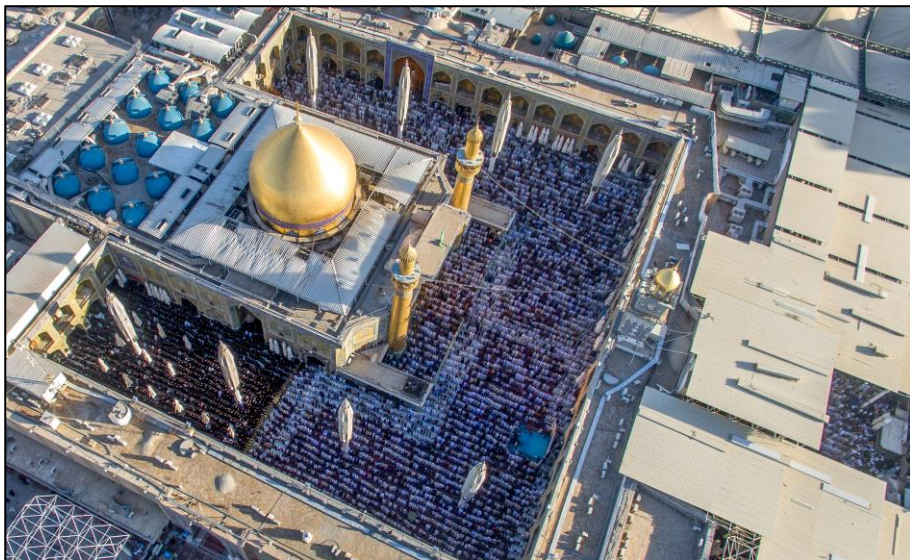
جانب من الشباك الفضي للضريح العلوي المقدس يبدو فيه أحد الأعمدة الفضيّة الفاصلة بين النوافذ (١٨) وتبدو عليها الزخارف النباتية وعناقيد العنب البارزة



صورة لجانب من التاج الذهبي لضريح أمير المؤمنين عليه السلام، تبدو فيها اثنتان من المزهريات الذهبية الأربعة في كل ركن من أركان الضريح المطهر



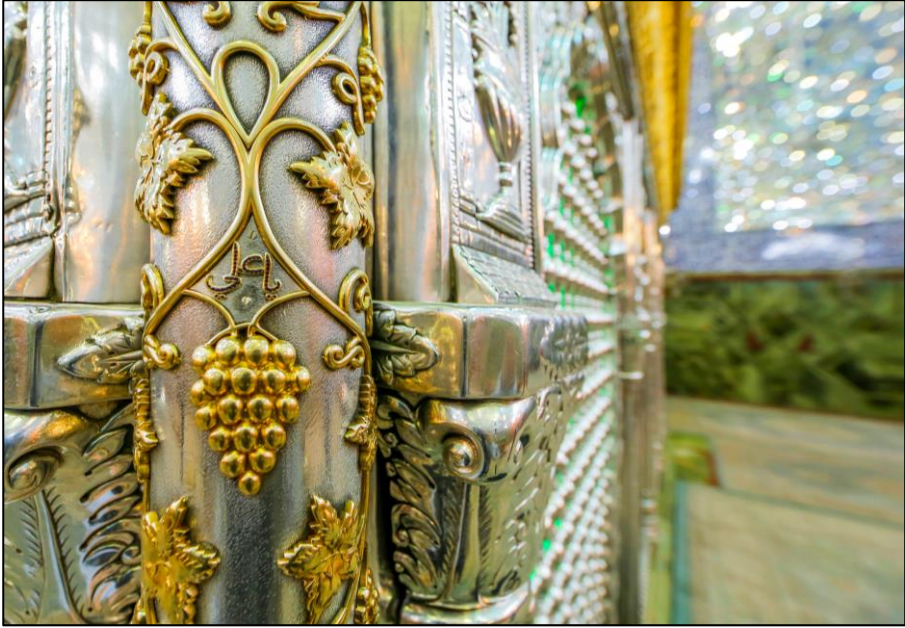
باب الشيخ الطوسي، ويظهر في أعلاها بيتا شعر يؤرّخان تجديده (١٣٧٢هـ)



صورة جوية للعتبة العلوية المقدسة



صورة من أرضية الصحن الشريف



عناقيد العنب البارزة والنقوس النباتية على أعمدة الشباك الفضي لضريح أمير المؤمنين عليه السلام



أسماء المعصومين عليه السلام مع مقطع من الصلوات الشعبانية، في المدخل الرئيسي للضريح المقدس من جهة إيوان الذهب

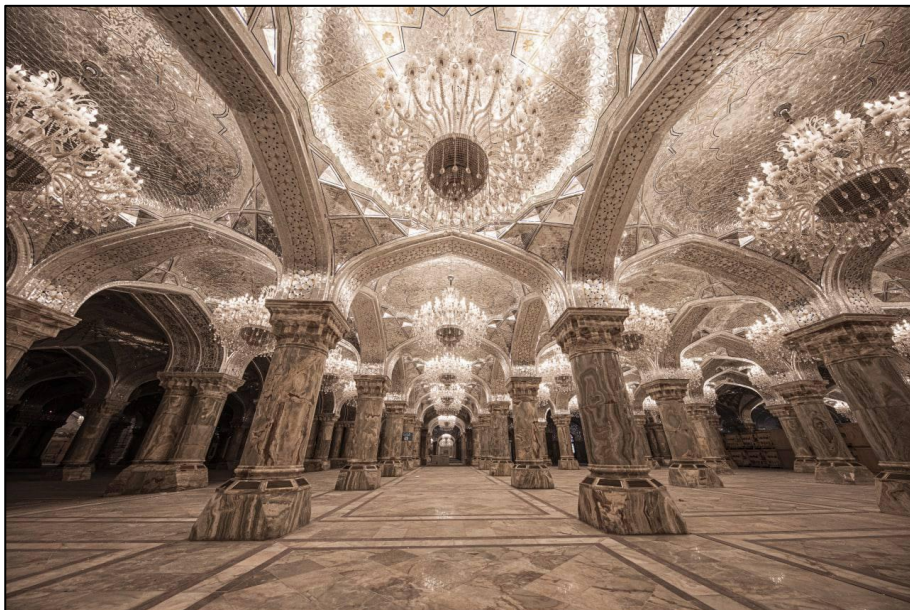


حديث للرسول الأعظم ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام تحت أسماء المعصومين عليه السلام - في الصورة السابقة- أمام الداخل إلى الضريح المقدس فوق الباب على جهة اليسار

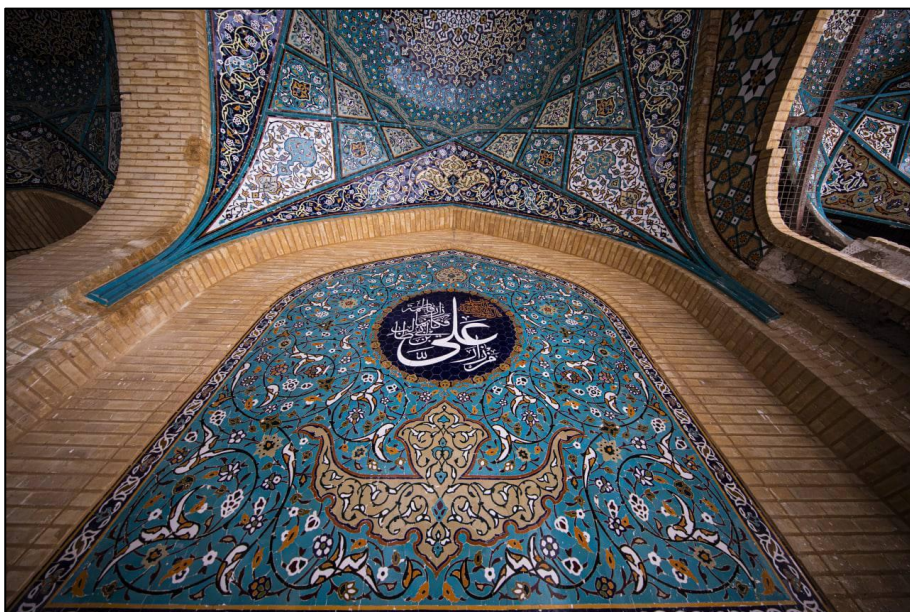


بسملة وأبيات من الشعر أعلى باب الدخول إلى الضريح المقدس من الداخل، من جهة باب القبلة

وفيما يأتي عدد من الصور الجميلة لصحن فاطمة الزهراء عليها السلام:



لقطة من داخل الصحن الشريف



نموذج من الزخارف المخطوطات المستعملة في تزيين الصحن الشريف



لقطة لإحدى الباحات في الصحن الشريف



لقطة من إحدى الباحات في الصحن الشريف



لقطتان من الجهة الغربية (جهة امتداد الصحن الشريف)

الملحق الرابع

صور للمعالم الشريفة في محافظة النجف الأشرف

أولاً: مرقد النبيّن هود وصالح عليه السلام



ثانياً: مقام الإمام علي عليه السلام ، وقبر العبد الصالح البيهقي أو (مقبرة الصفا)



ثالثاً: مقام الإمام زين العابدين عليه السلام



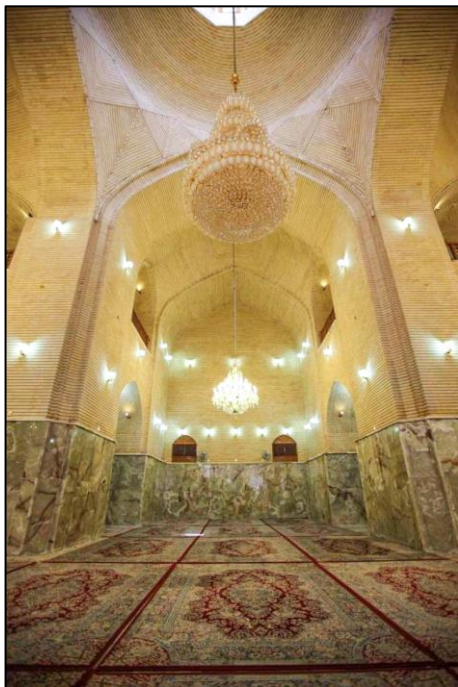
رابعاً: مقام الإمام المهدي المنتظر عليه السلام أو موضع منبر الإمام



خامساً: مسجد الحنّانة



سادساً: مسجد عمران بن شاهين



سابعاً: مسجد الخضر



ثامناً: مرقد الصحابي كميل بن زياد النخعي رضي الله عنه



تاسعاً: وادي السلام



مصادر البحث ومراجعته

١. الأحلام. الشيخ علي الشرقي. موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية. القسم الرابع. جمع وتحقيق موسى الكرباسي. مطبعة العمال المركزية. بغداد. جمهورية العراق. (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
٢. الأديان والمذاهب بالعراق. رشيد الخيون. ط ٢. منشورات الجمل. ألمانيا. (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
٣. أرض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي والثروات الطبيعية. د. موسى جعفر العطية. ط ١. مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع. النجف الأشرف. العراق. (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
٤. أرضية الصحن الشريف تتألق بمرمر الثاسيوس الأبيض. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة العلوية المقدسة. النجف الأشرف. العراق. ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٥. استراتيجية تنمية محافظة النجف الأشرف ٢٠٠٨-٢٠١٢م. مجلس محافظة النجف الأشرف بالتعاون مع برنامج الحكومة المحلية. النجف الأشرف. العراق.
٦. أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين. ط ٥. دار التعارف للمطبوعات. بيروت. لبنان. (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).
٧. إقبال الأعمال. رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس. ط ١. تحقيق جواد القيومي. مكتب الإعلام الإسلامي. قم المقدسة.

١. إيران (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م). تحقيق السيّد علي العدناني الغريفي. ط ١. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. قم المقدّسة. إيران.
٨. بناء المقالة الفاطميّة. السيّد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس.
٩. تاريخ بغداد. أحمد بن علي المعروف بـ (الخطيب البغدادي). ط ١. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلميّة. بيروت. لبنان. (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
١٠. تاريخ النجف المعروف باليتيمة الغروية والتحفة النجفية في الأرض المباركة الزكية. السيد حسين بن أحمد البراقي النجفي. تقديم وتحقيق كامل سلمان الجبوري. ط ١. دار المؤرخ العربي. بيروت. لبنان. ١٤٣٠ هجرية / ٢٠٠٩م.
١١. تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي. د. محمد جواد نور الدين فخر الدين. معهد العلمين للدراسات العليا. النجف الأشرف. العراق. ١٤٢٦هـ.
١٢. تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢ - ١٩٦٨. د. عبد الستار شنين الجنابي. ط ١. مكتبة الذاكرة. بغداد. العراق. ٢٠١٠م.
١٣. تاريخ اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. دار صادر. بيروت. لبنان.
١٤. تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية (خاصة في العصر الأموي). د. كاظم الجنابي. ط ١. دار الجمهورية. بغداد. العراق. (١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م).
١٥. التطور العمراني للمرقد الشريف. بحث. تراث جميل اللهوف. مشور ضمن كتاب: النجف تاريخ وتطور المدينة القديمة. تحرير: د. صابرنا ميرفان، ود. روبرت كليف، ود. جيرالدين شاتلار. منشورات اليونسكو. منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم. ط ١. الوراق للنشر. ٢٠١٦م.

١٦. تعليقات محمد حسين كاتبدار على كتاب عمدة الطالب لابن عنبه. تحقيق وتعليق د. علي خضير حجّج. مخطوطاتنا. مجلّة فصليّة. قسم الشؤون الفكرية في العتبة العلوية المقدّسة. العدد الأوّل. النجف الأشرف. العراق. صيف (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م).
١٧. التنقيح تعليقة موسّعة على فرائد الأصول للشيخ الأنصاري. السيّد محمد سعيد الحكيم. ط ١. مؤسّسة الحكمة للثقافة الإسلامية. النجف الأشرف. العراق. (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).
١٨. تهذيب الأحكام. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. ط ٤. تحقيق حسن الخرسان. دار الكتب الإسلامية. قم المقدّسة. إيران. ١٣٦٥ هجري شمسي.
١٩. الثوية بقيق الكوفة. د. صلاح مهدي الفرطوسي. ط ١. العارف للمطبوعات. بيروت. لبنان. ٢٠١٥ م.
٢٠. خصائص الأئمة محمد بن الحسين الموسوي المعروف بـ(الشريف الرضي). تحقيق محمد هادي الأميني. مجمع البحوث الإسلامية التابع للأستانة الرضوية. مشهد المقدّسة. إيران. (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٢١. دراسة تحليليّة تخطيطيّة للمحافظة على المركز التاريخي والحضاري لمدينة النجف الأشرف. د. المهندس حيدر عبد الرزاق كمّونة. بحث. النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية وكنز المعارف والعلوم. مركز دراسات الكوفة. جامعة الكوفة. النجف الأشرف. العراق (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).
٢٢. الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفيّة. الشيخ يوسف بن أحمد البحراني. ط ١. تحقيق ونشر شركة دار المصطفى ﷺ لإحياء التراث. بيروت. لبنان. (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٢٣. رحلة ابن بطّوطة. محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي. ط ٤. تحقيق علي المنتصر الكتّاني. مؤسّسة الرسالة. بيروت. لبنان. (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
٢٤. ساعة الصحن الحيدري الشريف. شعبة الدراسات والنشر. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة العلوية المقدسة. النجف الأشرف. العراق. ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م.
٢٥. ستبقى النجف رائدة حوزات العالم. المرجع الشيخ بشير النجفي. ط ٤. مؤسّسة الأنوار النجفيّة للثقافة والتنمية. النجف الأشرف. العراق. (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).
٢٦. شرح نهج البلاغة. عبد الحميد المدائني المعروف بـ(ابن أبي الحديد). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
٢٧. شيعة العراق. إسحاق نقاش. الطبعة العربيّة الأولى. ترجمة عفيف الرزّاز. مؤسّسة الأبحاث العربيّة. بيروت. لبنان. (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
٢٨. صحن فاطمة الزهراء مشروع التوسعة الكبير. قسم الإعلام. العتبة العلوية المقدسة. النجف الأشرف. العراق. ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.
٢٩. العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية. ط ١. ترجمة. الأستاذ محمد حسين حكمت النجفي والأستاذ جاسم سعيد الكلابي والأستاذ محمد الشيخ هادي الأسدي والأستاذ حسن علي مطر الهاشمي. قدم لها وأشرف على ترجمتها وعلق على بعضها د. كامل سلمان الجبوري. مؤسّسة المواهب للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ٢٠١٩هـ / ١٤٤٠م.
٣٠. العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي

- الأسدي. ط ١. مؤسّسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية. بغداد. العراق.
(١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).
٣١. عطش النجف. تحسين عمارة. ط ١. النجف الأشرف. العراق. ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م.
٣٢. علي الشرقي شاعر الطليعة المتحرّرة. غائب طعمة فرمان. مجلّة الاعتدال. العدد العاشر. السنة السادسة. (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م). النجف الأشرف. العراق.
٣٣. قبر الإمام علي وضريحه. د. صلاح مهدي الفرطوسي. ط ١. دار المؤرخ العربي. بيروت. لبنان. ١٤٢٩ هجرية / ٢٠٠٨ م.
٣٤. فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف. غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر. ابن طاووس العلوي الحسني. تحقيق وتقديم الشيخ محمد مهدي نجف. ط ١. مطبعة التعارف. نشر قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة العلوية المقدسة. ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
٣٥. قرة العين فيمن عمر قبر أبي الحسين. السيد حسين ابن السيد أحمد النجفي المعروف بالبراقلي. تحقيق: ليث ستار جبار العمار. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة العلوية المقدسة. النجف الأشرف. العراق. ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.
٣٦. الكافي. محمد بن يعقوب الكليني. صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري. ط ٣. دار الكتب الإسلامية. طهران. إيران. (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).
٣٧. كتاب النجف. الشيخ محمد رضا الشيباني. مجلّة آفاق نجفية. العدد ١ لسنة (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م). النجف الأشرف. العراق.

٣٨. كربلاء في الإرشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠-١٨٧٦ م). ديلك قايا. إشراف وتقديم أ. د. زكريا قورشون. ط ١. الدار العربية للموسوعات. بيروت. لبنان. (١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م).
٣٩. كامل الزيارات. جعفر بن محمد بن قولويه القمي. ط ١. تحقيق جواد القيومي. مؤسسة نشر الفقاهة. قم. إيران. (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م). وط ١ بجزين. تحقيق وتصحيح: أحمد الماحوزي. دار زين العابدين. قم. إيران. ١٤٤١ هـ / ٢٠١٩ م.
٤٠. كتاب الفتوح. أحمد بن أعثم الكوفي. حيدر آباد الدكن. الهند. (دون ذكر تاريخ الطبع).
٤١. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق عبد الرحمن النجدي. مكتبة ابن تيمية. المملكة العربية السعودية.
٤٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي. تحقيق بكري حياني وصفوة السقا. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان: (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).
٤٣. ماضي النجف وحاضرها. الشيخ جعفر محبوبة. ط ٢. دار الأضواء. بيروت. لبنان. ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
٤٤. مدينة النجف الأشرف عبقرية المكان وقدسيتها المعاني. د. محسن عبد الصباح المظفر. دار الشؤون الثقافية العامة. سلسلة مدن عراقية. ط ١. بغداد. العراق. (١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م).
٤٥. مرآة المعارف. الشيخ محمد حرز الدين. تحقيق الشيخ محمد حسين حرز الدين. مطبعة الآداب. النجف الأشرف. العراق. (١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م).
٤٦. مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام. د. صلاح مهدي الفرطوسي. ط ٢. قسم

الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة. النجف الأشرف. العراق.

(١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

٤٧. مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة السيّد عبد المطلب الموسوي

الخرسان. ط ٢. قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة.

النجف الأشرف. العراق. (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

٤٨. مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف. كاظم عبود الفتلاوي.

ط ٢. العتبة العلوية المقدسة. (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

٤٩. مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف. د. سعاد ماهر

محمد. ط ١. دار المعارف بمصر. القاهرة. جمهورية مصر العربية. (١٣٨٨هـ /

١٩٦٨م).

٥٠. مصباح المتعبد. الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ). صححه وأشرف على طباعته:

الشيخ حسين الأعلمي. ط ١. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت.

لبنان. ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٥١. مصباح المنهاج. السيّد محمد سعيد الحكيم. كتاب الطهارة. الجزء التاسع.

ط ٢. مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية. النجف الأشرف. العراق.

(١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

٥٢. معارف الرجال. الشيخ محمد حرز الدين. تحقيق الشيخ محمد حسين حرز

الدين. مطبعة الآداب. النجف الأشرف. العراق. (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

٥٣. معالم المرقد العلوي المطهر. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة التراث

المعماري. العتبة العلوية المقدسة. ط ١. دار أبو طالب للطباعة. النجف

الأشرف. العراق. (١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م).

٥٤. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي. ط ٣. تحقيق مصطفى السقا. عالم الكتب. بيروت. لبنان. (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
٥٥. مفاتيح الجنان. الشيخ عباس القمي. تعريب محمد رضا النوري النجفي. ط ٥. دار التعارف للمطبوعات. بيروت. لبنان. ٢٠٠٩م.
٥٦. المفصل في تاريخ النجف الأشرف. د. حسن عيسى الحكيم. ط ١. المكتبة الحيدريّة. قم المقدّسة. إيران. (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، و (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).
٥٧. مقاتل الطالبين. أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني. المكتبة والمطبعة الحيدريّة. النجف الأشرف. العراق. (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).
٥٨. مقبرة النجف الكبرى. د. محسن عبد الصاحب المظفر. ط ٢. دار الصفاء. عمان. ٢٠٠٦م.
٥٩. مكتبة الروضة الحيدريّة جهود وجهاد. السيّد هاشم الميلاني. ط ١. العتبة العلويّة المقدّسة. (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).
٦٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. عبد الرحمن بن الجوزي. ط ١. دار صادر. بيروت. لبنان. (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م).
٦١. موسوعة العتبات المقدّسة. قسم النجف. جعفر الخليلي. ط ١. دار التعارف. بغداد. العراق. (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).
٦٢. موسوعة النجف الأشرف. جمع بحوثها جعفر الدجيلي. الطبعة الثانية. دار الأضواء. بيروت. لبنان. (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
٦٣. النجف مرسى سفينة نوح. بحث. السيد سامي البدري. مجلة تراث النجف. تصدر عن مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني في النجف الأشرف.

- العدد ١. ربيع الأول ١٤٣٠هـ / كانون الثاني ٢٠٠٩م. النجف الأشرف. العراق.
٦٤. النسيج الحضري للنجف عوامل النشأة والتغير. د. ماجد الخطيب. ط ١. دار الشؤون الثقافية العامة. سلسلة مدن عراقية. بغداد. العراق. (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).
٦٥. نهج البلاغة. للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. مكتبة الروضة الحيدرية. تحقيق السيد هاشم الميلاني. النجف الأشرف. العراق. (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).
٦٦. الولاية. دورية شهرية تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة. العدد ٤١. السنة الرابعة. (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م). النجف الأشرف. العراق.
٦٧. وتتبعوه دينا. فائق عبد الحسين الشمري. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. العتبة العلوية المقدسة. ط ١. مطبعة الرائد. النجف الأشرف. العراق. ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- وهناك مصادر أخرى أقل أهمية استفاد منها المؤلف لا مجال لذكرها هنا.



الفهرست

كلمة المؤسسة ٥

ديباجة الطبعة الثانية ٩

الفصل الأول: اسم وتاريخ النجف الأشرف (موطن الحوزة العلميّة) قبل وبعد تشرفها

باحتران المرقد العلوي الشريف ٢٧

الأول: معنى النجف في المعجم اللغوي ووروده في الكتب التاريخية ٢٩

الثاني: أسماء النجف الأخرى في المعجم اللغوي والكتب التاريخية ٣٣

الثالث: بعض من أسماء النجف الواردة على ألسنة أئمة أهل البيت عليهم السلام ٣٩

الرابع: قصور منطقة النجف الكبرى وأديرتها القديمة ٤٢

الخامس: النجف بعد تشرفها باحتران المرقد العلوي الشريف ٥١

السادس: النجف الأشرف في كتابات الرحالة العرب والمسلمين ٥٣

السابع: النجف الأشرف في كتابات الرحالة والباحثين الغربيين ٧٥

الفصل الثاني: جغرافية النجف الأشرف (عرض موجز) موقعها، وسكانها، وطبقات

أرضها وهضبتها، وطبيعتها، وبحرها، وأهوارها، ووديانها، ومياهها، وطرقاتها، وأسوارها،

وسراديها، وثرواتها المعدنية ٨٩

الأول: موقع النجف الأشرف جغرافياً ٩١

الثاني: سكّان مدينة النجف الأشرف في الوثائق العثمانيّة ٩٧

الثالث: سكّان محافظة النجف الأشرف ١٠١

الرابع: طبقات أرض النجف الأشرف ١٠٧

- الخامس: تكوّن هضبة النجف الأشرف..... ١١١
- السادس: الطبيعة الخلابة لأرض النجف قديماً..... ١١٧
- السابع: بحر النجف الأشرف..... ١٢٢
- الثامن: طارات النجف الأشرف ١٣٠
- التاسع: أهوار النجف الأشرف ووديانها ١٣١
- العاشر: مياه النجف..... ١٣٣
- الحادي عشر: سراديب النجف الأشرف..... ١٤١
- الثاني عشر: أسوار النجف الأشرف..... ١٤٦
- الثالث عشر: الثروات المعدنية في النجف الأشرف..... ١٥٢

- الفصل الثالث: المرقد العلوي الشريف ١٥٥
- الأول: مدينة النجف تتشرف باحتضان المرقد العلوي الطاهر ١٥٧
- الثاني: خطّ المرقد العلوي الشريف..... ١٦٠
- الثالث: الاختلاف في عدد عمارات الحرم العلوي الطاهر ١٦٥
- الرابع: عمارات الحرم العلوي الطاهر ١٧٨
- الخامس: وصف العمارة الماثلة للحرم العلوي الطاهر..... ٢٠٣
١. المنظر العام للصحن العلوي الشريف من خارجه..... ٢٠٦
٢. أبواب الصحن العلوي الشريف ٢٠٧
٣. الصحن العلوي الشريف من داخله..... ٢١٨
٤. أيوان ميزاب الذهب..... ٢١٩
٥. إيوان العلماء..... ٢٢٠
٦. أرضية الصحن الشريف..... ٢٢٧
٧. البهو الكبير..... ٢٢٩

٨. الإيوان الذهبي..... ٢٣١
٩. المذنتان الذهبيتان..... ٢٣٢
١٠. أبواب الحضرة العلوية الشريفة..... ٢٣٥
١١. البابان الذهبيتان..... ٢٣٦
١٢. رواق الحرم المطهر..... ٢٣٨
١٣. الحضرة العلوية الشريفة..... ٢٣٩
١٤. القبّتان الداخليّة والخارجيّة للحضرة العلوية الشريفة..... ٢٤١
١٥. الضريح العلوي الطاهر..... ٢٤٦
١٦. التيجان الذهبيّة للشبّاك الطاهر..... ٢٤٧
١٧. صندوق القبر الشريف (الخاتم)..... ٢٥٣
١٨. نظام تهوية الحضرة العلوية الشريفة..... ٢٥٨
١٩. رواق أبي طالب عليه السلام..... ٢٥٩
٢٠. صحن فاطمة عليها السلام..... ٢٦٣
٢١. خزائن المرقد العلوي الشريف..... ٢٦٥
٢٢. مكتبة الروضة الحيدريّة المطهرة..... ٢٨٨
٢٣. تعديلات وتجاوزات وقعت على العتبة العلوية المقدّسة..... ٢٩٧

الفصل الرابع: بركات الحضرة العلوية الشريفة وفيوضاتها الملهمة..... ٣١٩

الفصل الخامس: المساجد والمراقد والمقامات في النجف الأشرف..... ٣٤٣

الأول: مرقد النبيّن آدم ونوح عليه السلام..... ٣٤٦

الثاني: مسجد الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام المعروف بمسجد الرأس..... ٣٤٨

الثالث: مرقد النبيّن هود وصالح عليه السلام..... ٣٦٣

- الرابع: مقام الإمام علي عليه السلام، وقبر العبد الصالح اليماني أو (مقبرة الصفا) ٣٦٥
- الخامس: مقام الإمام زين العابدين عليه السلام ٣٧٠
- السادس: مقام الإمام المهدي المنتظر عليه السلام أو موضع منبر الإمام ٣٧٢
- السابع: مسجد الحنّانة ٣٧٤
- الثامن: مسجد عمران بن شاهين ٣٧٦
- التاسع: مسجد الخنصرة ٣٧٩
- العاشر: مسجد الهندي ٣٨١
- الحادي عشر: مرقد الصحابي كميل بن زياد النخعي رضي الله عنه ٣٨٤
- الثاني عشر: وادي السلام ٣٨٨

- الخاتمة ٣٩٩

- الملاحق ٤٠١
- الملحق الأول: آية نشوء هضبة النجف الأشرف والإعجاز الإلهي ٤٠٣
- الملحق الثاني: جملة من دفناء مدينة النجف الأشرف الكبرى ٤٢٣
- الملحق الثالث: صور من العتبة العلوية المطهرة ٤٣٥
- الملحق الرابع: صور للمعالم الشريفة في محافظة النجف الأشرف ٤٤٨

- مصادر البحث ومراجعته ٤٥٧
- الفهرست ٤٦٧



المؤلف في سطور

« ولد الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم في النجف الأشرف سنة ١٩٤٩م، وتلقى تعليمه الأولي في الحوزة العلمية، ثم تخرج من كلية الفقه في النجف الأشرف سنة (١٩٧٠م)، ليكمل دراسته العليا فينال بها شهادة الدكتوراه من لندن ، ثم ليحاضر في إحدى جامعاتها ثماني سنوات.

« اعتقل من قبل أجهزة النظام البائد مع العشرات من أفراد أسرته (آل الحكيم) أكثر من ثماني سنوات، ابتداء من سنة (١٩٨٣ - ١٩٩١م)، متنقلا بين زنازين مديرية الأمن العامة، والانفرادي، وقسم الأحكام الخاصة المغلقة في سجن أبي غريب.

« اختير من قبل المرجعية الدينية العليا، ففاز بعضوية (الجمعية الوطنية العراقية)، و(لجنة كتابة الدستور العراقي)، وكتب ديباجة الدستور.

« انتخب عضوا في مجلس النواب العراقي لدورتين متتاليتين ابتداء من سنة (٢٠١٠ - ٢٠١٨ م).

« باحث وشاعر . من كتبه المطبوعة: (النجف الأشرف وحوزتها في سبعة أجزاء)، (قيادة المرجعية الدينية لثورة العشرين)، (دستور حوزة النجف الأشرف)، (عقد التأمين حقيقته ومشروعيته)، (وردة حب الله - شعر)، (تراثيل في أحباب الله - شعر)، (الفتاوى الميسرة) ، و(الفقه للمغتربين)، و(الميسر في الحج والعمرة) ثلاثتها وفق فتاوى المرجع الأعلى سماحة السيد السيستاني (دام ظله).

« ترجمت بعض كتبه الى اللغات الحية. كالإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والأسبانية، والروسية، والهولندية، والأندونيسية، والفارسية، والتركية، والأوردية، والسواحيلية، وغيرها.

